

الواردات الإلهية

المسمّى:

بـ "الوصايا"

تأليف

سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا

المتوفى ٨٠٧هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي



الوارِدات الإلهيّة

المسمّى :

بـ "الوصايا"

تأليف

سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا

المتوفى سنة ٨٠٧ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي



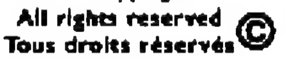
Title: Al-Wāridāt al-'Ilāhiyyah
classification: ***Sufism***
Author: Sīdī 'Alī Wafā ibn Muḥammad Wafā
Editor: Aḥmad Farīd al-Mizīyadī
Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages: 360
Year: 2007
Printed In: Lebanon
Edition: 1st





بيروت - لبنان







الطبعة الأولى
٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ



بيروت - لبنان

Mohamed Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbeh,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

الكتاب: الواردات الإلهية
المسمى بـ " الوصايا "
التصنيف: تصوف
المؤلف: سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا
المحقق: أحمد فريد المزيدي
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 360
سنة الطباعة: 2007
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5813-0 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5813-0 (13 dig)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله على ما جعل نبيه محمداً المصطفى مبجّلاً كاملاً لذاته، فتدلى به بجمعية جميع شئونه وأطواره، واجتبى من شاء من كُمّل ورّاثه لإبراز نوره، وإظهار علومه وأسراره يا ولي الحمد، فصل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم وآله وأصحابه مقتفي آثاره ومجتني ثماره.

أما بعد ...

فلا يخفى على سالكي الطريقة وطالبي الحقيقة أن الحق سبحانه وتعالى متى اصطفى فرداً كاملاً لإظهار بعض علومه وأسراره الكامنة فهو يتكلم على لسانه، جاعلاً ذلك بمنزلة جارحته فلا يكون لظهور تلك العلوم والأسرار منه على نمط العلوم الرسمية قاعدة، والفنون الكسبية التي ضبطها العقل أولاً تحت قاعدة، ثم أظهرها بعد ذلك مربوطة ومضبوطة، بل إن تلك الأسرار التي هي مودوعة في نفسه المقدسة ويريد ظهورها أنه يبرزها على حسب الواردات والتقريبات فتكون حيناً بالمخاطبة، وحيناً بالمكاتبة، وحيناً باللغة العربية، وحيناً باللسان الفارسي، ومرة تلويحاً وآجالاً أخرى تصريحًا وتفصيلاً، وفي بعض الأوقات باصطلاح، وفي بعض آخر باصطلاح آخر، وقد يجلو معنى واحداً مكرراً سواء كان في لباس واحد أم كل بلباس آخر، فأدب الاستفاضة والاستفادة منها هو ما ينبغي أن يكون التعرض لتلك النفحات بذلك الوضع الذي صدرت فيه من البيان في العربي أو الفارسي نثراً أو نظماً، ويجب أن تلقى تلك الواردات الغيبية.

هذا وإنه من المتفق عليه عند أرباب الكشوفات وأصحاب الأذواق، من السادة الصوفية في جميع الآفاق، أن سيدي علي وفا من الأغواث الأفراد، وكُمّل الورثة الأقطاب، وممن لهم الولاية الظاهرة والباطنة، وخوارق العادات والأحوال المباركة الظاهرة، بل لهم خصوصية الاصطفا، ومن سار على نهجهم من سادات بني الوفا، فقتح الله لهم المغاليق، وفرج كرب من استغاث واستنصر بهم في الضيق، وبحور علومهم أرفع وأعظم ما خطه قلم في هذا الطريق، ولا يؤتى أحد فهمه وفتحه إلا من صحبه المدد والتوفيق، فحينئذ تنهل عليه الفتوحات، وتفك له الطلسمات، ويرزق من علم نورانية روحانية الأسماء والصفات، فيحظى بفضل من الله بباب من المشاهدات والمخاطبات.

وقد منّ الله على شيخنا القطب: سيدي مصطفى بن عبد السلام الملواني بفتح رباني

من سواطع النور الوفائي، فأمدنا بشعاع من أنوارهم نلتمس به إن شاء الله توفيقاً في خصوصية العمل على تحقيق تراثهم، آل الوفا، أصحاب الاصطفا، من حق لهم الاحتساب والانتساب بنسل المصطفى، وخصوا بحقائق الصفا.

وقد حققنا هذا الكتاب تحقيقاً علميًّا جديداً، مُزاداً كثيراً ومنقحاً.

وآخراً نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا لهم من الخدمة المخلصين، ويجنبنا نوائب الدهر، وانسلاخ الصدر، وأعين مرضى الحقد والحسد، حتى نكون ممن حفظهم الله بحفظه وسخرهم الله في خدمة أحبابه وحزبه .. آمين.

كتبه

أبو الحسن والحسين

أحمد فريد المزيدي

0101463027



ترجمة الشيخ المصنف

هو سيدي القطب الغوث سيدي علي بن محمد وفا السكندري الأصل، الشاذلي المالكي الصوفي، الذي اشتهر قدره، وعلا على الجوزاء شرفه، وعظ وذكر وهو خالي الوجنة من النبات، وحيّر العقول بما له من الأقدام والثبات، واجتهد ودأب، وتمسك بعُرى الفضل والأدب، ونظم ونثر، ووعظ وكتب.

كان مولده سنة تسع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة، ومات أبوه وهو طفل، فنشأ هو وأخوه أحمد وفي كفالة وصيهما الزيلعي.

فلما بلغ صاحب الترجمة تسع عشرة سنة جلس مكان أبيه، وعمل الميعاد وشاع ذكره، وبَعُد صيته، وانتشر أتباعه وذكر بمزيد اليقظة وجودة الذهن، والترقي في الأدب والوعظ، ومعرفة تقرير كلام أهل الطريق.

قال الحافظ ابن حجر في «إنباء الغمر»: كان يقظاً حادّ الذهن، وكثر أتباعه جداً، وأحدث ذكراً بألحانٍ وأوزان يجمع الناس عليه، وله اقتدار على جلب الخلق، ومعه خفّة ظاهرة، اجتمعت به في دعوة، فأنكر على أصحابه إيماءهم عن جهة السجود، فتلا - وهو يدور في وسط السماع ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة:115] فناداه من حضر من الطلبة: كفرت. فترك المجلس وخرج بأصحابه.

وقال: وله تصانيف منها: «الباعث على الخلاص في أحوال الخواص»، و«الكوثر المترع من الأبحر الأربع»، والمسامع، وخصوصية الاصطفا، والوصايا، وديوان شعر، وموشحات كثيرة، وأحزاب، وصلوات، وأوراد، وغير ذلك، قال: وشعره ينعت بالاتحاد المفضي إلى الاتحاد، كنظم أبيه.

وفي آخر عمره، نصب بداره منبراً، وصار يصلي بها الجمعة، مع كونه مالكياً.

وقال في معجمه: اشتغل بالآداب والعلوم، وتجرد مدة وانقطع ثم تكلّم على الناس، ورتب لأصحابه أذكاراً بتلاحين مطبوعة، استمال بها قلوب العوام، ونظم ونثر، وصحبه يتغالون في محبته، ويفرطون في ذلك انتهى.

قال المقريزي: كان جميل الطريقة، مهاباً، معظماً، صاحب كلام بعيد، ونظم جيد سريع، وتعدد أتباعه، ودانوا بحبه، واعتقدوا أن رؤيته عبادة، وتبعوه في أقواله وأفعاله، وبالغوا في ذلك مبالغة مفرطة، وسموا ميعاده «المشهد» وبذلوا له رغائب أموالهم، هذا مع تحجبه وتحجب أخيه أحمد التحجب الكثير إلا عند عمل الميعاد، أو البروز لقبر أبيهم،

وتنقلهم في الأماكن بحيث نالا من الحظ ما لم يرتق إليه من هو في طريقهم، حتى مات بمنزله بالروضة في الحجة سنة سبع وثمانمائة، ودفن عند أبيه.

قال: ولم أر قط جنازة عليها من الخفر كجنازته، وأصحابه أمامه يذكرون بطريقة تلين لها قلوب الجفاة.

قال غيره: كان مستحضراً لجمل من التفسير، وله تفسير ونظمٌ جم، وديوانه متداول بالأيدي، وجيد شعره أكثر من رديئه، وأما نظمه في التلاحين والخفائف، وتركيزه للأنغام، فغاية لا تدرك، وتلامذته يتغالون فيه إلى حد يفوق الوصف انتهى.

وللحافظ الزين العراقي كتاب «الباعث على الخلاص من حوادث القصاص»، صنفه في الردّ عليه.

وقال بعض من صنف في الطبقات: كان فقيهاً عارفاً بفنون من العلم، بارعاً في التصوف، حسن الكلام فيه على طريقة ابن عربي وابن الفارض.

وقال بعضهم: كان ظريفاً لطيفاً، يلبس الملابس الفاخرة، ويأكل أنفَس الأطعمة حتى قومت أواني الصيني التي في سماطه بألف دينار.

وقال المناوي قال شيخنا الشعراني: كان غاية في اللطف والظرف، لم يُر في عصره أظرف منه، وموشحاته في ديوانه تشهد له.. قال: مع أنه سبك فيها أموراً تفرق فيها الأعناق لو فُسرت.

وقال: إنما كانت شريعة محمد ليس بعدها شريعة لكونها نزلت من الفلك الثامن، وهو فلك ثابت، ولأنها جاءت بجميع ما جاء به الأنبياء قبله وزيادة.

وقال: لا يسود رجل على قوم إلا إن آثرهم على نفسه، ولم يشاركهم فيما يستأثرون به عليه، ولا تهجر من أخيك إلا صفته المذمومة، لا ذاته، فإذا تاب منها، فهو أخوك.

وقال: لا تُعِب أخاك ولا تعيره بمصيبة دنيوية، لأنه إما مظلوم وسينصره الله، أو مذنب عوقب فطهّره الله، أو مبتلى وقع أجره على الله، ومن الرعونة أن يفتخر أحد بما لا يأمن سلبه، أو يعير بما لا يستحيل في حقه، ويعلم أن ما جاز على مثله جاز عليه.

وقال: الشيطان نار، وحضرة الرب نور، والنور يطفئ النار، فلا تجاهد وأنت بعيد عن نور حضرة ربك.

وقال: الحظوظ الدنيوية زبالة، فمن أظهر للناس خصوصيته الربانية لينال منهم حظاً دنيوياً، فكأنه يركض بالمملكة كلها على أن يكون زبالاً.

وقال: ليس لأحد أن يمكن أحداً من تقبيل يده إلا إن صحبه من الحق ما صحب

الحجر الأسود من حِفظ عهد الحق في الخلق، والتطهر من لوث تحكم الوهم البهيمي، وعدم الشهوة المُغْفِلَة عن الله، والحظ المُشْغِل عنه، والرعونة المُضِلة عن طريقه، وتحمل خطايا الخلق ولو اسود بهم وجهه، وتذكيرهم بربهم، فَمَن جمع هذا الصفات فهو يمين الله في الأرض كالحجر الأسود ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ [الفتح:10].

وقال: من أراد انقياد العالم له انقياداً ذاتياً فلا يحب إلا الله ومن أمره بمحبته، وحينئذ تسارع الأكوان كلها لطاعته.

وقال: كلما كان حادي القوم مناسباً لهم في حالهم، كان أشدَّ تأثيراً لهم في قلوبهم.

وقال: لا ينبغي لعارف أن يظهر لغيره من معارفه، إلا ما يعلم قبوله له ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف:5].

وقال: ما اشتغل متزوج عن الله إلا لعدم نيته الصالحة في التزوج.

وقال: نية القربات تُصيِّر العادات عبادات.

وقال: لكل ولي خضر متمثل من روح ولايته بصورة الخضر المشهور.

وقال في خبر «ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجًّا غيره»: يعني أن ذلك المقام له من حين أسلم.

وقال: الخنق لغة الضيق، والخانق الطرق الضيق، ومنه سُمِّيَ المكان الذي تسكنه الصوفية خانقاة، لخنقهم نفسهم بتضييقهم عليها.

وقال: لا تخرق حرمة من أمرت باحترامه فتعاقب.

وقال: ليس للسالك أن يتكلم بما اطلع عليه للهالك، فإنه يزيده هلاكاً وإنكارا.

وقال: من طلب ألاَّ يكون له حاسد، تمنى ألاَّ يكون عنده من الله نعمة، فإن الحكم الوجودي اقتضى مقابلة النعم بالحسد، لا بد من ذلك، ألا ترى إلى قوله، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:5] عبر بـ«إذا» دون «إن»، وأمر بالاستعاذة من الحسد لا من وجوده.

وقال: العارف لا يمكن في حقه الرياء؛ لأن الحق مشهوره في عبادته، فلا يرى سواه ليرائيه.

وقال: حبك للشيء على قدر بغضك لضده، مثلاً بمثل، وزناً بوزن، سواءً بسواء.

وقال: لا تستعذ من الأشياء، بل من شرها.

وقال في حديث «الأنصار شعار والناس دثار[1]»: الشعار: ما مس البشرة، والدثار: ما

(1) رواه البخاري (4/ 1574)، ومسلم (2/ 738).

بعدم فكانوا شعاراً لأن حبهم لا لعلة سوى التحقق به، والناس دثار لتعلقهم بالعلل الخارجة.

وقال: من أبعد المطالب عن الصواب مطالبة العبد ربه بالثواب؛ فإن الحق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وشأن العبد الامتثال.

وقال: إن قمت بيا أمر الحق، وكان قلبك غير حاضر فلا مرتجى؛ لأن الحق هو السامع الفاهم، ولا يؤدي عنك ما كُلّفت به إلا هو، فمتى عمل بدنك عملاً وقلبك غافل، لم يحسب لك، ولم يسقط عنك الطلب، وإنما سقط اللوم الظاهر لمباشرة البدن للعمل شرعاً، لظن حضور القلب، فراقب علام الغيوب، فإنه ناظر إلى القلوب.

وقال: احذر أن تزدري أهل الخلع الخفية من الفقراء الشعثة رءوسهم المغبرة وجوههم، فإنهم ناظرون إلى ربهم، وإنما أنت أعشى البصر.

وقال: إياك أن تحسد من فضّل الله عليك، فتمسخ كما مُسخ إبليس من الصورة الملكية إلى الصورة الشيطانية.

وقال: ما دمت صاحب صفات كريمة، فأنت باقٍ على إنسانيتك، فإن نُسخت منك الكرائم بالذمائم، نُسخت إنسانيتك بالصورة الشيطانية، وإن خلطت، لم تكن إنساناً خالصاً، ولا شيطاناً خالصاً، وبينهما تفاوت المتفاوتون، والحكم للمتغلب.

وقال في حديث «القلب بيت الرب»[1]: أي فليس لعبد أن يُدخل قلبه إلا ما يحبه الله، فلا يدخله ما يكرهه من الأقذار.

وقال: من أراد من الفسقة أن يكون في حفظ رب العالمين، فليخدم الصالحين، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء:82] فانظر كيف حُفظ الشياطين لما خدموا العارفين.

وقال: جميع الأعمال إنما شرعت تذكرة بمشرعها لئلا ينسوه ويصبوا لغيره ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:14].

وقال: من أحب ثبات الإخوان على وُدّه وثناءهم عليه بكل لسان، يقابلهم إذا آذوه بالحلم والغفران.

وقال: من أشغل قلبه بحب شيءٍ من الأكوان، ذل عند الله وهان، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:18].

---

(1) ذكر في فيض القدير(1/ 481)، وكشف الخفاء(2/ 129).

وقال في آية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30] خصّ الأرض؛ لأن آدم كان خليفةً في الملأ الأعلى حيث خرّوا له ساجدين.

وقال: شغل القلب بهم الرزق مع راحة البدن عذاب على القلب، وراحة القلب من همه مع تعب البدن عذاب على البدن، فالراحة في ترك الاهتمام والسلام.

وقال: الكامل من يهضم نفسه حتى يزكيه ربه على ألسنة خلقه.

وقال: من أراد أن تخلد عليه النعم فيصف ذلك لربه، ويُثني به عليه، يتكرم ويحسن ويقول: المحسن الله.

وقال: إذا ذكرت ذنوبك فلا تقل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنك به تبرئ نفسك منها وتضيفها إلى حول الحق وقوته، وتريد عدم الحج عليك، بل قل: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: 16].

وقال: من صحب المعرضين عن ذكر الله، أهانه الله في عيون الخلق.

وقال: كل امرأة تعلقت همتها بالله فهي رجل، وعكسه.

وقال: العاقل لا يمدح نفسه بقاله، ولا يذمها بحاله، إلا إذا أمره الشرع بحين كماله، كما قال المصطفى ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»[1].

وقال: لا تأمن المعتقِد فيك، فإن نفسه إنما سكنت حيث عَقِلَهَا عَقْلُهَا النظري بمقالٍ ظني سنده حال أو قال، والإعراض لا يبقى، فكأنك بالعقال وقد انحل ورجع المعقول إلى توحشه.

وقال: المحب قليل، والمعتقِد كثير، وما قلّ وكفى، خير مما كثر وألهى، وكفى باللهو ضرراً.

وقال: على كل كبير أن يتغافل عن كل من خالف أمره مستتراً، كما ينبغي معاقبة من أتى معصية جهراً، ولهذا لعن إبليس بترك سجدة واحدة، وكم ترك غيره من صلوات، لكن على حجاب وجهل.

وقال: إذا خالقك أحد بأخلاق البهائم خالقه بأخلاق الأكارم، ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:84].

وقال: لا يخلو عبد من محبة الحق لعلة، والمحبة الصادقة فوق العلل.

وقال: ألسنة المحبة أعجمية على غير أهلها، وعلى أهلها عربية.

(1) رواه ابن ماجه (2/ 1440)، وابن حبان (14/ 135).

وقال: من تنبه لنفسه، لم يقنع بالقال عن الحال.

وقال: كل حجاب عن الحبيب عذاب، ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:12] أي يا وراء الحجاب.

وقال: من أحب أن يقوم مقام الرجال، فليثبت تحت راية أستاذه فإنها ما تنبت شجرة تنتقل من مغرس إلى آخر.

وقال: من لا يرى من أستاذه إلا وجه بشريته، فلا يزيده ما شف له من الحق المبين إلا إعراضاً وتكذيباً، ولذلك لا يظهر عارفٌ لقومه إلا من حيث يشهدونه من ظهور المماثلة، ولذلك قال المصطفى ﷺ لعموم صحبه: «لا تفضلوني على يونس»[1] وقال لخواصهم عن فارق بشريته: إنه أفضل من جميع الرسل، ففضلوه بغير توقف، ولو قاله لمن في بشريته لارتاب، وكذا كل ولي مع قومه.

وقال: عدم مغفرة الشيخ لمريده إذا أشرك به في المحبة غيره من أخلاق الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:48].

وقال: إضافة المال إلى العبد، كإضافة الإقليم إلى عامله، فمن ادعى ملك شيء بيده فقد افترى، وكان عليه فتنة، ومن اعترف بأنه لسيده، فليس بفتنةٍ عليه وإن ملك العالم كله.

وقال: شرط من يطلب كونه إماماً يقتدي به، إن يهاجر بهمته عما تشتهي النفوس البشرية.

وقال: كل يوم من أيام الأستاذ في حضرة مراقبة ربه، كألف سنة مما يعده المريد.

وقال: كل ما يراه المحجوب من المعارف صورة الرائي لا المرئي، فإن رآه زنديقاً فهو زنديق عند الله، أو صديقاً فصدّيق، لأنه العارف مرآة الوجود.

وقال: واضع العلم في قلب متدنس بالرئاسة وحب الدنيا، كواضع العسل في قشر الحنظل.

وقال: لا تكمل المعرفة لعبد إلا إن نفذ من جميع الأقطار العلوية والسفلية، وتجاوز حد الخفض والرفع.

وقال: صاحب الزمان في كل عصر وأوان، واحد، وإن كانوا كثيراً كموسى وهارون، اثنان جنساً وواحد حقيقة، فقالا: أنا رسول رب العالمين، كما إذا شئت أن تعبر عن اسم الذات بالعربية فتقول: الله، كما أنه بالفارسية «خداي»، انظر إلى جبريل لما جاء بصورة البشر،

---

(1) ذكره الحافظ في فتح الباري (6/ 413).

لم يخرج عن كونه جبريل ذي أجنحةٍ ورءوس متعددة.

وقال: مخالفة الحق لأغراض المحبين له، دليل صدق على محبته لهم.

وقال: العلم في غير حليم شمسٌ طلعت من مغربها، والعلم في غير أدوب شهدٌ وُضِعَ في قشر حنظل.

وقال: لا يخرج أحد عن القول بالجهة في شهود الحق، إلا من نفذ من أقطار السماوات والأرض، ولا ينفذ منها من حكمت عليه بقية جسمانية، لأن الجسم الإنساني سجنه، فإذا فارقه فارق السجن.

وقال: من التفت إلى بشريته بالكلية، حجب عن الحقائق الربانية، وسُلبت عنه الحقيقة الإنسانية.

وقال: من ملك أخلاقه فهو عبد الله، ومن ملكته أخلاقه فهو عبدها ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية:23].

وقال: من تجرد من جميع العلل فهو مرآة الوجود، ما قابلها صورة إلا وانطبعت فيها، فمن رأى خيراً فليحمد الله، أو غيره فلا يلومن إلا نفسه.

وقال: من قبل النصيحة أمِن الفضيحة.

وقال: محل الشعور ظاهر الشخص لا باطنه، ولو نبت في القلب شعرة واحدة مات صاحبه، فلا تشغل نفسك بشيء من الملاذ الدنيوية، فإنها كالشعرة، فالقلب بيت الواحد الذي من أشرك معه شيئاً، تركه وشريكه.

وقال: من أحب الله لم تساو الدنيا عنده رجل ذباب، وخضعت له الرقاب، فكيف تخضع لشيء يزول عن قراب؟!.

وقال: ما بني الحق هذا البدن، ووضع فيه منظرة وباذهنجاً ومتنزهاً وخزانة ومزبلة وبيلوعة وكنيفا، إلا لحكمة يرضاها، فلا تيئس من روحه، ولو أتيت بقراب الأرض خطايا، ما دمت تشهد ألاَّ إله إلا الله.

وقال: من رضي بشيءٍ ينعم به، ومن سخط على شيءٍ يُعذب به، فالشيء الواحد نعيم على من رضيه، وجحيم على من سخطه، اللهم هب لنا الرضا المطلق.

وقال: إنما قال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: 19] ليعلّم عباده التواضع، فمن تواضع انبسط.

وقال: من ركن إلى ظالم مسته النار، إلا من رحمه الله، ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا، الآية﴾ وكفى بالخدمة لهم ركوناً.

وقال: من خاف ورجا، فقد مدح وهجا..ومن رضي وسلّم، فقد حمد وعظّم، فانظر ماذا ترى؟ فإن شدة الخوف قد تكون من سوء الظن بمن خفت منه.

وقال: إنما تجمل الشاذلية بالثياب إظهاراً للغنى عن الخلق، ورضاً بما أعطاهم الحق في سرائرهم حين لبس غيرهم المرقعات إظهاراً للفاقة، وأما السّلف فما لبسوا الرث وأكلوا الخشن إلا لما وجدوا أهل الثقلة على الدنيا وزينتها، فخالفوهم بإظهار حقارتها.

وقال: معنى قول البسطامي: خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله، أن الأنبياء عبروا بحر التكليف إلى ساحل السلامة، ووقفوا بساحله الآخر يتلقون من سلِم، وبذلك أرسلوا.

وقال: من دعاه المحبوب فلا عائق، ومن جذبه داعي الغيوب، فما على القلوب دروب والسلام.

وقال: لا تأمن انتقال النفس التي هي للمنقولات أميل عما كانت معك عليه، فإنها بالطبع منقولة، ولا ترجو للنفس التي هي للمنقول أميل انطلاقاً من عاقلها، وإن أظهرت الميل لذلك، فإنها بالأصل معقولة.

وقال: عليكم بلزوم ذكر المحبوب، فإنه جليس من له ذكر، ولن يعدم جليس الكريم من ظفر.

وقال: من ذاق حقيقة الطاعة، وصل إلى حضرة ربه في ساعة.

وقال: من ادّعى في نفسه الكبرياء والعظمة، فلا فرق بينه وبين من قال إني إله من دون الله، وكفى به كفراً.

وقال: شرط المحقق أن يخاطب أهل كل مرتبة بلسانها؛ لأن كل شيء عنده بمقدار، فلا يخاطب أهل الحديث بغير حديثهم، ولا أهل النظر بغير نظرهم، ولا أهل الذوق بغير ذوقهم.

وقال: إذا دعوت ربك في حاجة ولم تجب، فذلك لعدم صدقك في الاضطرار كما وجب.

وقال: قوة الاعتقاد توجب قبول النصح، وضعفه يوجب الرد.

وقال: لا بد لكل إمام حق أن يقابله إمام باطل، فآدم قابله إبليس، ونوح قابله حام، وإبراهيم قابله نمرود، وموسى قابله فرعون، وداود قابله جالوت، وسليمان قابله صخر، وعيسى قابله في حياته الأولى بختنصر، والثانية الدجال، وأما محمد ﷺ فلم يكن له مقابل حقيقة لإيقانه بالإحاطة الخفية انتهى.

وقال شيخنا العارف الشعراوي: طالعت كثيراً وقليلاً من كلام الأولياء، فما رأيت أكثر علماً، ولا أرقى مشهداً من كلامه.

وله كرامات منها أن رجلاً من أولياء العجم حضر سماطه، فطلب ليمونة، فلم يجدها، فاستخف بصاحب الترجمة، فمد يده، فأتى بطاقية ولد العجمي من بلاده، وعرفها، فاعتذر وتاب.

وكان يركب الخيل المسوّمة، ويخرج من بيته بحارة عبد الباسط إلى الروضة ليلاً، فتفتح له الأبواب بنفسها ثم تغلق، فخرج الوالي ليلة، فوجد باب زويلة مفتوحاً ، فأراد ضرب البواب فقال له: سيدي علي كل ليلة يجيء فيشير إلى الباب فيفتح، فوقت أعلم فأغلقه، ووقت أنام، فقال الوالي: رجعت عن إنكاري عليه لبس السنجاب، فإن من تفتح له الأبواب، لبس السنجاب.

وأنكر عليه ابن زنبور الوزير وقال: ما ترك هذا لأبناء الدنيا شيئاً، فأين الفقر الذي هو شعار الأولياء؟ فالتفت إليه وقال: نعم، تركنا لكم ولأبناء الدنيا، خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ولما بنى الوزير البيت بجوار المقياس، عزم عليه للتبرك قبل نقل عياله فيه، فقال له: جزاك الله خيراً أن بنيته لنا، فظن أنه يباسطه ثم خرج، فخرج الوزير، فلم يجد لبيته باباً، فأرسل مفتاحه، ووقفه على ذريته، ولم يطل عمره، بل مات قبل الخمسين.

ولما حج، عطش الحجاج حتى أشرفوا على التلف، فأتوه، فأنشد موشحه الذي أوله:

اسْـــقِ الْعِطَـــاشَ تَكَـــرُّمَا وَالْعَقْـــلُ طَـــاشَ مِـــنَ الظَّـــمَا

فما إن انتهى حتى أمطرت فكانوا كأفواه القرب.

وانظر: المنح الإلهية في مناقب السادات الوفائية لتلميذ المترجم أبي اللطائف ابن فارس، ومناهل الصفا في مناقب آل وفا للغرس الوفائي، ومناهل الصفا للعوضي، والنفحة الرحمانية للزرقاني، ومزيل نقاب الخفا للزبيدي، وبيت الوفائية للبكري، جميعها في ترجمة السادة الوفائية (بتحقيقنا) .. أنعم الله علينا وعلى كل محبٌ للسادة الوفائية بخصوص الخصوصية .. آمين.

* * *

نماذج من صور المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يا مولاي
يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم هذا ما جمعه الولي
المتقي الأستاذ العارف بالله تعالى سيدي الشيخ ناصر الدين محمد
ابن سيدي نور الدين علي الشهير بالوفائي الشاذلي نفعنا الله ببركاته
وبركات علومه في الدنيا والآخرة من واردات سيدي علي بن وفا رضي
الله عنه ونقله من خطه الكريم قال بعد البسملة والحمدلة
والذكر المولوي الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم
يجعل له عوجا وأيده بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم فكانوا
له عضدا ولدينه حججا وفتح لهم بابهم سبل الهدى والتقى
إلى ربه فرجا منه وفرجا وكبت به أعداه فكانوا لأحبابه نورا
وعلى قلوب أعدائه حرجا أحمده حمد من التجأ إليه فنجا
وأشكره شكر من تحقق بالمزيد من فضله فارتقى مع الرفيق الأعلى
في العلا درجا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا
ضد له ولا ند له ولا سواه شهادة عبد لجج في بحور بحار
التوحيد لججا وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله
وحبيبه وخليله المخصوص بالسبع المثاني والقرآن العظيم و
المبعوث رحمة للعالمين فكانوا بنور هداه سراجا صاحب المقام
المحمود واللواء المعقود والحوض المورود الذي كيزانه عدد نجوم
السماء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل
وأطيب من المسك أرجا الذي من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها
أبدا وكانت له من كل سوء وحجا اللهم فصل وسلم على هذا
النبي الكريم والرسول العظيم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه
وإخوانه وأحبابه المعدين لكل خطب ورجا والمصطفين
لكتابه العزيز فكانوا لهم به سبيلا واضحا إلى ربهم ومنهجا فهم

دعاة

صورة الصفحة الأولى من المخطوط



صورة صفحة من المخطوط

٧

ولم يشاركه في تمامه احد منهم كان كانه رسول مرسل ارسالا
خاصا عن ارسالهم وحين ثم ينادى بكليته بيا ايها الرسول
فيعرفه بتعريف الاختصاص وهذا معنى ختمه للانبياء والرسل
لانه بعد انشائه بوجوده المرسل اكمل ارسالا من وجود كل
نبي قبله لختمه لهم كونه في الكونية التي هي نهاية مراتب الانبيا
وعالية عليها وحافظة لها كما كان الختم على المختوم حفظ
لكنه المختوم به ودلالة ختمه عليه على انه مالكه وحائزه
ومحيط به ولو بختمه الولاية يكون هو خاتم الرسل اذ لاهم
لوجود سار اطلاقه من حكم موجوده وثم من اطلاق وجود
خاتم الاولياء الرحمانيين الموصين ولذلك لايات بما يات
هوية من التحقيق لدوائر دورة الاصول فالوجود المحض هو
الهوية المرسلة والوجود المتعلق بالموجود تعلق التقوم
هو الهوية السارية لان الارسال هو للاطلاق من الموانع
والسريان هو التقوم والمرسل من ذلك الهوية السارية
من ظهر حكم كمال وجوده في موجوده حتى كانه في ذلك الكمال
وجود مرسل ومن هنا ان الرسل افضل العالمين وان الرسالة
محيطة بكل صفة كمال يصح ظهورها في الموجودات كالنبوة و
الولاية وسائر ما يمدح او يحمد به العالم الموجود بوجود متعلق
ففي الرسالة نظام هذه الكمالات واما الرسالة التي يشير
اليها الظاهريون فهي صفة منطوية في هذا النظام وهي
التي يصح التفاضل بينها وبين النبوة والولاية بخلاف تلك
للحقيقة المحيطة فانه الوجود حقيقة بلا قيد هو الذات
والمجرد منه ما لا يقيده حكم تعينه بوصف عن ظهوره باوصاف
كماله وكمال صفاته وانما يدرك منه ما حكم لنفسه بما دونه يعاوقه
عن ظهور حكم اطلاقه في كماله حكما جازما فعلى قدر الجزم

بهذا

صورة صفحة من المخطوط

بهذا الحكم يكون الثبوت وحكم المادة للمحكوم بها وعلى تقدير
نقص هذا الحكم بعد التحقيق الوجودي يكون التجرد عن حكم
المادة كمال وهذا التجرد بعد الحصول فيه لا يصح إلا للكاملين الأعظم
من حيث ما يظهر به من المراتب المادية وأما من حيث هو فلها
الوجود المطلق الذي لا يحققه كشفا وبيانا إلا هو واعلم
أنه لا ينتهي تحقيق محقق إلا إلى ما يكون غاية ما يظهر به وجوده
من الكمال الحقيقي له ليس إلا لك كلما تحكمونه فارجع البصر
عن الغير ينقلب إليك البصر بكل حين فافهم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

الواردات الإلهية

المسمى

بـــ(الوصايا)

لسيدي علي وفا
قدس الله سرّه
المتوفى 807 هـــ

تحقيق وتخريج وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر
دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه، وسلِّم تسليماً كثيراً يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكيم، هذا ما جمعه الولي المحقق الأستاذ العارف بالله تعالى سيدي الشيخ ناصر الدين محمد بن سيدي نور الدين علي البهوتي الوفائي الشافعي نفعنا الله ببركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة من واردات سيدي علي بن وفا ﷺ به ونقله من خطه الكريم، قال بعد البسملة والحمدلة والذكر المولوي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: 1]، وأيده ﴿بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: 63] فكانوا له عضداً ولدينه حججاً، وفتح لهم بل بهم سبيل الهدى والتقى لمن اهتدى إلى ربه فرجا منه فَرَجاً، وكبت بهم أعداءه فكانوا لأحبابه نوراً، وعلى قلوب أعدائه حرجاً، أحمده حمد من التجأ إليه فنجا، وأشكره شكر من تحقق بالمزيد من فضله، فارتقى مع الرفيق الأعلى في العلا درجاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد له، ولا ندَّ له، ولا سواه يرتجى شهادة عبد لجَّ في بحبوح بحار التوحيد لججاً.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله المخصوص بالسبع المثاني والقرآن العظيم، والمبعوث رحمة للعالمين، فكانوا بنور هداه سرجاً، صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود الذي كيزانه عدد نجوم الدجى، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك أرجاً، الذي من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وكانت له من كل سوء وجاء.

اللهم فصلِّ وسلم على هذا النبي الكريم والرسول العظيم سيدنا محمد وعلى آله وأصحاب وأتباعه وإخوانه وأحبابه المعدين لكل خطب ورجاء والمصطفين لكتابه العزيز، فكان لهم به سبيلاً واضح إلى ربهم ومنهج.

فهم دعاة الخلق إلى الحق بإذنه في كتابه العزيز حيث جاء: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 18]، فكفى بهذا الفضل شرفاً ومنهجاً، صلاة دائمة بدوام الله، باقية ببقاء الله، ما أقبل على ربه مقبل في صبح إذا أسفر وليل إذا سجى.

أما بعد: فهذه واردات إلهية بها أبرزه لسان القدرة الأزلية في قوالب الحروف الرسمية

بواسطة صاحب الحضرة الوفائية سيدي علي -رضي الله عنا به- وحشرنا في زمرته العلية في زمرة سيدنا محمد خير البرية، ومن خطه الكريم نقلت وعلى الله اعتمدت فوائد من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده على عبده من عنده فتح بذكر الله تعالى يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة عام أربعة وثمانمائة، وختم بذكر الله تعالى يوم الأربعاء تاسع عشر.

قال ﷺ: العارف ليس له أن يظن أنه مفتون بمعنى الضلالة ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص:25]، وكيف لا وهو عين معروفه؛ فافهم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص:34] أي: خلصناه من الموانع عما ظهرنا به فيه من كمالاتنا، وهكذا فتنة كل مخلص ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾؛ فافهم.

والبطون والظهور نسبتان فمهما أدركته؛ فهو ظاهر لك من حيث أدركته، ومهما لم تدركه فهو باطن عنك من حيث لم تدركه، فَرُبَّ باطن عنك من حيثية هو ظاهر لك من حيثية كالمعقولات، والمحسوس بالنسبة إلى العقل والحس، ومن ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:3] هو الأحد الواحد المحيط ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29].

ما ثم إلا ما حققه بعلمه الفعلي، فتعين به في علمه الانفعالي؛ فليس ذات وجود إلا هو؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

جاء في الحديث: «لن يعد امرؤ قدره»[1] فالحسرات لازمة الحدود، وكيف والمحدود ما لوم إنْ عرف حدًّا جاءته حسرة المنع من الحصول عليه، وإنْ جهله فكفى بمذمة حد الجهل حسرة، اللهم خلصنا واستخلصنا، وقد فعلت ولك منك بك الحمد يا أنت، ويا أنا[2] قل للأسماء والكنى: كم شتات وعنا اللهم خذنا من كل شيء إليك، واجمعنا بك عليك، وقد فعلت لو فعلت ما فعلت متى يأتيك نفس آه بروح ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:238]، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ﴾ منصوب على الحال بالحال ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ بـ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39]، فالكل منك وبك وإليك، وقد بقي عليك ما لو فني ما دونه لسقط ضمير الوقف، وكأن النفس الجوف فاه هواء ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]، وكفى بالله حسيباً، فالكلام كلامه، ومرهمه السلام، مآلك وللتعليل ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:24]، فبالإمساك عن الكلام توقعت الرحمة، ففي الفناء راحة من العلل، وهذه

---

(1) لم أقف عليه.

(2) قوله: يا أنت، ويا أنا يشير به إلى الفناء والبقاء في المقامين لأرباب الشهود، والله أعلم.

علة والسلام؛ فافهم.

أنت لا ترضى أن يدخل بينك وبين ثوبك ذبابة، ولا نملة، ولا برغوث، ولا قملة، وتدفع ذلك ما استطعت، فإنْ لم يندفع اخترت التجرد عنه على لبسه، فكيف ترضى أن يدخل غيرٌ بينك وبين حقيقتك؛ فافهم.

كل من له تعلق بغيرك؛ فهو غيرك، ولو حسبته أنت؛ فافهم.

كل باطل مفارق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج:6]، وكل ما خلاه باطل، ولا بدَّ من رجوعك إلى الله ولم تزل، فكلٌّ إلى بدئه عائد، وعلى حقيقته آبدٌ، وحُبُّ الحزن حبك لما لا بدَّ من مفارقته، وقد ورد أن: «جهنم تستعيذ من شره»(1)، فلا تلق أنت بنفسك فيه؛ فافهم.

إنْ وجدت أستاذك المحقق وجدت حقيقتك، وإذا وجدت حقيقتك وجدت الله فوجدت كل شيء، فليس المراد إلا في وجود هذا الأستاذ؛ فافهم.

ليس بأستاذك من لم ينفرد بفؤادك، فالعبد لمولاه ما يعرف إلا هو؛ فافهم.

يا طالب هذا العزيز لا تبخل بها تبذل كل ما دونه قليل، وعليك المنة بقبوله أن أتاك إلى حصوله ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:17] فافهم.

الحرُّ لا يباع وما لا يباع لا يكافئه المبذول، فكيف بمن له كل شيء ولا شيء إلا هو؛ فافهم.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ [يوسف:20] أي: السيارة ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف:20].

وقد قيل: إنَّ الذي اشتراه بذل فيه وزنه جوهراً، فالكثير في مقابلة العزيز قليل؛ فافهم.

العبد الصادق عين بُعد بعد مولاه الحق ما لم يتعين له بحكم السيادة في عين منفصل في إدراكه؛ فافهم.

ليس للأستاذ عين بُعد بعد مفارقته للكون إلَّا مريده الأتم استهلاكاً فيه عما سواه، وبالجملة فالمريد الصادق عين أستاذه بعد تجريده؛ فافهم.

مرتبة السيادة لا تقبل الشركة ولا تحتملها، فهي تدفعها عن نفسها بغيرة من أصابته تركته كالرميم؛ فافهم.

ما دام صاحب السيادة متعيناً بعين منفصل عن عينك فاحذر أن يرى فيك ما يشعر بمشاركته فـ ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13] و﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:21] فافهم.

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (7/ 178).

لا يدلك مظهر الحق على نفسه حتى لا يكون للحق عندك عين سواه ومن لك بذلك ما دمت غيره، فإذا خلصك من قيد المغايرة أراك نفسه بنوره فتحققت عين اليقين أن لا عين له سواه، فهنالك يدعوك إلى الحق على بصيرة حيث يقول لك: ﴿أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه:12] أو «من رآني فقد رأى الحق»(1)، ومن لا فلا؛ فافهم.

ما دمت ترى لربك عيناً غير مرشدك إليه؛ فأنت من المؤمنين بالغيب، ولا يرحمك إذاً إلا بأن يقف لك من حدّ العبودية حيث يريد أن يوقفك بين يديه على حسب شهودك ولبثك إذ يقول: «لا تطروني كما أطرى النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد»(2) أي: في مداركك فافهم.

لسان القال للكثائف، ولسان الحال للطائف، فإذا ظهر لك أستاذك الحق بوصف عبداني فاسمعه يقول لك بالحال: كن عبداً هكذا، فكن إنْ كنت لطيفاً غير محال، فإن المحال لا يوجد بحال فافهم.

أنت على الصورة التي تشهد أستاذك عليها، فاشهد ما شئت، وانظر ماذا ترى إنْ شهدته خلقاً فأنت خلق، وإن شهدته حقًّا فأنت حق قال الحق: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»(3) فافهم.

جاء في الخبر الحقي: «أنا عند ظن عبدي بي»(4) وأنا عند يقينه به بل هو ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 98] فافهم.

قيل: إن العلم والمعرفة والإدراك حصول الشيء في النفس، فما علم شيئاً ولا عرفه ولا أدركه حينئذ إلا هو، فاعرف من أنت أيها العارف بمعروفك فافهم.

المحبة فرع العلم، فما أحب شيئاً إلا عالمه وما عالمه إلَّا هو فما أحبه إلَّا هو وكفى بالمحبة عبودية وبالمحبوبية ربوبية، فأبشروا أيها العبيد «فإذا أحببته كنت هو»(5) فافهم.

الفرقان نور، والجمع ظلمة، فكيف بالوحدة ورجال الليل هم الرجال؛ حيث لا إزار ولا سربال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء:1] ليراه بلا فرقان ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:11] ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: 13] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1] عند نزلته في أخراه.

---

(1) رواه البخاري (21/ 352)، ومسلم (11/ 362).

(2) رواه البخاري (11/ 262)، وأحمد (1/ 153).

(3) رواه أحمد في «المسند» (34/ 341)، وابن حبان (3/ 267).

(4) رواه أحمد في المسند (34/ 341)، وابن حبان (3/ 267).

(5) سبق تخريجه.

يَـا أَنِيسِـي فِي ظَلامِـي يَـا جَلِيسِـي فِي نَهَـارِي

يِـتُّ بِالْهَجْـرِ فَخُـذْ يَـا مُنْيَتِـي بِالوَصْـلِ ثَـارِي

فَقَـدْ نَجَـا مِـنَ الغَمَـرَاتِ مَـنْ نَـادَى أَنْـهُ فِي الظُّلُمَـاتِ

فافهم.

شرفك أن رضي الله بك عبداً، وشرف العبد أن يستخدمه مولاه ثوباً لا يلبسه ربه يلبس نفسه، فتقطعه الأوساخ ويمزقه الغسل فلذلك يعرض مولاه عن تطهيره، فاستخدم نفسك لربك فذلك شرفك، واحذر أن تخدم نفسك فذلك تلفك «الأنصار شعار والناس دثار»[1] فافهم.

لا يرى العين إلا العين السالمة من الالتباس بالأثر، ومن أحب صورة التبس بها فافهم.

كان قوم على أثر الكليم فغاب عنهم عينه حتى قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:153]، وهم ينظرون إليه ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:198].

فاتخذوا من دونه ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:148] فلا العين لحظوا، ولا الأثر حفظوا، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:36] فافهم.

الوسط الحقيقي لا ينقسم ولا يحصل في الخارج المنقسم، القلب بيت الرب؛ فافهم.

إذا ظهر المنير لذاته في الوسط الحقيقي فذلك استواؤه، وعلامته أن يحيط بالأعيان فلا يشهد منها سواه، فلا يرى ساعتئذٍ إلا هو به إياه، وقد محق الظلال، فلا تقبل ثم الصلاة إذ لا صلة إلا في انفصال؛ فافهم.

ما هو ما هو إلا أن تجد أستاذك وقد وجدت مرادك، فهنأ الله فؤادك فافهم.

عندك المباني وعنده المعاني، فبه توجد وبك يشهد؛ فافهم.

«فإذا أحببته كنت يده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وبصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، ثم إن سألني لأعطينه»[2] إذ ما سألني إلا أنا فكيف لا أعطيته، وقد نبّه بأثره اللساني على أثر باقي المعاني فافهم.

تحقق محب بمحبوبه، فقال له به عنه: ﴿لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ [يوسف:32] فكان نفي الأمر من العبد للربّ، وكان التحذير من الربّ للعبد والناطق واحد، وقد أخذ الله بيدك في

---

(1) رواه البخاري (2/ 738)، ومسلم (4/ 1574).

(2) رواه البخاري (5/ 2384)، وابن حبان (2/ 58).

مزلة القدم ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:84]؛ فافهم.

البطش الشديد أن تبدأ وتعيد في كل مقام بحسبه والسلام على صويحبنا أبي يزيد؛ فافهم.

من خلقك بمرتبة لقد بدأك فيها، وإنْ حققك بها فقد أعادك إليها؛ لأنه ردَّك إلى الأصل بكشفه بعدما أزالك عنه الحجاب؛ فافهم.

﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: 15، 16] فهي إعادة الكل إلى بدايتهم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:42] ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم:36]، وإنه هو ما يشير إليه بأنى؛ فافهم.

يا أهل الفرق نصيحة حق جاءت إلى الخلق بلسان صدق الدنيا، وهي دائرة الشهوة حجاب جهنم، وهي غاية البهائم والجان أربابهم، وجهنم وهي دائرة طلب الممتنع حجاب الجنة، وهي غاية الجان والجن أربابهم، والجنة وهي دائرة علم الأفعال حجاب الحضرة، وهي دائرة علم الأسماء، وهي غاية الجن والملائكة أربابهم، والحضرة حجاب المخدع، وهو مقام علم الصفات، وهي غاية الملائكة والخلفاء أربابهم، والمخدع حجاب السرير، وهو مشهد العين وهو غاية الخلفاء والمقربون أربابهم، ومشهد العين حجاب الشاهد وهو غاية المقربين، وغاية مشهد العين الشاهد، فهو ربُّ الأرباب ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الأحزاب:45] ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود:17] فليست الدنيا ما دام فيها شاهد بدنيا إنما هي به أولى ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم:25].

حَللتَ بهذا حلةً ثم حلةً ... بهذا فطابَ الواديانِ كلاهما

فافهم[1].

ليس في الخزائن اللسانية إلا صور المعاني الجنانية، تلك مفارقات وهذه مثالاتها التي تمثل بها فما يصور لسانك إلا ما تصور به جنانك.

قال الإمام علي ﷺ: الذي في القلب يظهر على صفحات الوجه وفلتات اللسان، فالقال والحال واحد بالحقيقة، علماً متعدداً بالاصطلاح وهماً، فافهم.

إنما هي موجوداتك تظهر بها في كل مقام بحسبه، فالرفيع رفيعك والوضيع وضيعك، والحاصل حاصلك، والواصل واصلك، والواجب واجبك، والذاهب ذاهبك، وبالجملة

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: تعين الوجود الذاتي المطلق بالوجود الإلهي، فأوجب العلم والحياة، وتعين الله بالوجود الرحماني ذي الصفات الثبوتية التي هي وجود العلم والحياة، فأوجد العقول والأرواح.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]؛ فافهم.

عجباً للتحقيق يحرق مراتب المغايرة، فهو سبحة وجه الأحد، فإذا رأيت المحقق ولا يراه غيره، فاعرفه واعرف بإذا صبغتك رؤيته، من يحصي ثناء على موجد لا يحاط به علماً وهذا هو؛ فافهم.

لا تعلق لها المغالطة طائلة، حيث كانت المماثلة والمقابلة، فالمغايرة حاصلة؛ فافهم.

أما المماثلة فهي عند تدقيق النظر باطلة، وكذلك المقابلة؛ لأن المراتب كلها في العلم حاصلة، وإذا كان ذلك كذلك عند النظر المدقق وهو علة العددية فكيف عند الوجود المحقق، وهو موجب الأحدية[1]، فافهم.

آية الشيء شخصه والكفر تكثيف الحجاب، فمن كفر بآية شيء فقد كان شخصه أكثف حجاباً له عنه فقل لي متى يراه وهو كافره، يا سعادة أهل الإيمان فكيف بمن فوقهم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:76] فافهم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 70، 71] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:19] فهل من حُرٍّ غير ما زور، وليس لابساً ثوبي زوراً فافهم.

الكل آيات الحق فالكل أشخاصه ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر:81]، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:13]، ومن أنتم فتلك مما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾ فالعبادة من أمره كالربوبية من أمره ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:154] فافهم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة:253] فهذه موجودات لا يتلوها فيينها إلا وجودها الحق المبين بما هو المتكلم العليم على ما هو السميع البصير ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، فافهم.

صاحب كل زمان هو آية الله الكبرى فيه فموجوده أكبر آية ظهر بها وجوده ثمّ فافهم.

ألق المأرب في حضرة الأحباب، وتجرد لهم عما سواهم ليروك من آياتهم الكبرى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا﴾[طه:9]؛ فافهم.

لما رأى موسى مسمى أنا منه؛ فقال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:143].

وما أول المؤمنين إلا ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: دائرة الفرق بحر أحكامها أمواجه، لا ينجو منها إلا سبّاح اقيم بسبحه وجه الأحدية المحرقة مراتب العددية، مبوح بالوجود لا بالعرض.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:23] السبوح لاهوته عن الشركة رأى الآية الكبرى، ولقد رآها فرعون حيث قال للذين: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه:70] ﴿ ءَامَنتُمْ بِهِۦ ﴾ فهو كان أعرف منهم بربهم الحق، ولكن أضله الله على علم فكذب وأبى، وكذب وعصى ولم يعد قدره، وهل ذلك عذر ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات:12]؛ فافهم.

علم العالم، جهل الجاهل، عرف العارف(1)، أنكر المنكر، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:84] وإيش تلك الغلطة، لا تقل أخطأ المقام أعطى، أتريد أن تنقلب الحقائق، ما الحال على ذلك موافق؛ فافهم.

جبل كل ثابت كونه ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ :7] ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ [الفتح:25]، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1]؛ فافهم.

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:17]، فلولا تمثل لها ما انكشف لحسها، ولا تدرك الأبصار إلا مشخصاً بصوره التصوير في الصورية.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف:143] أي: دار في دورنا المحمدي ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:143] أي: بهذا اللسان المحمدي ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:143] بالبصر مجرداً عن الصور ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:143] الذي أنا متحول فيه ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ [الأعراف:143] عنك بحيث عرفت أنه كونك فإن كونك هو آيتي الكبرى اليوم فهو جبلي الذي منه أسمع وفيه أبصر ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:143] برؤيتك لصورتك التي هي جبلي وكوني في زماني ومكاني ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف:143] فاللام هنا بمعنى في، وأتى بها للإشعار بالاختصاص ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:143] إذ علم أنه كونه إنما هو كون ربه ليت شعري من علم، ومن هو هذا المربوب هو نفس المرتبة، وحد المقام في حكم الفرق الحاكم بالحق وبالخلق ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:143] إذ غلب حكم المتحول في الصورة على حكم الصورة التي تحول فيها ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف:143] رجعت النفس المرئية إلى حكمها بتمكين حكم قيومها ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الأعراف:143]، ولم يقل: سبحاني؛ لأنه كليم ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ رجعت صورتك في شهودي بعدما كنت غيرك في شهودي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:143] فأخبر أن الذي يشير إليه منه بأنا هو أول المؤمنين، وتلك هي حقيقته، قال لحقيقته بلسان

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: العارف عين معروفه، وللمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه.

صورته ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه:35] إذ لا تبصر الحقيقة ولا تبصر إلا بصورتها، وفعيل يأتي للفاعل والمفعول، فكان طوره طوره في الكشف المحمدي الذي فيه تم له ذلك كله، ولا تنكر هذا، وأنت تقر: «بأن قوماً يأتيهم ربهم في صورته فيقول: أنا ربكم فينكرونه ويستعيذون به منه، ويسمونه شيطاناً حتى يتحول لهم في صورة يعرفونه بها فيقرون ويقعون له سجوداً»[1]، وهو هو إلا في الإدراك المتقلب بين كشف وحجبة، فافهم.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ [النجم:13] هذا ضمير الذات ومعاده إلى الرائي المرئي ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:13] أي: حال نزلته الأخرى الخاتمية ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ﴾ [النجم:16] الخيالية ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:16] من الصورة المثالية ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم:17] عن مشهود الفؤاد فكذبه بإيهامه غيره ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:17] بدعوى رؤية الحقيقة جسماً فيكون مجسّماً ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:18] وهو كونه صاحب الدائرة؛ لأن الأشخاص هي متعلق الأبصار، فبرؤية هذا الجامع لمراتب الكمال الفرقاني الرباني آية ربه في كونه رأى كل مجموع فيه كونه آية ربه، فهو رأى الآية الكبرى من الآيات الكبرى، فهو أكبر الأكابر، وكل رائي الآية الكبرى بالنسبة إلى قوته؛ فافهم.

أيتها النفس ما دمت مملوكة في يد صاحب الوقت أدخلك مدخل المقربين[2]، فمتى ألقاكِ من يده في غير خدمته ولو في صورة حضرة خفيه بدَّل أُنسك وحشة وجمعك فرقاً، فإذا عطف عليكِ فرجعت في يده عدتِ سيرتكِ الأولى، وقد جاءك المثل في عصا موسى وإنها لآية؛ فافهم.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ[3]

فافهم.

هو الوجود الواجد الموجود بكل واجد، وهو المشهود والشاهد، ولكل مقام منه مقال، ولكل مجال منه رجال، والحكيم لا يخاطب كل مرتبة إلا بلسانها، ولا يعاملها إلا بكيلها وميزانها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:4]؛ فافهم.

الأنك ما الأنك، وما أدراك ما الأنك، هو أن تخلع آذانك بحق ينكره جنانك فتحجب

---

(1) ذكره ابن عربي في «الفتوحات المكية» (1/ 363).

(2) قال المصنف في «المسامع»: دين التكليف دين عباد الله التابعين للاختيار في الاختيار، ودين التعريف دين السابقين الأبرار، ودين الله دين السابقين المقرّبين الأحرار.

(3) البيت من المتقارب، وهو لأبي العتاهية في ديوانه ص 30، والأغاني (4/ 2261).

الإنكار أو فالقرار القرار ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: 7]؛ فافهم.

إن كنت متمكناً من صبغة جليسك مصدقاً بقلبه لما جئته به فأنت رحمة للعالمين ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138]؛ فافهم.

ربما أنكرت النفس لغرض ما عرفه القلب بلا مرض، فأنكره معها بالعرض، ولئن صرفته عن ذلك يوماً ما ليتقلبن بها إليه يوماً ما، وما سمي القلب إلا من تقليبه؛ فافهم.

الشهداء قضت نفوسهم نحبها بحبها فقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 173، 174] والمؤمنون أخذوا كتابهم بيمين إيمانهم، فاعترضت النفوس بعوارض الأغراض، فالتفت القلب خطفة ثم غض ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: 9] فما حاسبه إلا مناطقة، فإن الصلاة مقدمتها الطهارة إنه أطيب وأنشط؛ فافهم.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 69] فحاسبهم تنبيه لمن ضاق وقت صلاته، وهو نائم من باب «الكلام لك واسمعي أنت يا جارة»، والصلاة خير من النوم ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 69] وذلك لأن المدد جاءهم من مصابيح التقوى ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، ومن ثمّ أفرغت قصص المعصومين في قوالب المحاسبة فافهم.

تجاذبت الأوهام الفهم وتنازعت فتزاحمت فالتقى التقطع بالتوسط فقال: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ مع إنه هو ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف: 28، 29] والزم الكشف ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40] ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 29] فمراودته عن نفسه أشد من مراودة أبيه عنه، وإنما المغفرة لمن لا يعلم قال ﷺ: «اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون»(1) فافهم.

ثم من لا يرى بعينه الحقيقة حتى يسترها بعين مستعارة مجازية، فيكون بيانه غفره وكشفه وستره، كما قال الغفور الودود ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100] فافهم.

الغذاء شبيه بالمتغذي في كل مقام بحسبه، فالحكمة غذاء القلوب، والمدرك غذاؤه ما أدركه، والعالم غذاؤه معلومه، والطبيعة غذاؤها ما تصورت به من الطبيعيات، وقد رأينا الغذاء إذا التحق بالمتغذي استحال أضعفهما إلى صورة أقواهما، مثال هذا أن تكون حرارة

---

(1) رواه البخاري (3/ 1282).

الغذاء أقوى من كيفية مزاج المتغذي، فيستحيل ذلك المزاج إلى تلك الحرارة أو العكس فبالعكس، ومن ثم جاءت المناسبة والمباينة، وقس على هذا متى حصلت في إدراك من هو أقوى منك مكنة إدراكية، جعلك صورته، أو أضعف جعلته على صورتك، فانظر ماذا ترى، وعلى من تنكشف.

ومن هنا تعرف قدر النظر إلى الكامل أو نظر الكامل إليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء:46] وتعرف الحكمة في عزلة الضعفاء عن الراسخين في الحجاب، ومنع السالكين أن يتظاهروا للجمهور بما هو عندهم شهرة مما يدق عن مداركهم، ما للسالك والهالك ومدارك الهالك مهالك والمتصور به كذلك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: 68] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم:29] ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:140] لا تنظروا إلى أهل البلاء، فإن كان ولا بدَّ فقل: «الحمد لله الذي عافاني بفضله مما ابتلى غيري به بعدله»[(1)] فافهم.

مهما شهدته فهو لديك ومنك وإليك.

ولكنْ لأحكـــامِ الكمالِ مراتبٌ يُصرِّفُها الفُرقـــانُ فيما يُوافــقُ

فافهم ﴿خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] هو أعلى عليين بإشارة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: 5] قال لي عارف ليكون محيطاً فانظر مشهد هذا العارف ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:8] أي: أصّلك وحملك، فالمركب المحمول والمركب الأصل، فهو بالحقيقة مجرد عن جميع الصور، مقوّم لجميع الصور على صورة من أحاط بكل شيء علماً، و«كان ولا شيء معه»، «ولم يكن شيء غيره»[(2)] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] فافهم.

﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: 62] فهو الحجاب ﴿رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾ [الدخان: 12] فهو الحجاب ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ [يونس:12]؛ فهو حجابه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:84] فهو حجاب ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ [ق: 22] فهو حجاب، وحيث علق شيء بالكشف دلَّ ذكر الكشف على أنه حجاب، إذ لا يكشف إلا حجاب، وهو المانع من اللقاء الحقيقي في كل مقام بحسبه.

---

(1) رواه الترمذي (12/ 360)، وابن ماجه (12/ 11)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 119).

(2) رواه البخاري (3/ 1166).

واعلم أن القبيح ما اقتضى احتجاب محله عن مباشرته للإدراك الصحيح والمليح، ما اقتضى كشفه في كل مقام بحسبه، فمن ثمَّ قَبُح بالنسبة إلى محل ما لم يقبح بالنسبة إلى آخر، والحكيم من أخذك عما هو بالنسبة إليك قبيح إلى ما هو بالنسبة إليك مليح؛ فافهم.

بيان ناطق التحقيق هو النور الأسود، وهو سيد الأنوار جميعاً، ألا ترى أن السواد لا يستحيل، وأنه غاية ما دونه ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:17]؛ فافهم.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:57] على كل حال فرقاً وجمعاً وإحاطة و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس:44] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:54] فأين الظلم وإن كان ولا بدَّ من شهود ظلم، فإنما ﴿ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:44] فإن شهدت ظلماً فإنما هو منك وإليك، فلا تلومن إلا نفسك، واحذر أن تدعو على من ظلمك، فإنك إذاً تدعو على نفسك ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:7] فعلى من تمنُّ، وممن تشتكي، وبمن تشمت، وفيمن تشتفي، وعلى من تفري ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:7] ومقابله فأنت لا ترى إلا ما عملته بحكمك، وارجع إلى البداية فهي النهاية، واجمع الأول والآخر يكمل منك الباطن والظاهر؛ فافهم.

الأمين الحفيظ لا درك عليه ولا مطالبة، فكيف بالملك الرشيد، فانظر أين تكون؛ فافهم.

الضد يفهم الضد نفياً وإثباتاً بالمضادة، فتحلَّ بما شئت؛ فافهم.

أنت عند كل حاكم بما تصورت به في محل حكمه، وعندية المحقق عندية تحقيق، فالحاصل في حكمه لا ينقلب، وعندية الناطق الإلهي عندية إيجاب، فالحاصل في حكمه لا ينعدم، وإن تحول في الهيئات، فانظر كيف تكون بين يدي المحقق والإلهي المفرق؛ فافهم[1].

لا يحيط بك من أنت به محيط، ومن لم يحط بك لم يصدق حكمه عليك صدق تقيد؛ فافهم.

من أنت أعلم به منه، فأنت محيط به، ومن لا فلا، فانظر ما أعظم مقتضى العلم لعالمه؛ فافهم.

من هو بكل شيء محيط لا يسعه شيء، هذا ومعه شيء، فكيف بمن هو كل شيء ولا

---

(1) قال المصنف في المسامع: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:2] التي هي فاتحته البيانية أم الكتاب، وجعلها في عنديته كما تقول: (المثل في عندية الممثل به)، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:39].

شيء معه ولم يكن شيء غيره؟![1] ويكفيك هنا، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف:28] في حدك، واثبت للتجريد، فتلك الطامة الكبرى؛ فافهم.

لا تدع القدرة وأنت في قيود مرتبة الاضطرار ولا الاستغناء، وأنت في قيود مرتبة الافتقار، واعمل في كل مقام على شاكلته؛ فإن التظاهر بالجهالة لا يليق بمثلك وشأنك أحسن تقويم؛ فافهم.

إن قيل لك: احل، فقل: يا معين الضعفاء، أنا عبدك الضعيف، والعاجز الضعيف، ما له سوى اللطيف، ولا تكن جهولاً بحالك، ظلوماً بمقامك بمنعه ما يستحقه من عمل القائم فيه على شاكلته؛ فافهم.

شأن الرباني أن يظهر لكل مترب به على ما يقربه من جناب الربوبية التي قام بحقها، ومن ثم تنوعت الطرق والمقصود من التوصيل واحد، كل رب يريد أن يجود على عباده برقائق حقائقه، فيتوسع تباركاً؛ ولذلك يتولى تمهيد طرقهم إلى ذلك، فاعرف يا أيها العبد، والزم وأنب إلى ربك، وأسلم له وكن من الشاكرين؛ فافهم[2].

مهما تحقق به العبد الصدق من ربه الحق فهو مقعده الصدق عند مليكه المقتدر فافهم .

العبد لمولاه ﴿فَٱعْبُدُوا مَا شِئْتُم﴾ [الزمر:15] فافهم.

كل مرتبة فإنما عبد الحق فيها من شاءها إلا مرتبة الحقية المبينة، فإنما يعبد الحق من شاءه، فمن ثم قال الحق بناطقه المحمدي ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى فَٱعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:15] أي: وأما هو فما يعبدونه إلا بمجرد إشاءته ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ [يونس:100] أي: بي ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس:100].

ألا ترى قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ مع قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:156] مع قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:17] مع قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح:25] وعنى بهذه الرحمة أمره الذي قام به فافهم.

سجنك قيودك البشرية، وويلك من تمكن من خلاصك منها، فلا تجهلنه فتظنه من يؤكدها ويخلدها فتطلب أن يوسع عليك دنياك وأمور هواك، وأن يمنع عنك ما يزحزحك

---

(1) سبق تخريجه.

(2) قال المصنف في «المسامع»: فاعلم أنه وجودك الإلهي الرباني تعيّن لك بتلك العين، فهو بوجوبه مسمّى الأسماء الحسنى الواجبات كلها بالنسبة إليك، وفي إمكانه مُسمّى الأسماء الحسنى الممكنات بالنسبة إليك.

عنها، فإن ذلك عكس ما يريده منه من عرفه، فافهم.

إذا رأيت كل شيء مقيداً فهو مضطر فلا تلمه، إذا ما اضطررت للوم بأن تتقيد بحد اللوم، كما تقيد الملوم بحده، فافهم.

تصرفات الحكيم في دائرته مبادئ صلاح نظامها، وكمال قوامها، فلا يقاس عليه تصرف من دونه؛ فافهم[1].

لا يعرفهم بإياهم إلا محقق بحقائقهم، ولا يعرفهم بسيماهم إلا مخلق بخلائقهم، فافهم.

المحقق حقيقة ما حققه، والعارف عين معروفه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عيناً وأثراً ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 16] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54] وهو هو بيا هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو جبلت القلوب على حب علام الغيوب.

ألا ترى كيف لا ينبئك أحد بيا ترى أنه غيب في حقك إلا أحببته، ومن ثم أحب قوم من كاشفهم بما وارث أجسامهم، وجدرهم من وسواس وأوهام وأعراض وأجرام؛ لأن ذلك من عزيز الغيب عندهم لقصور إدراكهم عنه، وآخرون أحبوا من كاشفهم بدقيق النظر وحسن التدبر والفكر في دنيوياتهم؛ لأن ذلك مبلغهم من الغيب، وآخرون أحب من كاشفهم بمثل ذلك في أخروياتهم ودنيوياتهم، وآخرون لا غيب عندهم إلا الله، فمن كاشفهم بمعارفه وحقائقه، فهو محبوب قلوبهم، وعلام غيوبهم، وإذا حصل لهم هذا حصل لهم كل شيء، وإن فاتهم فاتهم كل شيء ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:12] فافهم.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الجن:26،27] غيبه هذا هو عينه المخصوص الذي تعين منه وجوداً، إنما تحجب به تنزيهاً فافهم.

الشيء في مرتبته الأصلية لا تعرف قيمته، وإنما تظهر عزته في غربته، واعتبر هذا في كل طيب وجوهر وشيء نفيس، هكذا العارف المحقق هو عين معروفه، ومعروفه حقيقته، ومتى ظهر بحكم حقيقته هذه حجبه التنزيه له من حيث إنه الحق عما تعين به من حيث إنه الخلق فامتهن، وردّ عليه حيث قال: أنا الحق، فإذا تقرب إلى مرتبة العبودية وأحكام الخلقية عرف في

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: اسمع: الروح الحكيم الذي هو مبدأ للفضائل والمحامد هو وجه الربوبية في دائرة الإمكان.

كنزه وظهر بحكم تعظيمه وعزه كما هو حال الناس معه، إذ قال لهم: «﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف:110] أنسى كما تنسون»[1] أنا العبد الذليل الفقير البائس العجز فخري، وافهم هنا أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء فافهم.

ما ظهرت كلمة لسانية بكلمة نفسانية في عالم الكون فصادفت قابلها إلا تكون به مثال معناها، سيما كلمة النفس المتمكنة الفعل الحكيمة الاختيار، النافذة الإدراك ومن هنا تفهم أن الأستاذ الناطق لا يأمرك بأمر أو يقول لك كلمة، يستدعي منك بها تكوين معناها، فيتعذر ذلك عليك إلا لعدم كمال قبولك لتلك الكلمة، وأما متى تلقيتها بقبول حسن واستعداد تام لها؛ فإنها تكون فيك معناها، وتظهر عنك تمثاله من حيث تحتسب، أو من حيث لا تحتسب فما يمتثل أمر السيد الحق من عبده إلا أمره؛ فافهم.

لما كان في محرم سنة ثمانمائة حصل لي ضعفة بلغت منها الموت وفارقت فيها بدني، وقد كنت فيه قوى التركيب فجزع أهلي وعيالي لذلك جزعاً رحمهم الحق سبحانه وبحمده به، وقضى لهم برجوعي إلى بدني، فبقيت بعد ذلك في بدني كالمسمار الذي تسمَّر في حائط فنشب فيها بقوة، ثم نزع منها بقوة، ثم أعيد إلى مكانه منها فلم يكن بقاؤه فيها إلا متلخلخاً بغير قوة، فها أنا الآن أعجز تارة عن النهوض إلى القيام، وأجد الحركة عليَّ شاقة كلفة جدًّا، وأريد تارة أن أعصر نصف ليمونة صفراء صغيرة فلا أستطيع أن أُخرج منها ماءها بالعصر، ولم أجدني أحيا إلا حال تنزل المشهد أو التكلم في علم للنفع، أو حضور مجلس الذكر ففي مثل هذا أنا مع الأحياء، وفيما دون هذا من الأمور الجرمانية أنا كالأموات، وأنا لا أدري لي وجهة إلا سيدي ومولاي، وهو حسبي ليس إلا هو؛ فافهم.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق:1] السورة انظر كيف أرشدَ إلى طلب الوقاية من شر الحاسد المتحقق الحسد، ولذلك جاء بحرف التحقيق فقال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:5] ولم يأت بحرف التردد فيقول: إن حسد ولم يأمرك بطلب إلا يكون لك حاسد، ولا أن تطلب ألا يحسدك حاسد؛ لأن الحكم الوجودي اقتضى مقابلة النعمة بالحسد فمن طلب ألا يكون له حاسد فقد طلب ألا تكون له نعمة، ومن طلب ألا يحسده حاسد فقد طلب ألا تظهر عليه نعمة، ومن طلب الوقاية من شر الحاسد المتحقق الحسد فقد طلب ظهور النعمة عليه مع الأمان من التشويش فيها؛ فافهم.

العليم الحكيم الهادي إذا تحول لأهل زمانه في صورة آدمية فذلك الآدمي بظاهره،

---

(1) رواه البخاري (1/ 156)، ومسلم (1/ 401).

الآدمي هو إمام هدى أهل زمانه وبباطنه الربّاني هو ربُّ أهل زمانه أي: سيد أتاهم في صورة يعرفونه بها، ولا يراه من هذه الحيثية إلا من مات الموتة المعنوية بأن تجردت نفسه عن أوهامها البهيمية، وإلى ذلك أشار بقوله ﷺ: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[1].

واعلم أن الأطفال الذين قُتلوا في مقدمة ظهور الربّانية الإبراهيمية، والذين ذُبحوا في مقدمة ظهور الربوبية الموسوية ونحو هذا ما هي إلا أرواح سبق لها أن ترى ربها، من حيث تعرف أنه ربها، فاستشهدت حتى شهدت، وتعلقت بالنفوس المستعدة لها من الذين اتبعوا إمام الوقت، فشهدت في بواطن تلك النفوس ربَّها الحي القيوم العليم الحكيم، وأولئك خواص الأمة كأبي بكر حين قال: إني أسمع الله تعالى يقول: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:24]، وقال حين رأى الشاة ساجدة له: نحن أحق أن نسجد لك منها، ونحو هذا؛ فافهم.

صديق الصادق الحق المبين الناطق بكشف الحقائق وبيان الطرائق من شهد هذا الحق عند ظهوره له بصورة الخلق أستاذه وإمام هدايته بموجوده ومراده وربه ولاهوته بوجوده، فإذا نظر إلى موجوديته قام له بما يرتضيه من سرِّ ربوبيته بأحكام عبوديته، وإذا نظر إلى وجوده قام له بما يرتضيه من تنزيه ربوبيته وحقوقه على مراتب عبوديته، وأما إذا نظر إلى إحدى الجهتين فاستهلكت في شهوده حكم الأخرى فهو عينه إن غاب عنه حكم الموجودية في حكم الوجود، وهو تابع من أتباعه بحسبه إن كان بالعكس؛ فافهم.

انظر إلى أبي بكر لما قال: الذي نهاني أمرني، وإني أسمع الله يقول: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:24] «نحن أحق لك بالسجود من هذه البهيمة»، وكان هذا ونحوه مشهده كيف قال له: تصدق، فأتى بجميع ما كان عنده، وقال: لله عندي معار، قال له مولاه: «ما أبقيت لأهلك؟ قال: الله ورسوله»[2]، أي: أنت، ولم يقل: لا يحل لي أن أضيع عيالي، وأن أذرهم أغنياء خيراً من أن أذرهم عالة، «وأفضل الصدقة ما كان عن فضل»[3] لأنه رأى نفسه وأهله وعياله كلهم عبيد الذي أمره بحمل ماله، وأن المال ماله، والعبد عبده، وأمره إليه ولموضع غلبة هذا الشهود على قلبه سقط عنه التكليف من قبلهم؛ لأنه صار أغيب من الغافل عن كونهم عياله، وأن نفقتهم تلزمه، والغافل عن الأمر ليس مكلفاً به في حال غفلته؛ فمن هو أغيب منه أولى، أما الذي كان حاضراً لحكم فرقه لا يشهد آمره بالصدقة إلا مبلغاً عن ربه، فإنه أتى ببعض ماله رجاء الثواب، وقال: لي عند الله معار، فقال له: «ما أبقيت لأهلك؟ قال:

(1) رواه النسائي (4/ 419). (2) رواه أبو داود (2/ 129).

(3) رواه البخاري (5/ 2048) بنحوه.

أبقيت تصف مالي فهو كفايتهم»[1]، ولكل مقام مقال؛ فافهم.

إذا فارقت النفس المدركة هيكلها المادي تمام المفارقة المعبر عنها بالموت تعلقت بما هو مستعد لمرتبتها من النفوس المدركات المتعقلات، فأظهرت في تلك النفوس أمورها، واستعملت تلك النفس قواها في تخليق صور تلك الأمور، وتلك هي الرجعة التي تنتظر من عيسى، وعلي وأمثالها فارتقب ذلك، فإنها ظهور ذلك المنتظر بحكمه فيمن استعد لظهور حكمه فيه؛ فافهم.

لا تصل إلى الواحد إلا بواحد، لأن ذلك الوصول أثر واحد فلا يوجد عن مؤثرين معاً، وإلا تكرر فلم يكن واحداً، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النحل:51] في جميع مظاهره، فلا يقبل الإسلام إلا لنبي واحد ودين واحد وشرع واحد وإمام واحد وأستاذ واحد ووسيلة واحدة ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35] ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [سبأ:46]؛ فافهم.

صورة ناطقة أمام الهدى الرباني هي عرش وجوده الرب الحكيم المستوي عليه بروح فرقانه الدياني والاستواء هو التجلي التام بأعيان معاني الجلال والإكرام، والقابلين عنه بإيمان وصديقية هم الذين بقبولاتهم يحملون ذلك العرش، ومن حوله؛ فافهم.

صاحب الاستواء العلمي المتعين بالعقول وأرواحها رحمن، وقابله على التمام رحيم بعين معانيه في مدارك الإيمان؛ فافهم.

الرحمن وجود العقل المتعين بالعقول السمائية البسيطة، والرحيم هو وجود العقل الفعّال فيّاض الصور المادية المتعين بالمدركات المكونة والأعيان المتعينة؛ فافهم.

العارف بالله إذا ذكر الله رأى الله يذكر نفسه وهو يسمعه، وهكذا حال من عرف ذلك العارف حق اليقين؛ فإنه عين معروفه فافهم.

إذا تجرد الأستاذ عن جسمه قام بمريده المخصوص به أتم من قيام العقل الفعّال بالنفس فأظهر فيه من حقائقه بما كان قبل يخفيه وفصّل به ما كان في نظامه مجملاً فافهم.

حقيقة المريد المخصوص من أستاذه بمنزلة ما يراه الناظر في المرآة من نفسه مطابقاً بواسطتها؛ فافهم[2].

---

(1) رواه أبو داود (2/ 129).

(2) قال المصنف في المسامع: فيا أيها المريد تجريد همّتك عن التعلّق بالشهوات والحظوظ النفسانية طهارتك وحسن خدمتك قيامك، وصدق حبّك تيّتك، والحق المبين المتعين لك بناطق أستاذك متوجّه
=

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:39] متى ألقى عليك الحق حبه استخدم لك عدوك وأمنك في مظنة الهلاك فافهم.

ما من نفس إلا وفي الأعيان الناطقية من ناطقة حفيظها فذلك العين هو قطب ذلك النوع معنويًا كان ذلك النوع أو كونيًا فلكل حال قطب، ولكل مقام قطب ولكل نوع من الأعراض قطب، ولكل من الجسمانيات والكائنات قطب، بل ولكل صنف قطب، بل ولكل طائفة من صنف قطب، وكل ناطق قطب عوالم كونه الخاص به كقلبه وجوارحه ومداركه ونفسه، وكل ما بلغه تصرفه الاختياري، بل وكل ما قام بحقيقته من نظام موجوديته وقطب الأقطاب في كل وقت واحد هو الفعّال الكلي؛ فافهم.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:180] والاسم عين المسمى الدَّال عليه بلا واسطة، والحسنى مؤنث الأحسن، والحسن مطابقة المراد في كل مقام بحسبه ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:7] ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [غافر:64] أي: توسع بذلك في تجلياته ﴿اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14] ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:180] ولا تشهدوها إلا أعيانه لتشهدوا الحقيقة الأحدية واحدة في أعيانها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3]، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الأعراف:180] أي: يحكون بفنون التغيرات حكماً أوقف مداركهم على شهود نقص الموجودات عن شهود حقيقة وجودها في أسمائه فهي أسماء حسنى على ما هي عليه، وإن أنكر ذلك الملحدون لشهودهم به ألحدوا من صور أوهامهم وتحكماتها ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ [الأنعام:120] في الأسماء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:122] من تلك الصور بأوهامهم فيدخل كل منهم في صورة إلحاده التي خلقها وهمه إفكاً؛ فافهم.

العورة على الخيانة فالمعصوم مَنْ ليس فيه على لخيانة فلا عورة له، ومن ستر الحق عورته أمن روعته إذ لا روعة إلا من خائن على ما أنت له صائن؛ فافهم[1].

إذا شاهدت أن القدوس ذا الجلال والإكرام هو القائم بأمر لم تشهد ذلك الأمر إلا

قلبك، وصورة كون أستاذك قبلة حركتك، وشهود جلالة أستاذك في كل حالٍ لسان مناجاتك لربّك بلسان ربك.

(1) قال المصنف في «المسامع»: جاء في الحديث: «يُنصب لكل غادرٍ لواء عند أسته، يُقال: هذه غدرة فلان»، الأدنى من هذه الأولوية، فإنه لا ذنب إلا عن ذنبٍ، والغدرة قد يكون قبحها ظاهراً فيظهر معه العورة، وقد لا فلا، ومن ثَمَّ غطى ذنب عورة طال عليها دون غيره.

كما، وإن انعكس الشهود انتكس عند الشاهد المشهود، و﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39]؛ فاعملوا ما شئتم؛ فافهم.

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ [الأنعام:3] أي: واحد ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ [الأنعام:3] أي: باطنكم ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:3] أي: ظاهركم فهو متعين بذلك كله تعين العالم بمعلوماته من نفسه، فهو المتكثر بأعيانه الباطنة والظاهرة، وهو الأحد الواحد في مرتبة ذاته وعين وجوده التي ما وسعه من حيثيتها أرض ولا سماء ووسعه قلب عبده الحق المسمى بالمؤمن، فإنه الواحد صاحب هوية الوحدة ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:22] القيوم بالهوية الحق صاحب هوية ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:23]؛ فهذا تعين الأحد بالواحد والفرد بالحق صاحب هوية الوسع، ظهر في السماوات والأرض بجامع الناس صاحب هوية الكثرة ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:24]، وفي عين جمع الجمع ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3] ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت:54] هو الذات الوجود المتصف بكل موجود ولا موجود إلا ما هو له منه مشهود؛ فافهم.

قال قائل: كيف أثنى على الألوهية بالربوبية في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] والألوهية محيطة بالربوبية(1).

قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه هو تفصيل مجمل بأجمع آحاده وأملكها للسامع حبًا وتعظيمًا؛ فافهم.

وأيضاً فالباء في البسملة باء الآلة، وهي الاسم الذي هو الناطق، والتقدير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1] ظهر الحمد لله في مرتبة ربوبيته للعالمين برحمانيته ورحيميته ومالكيته، ولم يذكر مرتبة الألوهية أي: التجلي بحكمها غير قابله، حتى يأتي فيتنزل إليه بنظام ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:163] ونظائرها، ألا ترى أن تلك فاتحة، وهذه سيدة؛ فافهم.

الملك والشيطان إنما هما في دائرة الفرقان، فالملك مقيد بالتنزيه وتقرير التنزيه الرباني

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: كونه الوجود الإلهي هو المتصف بالصفات المحيطة المتعلقات الحكيمة، واسمه من هذه الحيثية الجلالة المشتقة من معنى الألوهية، وكل شيء من الأول، وكل خير من الثاني.

علماً وحالاً فهو به مقيد والشيطان مقيد بضده، والمخلص من خلص من القيدين بشهود الإحاطة الحقية في الكل فلم يبق لمقيد عليه سلطان فهو القائم بـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]؛ فافهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: 38] الروح: هي الحقيقة المدركة وقيامها هو تعينها بمدركاتها من غير احتياج إلى تعلق بجرم يكون آلة لإدراكها وفعلها والملائكة هي الصور المفارقة لحكم الهياكل المادية في الإدراك، واليوم ما به البيان فيوم القيامة، هو تبيين قيام الروح متعيناً تجريده خافية ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: 9] ويكون الحكم للغالب فمن تجرد بالموت وقد عرف ربه الحق، وكان هو أحب إليه وأكبر في صدره من كل شيء لم يغلب عليه سواه، وإلا فليكن مهما كبر في صدره؛ فافهم، وكن لله تغنم.

جاء في صحيح الحديث: «أول من يدعى يوم القيامة آدم فيتراءى ذريته، فيقال له: يا آدم أخرج بعث الجنة، يا آدم أخرج بعث النار»[1] يعني: أول من يحكم بالفرقان الحكيم حيث يقوم بناطقته روحه، فيكشف بالبيان أحكامها، ويحكم بالحكمة الربانية نظامها في كل جور هو آدم ذلك الدور، فدعاؤه ظهور حكم روح الفرقان في ناطقته بالكشف والبيان، وترائي ذريته له هو انكشافهم له بما يحكم به عليهم فرقانه من هداية وضلال وقبح وحسن، وما هو سعادة وما هو شقاوة وإخراجه بعث كل واحدة من الدارين هو بيانه للناس ما به يسعدون، وما به يشقون، وتقرير ذلك بالتفهيم والتعليم في نفوسهم، فمن سلك طريقاً منهما وصل عند تجرده بالموت إلى منتهى طريقه، وأيضاً فما دام أبناء آدم يتوالدون برُّهم وفاجرهم فآدم يخرج بَعث الجنة وبَعث النار؛ فافهم.

أنوار نواطق الهداة الربانيين الديانين هم حقائق يوم القيامة، فأول من يسمى يوم قيامه في كل دور آدمه ثم كل من يقوم بروح ذلك الكشف والبيان بعده يسمى أيضاً يوم القيامة، وهو الفرقان كما قال: «محمد فرق بين الناس؛ فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار»[2] وهذا كله في حال دنيا العبد، فهذا يوم البعث فإذا مات انتهى إلى الحصول عياناً فيما كان حصّله قبل ذلك إدراكاً ما لم يغلب الله على أمره فيستخلصه له مما سواه من حيث عرفه بنفسه وحببه في حضرة قدسه قبل الموت، ولو ساعة احتضاره؛ فافهم.

وحضرات قدس الله تعالى هي مدارك العارفين به الهداة إليه، فاتخذ لك في شيء منها

(1) رواه البخاري (3/ 2392).

(2) رواه البخاري (6/ 2655).

مستقرًّا بحسن المودة والخدمة وصدق المحبة والتعظيم تغنم، فالله خير وأبقى، والله أعلى وأعلم.

الروح حقيقة مفارقة بالذات لحكم المواد الجسمانية؛ فهي نورانية لا تميل بذاتها إلا إلى الأمور العلية الربانية النورانية، والمادة الجرمانية سيما الصلصالية هي بما هي ظلماتية فإدراك الروح بما هي هي نور رباني حكيم وإذا تعلقت الروح بهيكل جرماني مادي جسماني التبست ظلمة تلك المادة بإدراكها لموضع العلاقة، فإن غلب حكم تلك الظلمة المادية على حكم النورانية الروحانية صار إدراك الروح وهماً بهيميًّا، وإن لم يغلب فله من الوهمية بحسب مخالطته، ومن العقلية بحسب ظهور نورانيته؛ فافهم.

هذا فإذا كان عند الموت فارقت الروح البدن، وقد طبعت على ما ماتت عليه فإذا كان حقًّا ربانيًّا لم تزل فيما هو مرادها لذاتها وذلك هو البهجة والنعيم، وإن كان باطلاً مع حكم البدن المفارق لم تزل مصدودة عن مرادها لذاتها، وقد فارقها إلفها العَرَضي بمفارقة البدن فهي محال بينها وبين ما تشتهي ومحجوبة عن نور ربها، وذلك هو الحسرة والجحيم فمهما تعلقت به النفس المدركة بحظ وهمي وشهوة جسمانية؛ فإنه باطل يبطل تمام إدراكها له بمفارقتها المحسوسة المألوفة عند مفارقتها للجسم الذي بحكمه تعلقت بذلك الشيء فهي لما تعانيه بسببه تقول: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:28]، ومهما تعلقت به لمراد رباني ومعنى نوراني فإنه حق لا يزيدها مفارقة الحكم المادي إلا علاقة وتحققاً به، ومن ثم كان: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:67].

فانظر لنفسك ألا تصحب وتألف إلا حقًّا لا يزيدك الموت به إلا تحققاً، وليس ذلك إلا عند من يعرف الحق ويهدي إليه، وأما من يدعك وما يشتهي وهم طبعك فلا يأمرك بمعروف، ولا ينهاك عن منكر فليس لك بصاحب خير بعد الموت، فإن سلمت منه بعد موتك سواءً لا عليك ولا لك فتلك السلامة غنيمة وإلاَّ فضرُّه أقرب من السلامة منه؛ فافهم.

ولا تعلق همتك بغير أهل الحق تندم، واجعل الحق وجهة همتك حيثما توجهت تغنم، والله أعلى وأعلم.

بئس السالك من يسلك المهالك؛ فافهم.

بئس الرفيق من يضطرك إلى حرج الطريق؛ فافهم.

مهما شوَّقك للحق وسهَّل عليك مشقة السلوك إلى جنابه؛ فهو رسول رحمة الحق إليك، وما أثره من بعد ذلك في نفسك فهو لواء رحمة الحميد، تنشره عليك فاحذر الأضداد

وانهض إلى أهل الوداد تظفر بجميل المراد، فلكل طريق منتهى، ولكل مجتهد نصيب، «والمرء مع من أحب»[1] فافهم والله أعلى وأعلم.

أخبرني أبو صابر أحمد بن محمد الشهير بابن صلاح الدين الحصني في بكرة يوم الأربعاء تاسع وعشرين جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة قال: كان لي جار في دكان إلى جانب دكاني فحصل في القاهرة وباء فبينما أنا جالس في الدكان إذ طُعن جاري، فقال لي: يا أحمد طلعت لي الساعة كبة، وقد انحلت أعضائي، فأنا الآن لا أستطيع أن أتحرك فأغلق لي دكاني، وائتني بمن يحملني إلى بيتي، فغلقت له دكانه، وحملته إلى بيته على بهيم، وقت العصر فما أصبح إلا ميتاً فدفنّاه، ورجعت إلى الدكان، قال: فبينما أنا جالس إذ طُعنت وطلعت لي كبة فقلت: هذه مثل تلك، فقمت وقلت: لا أروح إلا إلى بيت سيدي، فجلست به ساعة، ثم رجعت إلى الدكان فبينما أنا جالس إذا طلعت لي أخرى، فغاب ذهني من ألمها، وبطلت حركتي، فأشرت إلى صاحب لي أن يوصلني إلى بيت سيدي فجاء بي فألقاني على مصطبة باب سيدي فظهر سيدنا ومولانا وقت العصر ليشرف الجامع الحاكم بالجلوس فيه قال: فقال لي: يا أحمد قلت: لبيك يا سيدي، قال: خذ هذه السجادة معك وامش فحملتها ومشيت، وأنا في أمر عظيم من الألم حتى وصلنا إلى باب الجامع وما شكوت لسيدي، ولا ذكرت له شيئاً من أمري، وسيدي التفت إليَّ، وقال: أحمد قلت: لبيك يا سيدي، قال: ما لك تعرج؟ قلت: يا سيدي في وركي كبتان، وأنا منهما في ألم عظيم وأمر شديد.

قال: يا أحمد خفت من الموت؟ قلت: يا سيدي يعني إن كان مولاي راضياً عني فيا حبذا الموت في ذلك[2].

قال: فتبسم لي سيدي، وقال: ما تبالي ودخلت ففرشت السجادة الشريفة وجلست بين يدي سيدي ومولاي فاستغرقت في حضرة سيدي ومولاي عما كان بي من الألم، حتى قمنا لصلاة المغرب فقمت نشيطاً.

قال: فوضعت يدي في مكان الكبتين فلا والله ما وجدت لهما أثراً ولا عيناً، ورجعت في عافية وسلامة فلما رجعنا نظر إليَّ سيدي، وقال: أحمد كيف حالك الآن؟

---

(1) رواه أبو داود (4/ 333)، والنسائي (6/ 344).

(2) الموت عند أكثر الطائفة هو عبارة عن انقطاع اللطيفة الروحانية المسماة بالروح الإلهي، وبالنفس الناطقة عن الاشتغال بالملاذ البدنية لإقبالها على حضرات القرب من الجناب الأقدس، وفي هذا الموت حياتها المشار إلى ذلك بقول أفلوطين: «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة» (لطائف الإعلام ص344).

قلت: والله يا سيدي ذهب ألمي كله ولست الآن إلا في العافية، ولم يبق لما كان بي أثر فتبسم سيدي فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:34]، والله أعلى وأعلم.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف:15] ﴿حَقِيقٌ﴾ فعيل بمعنى مفعول من حقق أي: أوجد وجوداً لا يتبدل، فالتقدير: إني رسول من رب العالمين موجود وجوداً لا يتبدل ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، فلا يمكن أن يأتي مني خلاف ذلك، وبيّن ذلك بأنه رسول رب العالمين، فهذه هي العصمة الواجبة للرسل، ومثاله قول إبراهيم: ﴿فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:56] أي: فطرهن وفطرني ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:56] فكلانا مفطوران على ذلك، فكما أنهن لا يصح جحدهن لذلك حالاً فأنا لا يصح جحدي كذلك حالاً ولا قالاً فطرة الله التي فطرنا عليها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:30].

وقد صرّح يوسف بهذه العصمة؛ فقال: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:38] حيث عصم أئمة هداهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم من كل ما يُخلّ بإمامتهم هذه عصمة فطرية وجودية لا يصح تبدلها ولا يكون لصاحبها أبداً خلاف مقتضاها؛ فافهم.

﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران:84] فليطاعوا وليصدقوا ويعزوا بعز ربهم وتصديق ربهم وطاعة ربهم؛ فافهم.

قال الله تعالى في المؤمنين والمؤمنات: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:51]، وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران:84]؛ فبهذا يصح ما يروى عن النبي ﷺ وعلى آله تسليماً أنه قال: «أنا من الله والمؤمنون مني»[1]، وقد صحَّ أنه قال لعلي: «أنت مني وأنا منك»[2]، وقال: «من رغب عن سنتي؛ فليس مني»[3] فمفهومه من رغب في سنتي فهو مني ونحو هذا؛ فافهم.

لما كان تاريخ يوم الثلاثاء تاسع عشرين ذي القعدة عام ثمانمائة، قلت لسيدي: رأيت اليوم في المنام رجلاً فقيراً لابساً زي الصوفية، وسمعته يقول: أنا ما أشك فلأجل أني أوقن

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (1/ 237).

(2) رواه البخاري (2/ 960).

(3) رواه البخاري (5/ 1949)، ومسلم (2/ 1020).

بكل ما يخطر لي لا يأتيني الهم من جهة من الجهات، وما يأتي أحد الهم من الشك، ومن أيقن لا يأتيه هم، فقال لي سيدي: وأنا رأيت اليوم في المنام أن خيلنا هنه عند البيت الجديد الذي على كتف باب النصر، وأن ذلك البيت بيتنا وتلك الرحبة لنا، وأن باب النصر بابنا، وأن بيدي مفتاحاً لطيفاً، وأنا أفتح به باب النصر، ففتحته حتى لم يبق من الضبة مشبوكاً إلا سنة واحدة أو نحو ذلك.

ثم استيقظت فقلت: لم يبق إلا قليل سنة فيا دونها، أو نحو ذلك وينفتح بنور بيت سيدي ويد تأييدهم باب نصر الله والفتح الموعود به، ويكون مفتاح ذلك روح اسم الله اللطيف، ويكون غلمان بيت سيدي وخدمة بابه يومئذ هم: خيل الله وأنصاره، وإن شاء الله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:74].

جاء في الحديث الصحيح: «إذا أحب الله عبداً أمر جبريل والملائكة بحبه فيحبوه ويضع له القبول في الأرض»(1) فلا يراه أحد إلا أحبه، واعلم فيحب المصلحين، ولا يحب الكافرين فيحب المؤمنين، ولا يحب الظالمين فيحب المقسطين ولا يحب الجهر بالسوء من القول، فيحب الكلم الطيب، والله تعالى يحب المحسنين، ويحب الصابرين، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222]، و﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:4]، ويحب الذين يتبعون خاتم النبيين في تمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ويحب الذين ﴿يُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:54].

وبالجملة فالله تعالى يحب من تخلَّق بأخلاقه الربانية كما ندب إليه الشاعر بقوله: «تخلقوا بأخلاق الله»(2)؛ فمن كان هكذا أحبه الله تعالى، وما تعلقت محبة الله تعالى به حقيقة إلا بأخلاقه تعالى فهو الجميل يحب الجمال الذي له في كل مظهر، فإن قيل: لماذا كان محبوب الله تعالى الموصوف بهذه النعوت الحسنى أو بشيء منها يضع الله تعالى له القبول في الأرض حتى لا يراه أحد إلا أحبه؛ فكيف يبغض الظالمون أئمة الهدى، والجاهلون لأهل الحق أعداء؟

قلت: لأنهم لجهلهم بهم لم يروهم على ما هم به من الأمر فسموهم ضُلَّالاً وسحرة وكهنة وكذبة وأشباه ذلك من الأسماء الذميمة التي هم بضدها؛ فلذلك لم يروهم حقيقة فلم يحبوهم؛ لأنهم ينظرون إلى ظواهرهم، وهم لا يبصرون حقائق مراتبهم عند ربهم، ولو

---

(1) رواه البخاري (3/ 1175)، ومسلم (4/ 2030).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 3) بنحوه.

أبصروهم من تلك الحيثية لا يسعهم إلا محبتهم، أرأيت أحداً يذكر له من هو موصوف بتلك الصفات الحسنى، ولا يهتز شوقاً إلى رؤيته، ويعترف بصدق حبه له، فهذا كل أحد يحب أحباب الله تعالى، وإن جهل مقام أحد منهم، فأبغض ما تصوره فيه بجهله، ولم يبغضه هو؛ لأنه هو ليس ذلك المتوهم بالجهل.

وقد أشار سيدنا محمد ﷺ إلى هذا بقوله: «ألا تعجبوا من قريش يسبون مذمماً، وأنا لست بمذمم إنما أنا محمد»[1]، وبقوله ﷺ: «اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون»[2] كل أحد يحب حبيب الله، وإن قابل بالبغض ظاهره لجهله به؛ فهو يحبه من حيث حسبه غيره، ولا يبغض إلا موهومه فيه لا هو، وكذلك متى كشف عن غفلته حجاب جهله حتى عرفه وجده محبوبه الذي لا يجد لسواه سبيلاً؛ فافهم.

لن يصيب الأرواح الرحمانية المحمدية بالعرفان والتحقيق إلا ما كتب الله لهم من العلم عبداً، وذلك المكتوب لهم الذي يصيبهم هو عبدهم، ونعم المولى مولاهم؛ فافهم.

الثبوت سكون، والتنقل في الأمور حركة، فما من كائن إلا وهو ساكن بحكم ثبوته متحرك بحكم مرتبته؛ فإن تحلى ظاهره بأحدهما كان الآخر حلية باطنه، فالجماد من أسرع الكائنات حركة في باطنه، كما قال الحق بلسانه المحمدي: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 88] والأفلاك من أثبتها في باطنه ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: 3] ذلك لإحاطة الوجود وقيوميته بجميع أحكامه في كل مقام بحسبه؛ فافهم.

إذا شهد العبد أن كل ذي نفع عين من أعيان النافع الحق، وكل ذي ضُرٍّ عين من أعيان الضار الحق وكل ذي حمل عين من أعيان الحامل الحق، وكل ذي عطاء عين من أعيان المعطي الحق، وقِسْ على هذا جميع الأمور حتى الصلاة والزكاة والصوم والخوف والخشية والضحك والتبشبش، وكل الصفات والأفعال، ولم ير شيئاً من ذلك بالحقيقة إلا لربه الحق لم ير إلا أعيان ربه الحق فحيثما ولى فثمَّ وجهه؛ فلا تلمه إن قال:

حيثُ اتجهتُ رأيتُ وجهكَ ظاهراً　　　وإليكَ في كلِّ المظاهرِ أسجدُ

ومتى لمته قال له وجد ﴿لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: 19]؛ فافهم.

ما الدور إلا ظهورات المجمل بتفاصيله شيئاً بعد شيء فالظهورات مختلفة والظاهر بها

---

(1) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (10/ 339).

(2) سبق تخريجه.

جيعاً واحد، فمن تحجب بها عنه تنكر عليه في كل منها فحكم بمغايرته لنفسه في الآخر، ومن تعرف إليه بها عرف أنه في كل صورة هو في الأخرى؛ فافهم.

﴿كُن﴾ [البقرة:228] عبارة عن تجلٍّ مجمل: كافه كمال كونه، ونونه نهاية نشأته فلا يزال كائنها متحركاً دائراً إلى أن يستوعب ما يحتمله استعداده الزماني من ظهوره التفصيلي، وصور تلك التفاصيل هي الكائنات بتلك الكلمة، ومتكلمها هو المتجلي بها، وحقيقتها عين حكمي؛ فافهم.

الربوبية أمر في خلق، والعبودية خلق في أمر، وكلاهما من دائرة الملك حيث الموت والحياة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: 98، 99] فافهم.

«إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»(1) لأن الحي القيوم هو المتنزل بالربوبية، فلا ربَّ له؛ فافهم.

أين أنت وقد «كان الله، ولم يكن شيء غيره»(2)، وهو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، لا يعزب شيء عن علمه، ولا يخرج شيء عن حكمه، ارجع البصر فانظر ماذا ترى؛ فافهم.

«الناس نيام»(3) فلذلك جوزوا رؤية ربهم في منامهم، ووقفوا عما فوق ذلك؛ فافهم.

«موتوا قبل أن تموتوا تروا ربكم قبل أن تروه»(4) ما أعجب جمع النقيضين، وهو الحق الذي ألفوا سواه؛ فافهم.

ما أعرفك بما لا تعرفه أبده البديهيات عندك وجودك، وأنت لا تتصور ما هو؛ لأنه لا يتصور سبحان من فرق فجمع، سبحان من أتقن ما صنع؛ فافهم.

وجودك وموجودك اثنان بالبيان، واحد بالحقيقة؛ فافهم.

السبحان هو التعين بسلب ضد الحمد، والحمد هو التعين بالصفات الثبوتية والإثباتية، فإذا قلت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:182] فكأنك قلت التعين بالصفات الثابتة كلها لله رب العالمين؛ فاعرف والزم واعمل بحالك على شاكلة قالك؛ فافهم.

صلاة كل ربَّاني صورة إسرائه، وما ثمَّ أعلى من صورة الإسراء المحمدي؛ لأنه أقامها

---

(1) رواه النسائي (4/ 419).

(2) سبق تخريجه.

(3) رواه البيهقي في الزهد الكبير (2/ 207).

(4) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 384).

من رتبة الدعاء إلى المقصود، وصورتها الأذان إلى رتبة الرجوع بالمقصود إلى المعهود، وصورتها السلام ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61]؛ فمحمد إمام كل ذي إسراء في مقامه؛ لذلك لم يفرض في مشهد الإسراء سواها؛ فافهم.

إن المصلي يناجي ربه وما ثَمَّ سواه فالكليم كليمه، والسميع سميعه ما من الله إلا وإليه؛ فافهم.

«فإذا أحببته كنته» هو منازلته، فإن لم يكن «كنت سمعه ولسانه»[1]، فأنا المتكلم السميع، ما أغرب الحق في أهله؛ فافهم.

متى أقيمت الصلاة بإقامة الشهادة لله لا تجد صلاة إلا المكتوبة، وكاتبها هو المتعين بها؛ فافهم.

قف فإن ربك يصلي بداية، و ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى﴾ [الأحزاب: 43] نهاية، وكتب عليك الصلاة واسطة، هكذا انكشف الأمر في مشهد الإسراء؛ فافهم.

الأذان إعلام ودعاء، والإقامة إقامة، والتطهر اعتزال الحوادث، والتوجه توجه، وإخلاص النية إفراد المقصود بالقصد، والتكبير تجرد عن ملاحظة الغير بعين رهبة أو رغبة، والقراءة شغل السالك بمناجاة مقصوده بعلمه وحكمته التي لا يأتي بها إلا هو، فالسالك هو لا هو، فمقامه يعطي الحيرة، والقيام انتصاب، والنصبة هيئة تحجبت بها الألف إذا تعينت بها في مقام الفتح، والركوع ضم القامة لرفع حجابية صورة المنتصب عن المنتصب، وظهور عظمته عن التقيد بمرتبة، والضمة هيئة الألف في مقام الرفعة لا الجمعية، فلما ركع القائم الظاهر مع بقاء القائم بالصلاة على قيامه ظهر أنه القيوم الذي لا يعوج قوامه ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56]، فكان الركوع مظهر عظمة القائم، ولذلك يقول فيه: «سبحان ربي العظيم»[2]، وقام على سبوحيته هذه، فحمد وأثنى بفاتحته بحكم ما قبلها سميعه، وقد «سمع الله لمن حمده» فكانت «ربنا لك الحمد ملء السماوات»[3] المشهد بتمامه.

واقتضى المقام إظهار أعلوية القيُّوم بوحدته فانخلعت صورة الضمة عن صورة الكسرة، وهي هيئة الألف في مقام الخفض، فكان السجود مشهد التنزل بـ«سبحان ربي الأعلى»؛ فهو القيُّوم بمراتب ربوبيته، كما هو القيوم بمراتب عبوديته، ولو كان ثَمَّ صورة جزم

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم (1/ 536)، وابن حبان (5/ 223).

(3) رواه البخاري (1/ 253)، ومسلم (1/ 303).

لثبت ذلك على إدراك محله حق اليقين، لكنها صورة كونية ظاهرها حركي فسكونها باطنها، والجلوس للتحيات صورة التمكن بالتحقق الأقربي حيث يشهد الراجع التحيات والصلوات لمن رجع به وسلم على النبي، وعلى نفسه وعلى كل عبد لله فمن النبي ومن نفسه إذاً ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:61] من غير التفات.

ثم حضر حضرة جهاته، فشمل بها جميع الجهات، فجاء سلامه من وجوده لأمامه، ثم من أمامه لقرين يمينه، ثم من قرين يمينه لقرين شماله فهي يساره ولأجله وبلسانه قال: «اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(1) حيث أسلم بسر سلامه فلا يأمره إلا بخير ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:69] ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الصافات:182] آمين فافهم.

ما من الله إلا وإليه وإلا فمن إلى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4] وإن كان عينكم إليه فمن أنتم يا دليل من ليس له دليل، فهو هو فافهم.

الظهور التفصيلي من كل أصل لفرعه تنزل ومن كل فرع لأصله تعالى في كل مقام بحسبه والإسراء من مراتب هذه الدائرة ما أسري من حيث آدم فمن دونه فمن فوقه، إلى حيث لم ير سواه إلا الذي تنزل بهم فهم أعيانه التفصيلية انكشف فيها فكشف بها ثم كشفها حتى انكشف فكما بطن فيها حين ظهر بها بطنت فيه حين ظهر منها فافهم.

الاسم عين المسمى في كل مقام بحسبه فافهم.

كل من رجع من إسرائه أظهر بالتفصيل ما انجمل فيه بالإبطان حال إسرائه ما وجد له قائلاً فافهم.

لما جمع لمحمد ﷺ جميع من ختمهم وفتحهم في إسرائه ورجع نفخ تلك الأرواح في صور كشفية بيانية فالتبس كل روح بقابلها من أهل زمانه، وبخاصة من حضر منهم بين يديه؛ فمن ثمّ قال لبعضهم: «مثلك آدم» ولآخر «مثلك نوح» ولآخر «مثلك إبراهيم»، ولآخر «مثلك يوسف»، وكل من قال له مثل ذلك فهو من هنالك هكذا «العلماء ورثة الأنبياء»(2)، و«علماء أمتي أنبياء سائر الأمم»(3)، ويبعث الله كل ولي على قلب نبي من هذا الكشف، ولما تعين الكل في دائرة تبعيته كان هو إليهم رسولاً إلى جميع المرسلين كما أشار إلى

---

(1) رواه أبو داود (2/ 86)، والنسائي (6/ 32).

(2) رواه البخاري (1/ 37)، وأبو داود (3/ 317).

(3) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 83)، بنحوه.

ذلك بقوله للنبيين: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾، ولما كان هؤلاء بحيث لا يتلقون إلا من الله، وإن تنوعت مشاربهم ظهر الحق المبين في ناطقة هذا المحمدي بالإلقاء الجامع للأمور النبوية ظهوراً إلهيًا فيتلقوه بحيث لم يكن تلقيهم في شهودهم إلا من الله بغيب أو شهادة، كما قال صدِّيقهم: «إني أسمع الله تعالى يقول كذا»؛ فهذا أخذ من الله شهادة، وآخر يقول: قال الله كذا وفقني الله لكذا، فهذا أخذ من الله غيباً، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:90] أي: فبهداهم الذي يلقيه إليهم اقتد بالله في إلقائه منه إليهم أو بوسائط روحانياتهم ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:83] ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ﴾ [الأنعام:88]؛ فافهم.

الضروريات والبديهيات إنما هي أمور وجدانيات، وهي أصول النظريات، فالوجد أصل أصول هذا الباب؛ فافهم.

إنما احتيج إلى الحجج والأدلة والتعاليم لتوقع المطالب من النفس موقع الوجدان، أو ما يقاربه فمتى وجدت المطلوب لم تحتج إلى شيء من ذلك، ومن ثم لم تحتج الضروريات إلى دليل؛ فافهم.

يا واجد الحق تحقيقاً أو تصديقاً حسبك وجدك، فإن قال لك معترض: ما دليلك على حقيقة هذا؟

فقل: وجدي فإن قال لك: وما يؤمنك أن أقول لك بل هو باطل، والدليل على ذلك وجدي فلا تجبن أيها المحقق وقل له: ومن ينازعك في وجدك هو لك كما وجدت، وهو لي حق كما وجدت، فلي حبيبي وللعذال ما عشقوا هكذا علمني الحكيم الحميد ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:44] الآية؛ فافهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:22] فالأمر عنده وجداني؛ فافهم.

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ [الأعراف:157] فهو عندهم بالوجدان فافهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ [الإسراء:15] إلى قوله: ﴿تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:16] الكلام عين المتكلم في الدائرة السمعية كما قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ... الآية﴾ [الأعراف:52]؛ فهو المتكلم وهو الكلام، والقرآن عينه العقلي والفرقان عينه الخيالي، والمقروء المعبر عنه بضمير ﴿لِتَقْرَأَهُۥ﴾ [الإسراء:16] عينه الحسي، فالمقروء تنزل الفرقان، والفرقان تنزل القرآن والقرآن تنزل الكلام، والكلام عين المتكلم، والكل تعيناته التفصيلية من مجمل تجليه المعبر عنه بالكلام؛ فافهم.

الحقائق لا تنعدم سيا إن عرف أن ما ثَمَّ إلا حقيقة واحدة هي الوجود فهي لا تنعدم ولكنها تبطن وتظهر بين تعيناتها إجمالاً وتفصيلاً فيقال: أمكنت وحدثت ووجبت وقدمت، وما ذاك إلا وصفها باعتبارات ظهورها كما تقدم ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:2] وهو قديم فافهم.

تأمل في قضية الإدراك ترى المحسوس تنزل المتخيل، والمتخيل تنزل المتعقل والمتعقل تنزل شيء يسميه المعلوم لا يدري منه أكثر من أنه متعلق علم الواجب وليس يدري الواجب إذا حقق عليه إلا معقول حصل عنده في حكم التفاصيل لإظهار جملة معقولاته، وما ذاك إلا هو في نفسه وما دون ذلك فهو عنده ممكن أو مستحيل؛ فافهم[1].

إذا كان المحسوس تنزل المتخيل فالمتخيل سابق الثبوت على المحسوس، كالمعقول على المتخيل، والكل تعين واحد مجمل بظهوراته التفصيلية كما تقدم فيسمى المعلوم حقيقة وذاتاً، والمعقول ماهية ومعنى، والمتخيل روحاً ولطيفة والمحسوس صورة وشخصاً، والمتوهم في التخيليات نسبة ورابطة، وفي المحسوسات تركيب وتأليف، والتميز في كل ذلك فاعل، والكشف قابل في كل مقام بحسبه فافهم.

الناطق قيُّوم الإدراك وحقيقة تحققه وحق تحقيقه، ومن ثَمَّ كان مسمى الرحمن في وجوبه، والإنسان في إمكانه هو الحق المبين، أعني: الوجود المتعين بالمرتبة المسماة في صبغة الإمكان بالناطق، وفي صبغة الوجوب بالمتكلم والمرتبة الرحمانية مبدأ الأرواح المجردة التي هي نظام الوجوب، والمرتبة الرحيمية الإنسانية مبدأ النفوس المفارقة التي هي نظام الإمكان، وكل مبدأ هو حقيقة ما بدا عنه في كل مقام بحسبه، ونظام الوجوب مبادئ ثبوت بيان نظام الإمكان فلكل صورة نفسانية إنسانية إمكانية رحيمية حقيقة روحانية وجوبية رحمانية هي مبدأ ثبوتها البياني بحيث تسمى كلمة من كلمات الواجب في كل مقام بحسبه، وكل ما في دائرة الإمكان إنما هو مرتبة نفس إنسانية في دائرته، وإذا فهمت هذا فاعلم أن علوم هذه النفوس حدود كلية في صور جزئية وعلوم حقائقها ماهيات إحاطية في حدود كلية، وتسمى هذه النفوس إذا تعينت بصور نظامها قلوباً وتسمى حقائقها إذا تعينت بحدودها أرواحاً أمينة نازلة على القلوب، وهي المتنزلة بقضايا نظام الوجوب في مدارك نظام الإمكان، وإذا

---

(1) وجود الحق الذي به صار كل موجود موجوداً، إنما هو الوجود الواجبي، وهو غير منكر عند أرباب القلوب المنورة بنور وجهه المقدس، المشاهدين له في كل شيء بخلاف أرباب العقول المحجوبة بظلمة الأكوان.(لطائف الإعلام ص3).

نزلت بقضايا التنزيه سميت أرواح قدس في كل مقام بحسبه، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

قال الربّاني الرحماني: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:56] هو ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4] المتنزل بالخط القويم، كما قال «خلق الله آدم على صورته»(1) وإذا كان الوسط للرب فبالضرورة يكون جهاته لملكاته الربّانية الأوسط إلا في الجهات في كل مقام بحسبه، ولولا جهات حسية ما قيل فلان أوسط قومه حسباً وخير الأمور أوسطها تعريف لوسط الأمور بوصفه لا لحيزها، ومن ثمَّ كان المركز وسط الدائرة وهو جامعها ومحققها ومقومها إذ استقامة كل موضوع كونه بحيث يظهر منه المقصود من وضعه، فاستقامة الدائرة استدارتها والقوس تقوسه، والخط المنتصب انتصابه.

ولما كان آدم إنساناً محسوساً ظهر في تنزله المحسوس على صورته الروحانية كما أنها على صورته المعنوية كما أنها على صورته العلمية حيًّا قيوماً بجميع الأسماء والصفات والصور حكمة وسط على صراطه المستقيم ظاهر الكشف والبيان بالقيل واللسان، وقطب آلة الفكر وعجب الذنب، ونوره شامل لجملة أحرف كلمته، وأحرف منحرفة عنه في جهاته، وهو ألفها المتعين في كل منها في مصدره القابلي منه كالسمع والبصر والشم والذوق واليدين والرجلين، وقِسْ على ذلك سائر القوى التي هي أملاك الأفلاك الربّانية عن اليمينين، والظاهر عنوان الباطن في كل مقام بحسبه وهو هو، ولكل مقام مقال، ولكل رجال مجال فافهم.

المدارك العشر خزائن كل شيء يدخل في كلمة كان فافهم(2).

مشاعرك الباطنة والظاهرة هي العند الخفي الذي هو خزائن كل شيء، كما قال بلسانه المحمدي: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر:21] فافهم.

خزائن: جمع خزانة، وهي موضع الإخفاء والكتم فإذا أضيفت إلى ضمير الذات أو صريحها إضافة صفة أو اختصاص على طريق الفعل أو الانفعال فالإخفاء والكتم متعلق بذلك من تلك الحيثية في كل مقام بحسبه، فخزانة كذا ما يخزن فيها مبني للفاعل، وخزانة كذا ما يختزن فيها مبني للمفعول فافهم.

---

(1) رواه البخاري (5/ 2299)، وابن حبان (14/ 33).

(2) الآثار التي عرضتها على المدارك حتى أدركها البصر والسمع وغيرهما من المدارك صار صاحب هذه المشاهدة لا يرى شيئاً من مصنوعات الحق إلا حقاً، عن حق، محكماً عن حكيم، حسناً جميلاً عن حسن جميل، ولا يسمع إلا كذلك لمشاهدته أثر الحق وجمعيته في كل شيء.(لطائف الإعلام ص122).

إذا حصلت في حضرة لا فقد فيها ولا منع فاسأل ما شئت تعطه، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:54] في بعض إشاراته؛ فافهم.

﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:19] الحمار عبارة عن أسفل مرتبة الوهم البليد، وهو الذي صور تحكياته أسفل مراتب النكرة البيانية، ولذلك عبر عنها بالصوت؛ فافهم.

لا يتأتى لدنيوي أن يرى مجرداً مفارقاً إلا أن يتحول، ويتمثل له في صورة شخصية تناسب إدراكه، وأحق هذه الصور بظهور إله العالمين فيها صور عارفيه الهداة به؛ فافهم.

«خلق الله آدم على صورته»[1] محيط مثل كامل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ... الآية﴾ [الشورى:11]؛ فافهم.

الخلق التقدير فالذي هو عين بالتحقيق هو مثل أو غير بالتخليق، ألم تسمع قول الحق بلسانه المحمدي الجمعي: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49] برفع لام كل على أنها خبر إنَّ؛ فافهم.

إذا كان وجود الكل هو وجودك فالكل منه وبك وإليك؛ فافهم.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2] فلكل موجود منه حكم خاص وله بكل موجود قيام خاص ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:8] فمتى دخل بحكم مرتبة على مرتبة فنازعها في حكمها جاء التعاند وحصل التعب، ومتى لم يدخل عليها ما ينازعها إما بألا يدخل عليها بحكم مرتبة أخرى أصلاً، وإما أن يدخل بحكم يتحد بحكمها ولا يباينه جاءت الراحة وحصل التواد؛ فافهم.

الواجب حقيقة علم فعلي بطن فيه قابله، وحقيقة الممكن علم انفعالي بطن فيه فاعله فإن العلم الفعلي حقيقة كل مرتبة فاعلية، والانفعال حقيقة كل مرتبة قابلية في كل مقام بحسبه، والممتنع حقيقته علم مجرد لم يحصل في صبغة التمييز الإثباتي إلا في القول؛ لأن هذا التعريف وكل التعاريف صبغ تمييزية إثباتية فافهم.

من أحاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم.

ما ثم على صورة الأحد الواحد المحيط إلا أحد واحد محيط فافهم.

مادمت في دائرة الفرق لا بدَّ لك من شرك واشتراك اللهم خلصنا واستخلصنا، آمين

---

(1) رواه البخاري (5/ 2299)، وابن حبان (14/ 33).

وقد فعلت فافهم.

ما فرقة الأحباب إلا عتاب متى يرجع أمرك إلى حكم أصله، وقد تنزلت من حق مبين إلى خلق ذي قريتين ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:12] آمين وقد فعلت فافهم.

نهى الحق بلسانه المحمدي «عن قيل وقال»[1] لما فيها من القلقة عن مركز الوجد قال هو سيدي ومولاي:

عقالُ عقلكَ بالأوهامِ مَعْقُولُ	قدْ قلَّبَ القَلْبُ منكَ القالَ والقيلَ

اللهم خذنا من كل شيء إليك آمين إليك، وارجعنا بك عليك وقد فعلت فافهم.

أين أنت ممن يستحيل عندك تحققك به أي: قرب لك ممن هو عندك منزه عنك بذاته من كل الجهات، انظر باباً، ثم استفتح فافهم.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى:12] ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:12] فإن لم يكن كل ما هو شيء بأي اعتبار كان معلومه لم تتم هذه الإحاطة، وحيث كانت تامة فمعقولك بالاعتبار الذي هو به معقولك ومعتقدك ومظنونك وموهومك ومحسوسك بما هو به كذلك إنما هو معلومه، وحيث كان ذلك كذلك وجب أن يكون علمه هو بالحقيقة كل معنى متعلق سواء سمي عقلاً أو وهماً أو حسًا أو فعلاً أو مهما سمي به فوهمك علمه وحسك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك علمه وفعلك علمه وقولك علمه واختيارك علمه، وعلى هذا فقس، وإن لم تشهد ذلك كذلك لم تشهد حقيقة قوله: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى:12] ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:12]، وإنما شهدت ما أولته فخصصت به هذا العموم وقيدت به هذا الإطلاق، بل تقيدت به عن شهوده، ومن ثمَّ يظهر قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:216]؛ فافهم.

إذا كان هو الناظر إليك بكل عين والعالم بك بكل إدراك وعلم فما ثمَّ ما ترى آية إلا هو، فلا يحجبك الرياء عن القيام بما يرضى، واحذر أن يراك راءٍ حتى ولا أنت حيث تظن أنه لا يرى فإنه هو ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء:218] في كل مظهر يرى، ومتى صح لك هذا الشهود استغرقك في الله من كل جهاته ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:115] ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة:148] فاعرف والزم ولك الغنائم بلا جهاد فافهم.

ما العقل الأول إلا عقل صاحب الزمان، ولا فياض الصور إلا روحه الحسَّاس رقّس

---

(1) رواه البخاري (2/ 848)، ومسلم (3/ 1340).

على هذا باقي المراتب فافهم.

الحقائق لا تنقلب فالمقيد لا يكون مطلقاً والمطلق لا يكون مقيداً، وإن تعاقبت صور المراتب المقبولة على قابلها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:64] فافهم.

﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:5] هو الآدمي ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70] ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان:11] لأنه المخلوق الجامع المحيط فلا يكون خلافه إلا الجامع المحيط وهذا هو الخلق الذي لا يتبدل لأن البدل ما سد مسد المبدل منه، وأي شيء يسد مسد كل شيء على الإطلاق حتى يبدل به هذا الخلق فحيث لا بدل له فلا يبدل ولا يتبدل ما ثَمَّ قابل يسع كل مقبول دفعة إلا هذا القابل المحيط بقبولات ما أحاط به الفاعل المحيط وما دونه من القوابل ليس كذلك، فلذلك يقبل الواصل بدلاً من الحاصل ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:48] بصورة جنة ونار ونحو ذلك ولو في دائرة التسمية القولية، والآدمي إذا قبل التبديل هكذا فليس ذلك من حيث حقيقة مرتبته الإحاطية ولكن من حيث ما أحاط به من المراتب القابلة لذلك فافهم.

الحكيم العليم هو الإله حيث ظهر ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:84] فمن ظهر لك وجوده فيه بالحكيم العليم بالنسبة إليك فاعرف من هو، والزم تغنم فافهم.

كل متميز بنفسه أو غيره ثابت حتى انتفى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج:6] وإن تباينت الأسماء؛ فافهم.

لا يظهر الحكم الذاتي في مرتبة من مراتب الأزمنة إلا في زمن ختم دائرتها في كل مقام بحسبه فافهم.

احذر شر الحسد فإنه يوجب التباغض بين محله وبين كل ذي نعمة؛ فافهم.

حبك للشيء على قدر بغضك لضده وكذلك العكس وزناً بوزن مثلاً بمثل سواء بسواء، وهكذا أمور كل مقابل بالنسبة إلى مقابله؛ فافهم.

الاشتراك والافتراق شاملان لكل متماثل ومقابل فالكل متماثلات، والكل متقابلات ذلك لأن الإحاطة لازمة لما لا حقيقة لمرتبته إلا هو؛ فافهم.

لا تستعذ من شيء ولكن استعذ من شره فإن الخير شامل والشر يقابله فقل: إلهي وأنت عند ظن عبدك بك، فأقدر لي ما علمته خيراً لي واصرف عني ما علمته شرًّا لي، والحق بي في ذلك من أحبني وأهلي، ولك الحمد أبداً آمين فافهم.

التأثير ربوبية والتأثير عبودية في كل مقام بحسبه؛ فافهم[1].

ما ثمَّ موجود إلا وله علم فعلي هو حقيقة المراتب الفاعلة وعلم انفعالي هو حقيقة المراتب القابلة؛ لأن ذلك ونحوه من وجوه العلم ولوازم الوجود الذاتي المقتضي لنفسه أن يقضي فهو له بكل اعتبار فما من موجود إلا وفي نظامه تأثير وتأثر ففيه ربوبية وعبودية فهو عبد بتأثره، وهو ربٌّ بتأثيره، والوجود واحد فالربُّ واحد ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: القيوم بكل شيء، والعبد واحد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] تلك الجملة الانفعالية هي عينه العبداني لوكلنا لك عبد[2] فافهم.

المعرفة علم وساطي فالعارف من عرف شيئاً أي: علمه بواسطة معتبرة الوساطية ولم يجده وهذا يجمع المعلوم من الدلالات التي تحصله منها فهو يجمع من شتات وتفرق، والعلم الذي هو مبدأ الكثرة عكسه، وهو أصله؛ إذ لا جمع إلا بعد فرق والناطق مرتبة المعرفة فإذا حققها الوجود بعلمه الفعلي، بما تعيَّن بها فعرف بها حتى نفسه ونفسها لأنها علمه المسمى بالمعرفة جاء ما أشار إليه قول- هو سيدي ومولاي:

أراني وَجهي فيه حتى أريته ... بتحقيق وَجهي وَجههُ في حقيقتي

ففيه اتّصالٌ بي وفي اتّصاله ... به في اتصالي جمعه في تشتّتي

وجاء أيضا ما أشار إليه قول- هو سيدي ومولاي:

أفرقني في كلِّ جمعٍ مجمعٍ ... واجمعني في كلِّ فرقٍ مُشتَّتِ

فافهم.

هذه المرتبة الناطقية هي المسماة بالحقيقة وبحقيقة الحقائق؛ لأنها بها فيها تتحقق كل مرتبة بنفسها عرفاناً فما من مرتبة إلا وهي من حيثيتها عارفه بنفسها بها من تلك الحيثية، ولولا ذلك ما قامت بنفسها في دائرة الفرق الوجودي؛ فافهم.

المشابهة الاتحاد في الكيف، والمماثلة الاتحاد في النوع والكاف في لغة العرب تأتي للتشبيه فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ نفي للمشابهة عن المثل ونفي المشابهة يكون بسبب الانفراد بالكيف ويكون بسبب التجرد عن الكيف وتعلق نفيها بالشيء لا يستلزم نفيها عما ليس شيئاً

---

(1) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (1/ 224)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (6/ 89).

(2) قال المصنف في «المسامع»: إذا كانت مراتب العبودية كلها شواهد الربوبية، فأدبك ألا ترى شيئاً إلا شهدته من حيث فضل دلالته على ربك، إن كنت مطيعاً فاعلم أن في طاعتك لذة لعقلك، وبسطاً لأملك، ورئاسة في قومك وأقاربك.

فافهم"[1].

الحق الوجود القائم بالكشف والبيان في كل مقام بحسبه، والخلق والتقدير التنزيل منزلة النقيض في المعاملة في كل مقام بحسبه، وإذا ظهر هذا فالعلم أن الوجود ما يستلزم الحكم به لآخر الحكم بثبوت ذلك الآخر به، وهو لا يقبل العدم حقيقة مطلقاً لأنه نقيضه فلا يقبل حقيقة ما يستلزم قبوله حقيقة قبول العدم حقيقة فهو قائم بذاته غني عن مخصص منفصل أحد لا كثرة فيه، واحد لا مبدأ له، فرد لا مثل له؛ لأن أضداد هذه الأمور تستلزم قبولها حقيقة قبول العدم حقيقة فهو ذات واجب بما هو لا ذات إلا هو.

ولا شكَّ أن جميع الموجودات موجودات به، فهو ذات كل موجود فكل موجود صفته وليس لها مبدأ أول إلا هو إذ ليس بعده إلا العدم، والعدم لا يكون مبدأ سيما لموجود، وإذ قد تبين أمر الوجود هذا فأنت تعلم أنك إذا نظرت إلى أي موجود نظرت إليه من حيث هو وجدته ذاتاً، وقد تبين أن لا ذات إلا الوجود فظهر أن الوجود بالحقيقة هو الموجود، والموجود هو الوجود ليس إلا فمن أين جاء الفرق وإلى أين، نعم جاء من الوجود إلى نفسه فكيف يتأتى هذا؟ نعم يتأتى بأن يقدر نفسه مراتب على طريقته التي نسميها في عالم المعاني والبيان والبديع بالتجريد البياني وأنت تعلم أن لك أن تجرد نفسك لنفسك على كل صورة، وتكون تلك الصور كلها في خيالك، وتعامل نفسك من حيثية كل منها معاملة خاصة وتصور نفسك ناسياً لأنك جردت نفسك، وناسياً لذلك النسيان ومتحققاً لتلك الكثرة، وتكون كذلك من تلك الحيثيات وما هذا ونحوه إلا عين فعل الوجود الذي هو أنت لا مثاله، وما تلك الأمور كلها بالحقيقة إلا أنت بلا زيادة.

فما ثمَّ على كثرة الموجودات إلا الوجود بلا زائد حقيقة فما مبدأ هذا التقدير من الوجود نعم مبدؤه اقتضاؤه لذاته أن يقضي، وما ثمَّ إلا هو فيقضي بنفسه لنفسه وعليها على طريقة التجريد كما تقدم قضايا لا تتناهى للزوم القضاء بالاقتضاء الذاتي فتلك التقديرات تنزيلات الوجود منزلة ما ليس الوجود في المعاملة، وتسمى هذه موجودات وبالضرورة يكون هذا التقدير أولاً في الوجود إذ لا موجود ثمَّ، وهذا هو الخلق الأول وتُسمى هذه الموجودات مراتب قدم وأزل وإيجاب وصفات ومعاني وحقائق كذلك، وبعد هذا يكون تقدير هذه الأمور التي هي لا وجودات وجودات فتقدر ما يسمى ذوات وماهيات وتعينات وآنيات

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: الاتحاد المنتحال من الوحدة والمنتحال الشيء لا يكون إلا عن فقده، والوحدة ذاتية للوجود، ففقدها وهْمٌ، فالاتحاد وهمٌ في الحقيقة حقٌّ في حكم الفرق.

ونحوه، ويقدر فيها مراتبها اللاحقة، وذلك هو الخلق الثاني كما جاء في البيان الحقّي المحمدي: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [ق:15].

فالأول تنزيل الوجود منزلة ما ليس الوجود، والثاني تنزيل ما ليس الوجود منزلة الوجود، فانظر هذا النمط ما أعجبه وأغربه، ومن حيث يتعلق قضاؤه اللازم بتحقيق مقضيه يُسمى علماً فعليًّا، ومن حيث يتعلق بانكشاف الوجود متعيناً به يسمى علماً انفعاليًّا ومن حيث يتعلق بإثبات تلك الأعيان لأنفسها يسمى علماً مجرداً، ومن حيث يتعلق بتميز كل عين بأمر يخصها يسمى علماً مميزاً، ومن حيث يتعلق بترتيب المتمايزات يسمى علماً مرتباً، وقس على هذا من كل حيثية له في قضائه الكلامي اسم مناسب وللمسمى بالحياة والقدرة والإرادة والكلام والإدراك بمراتبه والتكوين والبقاء والعقل والنفس والفاعل والقابل على كثرة مراتبه وهو المبادئ جميعاً، وقد فتح باب تحقيق حقائقه فإن كنت في مرتبة دخوله من هذا الباب، فحي هلا وإلَّا فلا؛ فافهم"[1].

مرتبة التقدير المقداري هي التي يسمى العلم فيها من حيث فاعليته التحديدية والمفارقة عقلاً، ومن حيث قابليته الخاصة بهذا نفساً، ومن حيث إثباتيته لذلك روحاً، ومن حيث فاعليته التحديدية المادية قوة، ومن حيث قابليته الخاصة بذلك هيولياً ومادة وطبيعة، ومن حيث إثباتيته لذلك جوهراً، وهذا هو مبدأ جواهر التركيب جميعاً، وهو حقيقة الجوهر الفرد الكلِّي الذي يشير إليه الفكر، وهذه هي دائرة الخلق الجديد النسبي الزّماني، فانظر ماذا ترى؛ فافهم.

سُمّي العقل عقلاً لموضع التقييد التحديدي، الذي هو شأنه ويُسمى لبًّا من حيث تنزله بذلك في لبس الخلق الجديد؛ لأن اللبَّ متحجب بقشور لا تلزمها، وهو مبدؤها؛ فافهم.

الفكر جولان ترتيبي لُبّي في دائرة الخلق الجديد، ومن ثمَّ جاء في البيان الحقّي المحمدي ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:190] فجعل التفكر حال أولي الألباب وعلقه بخلق السماوات والأرض فهو يريد الوهم فافهم.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: القُلة تدحرُجها هو تقلبها، كتقلب القلب عن نفسانيته، فإذا تدحرجت فاض مددها من باطنها على ظاهرها، فباطنها أزلها المبدئ الفاعل بتحقيقه وتمكينه، وظاهرها أبدها المعيد القابل بكشفه وتعيينه.

أينما توجه الفكر لا يأتي إلا بمغايرات الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ فهو لا يأتي في الحقيقة إلا بضلال عن الحقيقة التي هي الخير المحض فهولا يأتي بخير محض قط، فما انكشف فيه الحق بتحقيقه الحقيقي، ولو بوجه ما فهو وجد علمي أعني وجودي لا فكر، وآيته ألا يحتمل النقيض في محله باليقين فافهم.

الوجود إذا أخذ كلياً مشتركاً بين الموجودات كان قائماً بكل موجود ما هي الكليات في أشخاصها، وهو مع ذلك ذات فهو ذات متصف بموجوده واجباً كان أو ممكناً وله في كل وصف حكم خاص لخصوص مرتبة ذلك الوصف في نفسه فمن ثمّ اختلفت أمور الموجودات وكان الواجب لا يقبل العدم بخلاف الممكن وتفاوت الممكن المجرد والمفارق له فهو في الحقيقة وجود بطنت فيه أحكامه الوجودية لمفارقة محل ظهورها، ومن هنا سميت الموجودات مظاهر لكن ما هي هذه المظاهر؟ إذا قيل هذا ينبغي أن يقال: إنها أمور لا موجودة ولا معدومة من حيث هي، فما في الحقيقة إلا أحكام، ولا حاكم إلا الوجود فهي منه وإليه وبه وله وعليه ما ثمّ سوى هذا وتسمى الموجودات الواجبة وهي باطنه في الوجود غيباً وكذلك المجردة والمفارقة، فإذا ظهرت سميت شهادة وعيناً، وما دون هذا من الممكنات يسمى بطونها قوة، وظهورها فعلاً ويسمى العدم ذواتاً مطلقة ومعجوزاً عنها، ونحو هذا.

قال هو سيدي ومولاي:

وأيضاً فمفهومُ الوجودِ لذاتهِ ... بمعنىً اشتراكٌ في تحقيقٍ وحدّتي

وقال هو سيدي ومولاي:

عَدمٌ إذْ هوَ لاَ يُحاطُ بكُنهِهِ وهوَ الوجـ ... ـودُ إذْ لـهُ يتقـرّرُ

فانظر كيف تقرر لنفسه بنفسه ومراتبه التي هي أحكامه الحدية الوهمية والتفكيرية والتصويرية في الأطوار الخلقية وهي المسماة بحدود الوجود[1].

قال هو سيدي ومولاي:

حـدُّ الوجـودِ توهـمٌ وتفكـرٌ ... وتخيلٌ في كـلِّ طـورٍ يحصـرُ

المشهد بتمامه والتجرد سابق الرتبة على الشخص، فهذا العدم أصل هذا التعين الوجودي، وما من موجود إلا في غيبه وقوته كل موجود لكن ظهور ذلك عنه بحسبه؛ فافهم.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: الأمور الوهمية أوسع صورة والأمور العقلية أوسع معنى، ولكل مقام مقاله ولكل مجالٍ رجاله؛ فافهم.

مراتب الخلق عدد مراتب الموجودات، الجعل، والصنع، والإبداع، والتكوين، والتمييز، ونحو ذلك كله تقدير؛ فهو خلق بمعنى التقدير، وإن لم يسم في بعض المراتب خلقاً؛ فافهم.

من ليس له إلا هو لا حكم إلا له، فلا حاكم إلا هو، فلا معقب لحكمه فلا يتسخ حكمه، ومن ثمّ لا تنقلب الحقائق، ولا تخرج مرتبة عن خاصتها، ولا يخرج متقيد بمرتبة عن حكمها حتى ينطلق منها؛ فمن كان ثمّ كان هذا المقيد عاجزاً وعكسه، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

أيها المقيد بمرتبة عما هو محيط بها إذا وجدت مطلقك من قيدك ومحققك بمحيطك فاعلم أنه رحمة الله تعين لك بها فادخل فيها بصدق المحبة تجد المقصود؛ فافهم.

الرحمة مبدأ الحكمة، والحكمة ما فيه، وبه صلاح النظام وكمال القوام في كل مرتبة بحسبها، وصلاح كل مرتبة في اتصال مدد ما فوقها أعني المرتبة المحيطة عليها بها وكمالها تحققها بها، ومعنى هذا التحقق غلبة حكم المقبول على حكم قابله عيناً وأثراً في كل مقام بحسبه فافهم.

الجلالة الغير المشتقة اسم له الوجود من حيث هو الذات المحيط بكل موجود، فهو ذات كل موجود وكل موجود صفته، والجلالة المشتقة من الألوهية هي اسم الوجود في مرتبة الإلهية من حيث إنه الإله، ومرتبة الإلهية هي الاتصاف بالصفات المحيطة بالتعلقات الحكمية بمراتب التحديد جميعاً في كل مقام بحسبه؛ فافهم(1).

المرتبة التي هي مبدأ الكشف والبيان والترتيب جميعاً حتى ترتيب مرتبة نفسها هي التي يُسمى الوجود من حيث هو وجودها بالحق المبين، وتُسمى هي في دائرة الوجود الإلهي بالمتكلم، وفي دائرة الإمكان التحديدي بالناطق، وهذه المرتبة هي التي يسمى علمها بالمعرفة على اختلاف العبارات عنها من وَجد وذوق وتحقيق وعلم يقين وعين يقين وحق يقين وعلم نظر صحيح ونحو هذا، فكل هذه وجوه علم هذه المرتبة فلا تحصل معرفة لمرتبة من المراتب إلا بها، ومن ثمّ ما يعرف بنفسه إلا هي، فإذا ظهر بها واجب عرف بها نفسه، وعرف بها نفسها، وإذا تعين الوجود بها عرف بها كل معروف حتى نفسه وعرفت به بنفسها نفسها؛ إذ

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: والرب في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] بدل من الجلالة، وإنما هي بدل عن الجملة التي هي تفصيلها، فالحمد هو صورة الجميل الواجب في مرآة الإمكان، كما أن المسبحات صورة الجليل الواجب، ومجموعها: (أحمد محمد) الوجود.

عرفه بما نفسها وهو متعين بها، فما ثمَّ أعجب، ولا أحيط من هذه المرتبة، ومن تلازماتها الخفية.

في هذا الباب تأتي مراتب الاتحاد والحيرة والتباس كل كشوفها وبياناتها وترتيباتها، وهذه المرتبة هي مطلب كل طالب معرفة بنفسه أو بسواه من المراتب جميعاً، فإذا حصل فيها كانت غايته؛ لأنه يعرف نفسه عرفاناً، و«من عرف نفسه عرف كل شيء»[1]، وفي هذه المرتبة يظهر الوجود بأحكام كل المراتب؛ فافهم[2].

من ظهر لك وجوده الحق المبين بما هو الإلهية بالنسبة إليك؛ فاعلم أنه في الواجب إلهك الحق المسمى بالنسبة إليك بجميع الأسماء الحسنى الواجبية، وفي الإمكان الحدوثي هو إمام هدايتك وولي رشدك وأستاذ تربيتك المسمى بالنسبة إليك الأسماء الحسنى الإمكانية، ومن أي جهة شهدته يقيناً أتاك مدده بحكمها؛ فافهم.

كل ما تراه فإنه عين وجودك ثم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: 102] إذا رأيت الناطق الإلهي؛ فقد رأيت عين أجلّ مراتب وجودك فاعرف، والزم واغتنم التحقق به تظفر من كنزيته بأجل مغتنم، تحجب وجوبه بإمكانه اكتناز، وتحجب حقيقته بغيريته انفصاليته اكتناز، وحيث تنزل بالمجردات عن موانعه؛ فقد تنزل بالظهور من كنزيته، فإذا تجرد لك ظفرت بالكنز من حيث لا يكتنز عنك، ما أجل الجلالة من غنيمة؛ فافهم.

أيها الواجد إذا سألك أحد عما وجدت سؤال تقييد كأن يقول لك: ما تقول في كذا؟ قل له: هل قال أحد سواي في هذا بشيء؟ فإن قال لك: لا، أو لا أدري، قل له: فهو عندي كذا، فإن اعترف به فذاك وإلا كان لك تخلص من شرّه إن أنكره، وإن قال لك: نعم قال فيه سواك، قل له: فأنت صدقت بذلك أم لا، فإن قال لك: نعم، قل له: فلا حاجة بك إذاً لقولي في هذا، فإن قال لك: لا، قل له: فأنا عندك أفضل من ذلك القائل وأولى بالحق بالفعل أو بالإمكان، فإن قال لك: لا، قل له: فأنت عن تصديقي أبعد منك عن تصديقه، فلا حاجة لي أن أقول لك شيئاً، وإن قال لك: نعم فأجبه، ولك الحجة عليه، وإن كان متعللاً؛ فافهم.

من لم يتجرد عما سوى أمر لم يباشره تحقق تحقيقاً، أيمس بشرتك ثوبان معاً؟ لا يمسك

---

(1) سبق تخريجه.

(2) قال المصنف في «المسامع»: مهما تصورت به من هذه الصورة الاستعدادية أعطته حكمها في الحال ضرورة فتكون دنيوية لا ترى إلا ما يراه أهل الدنيا، أو برزخية لا ترى إلا ما يراه أهل البرزخ، أو أخروية لا ترى إلا ما هو يراه أهل الآخرة، والأجنة في بطون أمهاتهم، والنوام حال نومهم وأصحاب المكاشفات الكونية حال كشوفهم، ونحو هذا كلهم برزخيون حينئذ.

إلا شعار واحد، وما بعده دثارات؛ فافهم.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:79] أي: لا يتحقق به إلا المتجردون للصلة به عن موانعها المانعة؛ لأن الطهارة: التجرد عن موانع التلبس بحقيقة الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه؛ فافهم.

«الأنصار شعار» أي: لا يتحقق به لرضاهم به عما دونه ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:9] الآية فحبهم له لا لعلة سوى التحقق به، «والناس دثار» لتعلقهم بالعلل الخارجة عن التحقق به «أما ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بي إلى رحالكم؟ قالوا: رضينا»(1) فاعرف الأنصار بسيماهم؛ فهذه آيتهم لمن توسم ولا تقيدهم بقبيلة ولا طائفة سوى من لهم هذه العلامة من كانوا وأين كانوا ومتى كانوا؛ فافهم .

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ لتكون ثياب صلاة فافهم.

قيامك بالأمر لأجل الأمر به وحده إخلاص، وميزان ذلك أن تفرض أنه نهاك عنه موضع أن أمرك به أو عكسه؛ فإن وجدت نفسك تنبسط بأحدهما أكثر من الآخر فاعلم أن قيامك به معلول، وأنه شهوة نفس وإلا فلا، فما أعز الإخلاص، وما أدق إدراكه فافهم.

الملك يدعو إلى العلل الصالحة فإنه مطلعه، والشيطان يدعو إلى العلل الطالحة وهي منافاة العلل الملكية؛ لأنها مطلعه، والإله يدعو إلى الإخلاص؛ فلذلك جاء أنه سرُّ الربِّ في قلب عبده «لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده» وسرُّ النبي علة إيجاده؛ غائية كانت أو سواها في كل مقام بحسبه؛ فافهم.

القرينان مع ظاهر القلب فقط؛ لأنه بيت الرب وصاحب البيت أدرى بالذي فيه فافهم.

الواحد أصل العدد فما لا ينقسم أصل ما ينقسم في كل مقام بحسبه فافهم.

إذا تعين الواحد بواحديته التي هي مرتبة سلب الانقسام كان العدد المتفرع عنه باطناً فيه، فإذا تعين بالعدد الذي هو مرتبة ثبوت الانقسام كان بما هو الواحد باطناً فيه فباطن العدد واحد وباطن الواحد عدد من حيث التأصيل والتفريع في كل مقام بحسبه فافهم.

ظهور الواحد بالواحدية وجوب وقدم وأزل وظهوره بالعددية مقابله فافهم.

الباطن غيب والظاهر شهادة في كل مقام بحسبه فافهم.

ما سمي القلب إلا لتقلبه، ولا يتقلب إلا ذو جهات منقسم فظاهر القلب تعين به ما

(1) رواه البخاري (4/ 1574)، ومسلم (2/ 738).

لا ينقسم وهو غيبه وباطنه فافهم.

القلب بيت الرب ورب البيت يسكن باطنه ويتنزل إلى ظاهره فافهم.

سكنى ما لا ينقسم ليس كسكني المنقسم في المنقسم فلا تتخيل الحلول الظرفي في جانب الربوبية مادمت في حكم مراتب الخلق الجديد اللبسي فافهم.

التمثل ظهور المفارق بالمادي للحس كظهور الممثل بالمثال المتخيل في كل مقام بحسبه فافهم.

لكل مرتبة مقيدة إدراك بحسبها فافهم.

الإدراك هو الفضاء الوجودي المشترك بين المراتب العلمية من حيث إن الوجود وجود مرتبة تقييد وهي المحدودة بها لا تتجاوزه في الترتيب إلى سواه وعلامة التقيد بها منع المرتب فيها عن شهود نفسه حقيقة كل شيء بوجده أنه غير كل شيء فمن حصل في مرتبة حدية فحكمت عليه بهذا المنع والوجد فهو مقيد بها وإلا فلا؛ فافهم[1].

الإدراك أربعة مراتب تعقل وتخيل وتوهم وإحساس فما من مقيد إلا وله ذلك كله بحسبه سواء سمي جوهراً مفارقاً أو غيره حيواناً أو غيره؛ فافهم .

الخارج عبارة عن الكشف الإدراكي الذي فيه تنكشف المقيّدات منفصلة عن مدركها فافهم.

ليست المستحيلات إلا أموراً في غيبك وقوتك لم يتعين بها قوابل خارجية بالنسبة إليك ألا ترى أنها قائمة في تخيلك وتوهمك فافهم.

لا تطالب ربك بشيء فإن المطالبة تريب وليس ذلك شأن العبد فافهم.

من أبعد المطالبات عن الصواب مطالبة العبد ربه بعلة أمره أو نهيه؛ فإن الرب حقه أن يفعل ما يختار ويحكم ما يريد وشأن العبد القبول عن ربه ليس إلا فافهم.

متى خلصت من قيد دائرة إلى أعلى منها فأنت من تلك العليا، وإن كنت في تلك السفلي كالروح المتمثل بشراً؛ فافهم.

من حققك بالله فبأي شيء تكافئه ليس له عندك كفواً أحد فافهم.

العصمة أن يحسن بك ما انتسب إليك في كل مقام بحسبه فافهم.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: الإدراك أربع مراتب: التعقُّل وهو مبدأ التجرُّد، والتخيل وهو مبدأ التقيُّد والإحساس وهو مبدأ التشخص المقداري مادِّيًا، والتوهُّم وهو مبدأ النسبة والربط، وكل ذلك في كل مقام بحسبه.

المحقق حقيقة ما حققه والعارف عين معروفه، وعلى قدر شهود الكمال، والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن:11] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو يا هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دايم يا علي يا حكيم.

فوائد من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده على عبده من عنده.

الذات عبارة عما به يقوم العلم والحياة ومتعلقاتها فمهما فهم من هذا فهو متقوم بالذات، وليس هو الذات فالذات لا تدخل تحت إحاطة علم ولا إدراك؛ فهو المعجوز عن تحصيله بما هو، وإنما تعين للعلم من حيث إنه الوجود كما لا يتعين في الإدراك إلا بما هو الموجود والوجود هو الذات المتصفة فالصفات تعينات الذات وحقائقها أحكام إذا ظهر بها حاكمها بحيث يعلم أنه المتعين بها فهو الوجود أو بحيث يدرك أنها تعيناته فهو الموجود والعلم اقتضاء الوجود لقضائه بالأحكام الموجودية إدراكاً وفعلاً.

والوجود من حيث إنه ذات الموجود يسمى هو، ومن حيث إنه صاحب إحاطتي العلم والحياة أنه ذات الموجود يسمى هو، ومن حيث إنه صاحب إحاطتي التقدير والفعل يسمى الرحيم[1].

ومن حيث إنه وجود المرتبة التي لا تتعلق إرادتها إلا بتحقق كذلك، ولا يخرج عن إحاطة علمه معلوم مرتبة أخرى، ولا عن نظام قدرته مقدور مرتبة أخرى يسمى الله مشتقاً من الألوهية، وهي الاتصاف بهذه الصفات الكاملة.

ومن حيث إنه صاحب المرتبة للموجودات ترتيباً متفاوتاً بحيث يكون كمال كل مرتبة دونها في التي هي أعلى منها، ومع ذلك فهو يبين أسباب بلوغ كل مرتبة إلى كمالها يسمى الرب.

ومن حيث إنه الثابت في الأعيان ثبوتاً لا يعتريه نفي؛ لأنه المتعين بها أبداً وإن بطن ببعض، وظهر ببعض بحسب إدراكه في بعض مراتبه يسمى الحق والموجودات المحققة تسمى

---

(1) وهم أرباب التجليات الأسمائية في اصطلاح الطائفة، فمن كان شهوده للحق، وتحققه به عند كمال تخلقه باسم من أسماء الله تعالى، فإنه يحصل له تجلي الحق تعالى في ذلك الاسم، فينسب عند الطائفة إلى عبوديته، فيقال: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم، وهكذا في باقي الأسماء.(لطائف الإعلام ص 77).

عقولاً أو قلوباً بحسب الدوائر والموجودات المقدرة تسمى نفوساً وأرواحاً أيضاً بحسب الذوق، والموجودات المدركة تسمى نفوساً أو أرواحاً أيضاً والروح ما به الإدراك والنفس ما له الإدراك والموجودات الفاعلة والمنفعلة تسمى قوى أو طبيعة، وكل مبدأ عقول أو قلوب تمثل بها في القوابل حته فهو رحمانهم ومنزلته مشرقاً بذلك فيهما هو مجرد عنهم منزلة الرحيم من الرحمن فهو رحمانهم ورحيمهم، وقد فتحنا لك باب الكنز الأعظم؛ فإن كنت ذا قدم صدق فتقدم واعرف والزم تغنم؛ فافهم.

دائرة الحياة أبد دائرة العلم ومراتبها شهادة لها مراتبها، ودائرة العلم أزل دائرة الحياة ومراتبها غيب له مراتبها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:126] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:22]؛ فافهم.

لكل مقدمة نتيجة فما هو مقدمة هو مقدمة هو ظاهر نتيجة من حيث إنه مقدمة يطلب منه تلك النتيجة وتلك النتيجة باطنه من حيث إنها تلك النتيجة المطلوبة من تلك المقدمة؛ فنظام الأزل ظاهر نظام الأبد في الأزل، وباطن نظام الأبد في الأبد ونظام الأبد ظاهر نظام الأزل في الأبد وباطن نظام الأزل في الأزل؛ فافهم[1].

كمال كل مرتبة في تحققها بشأن ما هو أعلى منها، ومفيد كل مرتبة كمالها هو بتلك الإفادة ربها، وهو بتدريجها في مدراج تلك الإفادة مربيها؛ فافهم.

الوهاب مبدع المسببات والأسباب، والمقدر خالق المسببات بالأسباب فمن غلب عليه حكم الوهاب لم يصعد معه أمر بالاكتساب، وإنما تظهر له العجائب والغرائب، وهو حرٌّ من رقِّ الأسباب بل وهو ربُّ الأسباب، كما هو شأن المحققين، ومن غلب عليه حكم المقدر لم يصعد معه أمر إلا بنوع اكتساب، وقد يتأتى له بذلك عجب عجاب.

ولهذا ترى العارف المحقق يأبى الله عليه أن تأتيه الأمور الذي يختارها إلا من حيث لا يشغل همته بأسبابها العادية، حتى أنك تراه يتسبب في أمر بالتوجه والدعاء فيمسك عنه ذلك الأمر لذلك التسبب، وما ذاك إلا لأنه عين معروفه الذي لا ينبغي أن يظهر إلا بوجه السيادة والعز فعَّالاً لما يريد، فإذا تجلى لشيء بذلك خشع له، واستسلم فكان كما شاء أن يكون، وأما حيث ظهر بوجه التسبب تنكر فتوقف المراد وتعذر.

---

(1) الأمر الوحداني هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، وأمره الواحد، عبارة عن تأثيره الوحداني بإفاضة الوجود الواحد المنبسط على للممكنات القابلة الظاهرة به، والمظهرة إياه متعدداً متنوعاً بحسب ما اقتضته حقائقها المتعينة في العلم الأزلي، (لطائف الإعلام ص40).

وأما تجليه في المراتب السببية والمظاهر الكسبية فبوجه العبودية والقابلية ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد:41] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:57]، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

الحق المحيط يحكم بالمراتب العينية ليحققها ويظهر بها فيصرف أحكامها فهي تحكم بظهوره بها، ولا تحكم عليه وإن حكم هو بها لنفســه حتى ظهر بها، والدوائر متقابلة ومتماثلة في نظام الفرق والحق المحيط قيُّوم الكل؛ فلا مقابل له ولا مماثل؛ فافهم.

إذا كان عارف بالحق في عالم من العوالم فاعرف ما يرد على ذلك العالم بما يرد على ذلك العارف؛ فإن انقبض وقت ذلك العارف، فاعرف أن القبض ستتصرف أحكامه في ذلك العالم، وإن انبسط وقت ذلك العارف فاعرف أن البسط ستتصرف أحكامه في ذلك العالم وقِسْ على هذا وتوسم؛ فافهم.

نظام الملك في الواحدية القهارية فمتى عرضت شركة أنخرم هذا النظام في كل مقام بحسبه ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:16]، ونظام الربوبية في العز المصحوب بالغفارية، فمتى عرضت ذلة أو مشاححة انخرم هذا النظام بقدر ذلك العارض ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:66]؛ فافهم.

الأم عبارة عن المبدأ الذي به قوام ما يبدو عنه صلاح نظامه مع استمداده ما يبدو عنه من أصل هو فرعه كالعقول للنفوس والعقول الموجودة عنها بما هو لها من وجودها الحق؛ لأن الأم للآدمي كذلك إذ هو متكون من كونها ومرتب في كفالتها ورضاعها، والكتب رسوم مادية موضوعة لتعين في الإدراك حقائق مفارقة علمية تلك الرسوم مثالاتها؛ فأم الكتاب عبارة عن النفس الكلي.

وفي الحقيقة عبارة عن حقيقة التمييز المستمدة من حقيقة العلم المجرد مثالات المجردات الوجودية، ومنها العقول الكلية فما دونها، ونظام أم الكتاب في العلو المصحوب بالحكمة ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:4]، ومن هنا تتنزل أرواح التكليم الإلهي على درجاته إلى المدارك البشرية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:51]؛ فافهم.

«أوتيت جوامع الكلم»[1] أي: قوى الناطق الكلي «أوتيت فواتح الكلم وخواتمه»[2] أي:

---

(1) رواه البخاري (6/ 2563)، ومسلم (1/ 371).

(2) رواه أحمد في المسند (2/ 172)، وأبو يعلى (13/ 209).

أرواح بيان الجمع وأرواح بيان الفرقان فنظامه جامع حقائق الكشف والبيان من دائرة الفرق جميعاً ما قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ [الحجر:25] أي: ناطقك الحق المبين ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الحجر:25] أي: ينفخ أرواحهم بالكشف والبيان في قوابل المتلقين عنه بإيمان ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر:25] ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس:18] أي: قد جاءكم ربكم بعينه الحق لا بمثال موهوم؛ فافهم"[1].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 18]، ولكنني صاحب الحق؛ فافهم.

﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:19] أي: حتى يظهر الحكم الإلهي الجامع بخاتم المهديين ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف:80] فافهم.

ما أعجب هذا الأمر لما ظهر الحق في خلقية الكامل العارف تحجب بالتنزيه عما به ظهر غاية الظهور فبالظهور بطن وبأقوى التجلي تستر؛ فافهم.

السبحان سلطان دائرة الفرق ألا ترى كيف يثبت التغاير الحقيقي ليظهر بنفي حدود المراتب عن مرتبته، والحمد سلطان دائرة الجمع ألا ترى كيف ينفى التغاير الحقيقي بإثبات ما ثبت لكل مرتبة من صفات الكمال لمرتبته فلا متصف بها على الحقيقة إلا هو، وقد ثبت اتصاف المراتب بها فليس قيُّوم المراتب كلها بالحقيقة ووجودها إلا هو؛ فافهم.

بالسبحان يسري النظر إلى شهود وجه الحمد بوحدة الوجود، وقد كشف عن حجاب الكثرة بنفي الشريك مطلقاً، ولذلك ابتدأ سورة الإسراء بـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1]؛ فلما رأى أنه هو السميع البصير انتهى إلى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء:111] فكيف بالملكوت، فكيف بالجبروت، فكيف بما وراء ذلك فافهم.

جاء في الحديث: "قيل لي: انظر إلى الأفق -يعني: في إسرائه- فنظرت فإذا سواد عظيم قد ملأ الأفق، فقيل لي: "هذه أمتك""[2].

فانظر كيف أمته هي تلك المثالات الروحانية الظاهرة في أفقه الكشفي قبل أن تكون

---

(1) الإمام المبين: هو عل الإحصاء المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾؛ فهذا الإمام تارة يراد به كتاب الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (لطائف الإعلام ص41).

(2) رواه البخاري (5/ 2157)، ومسلم (1/ 199) بنحوه.

تمثلاتهم الجرمانية، والأفق عبارة عن محدد ظهور الشيء إما ابتداء كالأفق الشرقي، أو بانتهاء كالأفق الغربي، فالحس المشترك أفق المحسوسات، والخيال أفق الخياليات، والعقل أفق المعقولات، فالأول هو الأفق الأدنى، والثاني هو الأفق المبين، والثالث هو الأفق الأعلى، وما بين الأول والثالث جملة سدرة المنتهى، وما بين الأول والثاني منها طوبى مقام روح التخييل ميكائيل ، وما بين الثاني والثالث مؤسساً مقام روح الفكر جبريل ، والأفق الأعلى مستوى الرحمن، والاستواء هو التجلي التام بمعاني الجلال والإكرام، وكل موجود مستوٍ لوجوده، ووجوده مستوٍ عليه بما تجلى فيه التجلي التام، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:23].

قال المفسرون: معناه جاءهم من الرسول بيان الحق فالهدى هنا البيان، والرسول ظاهراً بخلقه هو ربهم باطناً بحقه.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الإسراء:94].

قال المفسرون: الهدى هنا هو محمد ﷺ، وقال بعضهم: هو الإيمان، وقيل: الإسلام، وقيل: القرآن، وكلٌّ صواب إن شاء الله تعالى.

فعلى أنه محمد فانظر إلى قوله: ﴿تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:57] أي: وإن تدعهم إلى حقيقة معينة بحيث تقول لهم: أنا المراد المقصود والحق المشهود فلن يقبلوا هذا، ولن يسمعوه فلن يهتدوا.

وهذا خبر عن الذين لم يعرفوا منه إلا ظاهره الخلقي، ولم يفتح لهم نور الاطلاع على باطنه الحقي كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 198] أي: الظاهر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:198] أي: الباطن وهؤلاء هم ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ﴾ [الكهف:101] عن ذكر الله الذي هو عينه وشاهد غيبه فافهم.

العقول حقائق أسماء الذات، والأرواح حقائق أسماء الصفات، والنفوس حقائق أسماء الأفعال، ولكل اسم دائرة تأثير هو سلطانها وتجلياته فيها أسباب مسبباتها، فأسباب الخلق تجليات الخلائق، وأسباب الرزق تجليات الرزاق، وقس على هذا والوجود متبوع الكل وقيومهم ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54] فافهم.

صور أسباب الأرزاق أرباب للعوام القاصرين المدارك على الخلق، وعبيد للخواص النافذين إلى التحقق بالحق، ألا ترى كيف العوام يقولون: الإنفاق على عبيدهم وينفق عليهم مستخدموهم وهم لا يعرفون لهم رزاقاً إلا الأسباب المألوفة بينهم وخواص الناس يقولون

الإنفاق بعض خدمهم كالوزير وأستاذ الدار وما أشبه ذلك، وقد كان بلال متولي نفقة السيد الكامل ﷺ وكان يقول: «أنفق بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[1].

والخواص ينظرون إلى المسبب لا إلى الأسباب؛ فالأسباب عينهم ومسببها حقيقتهم؛ فافهم.

﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۞ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:22، 23] فالمتكلم بلسان الحكمة الربانية تسمعه العقول الروحانية بأفهامها ولا تسمعه النفوس الجسمانية بأوهامها.

فانظر كيف هو لا يسمع من في القبور فلا يسمع إلا من لا يموت، ولا يُقبر ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:80]، وكل نفس غلبت على ملكات إدراكها غلبات جسمانية فذلك الجسم قبرها وهي فيه ميتة، حتى تحيى بروح حكمة ربانية يخلص ملكاتها من تلك الغلبات، وعلامة ذلك إيثار صلاح النظام الروحاني على إصلاح النظام الجرماني ألم تسمع قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:36] أي: الصورة الجرمانية الكثيفة ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الأعراف: 24، 25]؛ فلا يتعاقب هاتان الحالتان إلا على أهل هذه الأرض ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:25]؛ فافهم.

الحق هو الوجود الثابت على مرتبته فهو المتعين بالأعيان إذا حكم بمراتب عينية، وهو المتصف بالتجردات إذا حكم بمراتب غيبية مجردة، وبالأول هو ظاهر بعينه والباطن بتنزيهه عما به تعين، وبالآخر هو الباطن بتجرده، والظاهر بحمده بما يثبته له عقول التنزيه؛ فافهم.

الهمة عبارة عن باعث النفس على الجد في حصوله الغاية في كل أمر بحسبه، فالباعث على بلوغ الغايات الحقية الحميدة همة عالية همة الأعلين ﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: 75] والمعكوس منكوس؛ فافهم.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة:40] كلمة الله هي النفس التي غلب عليها الحكم الإلهي بظهوره فيها تخلقاً وتحققاً وكشفاً وبياناً هذا هو حقيقة معنى هذه الآية، وفيها أيضاً أن كلمة الله أي :الكلمة التي هي قولك: الله هي الكلمة العليا فهي الاسم الأعظم[2]؛ فافهم.

---

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (1/ 342)، وأبو يعلى (10/ 430).

(2) الاسم الأعظم: يعني به كل من الأسماء الذاتية الأولية المسمى مجموعها بمفاتيح الغيب، ويطلق الاسم الأعظم ويراد به اسمه «الله» تعالى لكونه هو الاسم الجامع، ويعني بالاسم الأعظم كل واحد من أسماء الإله تعالى، عند من يتحقق بمظهريتها، وهو المشار إليه فيما أجاب به أبو يزيد -قدس الله سره- حين سئل عن الاسم الأعظم؛ فقال: «وأي اسم من أسمائه ليس بأعظم، إن هو إلا أنت إن صدقت فخذ أي اسم شئت من أسمائه فإنك تجده الأعظم» (لطائف الإعلام ص 20).

من عرف الله حق معرفته؛ قام بحقه في كل مظهر فأعطاه حقه من دائرة الجمع، وعظَّمه التعظيم اللائق بالحق في مرتبته وأعطاه حقه من دائرة الفرق، وعامله على شاكلة مرتبته؛ فليس للعارف حية جاهلية تميله عن أحسن تقويم؛ فافهم.

لأئمة التحقيق الرحماني السيادة في دائرة الجمع وعلي من أكابرهم، ولأئمة التشريع الفرقاني السيادة في دائرة الفرق، وعمر من أكابرهم، ورب إمام في الدائرتين، ورب إمام في دائرة مأموم في أخرى فآت كل ذي حق حقه إن كنت عارفاً؛ فافهم.

مراد الحق بالخلق بالنسبة إلى عقول التنزيه بحكم الفرق أن يسبح بجلاله، ويحمد بجماله، ويوحد في كماله والتوحيد حقه الحقيقي في كل دائرة إذ ليس حقيقته إلا هو؛ فافهم[1].

من عرف الحق لم ير إلا الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:32]؛ فافهم.

صفاء حضرات الأئمة مرايا أمور بواطن مأموميهم فيرونهم الحسن في حقهم ليثبتوه، ويرونهم ضد ذلك ليمحوه، كما تريك المرآة من وجهك ما فيه من حسن لتتمه، وما فيه من لوث لتزيله وتتنظف منه، وأنت في ظاهر الأمر ترى أن ذلك منطبع في المرآة التي رأيته بها، وهي متجردة عنه بجوهرها، فهكذا مهما رأى المأمومون في أئمتهم من أحوال المأمومين؛ فينبغي لهم أن يعلموا تجرد ذوات أئمتهم بالحقيقة عن ذلك، وإنما ذلك صور بواطنهم هم أشد الأئمة إياها، وللأئمة فوق ذلك مظهر؛ فإذا سمعت ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه:121]؛ فقال له ربه: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:22] الآيات ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:122].

فاحذر أن تظن نقصاً بأهل الكمال، واعرف أن ذلك إنما كان إظهاراً لك كيف تتداوى إذا ابتليت في صفاء تلك الحضرة، وقس على هذا؛ فافهم.

الغفران: الوقاية مما يضر بما يسر، ومنه سميت البيضة مغفراً، والكفران عكسه، والتكفير تدريج في إزالة الكفران بالغفران، والاستغفار استمداد الغفران وحقيقته التوجه بوجه الاستعداد إلى التحلي بالكمال بدل النقص، وبالإحسان بدل الإساءة، وبالمسرات بدل المضرات، وغايته التحقق بالمحبوب الحميد تحققاً ذاتيًّا، يستحيل به عروض ضده لمحله

---

(1) يطلقون الاتحاد على رؤية الأشياء بعين التوحيد في مثل ما إذا شوهد بالبصر أن الكتابة أو غيرها من الأفاعيل، إنما هي عن عين حركة اليد مع أن الدليل أثبت أن الله خالقها، وإنها أثر قدرته سبحانه فمتى حصل الوقوف على هذا القدر من المعرفة بطريق الكشف والشهود، لا بطريق الاستدلال بالمعقول؟ سمي ذلك في اصطلاح القوم اتحاداً. (لطائف الإعلام ص41).

وينكشف به لما تقدمه من أضداده حكم تدخل تلك الأضداد في نظام حسن ذلك المحبوب وحمده، وهذا هو تبديل السيئات حسنات، وهذا هو العصمة في كل مقام بحسبه وإليه الإشارة بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:2] وغاية الغاية في هذا الباب أن يغفر الله منك بحكمه حكم ما دونه، فلا ينكشف فيك إلا وجهه؛ فافهم، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، والله أعلى وأعلم.

جاء في الحديث عن أهل الجنة أن ربهم سبحانه وبحمده يمنيهم ويعطيهم حتى تنفد أمانيهم، رفع لهم الحجاب عن وجهه، فما كان حجاباً عليهم عن وجه ربهم إلا ما في أنفسهم من الأماني، أيها المبدأ ففرغ نفسك من التعلق بسوى مولاك تجده حاضراً بسمعك ومرآك؛ فافهم[1].

لكل مرتبة آثار ولوازم وتوابع يعرفها بها من توسم؛ فافهم.

المراتب عبارة عن الأعيان المتمايزة بالنسبة إلى المتعين بها، والدائرة عبارة عن نظام مجموع المراتب؛ فافهم.

أما الوجود الذات من حيث إنه الوجود الذات المحيط فإنه ذات كل موجود، وكل موجود عينه بالنسبة إلى كل موجود على الإجمال، وبالنسبة إلى كل موجود على التفصيل فهو أحد، واحد ذاتاً وعيناً، هو الوجود والموجود في علمه وإدراكه، وإن فصل ذلك في دائرة التفصيل إلى وجود متعين بموجود هو له تعين وحقيقة، كون الشيء متعيناً بشيء هو كونه متخصصاً به نسبة وإضافة، تخصصاً لا اشتراك فيه ولا شك أن جوهر زيد متعين بأعراضه المشخصة له، وحقائق أعراضه متعينة بجوهره؛ لأنها لا تكون جزئية مقصورة عليه إلا من حيث تعينها به، أعني كونها متخصصة به نسبة وإضافة تخصيصاً لا اشتراك فيه وإذا كان الوجود الذات هو المتعين، والكل ذات متعين فالوجود هو الكل، هذا من حيث أنه المحيط.

وأما من حيث أنه ذات كل موجود على التفصيل بحيث يصدق حكم التغاير العيني؛ فإنه وجودات متمايزة مفروقة، وهنا تحصل كثرة الأسماء والصفات والأفعال والذوات بحكم التغاير.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: وكان رفع حجاب البشرية عنه في شهودهن هو خروجه عليهن، وذلك يشهد لك بأنه بشرٌ من حيث الحجابية التي لله يكلم من ورائها بلسانها البشر، وليس هو بشرٌ بالحقيقة، فمن حصره في البشرية فهو كافرٌ به؛ لأنه واقف الشهود في ظلمة الحجاب الكثيف عن الحق النور اللطيف الخبير.

وأما من حيث إنه ذات كل موجود على الإجمال بحيث يصدق حكم التغاير المفهومي دون الحقيقي؛ فإنه ذات صفات متغايرة زائدة الحقائق عليها والوحدة للذات، والكثرة للأسماء والصفات.

فنظام الأول دائرة الإحاطة[1] في حكم التفصيل ترى كل مرتبة ذات إحاطة بكل مرتبة، وأما في دائرة الفرق فكل مرتبة منفصلة عن باقي المراتب بذاتها وتوابعها، فلا يصدق فيها اتحاد بين مرتبتين بمعنى كونهما واحداً وحدة حقيقة، وفي هذه الدائرة تتقرر المحالات، والجائزات، والانتقالات وليس للعقول النظرية نفوذ من أقطارها، ولا يتجلى لها أمر من دائرة الإحاطة، ولا من دائرة الجمع إلا في مظهر من مظاهر هذه الدائرة الفرقية التي هي محدد جهاتها، ولذلك لا يمكن لسان التحقيق تقريب تلك الحقائق إليها إلا في مثالات الحدود الفرقية.

ومن ثم لم يخلص شهود حقائق المحقق على ما هي عليه لذي بصيرة فرقية، وإن قرب المحقق إليه تلك الحقائق غاية التقريب اللائق به؛ ولهذا يقال: إن تلك الحقائق من وراء العقل، وإنها لا تحصل إلا بالوجد تخصيصاً لا تنصيصاً، وإنه لا بدَّ من الخلوص من قيود المراتب الخلقية والحجب الفرقية قبل الحصول على الوصول إلى هذا الوجد.

وأما في دائرة الجمع فالحكم الذاتي إحاطي، والحكم الصفاتي والاسمي والفعلي فرقي، فإذا ظهرت الذات بمرتبة صفتية استحقت اسمها من حيث ذلك الظهور، وإن استحقت اسم مرتبة أخرى من حيث ظهرت بحكمها مع ذلك فأتى الحلول والاتحاد والتوحد.

من ثم ففي هذه الدائرة فأما الحلول والمعية فبحكمها الفرقي، وأما التوحد والاتحاد فبحكمها الإحاطي، فالحلول غاية المعية، والتوحد غاية الاتحاد، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:16] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو الملك، هو للتصرف وتصوير كون المراد والعبد حقيقة ملك مولاه؛ ولذلك قال: ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾؛ [آل عمران: 26] فافهم.

جاء في الحديث: «أن أدنى أهل الجنة منزلة من له مثل ملك ملك من ملوك الدنيا»[2].

ملك ملوك الدنيا ليس إلا التصرف في نسب توابع الأكوان الظاهرة؛ وليس لهم من

(1) قال المصنف في «المسامع»: وصورة الإحاطة من ذلك كله في غاية الأزل، وأول العقل الله، وفي غاية الأبد ومعلول العدد صورة آدم، عرشه العقل، وحملته وأركانه الحفظ والذكر والفكر والخيال، والوهم صعود بين حملته وأركانه فعلاً وانفعالاً.

(2) رواه مسلم (1/ 176) بنحوه.

التكوين ولا من التصرف في المعاني الحقيقة شيء، فأدنى أهل الجنة منزلة من يأمر وينهى فيطاع فيما اشتهى، وليس له تكوين ولا تصرف في إيجاد وتعيين؛ فافهم.

أثبت صور النفس المدركة فيها ما كان أحب إليها، وأعظم في صدرها وآثر عندها من مدركاتها، ولذلك عمل كل عارف وجه من وجوه الحق على ألا يكون شيء أحب إليه ولا أكبر في صدره، ولا آثر عنده من معروفه، ولزم ذلك ليموت على ذلك فيظهر في العيان بصورة معروفه، ذلك إذا رفع عن نفسه ستر جسمه الذي كانت متعلقة به؛ فافهم.

أنت من هو أحب إليك، وأعظم في صدرك، وآثر عندك، فانظر من تتخذ كذلك فافهم.

قال الأطباء: إن برد الرحم سبب في عدم الحمل، هكذا نفس التلميذ متى لم يجد لوعة الوجد، وحرقة الطلب والشوق إلى المقصود؛ لم يتولد فيها من فيض أستاذه عليها صورة أمره، ويكون أيضاً مثل الوقود البارد لا يؤثر فيه القبس إلا دخاناً كالدعاوى والرعونات الحاصلة للنفوس الداخلة بين القوم بغير حرقة شوق وصدق وطلب وجد، ومثلها أيضاً كزند بارد لا يوري وإن قدح فطال قدحه، ومثلها أيضاً كحراق بارد لا يعلق فيه قبس، ومثلها أيضاً كصحيفة رطبة لا يثبت عليها كتابة؛ فافهم.

من عرف مرتبة فأفردها بالمحبة والإيثار لها على ما دونها؛ فقد تحققت بها نفسه العارفة بها، وصارت تلك المرتبة صورتها بحسب حبه لها، ومن حيث عرفها؛ فلذلك تظهر فيه معانيها، وتصدق عليه أسماؤها، ومن ثم يدعى كل أناس بإمامهم ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:9] وتنقلب القلوب والأبصار فيظهر كل قلب في صورة محبوبه، فيقال لمن تحقق بصورة محمدية عرفاناً وحبًّا: يا محمد، أو موسوية: يا موسى، أو عيسوية: يا عيسى، وقس على هذا، وارق إلى حيث نفد ذوقك، وأعلم أن من تحقق بمرتبة حصل له خصائصها وأمورها على قدر تحققه بها، ومن حيث تحقق بها فالمتحقق بصورة محمدية إذا قال: «اللهم صلِّ على محمد، وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود»[1] ونحو هذا فإنما هو في الحقيقة يطلب ذلك لنفسه ولمحمد ﷺ من حيث إنه متحقق به، وقد أشار المحقق إلى ذلك بقوله: «من صلَّى علي واحدة صلى الله عليه عشراً»[2].

وهكذا إذا رأى ربه فمن حيث إنه محمد ﷺ رأى ربه، وإذا كلمه ربه تكليماً فمن حيث

---

(1) رواه ابن خزيمة في «الصحيح» (1/ 220)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (1/ 410).

(2) رواه مسلم (2/ 376)، وأبو داود (4/ 324).

إنه متحقق بالمرتبة الموسوية، وإذا اتخذه ربه خليلاً فمن حيث إنه متحقق بالمرتبة الإبراهيمية، وهكذا لكل مقام مقال ولكل مجال رجال فافهم.

من ثم كشفه وأندرج ماله في حالة وخلص من دائرة الموت، وانقضت قيامته بكشف الغطاء عن بصيرته؛ فقد صارت الموعودات لديه موجودات ومن لا فلا؛ فافهم.

جاء في الحديث: «إنا معاشر الأنبياء تبنت أجسادنا على أرواح أهل الجنة»[1]؛ فأرواحهم سمائية متمثلة في هياكل أرضية، وكل إلى بدنه راجع؛ فافهم.

إنما أمر ونهي منك قلبك السامع الفاهم، ولا يؤدي عن المكلف ما كلف به إلا هو، فمتى عمل جسمك عملاً، وقلبك غافل عنه لم يحسب لك، ولم يؤد عنك ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:5]، وإنما سقط اللوم الظاهر بمباشرة الجسم للعمل لظن حضور القلب وقصده إلى ذلك فراقب علام الغيوب فإنه الناظر إلى القلوب فافهم[2].

ما جعل قلبك باطناً لا ظاهراً إلا لتجرده عن الظواهر وتعلقه بالحق المتجلي بالأنوار والسرائر فافهم.

إذا رأيت محقق الحق فاعلم أنه عينه الموجود، وغيبه المشهود وأصدق له حبًّا تظفر بغاية المقصود ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:16] ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو؛ فافهم.

من أشهدك بنوره حق الربوبية في مشاهد صدق العبودية فقد أخذ عليك العهد الحقيقي في يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وهذا هو العهد الذي من اتخذه عند الرحمن ملك الشفاعة ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:87]؛ فافهم.

لا يأخذ هذا العهد الذي هو العهد إلا أستاذ غير ظالم إمام مطهر للقلب بيت الرب مما لا يرضاه لنفسه ولا يرتضيه من عبده، ومنشور هذه الإمامة تزكية المأمومين، وتعليمهم الكتاب والحكمة فيهم، وتلاوة الآيات الربانية عليهم كشفاً وبياناً، معنى وعياناً، وعلامة هذا المنشور التي يعرف بها الصبر مع اليقين ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة:125] ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ...الآية﴾ [البقرة:129]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:24] ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:124]،

---

(1) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (2/ 441).

(2) وليس ترك العزم كذلك؛ لأن ترك العزم أمر يدركه العبد من نفسه، فصح أن يكون عقداً بينه وبين ربه وأما كونه لا يعوده فغيب لا يطلع عليه إلا علاّم الغيوب سبحانه (لطائف الإعلام ص97).

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]؛ فلا يصح هذا العهد الإمامي لمشرك، ولكل مراد إمامة، وفي كل إمامة توحيد بحسب مرادها؛ فافهم.

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:6] أي: منك ولا يتكلم بكلام الله إلا الله فإذا ناجاك هاديك إلى الله فاسمع من الله وأطع تغنم، واعرف أن ربك قد تحول لك في صورة يتعرف إليك بها لتعرفه فلتتحقق به فتغنم كل مغنم، فالزم، والله أعلى وأعلم.

إنما سميت الشهادة بالربوبية العهد الأول؛ لأنها أول المطالب الديانية فلا يظن أن يوم الست زماناً كنت فيه قبل وجودك، فإن هذا تناقض، وإنما أخذت ذريتك من ظهر أبيك حتى حصلت في الرحم وصورت، ثم بعد ذلك قال لك قائل المعاني:﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]؛ فإن كنت ذا عقل سليم قلت بصحة الشهود: بلى شهدت ففي شهودك ذلك عيان نظري لا تعذر معه في التقليد لضده وفي هذه الآية دليل على أن توحيد الربوبية لا يكفي فيه الظن ولا يسمع فيه التقليد؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

من عرفك ربك بعلمه وحكمته بعدما جرد ذرة عقلك الهيولاني من ظلمات ظهورك المادي فنور بيانه يوم قال لك الله فيه بكشفه: ألست بربك، فقل له بلسان العرفان والقيام له بحق الإيمان: بلى تغنم؛ فافهم"(1).

قال سيدي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام:123] مفهومة وجعلنا مستضعفين صالحيها، ولكن من كبر إجرامه رد إلى صغار ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام:123] ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ...الآية﴾ [الأنعام: 124]، ومن استضعف لإيمانه فعاقبته التمكين وعلو شأنه ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...الآية﴾ [القصص:5]؛ فافهم.

السر ما لا يشهده إلا واجده فمن شهدت سره فاعلم أنت هو من حيث حصل لك ذلك الشهود، وهل المستفيد من حيث تحققه بما استفادة شيء إلا صورة مفيدة، فإذا كل ما من المستفيد إلى المفيد إنما هو في الحقيقة من المفيد لنفسه، إن العبد من مولاه، عبد القوم من أنفسهم وما من الله إلا وإليه؛ فافهم، وليس يفهم عني غير إياي، والله أعلى وأعلم.

لما كان الواحد المجموعي المقصود تحققه علة غاية لأجزائه السابقة عليه سبق المفرد على المركب وكان هو السابق عليها، سبق المقصود من الشيء على ذلك الشيء، وكان الآدمي

(1) قال المصنف في «المسامع»: ما من قوة قابلة إلا وهي حافظة لمقبولها، فالقوى الهيولانية القائمة بالمراتب المادية كلها ملائكة حافظة في تلك المراتب التي هي لمقبولاتها فيها ألواحٌ محفوظةٌ.

الإنسان هو الواحد المجموعي من مراتب الموجودات أجمع، كان هو غايتها لأنه المقصود بجمعها في صورته ليدل على الوجود المحيط بها جملة وتفصيلاً كما دلت تلك الأفراد الموجودة على أفراد معاني الوجود لا على جمعه دلالة بجملة لا مفصلة، وغاية الشيء أصله وجوداً وفرعه شهوداً فالإنسان الآدمي هو غاية ما دونه من الموجودات.

والله الرحمن الرحيم هو غاية الإنسان الآدمي لأنه المقصود شهوده به كما أنه حقيقة وجوده «خلقت كل شيء من أجلك، وخلقتك من أجلي»(1)، وهذا معنى قول الأصل لفرعه أنت مني أي: أنت مني وجوداً، وأنا منك أي: وأنا منك شهوداً، ومن حقق هذه الكلمة شهد الوحدة المكرمة بعين العلو والعظمة؛ فافهم.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ أي: لا تطيعوه وتنقادوا له راضين بأمره، فمن كان هكذا لأحد فقد عبده ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ [التوبة: 31] الآية، وما أكثر ما يعبد المقلدون أئمة الضلالات علماء السوء الذين يريدون بعلمهم ما ليس من الله في شيء فنسأل الله الهداية بالإيمان ﴿لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: 213]؛ فافهم.

كما أُمر إبليس بالسجود لآدم ﷺ فأبى وفسق فصار بذلك كافراً، كذلك نُهي ابن آدم عن عبادة إبليس؛ فإن أبى وفسق صار كافراً؛ ولكن الكفر دركات كما الإيمان بالحق درجات فافهم.

كفر إبليس بترك سجدة واحدة لآدم فكيف يرضى ابن آدم أن يكفر بتكرار السجود لإبليس، اللهم خذنا من كل شيء إليك وأجمعنا بك عليك آمين فافهم.

«رب أشعث أغبر ذي طمرين»(2) أي: يراه الغافلون من قوم عليهم غبرة ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: 41] وليس هو عند الله إلا من المقربين البررة، ويروا أن ما عليه من خلع أنوار الحق المبين أساطير الأولين وتكلفاً لمشابهة السابقين فيرون ما عليه من أنوار نضرة النظر إلى الحق شعثاً وغبراً بالجهل والإنكار، ويرون مواهبه التي ظهورها بالجود طراز خلعة الوجود في الوقت إطاراً خلقه إذ يقولون: إنها خلق الأولين وما هي إلا جود وجود الحق الأول، وإلى هذا التفسير أشار بقوله مفسراً «لأشعث أغبر ذي طمرين» إذ قال: «لا يؤبه مدفوع في الأبواب»(3) فافهم.

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 466).

(2) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/ 264).

(3) رواه الترمذي (12/ 350).

واحذر أن تكون مشعثاً أو مغبراً لوجوه ناضرة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:23]، أو ظاناً بخلع أهل المواهب أنها مكاسب؛ ولكن اشهد النضرة واعرفها واعترف بها؛ تكن من الفائزين وقم لأصحاب الخلع الحقية بحقوق مواجيدهم تغنم، والله أعلى وأعلم.

قد أخبرك الحق بأنه لما أصطفى عبداً لخلافته، ونفخ فيه من روحه، وأظهر ذلك للمتوسمين بحقائق علمه للأسماء وتعليمها أمر الجنود له بالسجود وهو الخضوع له والائتمام به، فلما أبى ذلك إبليس حسداً وكبْرًا؛ غضب عليه فسلبه الصورة الملكية ومسخه في الصور الشيطانية، ففي هذا الخبر تحذير لك إذا رأيت إمام هدى إلى الحق أن تحسده أو تتكبر عن الخضوع له والائتمام به، فإن ذلك يسلبك ما فيك من الصور المرضية، ويدخلك في الصورة الغضبية، وفي هذا الخبر بشارة لك أنك إذا خضعت له وائتممت به وفيك صورة غضبية شيطانية سلخك منها الحق برضاه عنك وجعلك في صورة ملكية مرضية عنده، فإن الذي غضب فمسخ من الصورة الملكية إلى الصورة الشيطانية، ومن أبى السجود لخليفته الرباني قادر وهو يرضى، فينقل من الصورة الشيطانية إلى الصورة الملكية من خضع لخليفته الرباني وائتم به فكما كان إباء السجود للمصطفى سبباً للإنتكاس بالغضب، فهكذا يكون الخضوع والانقياد للمصطفى سبباً للاستقامة بالرضى؛ فافهم.

مهما رضي به إمام الهدى إلى الحق فالحق راضٍ به، ومهما سخطه فالحق يسخطه كما جاء: «اتقوا غضب عمر؛ فإن الله يغضب إذا غضب عمر، ويرضى إذا رضي عمر»[1] فافهم.

إذن الحق في الأمر للأئمة هو إظهار روح الحكمة لهم فيه وإذن الحق في الأمر للمأمومين هو رضا أئمتهم به؛ فافهم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45] إذا ستر الحجاب عن صاحبه لم يعمل على كشفه، فربما ظن أنه مشاهد وهو محجوب مستور عنه حجابه فيسيء وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ويعد مع ذلك رشده وهداه ويتعذر؛ ولذلك جعل أصحاب هذا الحجاب المستور ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 45]، ولم يقل: لم يؤمنوا لأن «لا» تنفي الإمكان، ويكون من فيها مؤبداً، بخلاف «لم» فإنها تنفي الوقوع المعين فقط، فكل من قسم له نصيب في الرحمة الإيمانية لا يجعل له منها حجاب مستور؛ ولكن إذا اعترضه دونها حجاب بصره حتى يعمل على كشفه ويريد زواله هكذا القرآن ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:82] الذين سبق علم الله تعالى لهم بأنهم مؤمنون لأن

---

(1) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 94).

أدواءهم عرضية لا أصلية ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ [فصلت:44] أصلي ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت:44]؛ لأنهم طبعوا غير مؤمنين فلا يفيد فيهم العلاج شيئاً حيث سبق القضاء الحق بهلاكهم فافهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف:21] أي: لزموا الذكر فتبعوه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢] إن كان الضمير في ﴿هُم﴾ [الأعراف:21] للمتقين فالمراد أنهم لم يتغير نور أبصارهم بتلك الطيف؛ بل ربما ازدادوا بالذكر بصيرة، وإن كان الضمير للشياطين الذين وسوسوا للمتقين فالمعنى أن المتقين إذا وسوست لهم قرناؤهم الشياطين تذكروا، فبين لهم تذكرهم تبصر قرنائهم رشدهم فيسلموا فهذه شفاعة المتقين في قرنائهم الشياطين، فكيف ترى بركتهم على إخوانهم المؤمنين.

وانظر كيف شياطينهم يريدون فتنتهم وهم مع ذلك يعملون على هدايتهم وصلاح أمرهم عملاً بقول مولاهم ووليهم سبحانه وبحمده لإمامهم وسيدهم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:199] وفسرها بالعفو عمن ظلمك، وإعطاء من حرمك، وصلة من قطعك، والإحسان لمن أساء إليك؛ فافهم.

حقيقة الإسراء[1] إلى المقصود التجرد عن موانع حصوله؛ ولذلك افتتح بالتسبيح الذي هو التنزه والبراء عن النقائص لمحل الخصائص؛ فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] ونكر الليل ليفهم أنه ليل معنوي وهو محو الصورة اللبسية ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء:12] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ:10] ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:15] فالإسراء ليلاً عبارة عن محو اللبس، والتجرد عن شئونه المانعة من حصول الصورة الحقية الإيجابية المعبر عنها بالمقام المحمود.

ولذلك قيل بعد هذا الإسراء: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:79]، وهو المقام المحمود أيضاً درجات وجوبية فللحقيقة الإنسانية فيه إسراء روحاني وهو المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ١ – 3].

أي: فأسر في درجات مقامك المحمود إلى التحقيق بفناء المغايرة في الحقيقة الروحانية؛ فافهم.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: العروج الذي فتح بكشفه أبواب الإسراء هو الذي لأدخل منها أرواح قومه، كل ليلة بنور بيانه، فحقه أسري به وهو أسرى بهم؛ لأنه حقهم.

انظر إلى الإسراء المحمدي إلى الحق كيف هو من دائرة الخلق؛ فافهم.

إنما نزل الروح المحمدي بالنفخ من المقام الذي هو غاية عروجه إلى المقام الذي هو غاية نزوله؛ لأنه السلطان الذي به ينفذ من أقطار السماوات والأرض فنزل لينقذ من في ذلك المنزل من محبيه إلى دائرة مقامه الأعلى تحقيقاً لقوله: «المرء مع من أحب»[1] فافهم.

من رجعت نفسه الإمكانية عرفاناً وحبًّا وعبودية إلى حكم عدمها الأزلي في سلوب النسب الوجودية عنها، فقد أُسري به إلى التحقق بوجوده العلمي الأزلي الذي لم يزل به في علم الله، والمعلوم لا وجود له إلا وجود عالمه، فإذا تحقق بذلك فذلك هو المقام المحمود الذي أُسري به إليه فإسراؤه هذا فناء في بقاء مؤيد، وقيامه هذا بقاء في فناء مؤزَّل؛ فافهم.

المحبون مع محبوبهم بالحقائق الروحانية كالثمرات المتحققة في حبة البذر تحققاً يسمى في الإدراك المقيد وجود القوة، وهو عند النافذ الإدراك من القيود المادية الجسمانية وجود بالفعل، ولا شكَّ أن الروح الأصلي الأولي الذي تجلى في مظهره المحمدي كمال التجلي هو محبوب الأرواح الطيبة كلها، كما قال: «لن يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[2].

فالأرواح الصالحة والشهيدة والصديقية والنبوية كلها في ضمن الروح الولائية النبوية الرسلية المحمدية، فلما قيل له: «السلام عليك» أي: ستر، «أيها النبي» أي: الرفيع الخبير، «ورحمة الله وبركاته» كأنما قيل السلام على سائر العباد الصالحين، والشهداء، والصديقين، والأنبياء؛ فلذلك أجاب السلام بقبوله وتصديق صدقه من الصادق على صورته الجمعية وما جمعت؛ فقال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[3].

واعلم أن المحب من يغيب عن نفسه في محبوبه، ويعود محبوبة حالاً منه في الشغل به، ويأمره محل نفسه فيجازيه محبوبه الكريم على ذلك بأن يكون قائماً بإكمال أمره وتحقيق نفسه بدلاً عن شغله هو بمحبوبه عن أمره ونفسه؛ فلذلك ترى الإمام السيد الحبيب يتلقى كمال محبه بنفسه ويواجه هو بالخطاب الذي يراد به محبه، ويجيب عن محبه بالجواب اللازم له؛ لأن روحانيته مستغرقة بالمحبة في محبوبه مشغولة به عما سواه من الشواغل عنه عن كل قول وفعل وكل فرض ونفل.

---

(1) رواه البخاري (5/ 2283)، ومسلم (4/ 2033).

(2) رواه البخاري (1/ 14)، ومسلم (1/ 66).

(3) رواه البخاري (1/ 286)، ومسلم (1/ 301).

شُغلتُ فيكَ بِشُغلي كفى بحُبكَ شُغلاً

فمن هنا جاء السلام عليهم مواجهة لجامعهم، وأجاب هو عنهم، ولأن المحبوب سيد المحب ووليه فلا قول للمحب إلا قول محبوبه، ولا فعل إلا فعله؛ فافهم.

فكلُّ مَنْ علقتْ مِنْ نِسبتي يدهُ فلا انفصامَ لهُ من عصمةِ النَّسَبِ

أنا العبارةُ عنهم بل إشارتهمُ وفهمُ معنايَ فيهِ غايةُ الأرَبِ

لأن الحب على قدر المعرفة والتحقق على قدر المحبة، والله أعلى وأعلم.

صوم يوم عاشوراء في الملة الموسوية، وهو يوم كلم موسى فيه ربه سبحانه وبحمده، وأعطاه فيه الألواح كما هو قول أكثر المفسرين في أن ميقاته كان ذا الحجة وعشر المحرم وأنجاه وقومه، وأهلك عدوهم، وهذا اليوم كما ثبت في الصحيح أن يهوداً أخبرت بذلك، وأن النبي ﷺ أقر عليه، وأمر بصوم اليوم لذلك، وقال: «نحن أحق بموسى منكم»[1].

فدل ذلك على صدق ذلك الخبر، وكيف لا يكون أحق بموسى ﷺ، وبكل رسول، ونحن نؤمن بكلٍ منهم كإيمان من عاصره به لدلالة معجزة نبينا ﷺ التي هي القرآن، الذي نعرف إعجازه بالمشاهدة لا بالخبر على رسالة كل منهم ممن شهد القرآن له بالرسلية، حيث لم يؤمن به من آمن به بعد زمانه من أمته إلا تقليداً للخبر، فسائر من بعد الرسل من أممهم يؤمنون بهم تقليداً للخبر، ونحن نؤمن بهم تحقيقاً بالعيان في المعجزة القرآنية ما تقدم، وليس الخبر كالمعاينة، فنحن أحق بالرسل ممن بعدهم هذا مع ما آمنا به من تمام ما هم قد أخذوا المواثيق على أممهم به من الإيمان بالبعثة المحمدية نعم، وهكذا في شهر رمضان الذي كتب علينا صومه أنزل القرآن وفتحت مكة؛ فافهم.

«صوم يوم عاشوراء يكفر السنة التي قبله»[2]؛ لأنه تاب الله فيه على قوم، ونصر فيه موسى ﷺ وقومه وأكمل فيه ميقاته، «ويوم عرفه يكفر السنة التي تليه»[3] لمساواته يوم عاشوراء في الفضيلة؛ إذ فيه يتوب الله تعالى على أهل الموقف، وفيه منع المشركين من الحرم، فتم بذلك قهرهم والنصر عليهم، وفيه أكمل الدين، وأتم النعمة على المؤمنين لفضيلته على يوم عاشوراء بالحج المشروع فيه، وهو ركن من أركان الإسلام، وليس في يوم عاشوراء ركن من أركان الإسلام يختص به كيوم عرفة؛ فافهم.

---

(1) رواه ابن ماجه في سننه (1/ 552).

(2) رواه مسلم (2/ 793)، وابن حبان (8/ 385).

(3) رواه النسائي (2/ 152)، وأحمد (5/ 296).

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ أي: تفضل بصدقها على قلوب قوم حتى صدقوها ﴿وَعَدْلًا﴾ أي: وعدل الله في قوم معدولة قبولاتهم عن مواجهتها حتى عدلوا عن تصديقها فصدقاً هنا وضع موضع فضلاً إذ قوبل به عدلاً؛ فافهم.

جاء في الصحيح: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، إلا أدلكم على ما إن فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[1] إفشاء السلام إظهار وإشاعته فلا يحبك إلا من أعطيته منك السلام في كل مقام، فيرى أنك عدم وهو وجوده، فإن لم تره من نفسك له هذا فلا تطمع بحبه لك حقيقة ما دام بينكما بين؛ ولذلك قال: «أفشوا السلام بينكم»[2]؛ فأتى بالبين ليدلك على أن حقائق الوجود تأبى أن تحب إلا من لا بين له عنها إلا كونه قبولاً محضاً لما يعبر عنه بالسلام؛ فافهم.

من أتى بما لم يسبق فقد أبدع وأبدى ومن كرر مثالاً فقد أعاد واخترع؛ فافهم.

الأول قبل كل شيء بلا بداية أي: ليس لوجوده مفتتح هو أول؛ ولكنه أول ولا مفتتح له بلا بداية أي:لوجوده مفتتح وكذلك الآخر ولا لوجوده نهاية؛ فافهم.

يحسن مع الحكمة ما يقبح مع ضدها؛ فافهم.

فمنْ كانَ قَبلي منهمُ فهو مظهري ... وفرعٌ لأصلي كلُّ من كانَ لي أصلاً

لا شكَّ أن نواة الثمرة مثلاً في قوتها ساق، في قوته فرع، في قوته زهرة، في قوتها ثمرة، في قوتها نواة، فإذا انفلقت النواة في الأرض عن ساقها كان الساق مظهر الفرع، فإذا ظهر الفرع كان مظهر الزهرة، فإذا ظهرت الزهرة كانت الثمرة: فإذا ظهرت الثمرة كانت مظهر النواة، فإذا ظهرت النواة فكل ما كان قبلها فهو مظهرها، من حيث إنها الغاية المقصودة بالكل، ولا شكَّ أن كل ما كان قبلها فروع لأصلها الأول الذي هو النواة الأولى التي هي النواة الثانية بالحقيقة الذاتية، التي هي نوعهما، وإن اختلفا بالعوارض الخارجية عن تلك الحقيقة فبهذا تعرف منزلة الإنسان الكامل من حقيقة الوجود الحق الأحد الواحد الشامل؛ فافهم.

واعلم أن الغاية علة أولى الأسباب تعينها الخارجي، وقد جاء أن الحق قال: «يا إنسان خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي»[3] فهو غاية الكل والحق غايته، ومن ثم يقول: أنا أبو أول آبائي يريد أنه سبب غائي لأول أسباب ظهوره الكوني، ولكل مقال مقام، ولكل مجال رجال، والله أعلى وأعلم.

---

(1) رواه مسلم (1/ 74)، وأبو داود (4/ 350). (2) رواه مسلم (1/ 74)، وأبو داود (4/ 350).

(3) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 466).

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان:27] من هذه للابتداء والمعنى ولو أن كل شيء في الأرض كائن من شجرة مثمرة به على الدوام والبحر يمده فلا ينقطع كونه كائن من شجرة مثمرة به على الدوام، والبحر يمده فلا ينقطع كونه أبداً، وهو مع ذلك أقلام، ويكتب بها كلمات الله ما نفدت تلك الكلمات، وهنا يستثنى عين المقدم فينتج عين التالي؛ لأن كل ما في مسمى الأرض مطلقاً هو من شجرة كلمة التكوين وبحر التكوين ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان:27] هي الحياة والعلم والكلام والإرادة والقدرة والحكمة والملك، وجميع الكائنات يكتب بها كلمات الأسماء والصفات ومتعلقاتها في ألواح الإدراك؛ فهي لا تنفد، وإن تبدل عالم بعالم والكلمات لا تنفد إذا أقلامها كاتبة لها أبداً؛ فافهم.

السيد الرب: هو المصلح المدبر المالك المعلم، ومن ثم سمي الزوج سيد زوجته وربها، وكذلك المالك والمربي سيد ورب لما ملكه ورباه، فلا يظهر سر السيادة الربانية في أحد إلا وجعل له أتباع: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: 38] أي: معنوية فقد كان فيهم من ليس له زوجة صورية، ولا ولد صلبي كعيسى عليه السلام ويحيى عليه السلام، ومن هنا تفهم المراد بقول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [الأنبياء:89] كأنه قال كما قال إخوانه ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74].

وشأن السيد أن يسعى في مصالح عبيده، والفرد ليس عليه السعي إلا في مصالح نفسه فقط، ومن ثم تعلم أن السيد من تنزلت فيه الحكمة الربانية بما فيه الإصلاح والتكميل المتعدى فلا يقتنع بما قصر عليه، والمنفرد يقتنع بما قصر عليه نفعه وإن ضر من دونه، «وأحب الخلق إلى الحق أنفعهم لعباده»[1].

فكفى المصلح لهم شرفاً أن يكون أحب إلى الحق ممن ليس له همة أن يتلقى من الحق إلا ما فيه صلاحه وحده، وإن ضر سواه لا شكَّ أن ذاك السيد مظهر الحق وعبده والآخر مظهر نفسه وعبدها في التحقيق؛ فافهم.

من طلب من الحق للحق لا يطلب سواه، ولا يشهد غيره؛ فهو حق طالب غالب فافهم.

لا يستبشر إذا ذكر الله وحده وصرح له بأن لا شريك له، ولا ثاني إلا قلب عنده الآخرة حق مبين به لتحققه بعد تجريده عن وصف دنياه ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر:45]؛ لأنهم مراتب غيره، وحجبه منه على وحدته، وكل مرتبة

---

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ 333).

بحكمها قائمة حسبما تجلى به القيوم؛ فافهم.

من اتخذ إمام هداه كتابه ينظر في أموره بعين الإيمان فيتبعها بإحسان فقد أوتي كتابه المبين بيمينه، ومن اعتمد على الأساطير فإنما أعتمد على تحكم وهمه أو حكمة فهمه ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:49] أي: معناه مبين في نواطق أئمة العلماء، وشاهد ذلك المعنى مبين في أعمالهم ومعاملاتهم ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ [هود:17] أي: يتبعه ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود:17] أي: عين يتعين به معناه في الحس؛ فافهم.

من كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه فهو نسخة الحق ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:2] فافهم.

جاء في الأثر أن الحق تعالى يقول: «يا ابن آدم كل يريدك له وأنا أريدك لك»[1].

وأنه قال تعالى: «يا بن آدم خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي»[2]؛ فظهر معنى الأول بالثاني؛ لأن المخلوق لشيء فذلك الشيء غايته ولا كمال لشيء إلا في تحققه بغايته، فالرحمن غاية غايته الإنسان، فهو لا يريده إلا لذلك وفي ذلك كماله فهو يريده له، والإنسان غاية جميع الأكوان فكل منها يريد الإنسان ليتكمل به، فما الأمر إلا كما جاء الخبر من الحق لابن آدم كل يريدك له لأنه بك يتكمل «وأنا أريدك لك لأنك بي تكمل»؛ فافهم.

جاء أن الحق تعالى قال: «يا بن آدم، إني لك محب بحقي عليك كن لي محبًّا»[3] لما خلقه على صورته أحبه لأنه جل أن يحب خلاف صورته التي هي الكمال المطلق الأقدس؛ فافهم.

الحق تعالى ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى فلا يحب إلا مظاهرها المؤهلين لحقها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195]؛ لأنه المحسن إن الله ﴿يُحِبُّ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لأنه الشكور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:146]؛ لأنه الصبور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222]؛ لأنه التواب القدوس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [الصف:4]؛ لأنه النصير الذي يحارب أعداء أوليائه «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»[4] ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة:14] اللهم بك نحارب وبك نقاتل صفًّا؛ لأنه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:56] ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:4]؛ لأنه القوي والركن الشديد لمن أوى إلى جنابه ﴿مَّرْصُوصٌ﴾ لأنه مؤيد المؤمنين الذين هم «كالبنيان يشد بعضه

---

(1) ذكره المصنف في «المسامع» (309). (2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 466).

(3) لم أقف عليه. (4) رواه البخاري (5/ 2384).

بعضاً[1]، وهو سبحانه وبحمده مثبتهم ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]؛ فافهم.

المؤثرات آزال من حيث هي مؤثرات، والمتأثرات آباد من حيث هي متأثرات، فالفاعل أزل القابل، والقابل أبد الفاعل في كل مقام بحسبه، ومن ثم يقال: إن النفس الكلية أبد العقل الكلي وهو أزلها، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

تحقق مرتبة كل من المتضايفين في معناهما الإضافي متوقف على تحقق ذات الآخر فمرتبة الأب، وهو كونه أباً متوقفة التحقيق على تحقق ذات الابن، ومرتبة الابن، وهو كونه ابناً متوقفة التحقيق على تحقق ذات الأب، فما لم تتحقق ذات الأب، وذات الابن لم يتحقق كون ذلك أباً، ولا كون الآخر ابناً، وهكذا سائر المتضايفات.

وإن كانت الذات من المتضايفين واحدة بالنظر لما هي كما أن ذات الابن، والأب متى نظرت من حيث هي قلنا: واحدة بالنظر لما هي كما أن ذات الابن، والأب متى نظرت من حيث هي قلنا هي الإنسان ليس غير، وإنما التمايز بحسب المراتب؛ فافهم.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ﴾ [الفتح: 12] هذا ورد إنكاراً عليهم، وإبطالاً لظنهم.

فـــــلا تعجلــــــنَّ فالحـــقُّ يأتـــي لأهلـــه

فافهم.

خلق الله الإنسان على صورة الرحمن، والرحمن هو ذات الصفات الجميلة الكريمة، كما أن الشيطان ذو الصفات الرذيلة الذميمة، فما دمت أيها الآدمي ذو الصفات الكريمة فأنت إنسان باقٍ على أصلك لم تنسخ، ولم تمسخ، متى نسخت منك الكرائم بالذمائم فقد نسخت منك الإنسانية بالصورة الشيطانية التي انمسخت بها، وإن خلطت لم تكن إنساناً خالصاً، ولا شيطاناً محضاً؛ ولكنك شيطان من حيث رذائلك، وذمائمك، وإنسان من حيث فضائلك، ومكارمك، وفي ذلك فليتفاوت المتفاوتون، والحكم للغالب فافهم.

وتوسم لتعلم، وإذا ورد عليك ما ينافي إنسانيتك، فاعلم أنه باغٍ يريد أن يخلعك عن الحكم ظلماً، ويتحكم فلا تطعه، وتلن له يغلبك فتندم، واستعن على دفعه بالهادي العليم الحكيم، وأسلم له أمرك تسلم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:

(1) رواه البخاري (1/ 182)، ومسلم (4/ 1999).

139]؛ فلا ترد لأسفل سافلين بموافقة العدو المضل المبين(1).

ودَعْ التَّناسُخَ إنْ ظَفِرتَ بِوَاحِدٍ مَا فيهِ مِنْ زيغٍ ولاَ بُهتَانِ

فاعرف، والزم تغنم كل مغنم.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء:176] ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت:54]، وهو هو يا هو سيدي وربي، وهو مولاي، وحسبي ليس إلا هو يا سيدي يا مولاي يا عزيز يا ودود.

صاحب كل زمان هو لأهله تجلٍ، وجودهم المحيط بعين حقه المبين المتنزل إليهم بما تسعه استعداداتهم، وقوابلهم، ويتحول لهم في الصورة التي يعرفونه بها، فهو بعينه واجبهم، وهم ممكناته، وهو بتحولاته تارة يماثلهم وتارة يقابلهم، فمن ثم تسمى بأسماء الوجوب، والعلو عندهم، وتسمى بأسماء الممكنات، والتداني إليهم، وله بكل من الأمرين تعرف، وتنكر في المدارك المقيدة، وصاحب كل زمن، هو أعظم ما تجلى لصاحب الزمن الذي قبله من وجوده، وتعين في نظام علمه من معاني ذاته، فمن ثم يكون الأول مسجوداً لأهل زمانه وساجداً لصاحب الزمن الذي بعده، وقابلاً عنه محامد لا ينبغي أن يحمد بها أحد من أهل زمانه الأول؛ لأنها محامد ربهم لنفسه بأسمائها التي استأثر بها في علم غيبه عنهم عنده، وإلى ذلك أشار الحق المحمدي بقوله: إن الملائكة سجدوا للحق الآدمي أجمعين، وتعلموا منه من أسمائهم ما لا علموه إلا منه، وقد كانوا في الأرض حيث كانوا من ربوبية أهلها.

وقال عن آدم ﷺ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي: جعلته صاحب الاستواء العرشي في زمانه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أي: وأظهرت أنفاسي الكلامية فيه من روحي الناطق ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29] أي: فهو ربكم فكان الحق الآدمي رب الملائكة بالروح، والحق المحمدي رب الملائكة والروح، وقال: إن آدم والأنبياء، والملائكة أجمعين صلوا خلفه ليلة إسرائه، فسجد له آدم ﷺ في جملة الساجدين، وهكذا أخبر أنه هو أيضاً يسجد في مقامه المحمود سجدة خاصة به لربه الذي إليه مستقره، ويحمده بإلهامه محامد خاصة به، وما كل ذلك إلا تجليات الوجود المحيط الذات بمراتبه، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

جسم جماد، حركة نبات، إدراك حيوان: هذه مراتب إمكان الوسط المختار، الروح الناطق الإنسان.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: كان فرعون أعرف أهل زمانه بالحق الهادي المتعين بعين موسى القائل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:39]، ولكنه كان عين المضل، فظهر بحكم مرتبته ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾[طه:79].

قلب حكيم رحيم، فؤاد عليم رحمان، سر محيط الله: هذه مراتب، وجوبه، ومراتب انكشافه في دائرة إمكانه، آفاقه دُنى، وفي دائرة وسطيته، آفاق وفي دائرة وجوبه آفاق عُلا، وتبينه بمعاني آفاقه اللدني تنزل، وتدلى وتبينه بمعاني آفاقه المبينة، والعُلا في آفاقه اللدنى تنزل وتدلى وتبينه بمعاني آفاقه اللدنى فيهما تعالى، وترقي، والكل تجليات، وجودية بأحكام شهودية حققها المتجلي بعلمه الفعلي، وانكشف بها في علمه الانفعالي، فبالأول في الثاني تبينت وترتبت، وبالثاني للأول تعينت، وتميزت، هذا والذات الوجود المتجلي بالكل واحد أحد، لا كثرة له، ولا عدد إلا من حيث الحكم، والمدد، وليس إلا هو، وإن ظهر بأنه ليس هو هو إذا لم يتجل بذلك إلا هو ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:57] وحده لا شريك له، و﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد:41] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:1]؛ فافهم.

ما ثَمَّ إلا الوجود الذات العالم، وإن ربت علمه مراتب، فسماه باعتبار علماً، وباعتبار حياة، وباعتبار إرادة، وباعتبار كلاماً، وباعتبار قدرة، وباعتبار كشفاً، وبياناً، وباعتبار عقلاً، وباعتبار سراً، وباعتبار روحاً، وباعتبار فؤاد، وباعتبار نفساً، وباعتبار قلباً، وباعتبار طبيعةً، وباعتبار صدراً، وباعتبار تعقلاً، وباعتبار تخيلاً، وباعتبار توهماً، وباعتبار إحساساً، وباعتبار تحقيقاً، وباعتبار عرفاناً، وباعتبار حكمةً، وباعتبار تكويناً، وهكذا بكل اعتبار مرتبي سماه اسماً، وسمى نفسه فيه كذلك، وما ثم إلا هو مقتضٍ أن يقضي فيقضي فيتعين في قضائه بما يقضي، وهذا شأنه لذاته فلا ينفك عنه في موجود من موجوداته أعني تعيناته، ولا انقلاب لتعين عما حققه به، ولا خروج لمرتبته عما يتجلى به فيها، وإنما يتجلى في كل مرتبة بما حققها التجلي به فيها، ومن ثم كان لكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

قال قائل: أما كان عند من دون المعارف التي هي أضر بالقاصرين؛ بل بالناس كلهم إلا قليلاً، أو أقل من القليل من فاضح شعاع شمس الظهيرة ضحواً بأضعف أعين الخفافيش من الحكمة، وحسن النظر، والرحمة، واللطف بما يمنعه من تدوينها، فإن كان فمخالفته ذلك به نقص، وإن لم يكن فكفاه نقصاً أنه غير حكيم؛ انتهى.

قلت: أو ليس الذي أطلع شمس الظهيرة، ونشر فاضح شعاعها ضحوا مع إضراره بالأبصار الضعيفة، وسائر الأمزجة التي تتضرر به عليم حكيم.

قالوا: بلى، ولكن عارض ذلك مصالح تربو على هذه المفاسد.

قلت: وهكذا الجواب عن مسألتك، وحسبك جواباً أن من دون ذلك لم يدونه للجمهور، ولا أذن في ذلك، ولا سكت عنه، بل نهى عن إظهاره لهم، وشدد في النهي والتحذير عن ذلك إلى الغاية، وصرح بأنه لم يدونه إلا بإذن من الحق سبحانه، وبحمده في

تدوينه لأهله فقط، فيكون في الديوان أمانة لهم ليظفروا من معانيه بما تنفتح به أبواب كمالاتهم الباعثة لسحائب الرحمة الرحمانية في قلوبهم المفجرة لينابيع الحكم الإلهية الربانية، من قلوبهم على ألسنتهم فتشرق الأرض بنور رشدهم، وتحيى بأثر هدايتهم؛ فيرحم الله تعالى بهم العباد، والبلاد، ويصلح بوجودهم في العالم النظام كما يشاء برحمته، ويريد بحكمته، فتعدى أهل الغفلة حدود هؤلاء السادات، وأظهروا دواوينهم لغير أهلها، كما تعدى الغافلون حدود ربهم فسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، وتمكن أعداء الحق من قرآنه بقلوب زائغة، وألسنة خصمه، فحرفوه واتبعوا ما تشابه منه ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾[آل عمران: 7].

وهل دون مالك بن أنس إمام دار الهجرة، والشافعي عالم قريش في زمانه ما دوناهم العلم ليستعان به على هوى النفس، وكسب الدنيا بخدمة الظلمة بالتخريج، وتوليد المسائل الموافقة لمواهم، لا والله؛ ولكن أتفق ذلك ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب:38]، و﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:46].

وحيث ظهر أن فائدة تدوين هذه المعارف أعظم الفوائد ظهر أن تدوينها من أحق الحقوق، إذ فائدتها بقاء روح اليقين، وإشراقها في مظاهرها، الهادين بالحق كما فائدة تدوين علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظني الموجب للعمل، وظهورها في مظاهرها المرشدين ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة:220]؛ فافهم.

ركبت النفس الآدمية[1] من ثلاثة أضلاع: سر عليم، وروح حكيم، ووهم بهيم: الأول أطولها، والثاني أوسطه، والثالث أقصرها، ومنه تكونت النفس الحيوانية، وطور الجمود الذي تطورت به هذه النفس هو جسديتها الترابية، وطورها النباتي الذي في قوة الطور الجمادي هو جسديتها النباتية، وطورها الحيواني الباطن في الطور النباتي هو جسديتها الحيوانية، والناطق روحها المنفوخ فيها من غيب علمها إلى شهادة إدراكها.

ولما كان آدم بنفسه الآدمية في صورته الناطقية الحيوانية في باطن صورته النباتية في باطن صورته الجمادية كان على صورة الرحمن، إدراكاته كلها علمية حقية، ثم لما ظهرت صورته النباتية في جسمانيته شجرة بوادي نعمان، وكان هو في غيب قوتها بحيوانيته، كان إدراكه كله حيواني جناني نعيمي، وذلك مقام جنته، فلما التقت بصورته الجمادية خرج من قوة

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: ومنها ظهرت به الآدمية في الجوهر الجسماني توهمه، وأحسه كل ذلك تمييز فعلي، ومنها أحسه الجسماني كشفاً انفعاليًّا تخيله الحيوان كذلك، فتعيّن في الناطق كذلك، والله الرحمن الرحيم بكل شيء عليم.

تلك الشجرة إلى فعلها، كخروج الشخص من المضغة، وكخروج ما يتكون حيواناً في باطن الخشب مما تعفن منها، فكانت تلك الشجرة جزء ما له وهو الأرض التي هبط إليها من القوة إلى الفعل فصار بها بشراً طينياً ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح:17].

وهكذا يكون النبات عن الجماد والحيوان عن النبات، ويظهر الناطق في الحيوان، ثم يبطن الناطق في الحيوان، والحيوان في النبات، والنبات في الجماد بالتحليل، ثم يظهر بالتركيب النبات عن الجماد، والحيوان عن النبات، والناطق في الحيوان ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾ [نوح:18]، بالتحليل ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح:18] بالتركيب ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ [الأعراف:25]، ولا يزال كذلك بنفسه البشرية إلا أن إدراكه يكون بحكم ما غلب عليه أمره من أضلاعها الثلاثة؛ فإن غلب عليه وهمه البهيم فهو في درجات الجحيم، وإن غلب عليه روحه الحكيم فهو في درجات النعيم، وإن غلب سره العليم فهو في حضرات الرحمن الرحيم، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

إن شهدت كل شيء ذاتاً، وإن حكمت باعتبار أنه صفة، وباعتبار أنه فعل، وقد علمت أن الوجود لا يقبل العدم؛ لأنه نقيضه فكل حكم استلزم صحة العدم فهو غير صادق على الوجود، وإن الصفة متوقفة التحقق على موصوفها، فمتى قطع النظر عنه؛ صح عدمها والمشارك لغيره في حقيقته متوقف التحقق على ما به شاركه، وما به امتاز عنه، فمتى قطع النظر عن ذلك صح عدمه فالوجود ذا ذات، ولا ذات إلا هو، لعدم صدق كونه صفة ولا مشاركاً لغيره في حقيقته، فشهدت لهذا أن ليس ثم إلا الذات الوجود فقط، فأنت في مشهد الإحاطة الأحدية، وهذه دائرة ليس فيها سواء ولا سواء، والمعتبر عندنا في الشهود ما كان بالوجود أو بعين اليقين، بحيث لا يحتمل النقيض.

فهذا هو الذي نشير إليه حيث نقول: إن شهدت، وإن شهدت أن الموجودات صفات الوجود، وهو ذاتها والصفات من حيث إنها صفات كلها سواء فهذه دائرة الوجود المطلق ومشهد الواحدية الذاتية والسَّواء الذاتي والمرتَّبي بفتح السين، وإن شهدت اختلاف مراتب الصفات باعتبار صفات واجبة، وصفات ممكنة بحيث تغاير الذاتي باعتبار ماهية ذات كل منها نفسها، باعتبار ماهية ذات الأخرى، فهذه دائرة الفرق بالتقابل والتماثل، وأعظم مراتبها مرتبة الإلهية وهي المرتبة التي صفاتها واجبة لذاتها مع إحاطة تعلقاتها بكل مرتبة دون هذه المرتبة، واسم الوجود الذات باعتبار ما هو الوجود المطلق الجلالة، الغير مشتقة من الألوهية، واسمه من حيث هو ذات المرتبة الإلهية الله الجلالة المشتقة من الألوهية، وكون هذه الصفات واجبة محيطة هو الألوهية، وكون صفات الثبوت التي تسميها الأشاعرة وأمثالهم من

الصفاتية صفات الكمال، والمعاني الثبوتية واجبة محيطة بما تقدم هو الرحمانية.

وباعتبارها يسمي الله رحماناً، وباعتبار الرحيمية، وهي كون ما يسمى من هذه الصفات الفعل واجباً محيطاً يسمي الله الرحمن رحيماً، كما يسمي الوجود المطلق باعتبار تحقيق المراتب وترتيبها بالحق المبين، ثم إذا شهدت ما دون هذه المرتبة الإلهية من مرتبة دائرة الفرق فإنما هي صفة هذه المرتبة أو فعلها أو اسمها، فهي بهذا الاعتبار سواء كونها قدسية أو محكمة، حسنة أو جميلة حسنى، وهذه دائرة السواء المرتبي بفتح السين والخير، وإنْ شهدتها باعتبار أنفسها المرتبية وآثارها الملائمة لك والمباينة، وشهدت منها ما يكون به صلاح النظام ومنها ضد ذلك بحيث يقضي بينها بالتحسين والتقبيح والتنقيص والترجيح[1] والتعديل والتجريح.

فهذه دائرة السواء بكسر السين والغير، وهنا تظهر أنوار الفرقان وينصب ميزان الربح الخسران، ويقف أصحاب الشمائل والإيمان، ويقوم الرحيم الرب الحكيم، الملك الديَّان، وينكشف في ملكوت الإسلام والإيمان والإحسان، مزقها بحقها أضدادها ما يدفع بالنور الروح الحكيم الملك الظلمة الوهم البهيم الشيطان، ويتنزل الحق المبين بمظاهره المنفذة بروح الإيقان من أقطار ظاهر التفريق إلى حضرات سر الجمع القرآن، فتشرق الأرض بنور ربها الكاشف عن وجوه المتحققات ظلم التلبيس والبهتان، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف:49] للأسماع والأذهان بالتقريب والبيان ﴿وَجِاْىٓءَ﴾ نحوه في صور التعرف والتعريف ﴿بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر:69] مجيئاً ذهب بالعيان عن الإدراك المقيد بالفرق في المعاني والأعيان ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ [الزمر:75] في كل زمان ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر:75] الذي جاء من جاء به في ذلك الزمان بما استعد له أهل ذلك الزمان، فمن عرف ربه منهم، واتبع ما أنزل إليه تعبداً ومحبة وقياماً بحقه ابتغاء توحيده وابتغاء ثوابه بامتثال أمره يغنم من حيث يعرف ويلزم، ومن انعكس انتكس، والله خير وأبقى؛ فافهم.

قال الحق المحمدي: «القلب بيت الرب»[2].

وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:96] فاعرف بيت الرب من بيت الناس، وتوجه إلى كل منهما بشرطه، وقم له بحقه، واستقبله، وأسلك إليه، وطف

(1) قال المصنف في «المسامع»: وأمّا الكرسي الأربعة التي تقدَّم ذكرها في الصحابيات، وهي ظواهر على الغيوب العرشيَّة وبطائن للظواهر الملكية في السماويَّة والأرضية؛ بل هي لَعيان عيونها وموازين لمحكام ترجيح ظنونهم، وتبين موجودات أوهام لمهامهم في فنونهم، وهم أئمة الاجتهاد ومؤصّلوا أصول الفرق بين الصلاح والفساد.

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 129).

حوله، وادخله بما يناسبه منك، فالجسم بالجسم، والقلب بالقلب، والروح بالروح، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

وجود الناطق الحاصل في الطور النفساني الحيواني الفرقي هو وجود الروح الحكيم وهو وجود الوهم البهيم أيضاً، لكن الأول موجوده بالحكم التقديسي، والثاني موجوده بالحكم التلبيسي، وهو باعتبار الأول مسمى الهادي وهذا الروح صفة هدايته، أعني مبدأ هداياته، وصور هداياته هي الملائكة وأئمة الهدى صور تعيناته بهذه الصفة، وهو باعتبار الثاني مسمى المضل، وهذا الوهم هو صفة إضلاله أي: مبدأ إضلالاته، وصور إضلالاته هي الشياطين، وأئمة الضلالة صور تعيناته بهذا الوصف، ومتى ظهر هذا الوجود بحكم المرتبة الإلهية أضل من شاء وأثبت ضلاله فيه بأسباب ثبوتية حتى لا يقبل ما يزيله، فلا يبقي له هاد وهدى من شاء، وأثبت هداه فيه بأسباب ثبوته حتى لا يقبل ما يزيله، فلا يبقي له مضل؛ فافهم.

المحق عين ما حققه، فإذا ظفرت بمن تحقق عندك الحق المبين فاغنم، واعرف أن المحبة سبب تحقق المحب بمحبوبه على قدر صدقها والزم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: 176]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

قال قائل ما بال كلام العارفين المتقدمين والزمان على زمن الخاتم الوفائي الأعظم ملتبس؟ قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه؛ لأنهم مظاهر المعاني فهم أمناء على ما بأيديهم، فلا يظهروه للتمليك ولكن للتنفيس خاصة، كما قال كل ناطق نبوي بين يدي خاتم الأنبياء ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الدخان:18]، وصاحب الختم ظهر بالحكم الذاتي، فهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، فلذلك صرَّح وبيَّن بحيث ملك قوابله ما خلعه عليها من خلعه فلا سالب له؛ لأنه حققها به حق اليقين والحمد لله رب الموجودين أجمعين ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء:176]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

﴿ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾[الكهف:17] النزل: إكرام الضيف ليكن أول ما يكرم به، فإذا كانت الفردوس أول ما يكرمون به إذا كانوا ضيوفاً يغيبون وقتاً ويحضرون وقتاً، فكيف بغاية إكرامهم، بل كيف بإكرام الأحباب الذين لا حجاب عليهم أبداً؛ فافهم.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت: 12] فالحفظ من دائرة العزيز؛ لأنه المنيع الجناب عن أسباب النقص والمصابيح من دائرة العليم ولذلك كانت هداية ورشد وكشف وبيان، هكذا النفس المدركة التي هي دنيا النفس البشرية

متى حصلت فيها مصابيح المعارف والمراشد وحفظة الفضائل والمحامد، فقد زينها الحق المبين الذي أفادها تلك الفوائد بمصابيح وحفظاً من كل شيطان مارد؛ فافهم.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [المزمل: 9]، هو الفعال في قوابل رقائق الحقائق؛ فافهم.

عجباً لملاذ الدنيا يذهب الملال[1] حلاوتها إنْ دامت، وتعقبها الرغبة فيها حزناً إن زالت، فلا راحة للمؤمن دون لقاء ربه؛ فافهم.

انظر إلى النفس المدركة المفارقة التي تشير إليها منك بقولك: «أنا» كيف هي متعلقة بسائر أبعاض جسمك وأعضاء جرمك، وكيف لها مع كل بعض وعضو معنى وأثر خاص، تارة يماثل ما هو لها مع غيره كاللمس بسائر سطح البدن، والإبصار بالعينين، والسمع بالأذنين، وما أشبه ذلك وتارة يباين ما هو لها مع غيره كالتكلم باللسان وحده والذوق بآلته وحده، وما أشبه ذلك؛ فهي من حيث هي نفس عضو، وبعض ليس لها إلّا ما هو لها مع ذلك العضو والبعض فقط، ولا يشارك عضو عضواً في عين ما لنفسه معه، وإنْ شاركه في نوعه إذا ماثله، ولا يشارك ما يقابله إلّا في نوع ما هو لنفسه معه ولا عينه، هذا حكم النفس مع ما تعلقت به من الأعضاء والأبعاض، وهي نفس الكل فهي الموصوفة من حيث هي نفس الكل بسائر المعاني التي هي لها مع كل عضو وبعض، وبعد ذلك لها هي في مرتبتها من حيث هي معان تخصها لما هي هي لا تتقيد فيها بمعية عضو ولا بعض، فلها معان خاصة مع كل عضو عضو، وكل بعض بعض من حيث هي نفسه، ولها تلك المعاني جميعاً من حيث هي نفس جملة الأعضاء والأبعاض.

ولها معانٍ أخرى جوهرية أعني هي لها لجوهرها لا تتقيد فيها بتلك الجملة ولا بأبعاضها، وهي مع ذلك واحدة الذات مقومة لكل مرتبة من تلك المراتب، موصوفة من ثمّ بسائر تلك الصفات، وليست حالة في شيء ولا متحدة الذات بعرض ولا ذات، كما هو شأن المفارقات والمجردات على أنها هي ذات سائر تلك المراتب بحيث يعبر عنها جامعها التي تلك النفس ذاته بأنا، ويسأل عنها منه بما هو، فإذا تأملت هذا المثل وحققته انفتح لك باب شهود كون الوجود ذات كل موجود، وإنّ له مع كل موجود حكماً خاصياً، تارة يناسب ما هو له مع موجود آخر فيتشابه أمر ذينك الموجودين، وتارة يباينه فيختلف أمرهما، وهو مع ذلك قيوم تلك الموجودات كلها قيومية واحدة بالنظر إلى كونه وجود الكل، وصاحب تلك الأحكام

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: الملال نفور عما يُرى أنه إخلال، فاقتضى الميل لما يُرى أنه كمال، فسآمته التجريد عن الحاصل تهيئة للواصل في كل مقام بحسبه.

كلها بما هو مقوم الكل وله مع ذلك في نفسه من حيث هو إحكام لا تتقيد بموجود بل هي له بما هو في تجرده، وهي أحكام لا تقاس ولا يحكم عليها بمماثلة ولا مقابلة، إذ لا مشارك لصاحبها فيها بقيد اعتباري ولا غيره.

فمن هنا يتضح لك القول بتجريد التوحيد، وبتحقيق التنزيه، وبإثبات الغير وأحكامه، والسلوك على صراط الشرع والعقل والفرق مستقيماً غير ذي عوج، وإنْ كان فوق هذا في كشفنا مرتبة يعز رسمها ويجل علمها، ويجب من غير صاحبها كتمها، ففي ما تقدم غاية المرام من دائرتي الفرق والجمع، فافهم ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: 54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

الأستاذ مظهر سر الربوبية لمريده، فعلى المريد أن يقف عند أمر أستاذه، وأن لا يلتفت عن أستاذه يميناً ولا شمالاً، ألم تسمع قول الكرام أبناء الأستاذ السيد يعقوب عليه السلام كيف قال كبيرهم: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ [يوسف: 80] ثم قال: ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾ [يوسف: 80] ثم قال لهم: ﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ ﴾ [يوسف: 81] فبيَّن أن المريد ما له وجه يتوجه إليه إلا أستاذه، حتى إذا تحقق بحقيقة أستاذه وسقط حكم المغايرة بين مرتبتيهما كان الله وجهه من حيث هو وجه ذلك الأستاذ الذي تحقق به ذلك المريد فمن ثَمَّ قال باعتبار بقائه مريداً: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [يوسف: 80] وباعتبار تحققه بأستاذه قال: ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يوسف: 80] ثم قال لهم باعتبار الأول: ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: 81] أي: فليس لكم وجه تتوجهون إليه بوجوه رغبتكم سواه؛ لأنه أستاذكم.

وفي قوله: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ [يوسف: 80] إشارة أيضاً إلى أنه شعر أنه لا يزال أمره منحطاً حتى يأذن له أستاذه، فإذا تحرك بأمر أستاذه علا أمره، ثم قال لهم: ﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ ﴾ [يوسف: 81] أي: فإنكم لا يعلو لكم أمر إلَّا بإذنه ومدده، وفيه أيضاً ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لن أبرح الذليل الخاشع القابل لما يرد على حتى يأذن لي أبي، فأصير بروح إذنه فاعلاً عزيزاً حيًّا.

ولما لم يظهر الحب السماوي إلا في القبول الأرضي استشعر كل منهم أنه لا يظهر فيه حب رفعة درجة أستاذه حتى يكون بين يديه قابلاً أرضياً لا حياة له إلا بمدد أستاذه، فلذلك سارع كل مريد صادق للكون بين يدي أستاذه الحق الناطق ذا قبول أرضي لسمائيته، فقال اخوة يوسف: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 9] أي: اشهدوه متحققاً بأستاذكم فأنَّى المغايرة ﴿أَوِ﴾ [يوسف: 9] فاسلكوه ﴿ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾[يوسف: 9] لسمائية أستاذكم ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾

[يوسف: 9] بشهودكم أنه لم يحبه إلا لأنه هو أو لأنه مريد صادق: ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾[يوسف:9] لا يشهدون إلا أستاذهم بعين الإعظام والتنزيه، ويحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم من صدق الإرادة لأستاذهم ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يوسف:10].

وهذا كلام حكيم؛ لأن السن له اقتضاءات لا بدَّ منها، فمتى شهدت الكمال في من لا بدَّ وأن يظهر لك منه بعض أحكام مراتب النقص الوهمي خيف عليك أن تنكر فتحرم من مدده، أو تجرأ على العمل بمثل تلك الأحكام فتزيغ عن رشده، ولا يعطي كل مقام حقه وإنْ تداخلت المراتب بأحكامها إلا متمكن ناقد فلمثل هذه الحكمة ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ [يوسف:10] أي: ما يغيب عنه أحكامه الجرمانية، ولعل هذا هو القائل: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يوسف:80] ولعل القائل: ﴿ ٱقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ [يوسف:9] هو الذي لما دخلوا على يوسف، وقد شهد فيه وجه أستاذه فعرفه قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: 88] الآية؛ فافهم.

ينبغي أن ترى القرآن هدًى ورشداً لأهل كل صراط مستقيم إلى مطلب كريم في صراطهم، فيأخذ منه، كلٌّ بحسب إفهامهم ما يناسب أمرهم من غير أن ينكروا ما أخذ غيرهم، وحينئذ لا تنكر على من فهم منه ما له فيه هداية في طريقه وإنْ كان فهمك في طريقك مخالفاً لفهمه إن كنت من الراسخين في العلم الذين يقولون عن كل تأويل له هداية من حيث أهله ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:7]،﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج:34] ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7]، و﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: 48] ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة:148]؛ فافهم.

كل زمان ظهر فيه روح كشفه وبيان لبواطن ما كشفه[1]، وبيته روح الزمان الذي قبله، فذلك الزمن المتقدم دنيا والذي فيه بيانه آخرته، فزمن آدم زمن دُنِّي وزمن نوح زمن آخرة زمن آدم وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ومحمد روح آخرة الدنيانين الربانيين الفرقانيين كلهم، وفيهم ظهرت لوائحه وفيه ظهرت حقائقهم وإدراك علمهم وبلغ منتهاه، وزمن خاتم الأولياء أخره هذه الآخرة، فتلك الآخرة يوم جمعة الأيام الفرقانية، وهذه الآخرة ساعة يوم الجمعة وتسمى يوم المزيد، والمزيد هو النظر إلى الله ساعته التحقق بالله، وفي كل دنيا تكون النفس المدركة في حجاب عما ينكشف لهم في آخرتهم، فكل صاحب آخرة يريد أن

---

(1) قال المصنف: ظهر حقه للبين بعلم الجمع الإلهي الربَّاني فعلم القرآن كشفاً وبياناً مبيناً علياً حكيماً، فقد ظهر فيه بصورة الرحمن، ومن قبله صدِّيقاً: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 89] له ظهر فيه بصورة الرحيم.

ينقل أصحاب الدنيا التي قبله من حجابهم إلى كشفه، فمن أطاعه أفاض عليه من فضله فقبله بإيمانه، وإيمان كل محجوب إسلام بالنسبة إلى إيمانه عند الخروج عن حكم حجابه كما قال: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: 53].

ولما كانت الهمم في الأزمنة الماضية عن الزمن المحمدي في مسافات العوالم المحسوسة، أراد أئمتهم الهداة أن ينقلوهم عنه إلى العوالم الخيالية فأقاموا لهم معجزات حسية تقهرهم على الرجوع إلى مراد الأئمة منهم إنْ ساعدت العناية الإلهية بالإيمان كمساعدتها بالبيان، فلما جاء الحق الناطق المحمدي أراد أن ينقلهم عن الخيالات إلى العقليات، فجاءهم بالمعجزة البيانية ليجذبهم مراده وهكذا المعجزة العقلية معجزة خاتم الأولياء أتى بها لينقل النفوس إلى الكشف الوجودي الإلهي، فالأولون نقلوا من حجاب الكثافة إلى حجاب اللطافة اللطافة، والناطق المحمدي ينقل من حجاب اللطافة إلى حجاب الشفافة، والناطق الرحماني ينقل من حجاب الشفافة إلى العين بسلب الإضافة، فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وماله، والناس أجمعين»[1].

﴿قُلْ كُونُوا۟ ... مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: 51] من أحب صورة التبس بها: «المرء مع من أحب»[2] أي: في شأنه وأمره، علم أئمة الهدى بالمرتبة الربانية أن كمال مأموميهم في التحقق بأنوار أرواح تلك المرتبة، وإنّ لا سبيل إلى ذلك إلا بصدق المحبة، ولن يصدق الحب إلا في معروف بلا ريبة، فأقاموا المعجزات للتعريف بالأحبة، وشرعوا الشرائع بين مؤكدات للقربة وحافظات من أسباب الحجبة، وكلها صيانة من التغير لجوهر المحبة حتى تفارق نفس المحب كونها على صدق حبه، فيتحقق بما أحبه.

ليست جميع الأعمال المشروعة مشروعة إلا صيانة بجوهر المحبة للحق المشرع عن التغير فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [المائدة: 48] أي: بالدلالة عليه وبالكون مع تلوينه كما يشاء فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: 48] الآية، من نظر إلى ظاهر الدنيا وما فيها ولم ينظر إلى باطنها ورجوع أمرها إلى الواحد القهار فقد نظر أكواناً أكواناً

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه أبو داود (4/ 333)، والنسائي (6/ 344).

ظلمانية، فإذا نظرها بعين البصيرة الربانية نظراً باطناً نورانياً يهدي إلى الحق ويرشد إلى حسن القيام بحقوق ربوبيته على مظاهر عبوديته، فقد نظر عالماً نورانيًّا، وبدلت تلك الظلمات أنواراً، فبدلت الأرض مع الإيمان، والذكر غير الأرض مع الغفلة، وكذلك السماوات «الآية»؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟﴾ [إبراهيم: 48] الآية هذا بروز المفارقة لحكم مادة الكون والفساد حين تجرد النفوس عن هياكلها الكائنة بالموت «من مات فقد قامت قيامته»[1] فتنطوي المحسوسات التي كان يحسها عن إدراكه كما تنطوي عنه بنومه، وتبدل له إنشاءً جديداً كالذي يراه من مثالات تلك المحسوسات في منامه، ولكن النائم يرى ذلك مع بقية تعلق بهيكله الذي نام عنه، فيشوب إدراكه شائبة حكم المزاج الكثيف وقصور استعداده، والميت يفارق ذلك الهيكل بالكلية فيتم إدراكه لما ينكشف له بعد ذلك، والنفس لا يمكن أن تحس محسوساً إلا وهي في هيكل مشخص، ولا تشخص بحسبها إلّا متشخصاً لكن بحسب العالم التي هي متعلقة بمادته يكون تشخصاً، وتشخص محسوسها من اللطافة والكثافة والشفافة، ففي ذلك تتفاوت الدرجات ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: 26]؛ فافهم.

وكما أن النائم مع غيبته عن هيكله بالنوم يقوم في هيكل آخر قد يكون كالأول وقد لا يكون، وفي كل يكشف ما كان له إليه نفوذ من عوالم إدراكه، هكذا الميت حين موته يقوم في إدراكه بهيكل يناسب حاله ومقامه ويكشف في قيامه به عياناً ما كان انكشف له قبل ذلك من عوالم إدراكه وعلمه إيماناً وعرفاناً وإيقاناً كما صح في الحديث: «يبعث المرء على ما مات عليه»[2]، ولهذا جاء: «لا يموتن أحدكم إلا، وهو حسن الظن بالله ربه»[3] لأنه يبعث في هيكله الذي يقوم به على ما مات عليه من مدركاته في هيكله الذي يفارقه بالموت إن فارقه مميزاً وإنْ فارقه قبل تمييزه، فهو لمن غلب عليه من النفوس المفارقة.

ومن ثمّ نشأت التلامذة والأتباع فالأستاذ والمتبوع غالب بما هو فيه أستاذ متبوع؛ لأنه متقن له، والتلميذ والتابع منفعل له مغلوب لموضع سذاجته من ذلك، ولذلك لا ترى كاملاً في أمر ينفعل لمتغلب به إنما تنفعل النفس لأمر مع حصوله لا بعد حصوله، فإنَّ تحصل

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (6/ 268).

(2) رواه الدارقطني في «العلل» (5/ 93).

(3) رواه البيهقي في «السنن» (3/ 378).

الحاصل محال؛ فافهم ذلك.

وفي حالة هذا البعث يظهر للنفس حقيقة ما كانت فيه قبل ذلك من جد ولعب ونفاق وإخلاص، وينكشف لها كل ما وعدها به الصادقون أو ألهمته ذوقاً؛ لأن الذي كانت تجده قبل تلك المفارقة ذهناً باطناً صارت تجده عيناً ظاهراً، وثبوتها فيه بحسب يقينها به، فكل ما وعده الصادقون حق واقع الطريق وكيف يعلم الله تعالى ويشاء، فالميت يأتيه منكر ونكير، وهما صورة إنكاره وتنكيره، فإنْ كان منكراً للمنكر متنكراً على أهله في اعتقاده الثابت عنده ببرهانه، أتياه في صورة اعترافه بالمعروف وتعرفه إلى أهله في اعتقاده الجازم عنده ببرهانه وتلك هي الحياة التي يحبها منها ويرضاها، وبذلك يثبت على معتقده ومن عكس انتكس، وبهذا الكشف أيضاً يظهر لك كيف يفسح في النص «يمد له في قبره مدّ بَصَره»[1] أكثر من ذلك، ويجد فيه ما وعد، وكيف ينكشف له ما اعتقده من المعتقدات الأخروية على ما اعتقده هذا؟ وهيكله الذي فارقه رمياً في إدراك المدركين من عالمه، كما كان يرى ما يرى في منامه، وجسمه في فراشه بين حاضريه على ما به لم يظهر عليه عما هو به في منامه أثر إلا أحياناً كضحك أو حركة لموضوع بقية علاقته به.

فكلُّ ما وعده الصادقون حق والعالم على حاله عند مدركه لم يتغير، فالسماوات والأرض وما بينهما، وكل شيء محسوس فإنه هالك متبدل بسواه، في كل ساعة بعدد من يموت أو ينام فيها، وهو ثابت عند من لم يمت ولم ينم على ما هو يدركه عليه فهذا أمر مذ شاءه الفعال لما يريد لم يزل ولا يزال ما دام يريده ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة:147] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:95، 96]، والله أعلى وأعلم.

ملوك الدنيا محتاجون إلى ملوك الآخرة، فمن شكَّ في ذلك؛ فإن غناء ملوك الآخرة عن ملوك الدنيا يظهر له في الدنيا بزهدهم وعناية الحق بهم، وغناء ملوك الدنيا عنهم لا يظهر للشاك صحته من بطلانه إلا بعد الموت حين يفوت الفوت ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:3] كما يقول آزر لإبراهيم يوم القيامة: «يا بني اشفع لي، فأنا اليوم أطيعك»، وذلك حيث لا تنفعه شفاعة الشافعين، ولو فعل ذلك يوم قال له: ﴿ قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم:43] لكان من الفائزين فإن كنت ذا بصيرة صالحة لنفسك ووجدت أحدا من ملوك الآخرة؛ فلا تَشُكَّنَّ في احتياجك إليه وإن كنت ملكاً، ولا في غناه عنك وإنْ كان فقيراً مملقاً؛ لأن الدنيا دار غربته وتنكرهن والآخرة دار تعرفه وظهور دولته، فتعرف إلى

---

(1) رواه أحمد (4/ 287)، والطبراني في «الأوسط» (3/ 106).

الملوك عند غربتهم وتنكرهم بما تحب يجاوزونك به عند تعرفهم في دولتهم فافهم، فمن قبل النصيحة أمن الفضيحة، والله أعلى وأعلم.

جاء في حديث الشفاعة: «فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع.... » الحديث[1].

فلا يشفع عند الحق إلا من كلمه بلا واسطة ورآه بلا حجاب، وهو الجليل عن الإحاطة وأدنى ذلك مرتبة إلهام الرشاد وعرفان السداد وهكذا كل شفيع عند مشفعه وإلا فالوساطة هو المشفع، وإن كان هو شفيعاً عند من ليس بينه وبينه وساطة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ﴾ [البقرة:255].

واعلم أن من أرشدك إلى ما به تخلص من غضب الحق وتحصل به في رضوانه فقد شفع فيك، فإنْ أطعته واتبعته وقبلت منه فقد قبلت فيك شفاعته فنفعتك، وإلا فلا، فنعوذ بالله من حالة قوم ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:48] حيث كانوا ﴿عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾ [المدثر:49]؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

كل ما لا يثبت إلا بالنظر إلى مغاير، فهو من أحكام التعليل؛ فافهم.

وقل: اللهم عافنا من كل علة، وأطلقنا من أسر الإمكان بسر الوجوب، والله أعلى وأعلم.

ما دامت ميزان العدل منصوبة ويد الفضل مبسوطة، فلا تحرج صدرك لضيق عرضك إذا اشتد، فإنك ما دمت ناظراً إلى فضل ربك أتاك فرج بقدر ذلك الضيق، كما أنك لو جئت لغني كريم حليم يتصدق بميزان فسألته شيئاً من صدقته؛ فقال لك: أحمل تلك الصخرة وأتني بها، فحملتها فأجهدتك حتى أتيته بها، فوضعها في كفة ووزن لك قدرها من الذي أردته منه، فإن ذلك أحسن لك من أن يقول لك ائتني بريشة لا يثقلك حملها ليعطيك وزنها، ومن ثم قال: اشتدي أزمة تنفرجي يعني على قدر شدتك ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8] إنما المصيبة صخرة من أثقلت حمله، وهو معرض عن المعطي فافهم، وتوجه إلى ربك دائماً تغتنم ولا يغمنّك مع حسن تدبيره همٌّ، فالله أحسن ﴿حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50]، وهو أعلى وأعلم.

الحق حبيب النفس العاقلة المدركة ومطلوب طلبها الجوهري الذاتي لها والعالم

---

(1) رواه البخاري (1/ 183)، ومسلم (1/ 180).

الروحاني نزهتها وجنتها والبدن لها كالبيت، الحواس أبوابه العامة، والمشاعر أبوابه الخاصة، وحسن تخطيط ذلك البدن وصحة مزاجه وغلبة قواه الطبيعية كالبيت المزخرف المتقن البناء والضد بالضد، فالبدن الذي تعرف النفس حال علاقتها به الحق وتدوم أو يكثر أنسها بمشاهدته، ويطيب وقتها بنفحاته وأنوار معارفه وعوارفه، واطلاعها على عالمها الروحاني دار عيش يطيب بوصل الحبيب في سرور رحيب، فهي وإن كان خصاً خير لساكنها من قصر مشيد يسجن فيه ويحال بينه فيه وبين ما يريد، ويقارن فيه بما يمنعه من رؤية حبيبه ويصده عن إدراك مطلوبه.

بل هذا السجن كلما قوي بنيانه كلما اشتد على ساكنه حصراً، فلا يحملنك رؤية المحجوبين عن الحق وإن أعجبتك أجسامهم وكثرة ملهياتهم على حزنك تُوهن جسمك وإقلالك مما أغفلهم، وقد أسعدك الحق برضوانه دونهم، فإن الحزن لذلك غفلة لا تليق بأهل الوصلة فافهم ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: 36]؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: 35] أي: نور السماوات والأرض مثل نور الله، وهذا المثل هو العقل الناطق الإنساني الأدمي هو المثل الأعلى في السماوات بإدراكه الروحاني المفارق، وفي الأرض بإدراكه الجسماني المتعلق ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [الروم: 28]، ومعنى السماوات: الحدود الفاعلة، ومعنى الأرض: الحدود القابلة، والنور هو البيان الرافع للإبهام[1] ونور الله تعالى هو العلم الفعلي الموجب لمعلومه؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[البقرة: 87] الروح الأمين على ما يتلقاه من روح القدس هو الفكر الصادق، وروح القدس هو العقل الناطق الحكيم الحاكم في النفس الحيوانية التي يظهر فيها بما يقدسها بالفضائل من الرذائل، ويطهرها من المآثم بالمكارم، وينزهها عن النقائص ويمدحها بالخصائص في كل عالم ومقام بحسبه واعتقاداتها الواضحة البرهان من جملة ذلك؛ لأن تنزيهها لها عن الأوهام وتحكماتها لا للمعتقد فيه؛ لأنه هو نفسه على ما هو عليه سواءً عرف الناظر أمره أو جهله؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

لما شُد إبراهيم وألقي في المنجنيق، وهو على يقين من أن ربه به حفي نظر في حالته

(1) قال الشيخ للمصنف: حصل في كلمة الإبهام والنفي الأول، كالغين والعين ذات واحدة هي بعينيتها مجردة غنية في قيامها عن النقطة، حال ما هي مقيدة بغينيتها، محتاجة إلى النقطة، فإذا تجردت عن غينيتها بالتجرد عن غينيتها بالتجرد عن نقطتها رجعت عيناً فقط.

تلك فهم منها أن ربه يقول له بلسانها: أسلم فأنا أحكم ما أريد فقال بلسان حاله حيث لم يلتفت للاستغاثة بدعاء ولا بغيره: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:131]، وبذلك عادت النار ﴿ بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا ﴾ [الأنبياء:70] في أذيتهم له أن يرجع عن دينه فثبته ربه، فجعلهم الأسفلين الأخسرين، وجعله هو الفائز بالمقام الأعلى؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [فاطر:31] ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [يونس:37] أي: ينفخ بكشفه وبيانه في قلوب الحاضرين بين يديه حضوراً إيمانياً أرواح الصدق فيصيروا من الصادقين، وأما تصديقه للكتب الماضية بمطابقة ما فيه لما فيها فشيء معروف، فافهم، والله أعلى وأعلم.

الميزان: التمييز الصحيح فإذا نظرت لمن له أمر لهم يبلغ مبلغه فيه رجل آخر فقد رجح عندك البالغ على من لم يبلغ مبلغه، ومن ثمَّ وزن واحد بمائة فرجحهم، وبألف فرجحهم، وبأهل الأرض كلهم فرجحهم، وبالعالم كله فرجحهم، وبالعالمين الأولين فرجحهم فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:39] أي: إن لكم لما تشغلون هممكم به عن غيره وتتوجهون بوجه محبتكم الصادقة إليه عاملين على تحققه بسلوك طريقه وتعاطي أسبابه.

واعلم أن الآدمي خليفة الحق في الأرض، فمهما حكم به هذا الحكم المتقدم ذكره أمضى له الحق حكمه إن حكم على نفسه بأنه من أهل السعادة، وأنه عبد الحق وحده، هذا الحكم الذي ذكرناه أمضى له الحق حكمه فجعله من أهل السعادة عبيد الحق وحده؛ لأنه سبحانه وبحمده ما استخلفه، ونفخ فيه من روحه إلا وهو يحكم بحكمه الذي لا معقب له، وإن حكم بنفسه بضد ذلك الحكم المتقدم أمضى له حكمه.

ألا ترى في زمن حكمه على نفسه بالشقاوة كيف تظهر عليه نفحاتها بما يتعاطاه ويفيض فيه، فهو إذ ذاك شقي في شقاوته التي حكم بها على نفسه، فإذا أقلع عن ذلك وحكم لنفسه بالسعادة حصل فيها فظهر وعليه نفحاتها؛ فافهم ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:7]، والله أعلى وأعلم.

الفقد عبوره في لا، والوجد عبوره في نعم، فقابل كل حكم أتاك من الحق باختياره لك بنعم يجعله عليك نعمة من النعم؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: 34، 35] لم يروا أن ذلك بعملهم ولا باستحقاقهم، إنما ذلك بفضل

خلاقهم، لذلك أقروا بالحمد كله له دون الأسباب؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

كل مدرك بل كل كائن غلب حكم روحه على حكم جسمه غلبة محضة فهو أخروي والمعكوس دنيوي، والذي تارة وتارة أو ليس عليه حكم روحه محضة فهو برزخي[1]، والروح القائمة بالكائن هي كلمة الحق فيه كما أشار على ذلك بقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: 171]؛ فهنا عطف بيان للكلمة بأنها الروح، فإنْ اقتضت فيه أحكاماً مشكورة عند الحق فهي كلمة الحسنى وإلا فهي كلمة العذاب، إن كانت مقتضياتها مذمومة عند الحق، ويوم القيامة هو ما يظهر للمدرك به ما هو باطن عن إدراكه في دنياه، فكما أنك الآن مثلاً ترى أن روحك باطنك وجسمك ظاهرك، هناك ترى روحك ظاهرة وجسمك باطناً في حكمها وقوتها، وبذلك يحل كل مدرك بإدراكه في درجاته أو دركاته واقتضاه تلك الروح هو القرين.

فمن التبس بقرين رحمة ملك كريم دخل الجنة، ومن انعكس انتكس، وظهور هذه البواطن يومئذ هو المقول فيه: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: 37] فيصير حكم القلوب ظاهراً على حكم القوالب، فمن كان قلبه خير ظهر عليه ظاهراً حتى إنه يرى نفسه ويراه الراءون بمثل حسه على صورة معتقده ومحبوبه الذي كان مرتسماً في قلبه، كبيراً في صدره، فلذلك يدعي باسم إمامه؛ لأنه التبس بصورة محبوبه، وكان هو الصورة التي كبرت في صدره، ويعامل المعاملة اللائقة بتلك الصورة، فمن ثمَّ كان لكل من كتب محمد بقلم المحبة والإيمان في قلبه السليم شفاعة يوم القيامة ودرجة رفيعة ووسيلة ومقام محمود، وله من خصوصيات محمد كلها نصيبه بحسب قبوله لتلك الصورة المحمدية وتمام ظهور نورها فيه، فـ «المرء مع من أحب»[2] في حاله ومقامه على قدر صدق حبه وإخلاصه ولا محبة إلا لمعروف، فالأصل معرفته هل هي تامة أو ناقصة، فعلى قدر المعرفة يكون الحب، وعلى قدر الحب يكون القرب.

وتقلب الأبصار أن يظهر حكم البصائر في الأبصار فما لا يصح له في دنياه أن يراه إلا إيماناً، يراه يوم القيامة عياناً، وكل من رأى الآن ما لا يراه الناس فما رأى ذلك حين رآه إلا وهو في حال قيامي، فافهم ذلك ما ثمَّ تناسخ، وإنَّما كل يظهر عليه بعد موته صورة ما بطن فيه قبله، فالذي ظهر هو الذي كان باطناً يوم تلد الظواهر بواطنها التي كانت حاملة بها يوم ﴿تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: 2]؛ فافهم.

---

(1) قال الشيخ المصنف: البرزخ: وسط حاجز، وحجر محجور بين الدنيا والآخرة، ينتهي بالحصول في آخرها، وأول الأول خيره في حق كل أهل مستقر حصولهم في مستقرهم.

(2) سبق تخريجه..

إذا ظهر الباطن وبطن الظاهر في عالم اشتبه أمر من ظهر عليه ذلك الذي كان فيه باطناً على أصحاب المدارك القاصرة على كشف ذلك العالم، فتشابه قلوب المتقلبين في الأطوار عليهم؛ فافهم.

من عرف الحق، ولم يشغله عنه شاغل حتى مات على ذلك صدقت عليه أنوار صفات الحق بقدر معرفته وحبه فهو المليك المقتدر ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور:35] ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [الرحمن:1] أي: موصوف المعاني الثبوتية ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن:2] أي: حقق الجمع على الله للبواطن، وعين جمع الخلق على الحق في الأوامر ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: 3] أي: قدر الناطق مرتبة عينية لظهوره بسره وأمره ﴿ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن:4] أي: أوجده تمييز مراتب الأعيان في السر والإعلان، وباقي السورة تفصيل بياني بفهم ما تقدم؛ فافهم[1].

العاقل بخيل بعرضه جواد بجسمه، وضده بضد ذلك؛ فافهم.

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ ﴾ [الأنعام:126] أي: موصلاً إليه ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام:126] أي: فاعرفوني بتعريفي ﴿لَهُمۡ﴾ أي: هم واللام لتأكيد ﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الأنعام: 127] أي: هم بيت السلام الحق رب العالمين في الشهود الرباني، وإن لم ير الناس منهم إلا حجاب بشرياتهم ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الأنعام:127] أي: المتصرف فيهم وبهم، فهو سمعهم وبصرهم ويدهم ورجلهم وفؤادهم ولسانهم وكلهم؛ فافهم.

الجسم صورة معنوية تدرك بواسطة الجرم المتحلل المتركب، فجسم المخصوص بالله هو الجسم الذي لا كالأجسام لموضع خصوصية معناه المتعين المتصرف به في الأكوان فافهم.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:16] أي: تخلق بأخلاقه وقم بحكمه؛ فافهم.

كلٌّ أخذ مرتبته المتميزة في الموجودات فافهم.

لا يسبق إلى أمر إلا من سقطت أو ضعفت رابطته بضده، وكلما كان سقوطها أو ضعفها أتم وأقوى كان سبقه أتم وأقوى، ومن هنا نعلم أن أبا بكر كان أضعف رجال قريش رابطة بما كانوا عليه مما يضاد الهدى المحمدي، ولذلك كان أسبقهم إلى الاهتداء بذلك الهدي

---

(1) أصحاب السر، وهم قومٌ سترهم الله وأخفاهم عن خلقه، بحيث أنهم إن حضروا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يُذكروا، وهم الذين ورد فيهم الخبر عن رسول الله ﷺ في قوله: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه» [لطائف الإعلام ص14].

وعرف الهادي منه فقال له: «بعثت إليك خاصة، وإلى هؤلاء الناس كافة»[1] فيا فوزه بتخصيصه؛ فافهم، واعرف الحق حيث ظهر، وسابق إليه، والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

الصوم الثبوت على أمر واحد لقولهم: صام النهار إذا وقفت الشمس في مستواها فـ ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:26]، أي: نذرت ثبوتاً للرحمن على إفراد مشاهدته فلا أشهد سواه ونحو هذا.

وما الصوم لعمرك إلا الثبوت للحق وفيه فافهم.

ليلة القدر هي الليلة المباركة، وحقيقتها فطرة المؤمن التي يتحقق فيها صور الأمور الربانية، وهي المعبر عنها بالملائكة ومحققاتها والمقاصد بها هي الروح التي فيها وهذا التحقق هو التنزل فيها: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر:4] أي: بحقيقة الكشف والبيان الرباني وهذه الحقيقة المعبر عنها بالإذن الرباني هي ناطقة الهادي إلى الحق بحكمته الربانية من كل أمر يحصل ذلك التنزل بالإنزال، أي: من كل شأن فيخرج من كل شأن بالكشف والبيان ما خبأ فيه من الحكم الربانية، وقرئ ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:4] أي: تلك فطرة ربه التي فطره عليها ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ [القدر:5] أي: سالمة من شوائب الغفلات، وموانع قبول التجليات الربانيات بصحيح الاستعدادات النفسانيات والجسمانيات.

وأيما ساعة زمانية صح للعبد فيها هذا المقام، فقد ظفر حينئذ بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن وفصل فيها ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:4] وسميت تلك الساعة أيضاً ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1] وليلة مباركة في أي الزمان وقعت، ولما وقع هذا في شهر رمضان الشرعي، وكان حقيقاً باستمرار حصول هذا المقام فيه لما يقتضيه في النفس إذا تحققت به من محوياتها البشرية المانعة من تمام تلقي الملائكة والروح فيها وتنزلهم فيها حتى تسمى بذلك المحو ليلة كما جاء: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء:12]، قيل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:185]، وأمر بتحريها في رمضان سيما في العشر الأواخر منه، وذلك حين تمامه واطمئنان النفس به وتمكنه منها.

وأما كونها في كل أيام السنة أو في كل أيام رمضان أو في بعض أيامه دون بعض كما هو مذهب علماء الرسوم، فذلك لتنوع مراتب الاستعدادات وتنبه على أن ثَمَّ من زمانه كله ليلة قدر وثَمَّ من لا يظفر بذلك إلا ساعة واحدة إن ظفر، وبين ذلك درجات فافهم.

اطلب الظفر بحقيقة ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1] في حضرات الأفراد الأوتار المحبوبين

---

(1) لم أقف عليه.

الواصلين العبد السالم الصدر لهم إلى ربه؛ «فإن الله وتر يحب الوتر»[1] الجامع بين العبد وربه وفي الأوتار تطلب ليلة القدر أو في ليلة أربع وعشرين؛ لأنها ليلة الكامل، فهي إشارة إلى حضرة الكامل، وتطلب ذلك متحد بالصوم، وهو الثبوت على التجرد من الشواغل عن الحق فافهم واعرف حقائق الحق، والزم تغنم ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم:60]؛ فالحق أبلج، وهو ﴿ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾ [يونس:35]، والله أعلى وأعلم.

جاء في الحديث: أن رجلاً من المؤمنين، قال: يا رسول الله! إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، فقال عليه الصلاة والسلام: «ليس ذلك الكبر إن الله جميل يحب الجمال»[2].

فيه إشارة إلى أن الله يحب ألا يرى في أحد من عبيده نقصاً لا باطناً ولا ظاهراً؛ لأن العبد من مولاه وأمره راجع إليه؛ ولذلك جاء: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[3]، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ [الضحى:11] أي: الباطنة والظاهرة ﴿فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11] أي: بألسنة الأقوال والأحوال؛ فافهم.

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ [الأنبياء:81] والآيات إلى قوله: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء:82] انظر كيف وهم هؤلاء حفظهم الحق لما كانوا في خدمة أحبابه وأوليائه العارفين بصدق.

فيا من أراد أن يكون في حفظ رب العالمين توصل إلى ذلك بحسن خدمتك لأوليائه العارفين، ويا من زعم أنه محسن في خدمة الأولياء العارفين توسم، فعلامة ذلك أن تكون في حفظ رب العالمين، وحفظ رب العالمين يمنع الخروج عن مرضاته والوقوع في مخالفة أهل عناياته، كما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ [النساء:34] أي: الملازمات مرضاته ﴿ قَانِتَاتٌ﴾ [النساء:34] أي: مطيعات ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ [النساء:34] أي: من بصلاحهن وقنوتهن حافظات غير واقعات في مخالفته ﴿لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء:34] أي: بما أمرهن الله به من حفظه إلهاماً وتعليماً؛ فافهم، واعرف، والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا﴾ [الشعراء: 62، 63] الآية رتب هذا الوحي على هذا القول بالفاء فأشعر بغلبة القول للإيحاء فمن قال بصدق حاله وتعرفه بربه ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي

(1) رواه البخاري (5/ 2354)، ومسلم (4/ 2062).

(2) رواه مسلم (1/ 93)، وأحمد (1/ 399).

(3) رواه الترمذي (5/ 123).

مُّسْتَدِينِ﴾ [الشعراء:62] ألهمه ربه رشده فيما يحاول؛ فافهم.

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:1] إلى قلوب أهل الولاء فيها روح وداده إلى قلوب عباده ونفوس أهل إمداده إذا محيت آية رعونات النفس بنور شرح الصدر لها صارت بحسن قبولها لأمور هاديها ليلة قدر ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر:2] تنزل فيها بالتقربات البيانية والكشوفات الروحانية، الملائكة النورانية وهم صور الأمور الربانية وفيها الروح العرفانية الرحمانية ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ [القدر:5] بالمقامات الإسلامية والإيمانية والإحسانية ﴿مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر:5] فجر التحقيقات العيانية، فهناك يكون السلام من السلام إلى السلام في حضرة ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:78]، وهي فطرة تلك النفس حينئذ فافهم.

وكلما تخلقت بأخلاق هاديك وقمت بقيوميته باطناً وظاهراً، فأنت لتنزل أرواحه وبصائره ليلة قدر مباركة، ويوم جمع مكرم ظهرت فيه معاني جلاله وإكرامه على قدر تخلقك وتحققك كما تقدم، والله تعالى أعلى وأعلم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص:14] فرتب إتيان العلم والحكم على بلوغ الأشد والاستواء، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [القصص:14] إشارة إلى العلم والحكم ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[القصص:14] أي: على إحسانهم وهو عبادتهم مشاهدين لمعبودهم، فرتب إتيان مثل ذلك العلم والحكم على الإحسان، فربما فهم من هذا أن حقيقة الإحسان هو حقيقة بلوغ الأشد والاستواء، فمن تحقق له مقام الإحسان فقد بلغ أشده واستوى، ولو كان صبياً ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم:12]؛ فافهم.

ظل العالم الجسماني عالم تهيئة وتمحيص، فلا يقع فيه التأثير الرباني إلا من وراء حجاب، والعالم الروحاني عالم تحقيق وتخليص، فلا يقع فيه التأثير الرباني إلا كشفاً، مثال هذا ما تريد طبخه من الأغذية وتهيئته لتتغذى به لو أنك وضعته في نفس النار بلا حجاب قدر ونحوها لاحترق، ولم يحصل منه مقصود، فإذا حل في باطنك، وهو في كيس من آدم مربوط أو وعاء مختوم لم يحصل منه مقصود في استخلاصك لخاصيته والحادك بها فكذا ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى:51] باطناً كشفياً ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب:53]، وساطياً ظاهراً؛ فافهم.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:40]، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:41] المحبة دائر معها التوحيد والاستخلاص، فمن أحب شيئاً لا يريد أن يكون فيه شريك ووحده عن مشاركته في متعلق محبته منه، حتى الرجل يحب امرأة فلا يريد له فيها شريك،

وكذلك المرأة تحب الرجل فلا تريد لها فيه مشارك، وقس على هذا فما أحب الله عبداً إلا ملأه بالله، ولا كره الله عبداً إلا ملأه بسواه، واعلم أن الروح الناطق الأشرف الألطف هو صورة حب الله؛ لأن يعرف، ويتعلقه بالقلوب كانت القلوب بيوت المحبوب علّام الغيوب وغاية المطلوب فافهم.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: 3] المصير إليه علم أن لا إله إلا هو، فمن علم أن لا إله إلا هو علم أن ليس في الحقيقة إلا هو، وهو المتجلي لكماله في مراتب جلاله وجماله، والمستوي بأسمائه وصفاته على مراتب أفعاله؛ فافهم[1].

من أجمع الكلم قول الحق تعالى: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾ [الأنعام: 139] فانظر أي وصف تحب أن تجازاه، فاتصف به إنْ اتصفت بالإكرام أكرمت، أو بالكرم عاملك الكريم الحق باسمه الكريم، أو بالإجلال أجلك، أو بالتعظيم عظمك، وامش على هذا الترتيب ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]؛ فافهم.

إنّما روح المتعلم من روح المعلم، وعقل المستفيد من عقل المفيد، فرع من أصل فغايته وكماله أن يتعين في ثمراته صورة أصله، كما تتعين النواة التي هي الأصل في الثمرة عند كمالها، وعلامة ذلك أن يكون المريد كنون الوقاية لأستاذه يقيه في تجريده من تأثير الحروف في فعله لكمال شهود المريد في أستاذه، وتمام فنائه بصدق حبه بين يديه، كما تقي الثمرة النواة بكونها، ولا كمال لكل ثمرة إلا وجد صورة أصلها في باطنها وجدا عينياً وحدانيًّا؛ فافهم.

أيما مريد أو تلميذ أراد الكمال بغير أستاذه وهاديه فقد أخطأ طريق المقصود، أرأيت الخوخة تكمل بأن تجد نواة الثمرة، أو الثمرة تكمل بأن تجد نواة الخوخة، فهكذا كما أن الثمرة لا تكمل إلا بوجود النواة التي هي أصلها، والخوخة لا تكمل إلا بوجود النواة التي هي أصلها، فكذلك كل مريد لا يكمل إلا بوجود أستاذه، متعيناً عنده بحقيقة نفسه وروحه وقلبه وفؤاده فافهم.

جاء في الحديث: «أنا دعوة إبراهيم»[2] أي: مدعوه، وهكذا كل صاحب زمان هو مدعو صاحب الزمن الذي قبل زمنه، وكل ذي مرتبة هو مدعو صاحب ذوي ما دون مرتبته

---

(1) قال الشيخ المصنف: الرب المتجلي له في تلك على جِدّه، وتعبده له بما يجده في نفسه من نعيم استحسانها، وأبهته بها، والفرح بتوهمه أن الأعين شاخصة إليه بسببها، وأنه رأس وتزيّن بين الناس من أجلها، فعبدَ الحقَّ في مظهرٍ، وهي عبادة وهمية، فأثابه ثواباً وهميًّا.

(2) رواه البيهقي في «الشعب» (1/ 294)، وابن سعد في «الطبقات» (1/ 150).

من المراتب، وكل خاتم هو مدعو مختومة؛ فافهم.

جاء في الحديث: «أنا دعوة إبراهيم»[1] أي: صورتي البشرية تمثل روح دعوته الربانية فكما أنَّ روح الدعاء إلى الله الحق المبين يتمثل ببشرية الكامل الإمامة والهداية، فكذلك الوهم الداعي إلى الباطل يتشكل بأبشار أئمة الضلال.

وقول: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة:129] الآية يدلك على أن هذا المبعوث فيهم منهم، تمثّل روح عرفانهم وإيمانهم وصلتهم بالعزيز الحكيم، فهكذا كل إمام هدى هو في بشريته تمثل روح هدي مأموميه وإيمانهم وصلتهم بالله مولاهم الحق، وكل إمام ضلالة يدعوه إلى جهنم فيتبعه إلى أن يكون حطبها.

وكل إمام ضلالة هو تشكل كفر مأموميه، وضلالتهم وغوايتهم وغفلتهم وبعدهم عن الحق، فمن لم يرض بالحق ولم يؤمن بأئمة الهدى إليه تشكل له سخطه وكفره إماماً بضلاله يدعوه إلى جهنم فيتبعه إلى أن يكون حطبها، ومن رضي بالحق، وآمن بأئمة الهدى إليه تمثل له روح رضاه وإيمانه إمام هدى يدعوه إلى السلام، وداره فيتبعه إلى الحصول في أعلى الدرجات ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: 72].

فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

ألا ترى كيف لا يتبع كل إمام ضلالة إلا أهل الغي؛ لأنه صورة غيهم تشكلت لهم حتى رأوها فصبوا إليها فمن ﴿ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: 8] مشكلاً، ومن هنا يتبع الدجال كل من في قلبه شيء من كفر، ونفاق، ولا يتبع كل إمام هدى إلا أهل الهدي؛ لأنه صورة هداهم تمثلت لهم حتى رأوها فصبوا إليها ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: 7]، متمثلاً، وانظر كيف ائتم الملائكة والأنبياء كلهم بخاتم النبيين في ليلة إسرائه وكيف يتبع الإمام المهدي المنتظر إذا ظهر كل من في قلبه شيء من خير وهدى فافهم .

﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:39]، فمن هنا كان الرب لعبده عند ظن عبده به في كل أمر بحسبه.

ألم تر كيف قال الملأ من بني إسرائيل لنبيهم: ﴿ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا ﴾ [البقرة:246]، فظنوا أن ربهم يؤيدهم بملك مبعوث لهم لا عليهم فقال: ﴿ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة:247]، فكان لهم عند ظنهم به سبحانه وبحمده فلما ﴿قَالُوٓا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:247]، وظنوا بربهم ورغبتهم الظنون كما قال إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾

(1) سبق تخريجه.

[الأعراف:12] ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة:247]، فكان لهم عند ظنهم وأرغمهم بأن ﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة:247]، وأظهر لهم أن الأمر راجع لإشاءته لا لتشهيهم، وإنما ظنهم ورغبتهم مظهر ما شاء لهم فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ... الآية﴾ [البقرة:247]؛ فمن تلقى حكم ربه بالرضا، وحسن الظن فله الرضا والحسنى وزيادة، ومن انعكس انتكس ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50]؛ فافهم.

﴿ لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة: 118]، لا حكم إلا له، وليس إلا هو، فلا رأي للعاقل إلا أن يسلم فيسلم؛ فافهم.

كيف يخاف الباطل من عرف الحق فهو مولاه ونصيره، وهو يرى من توهم حقيقة الباطل يعتمد على باطله حتى لا يخاف معه حقًّا توهم بطلانه، وإلى ذلك أشار الخليل بقوله: وَكَيْفَ ﴿ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ ﴾ [الأنعام:81]، الآية أي: وأنتم لا تخافون لـ ﴿ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: 81، 82]، محقق وهم يهتدون حقًّا إلى ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال:40].

وانظر كيف لم يطلب كل طالب إلا الحق لكن تارة يظفر به حقًّا فيعبده على مكاشفة، وتارة يظفر به وهماً فيعبده على حجاب أنه ما توهمه إياه فما عبد عابد في الحقيقة إلا الذي لا معبود حقيقة سواه ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: 3]، فافهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يونس:60]، مطلقاً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ [يونس: 60]؛ يغفلون عن شهود ذلك الفضل، وتحقق نسبته إلى الله قولاً وعملاً، وتحقيق العمل على شاكلة ذلك، فكأنهم بذلك جاحدون، وهم ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس:60]، فالاستدراك من شمول علو فضل الناس؛ فإنه ليس بظاهر إلا للشاكرين، وإن كان ظاهراً لهم على الكل؛ فافهم.

من تعلق بغير مولاه الحق ضره، إما بأن يحبه فيشغله عن مولاه ما منه فتنه، أو يكرهه فيشغله عن مولاه ما به حزنه، فلا راحة للمؤمن دون لقاء ربه، ولا يلقى ربه، وفيه تعلق فالخير كل الخير في مفارقة الغير؛ فافهم.

كمال سعادة العبد في الدارين أن يشغله مولاه الحق بنفسه، ويعصمه من الشغل عنه مع استمرار الرضا والابتهاج؛ فحال ابتهاجي سرمد ليس ينقضي؛ فافهم.

المتقابلات، والمتماثلات، والمتخالفات، والمتوافقات كلها في نظام قوة التمييز، فمن

فثبت قوة تمييزه خلص من أحكام التغايرات، ومراتب دائرته ،ودائرة مراتبه؛ فافهم[1].

دار بك كونك المعقول، وكونك المحسوس؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

ما شرعت الأعمال إلا تذكرة لملتزميها بمشرعها لهم كيلا ينسوه، ولا يصبوا إلى إنزال غيره من حب قلوبهم في منزلته ما دام ذلك مشروعاً، فالأعمال كلها ليست إلا مذكرة بمشرعها ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:14]، ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:24]، والمشرع: هو الحق المبين المتنزل بكل تمثل روح ناطق حكيم فهو واحد في جميع مظاهره، ولا يعرف لكل قوم إلا بتجليه في مظهره الذي بينهم، ولا يتحقق أحد منهم إلا بصدق محبة ما تحقق به، والله أعلى وأعلم يا سيدي يا مولاي يا عزيز يا ودود.

﴿الٓمٓ﴾ [البقرة:1]، الألف الإلهية، واللام واسطة تجمع بين الألف والميم فهي الرسالة والنبوة الواصلة بين العبد وربه، والجامعة بين العبودية والربوبية كشفاً وبياناً.

ألا ترى أن العرب وضعت لا اسماً للألف الممدود الساكن الذي لا يمكن النطق به، واسم لام ليس فيه إلا لا وميم، فاللام عين جامع بين سر الألف والميم، والميم في الآية عبارة عن ملكوت الملك، وهو الحكم الحكيم التدبيري المصلح لنظام الملك و ﴿ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: 2]، هو ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:2]، المبدوء بألف لام ميم؛ لأنه ثلاثة أقسام ليس إلا بيان الإلهية، وبيان نبوة ورسالة، وكلاهما تارة يكون بالأمثال وتارة بغيرها، وبيان تدبير وهذا البيان تارة يكون بالقصص والوعظ، وتارة بالأمر والنهي، وتارة بالوعد والوعيد[2]، وهذه جملة ما احتوى عليه اسم الكتاب فظهر أن ألف لام ميم هو الكتاب بلا شك، و﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:2]، ألف لام ميم الإلهية، والربوبية، والنبوة، والرسالة، والحكم، والتدبير ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:2]؛ فافهم.

تعجب كيف الألف هي نفس مطلق تتعين بصور المخارج التي هي الحروف وتتحقق بصورة كل مرتبة تحققاً لا يعلم منها في تلك المرتبة سواه، فيحكم لذلك بأنها تسعة وعشرون حرفاً متغيرات تغايراً حقيقياً بالوجود والموجود، وليست كذلك إلا للحكم بألا حقيقة في

(1) قال الشيخ المصنف: القابل يطلب فاعله لثبوت ذاتيته به، فهو يطلبه طلباً ذاتياً، والفاعل يطلب قابله لظهور مرتبته به، فهو يطلبه طلباً عينياً، ومن ثَمَّ وقع التحابب بين المتقابلات، وتفاوتت محابهم بتفاوت ما غلب عليهم من أحكام فاعلياتهم أو قابلياتهم.

(2) إن يعد العبد بما لا يفي به فهو المسمى بالمقت الكبير، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: 2]، ولهذا نهى أهل الله عن النذر والوعد لئلا يتعرض الإنسان للمقت الحاصل عن المخالفة بإخلاف الوعد. (لطائف الإعلام ص218).

كل مرتبة إلا عينها، وصورتها التي هي الحرف، ومتى رفع تحقيق الأمر من أصله وأوله حجاب هذا الحكم الوهمي؛ علم أن الكل ليس إلا ذات واحد تعين بصور مراتبه كما يتعين زيد في الذهن بزيد الكاتب، وزيد الشاعر، وزيد العالم، وزيد النائم، وزيد اليقظان فيتعين بمتماثلات، ومتقابلات فيتكثر بالمفهوم وهو واحد في الكل بالحقيقة، ويتفصل هذا الواحد الحرفي في أسماء مراتبه التي يتسمى بها فيها، ألف باء جيم دال قاف إلى غير ذلك، ويعين العلم المبين الحسي في اللوح المادي صور تلك الأسماء تعيناً متنوعاً هكذا « أ ج ع ق »، إلى غير ذلك فيختلف الواحد في تكثره فهماً، ورسماً، واسماً، ورسماً، وهو هو عند تحقيقه ليس إلا هو، ويظهر بكل عين من عيون كثرته معنى من معاني ذاته المتنفسة به لا يظهره سوى تلك العين إلا أن حرفاً من الحروف لا يعطي معناه إلا هو، ولا يتعين إلا ويعطي معناه حتماً، فافهم.

تحجب الهاء في اللسان العربي اسم ذات غائب، والاسم شأنه التعين فمسمى الهاء عند إطلاقها غائب متعين؛ ولذلك كانت ضمير الذات؛ لأن الذات عن الإدراك فيما تعينت به في العلم، وتقويم المتعين لتعينه إحاطة منه بتعينه؛ فلذلك كان رسم الهاء العربي دائرة إحاطية هكذا، فافهم.

الإحاطة الاستيعاب الجمعي فإن كان باعتبار تقويم الذات لجميع تعيناتها بحيث تتميز بأنها ذات الجميع، فتلك إحاطة الوجود، وإن كان باعتبار ظهور الذات بمرتبة مرتبة حتى يتحتم ترتيبها بالحكم الذي به فتحته فتلك إحاطة الدوائر، مثال ذلك أن يفتتح التجلي بتعيين الجملة وجوباً، ثم يفصلها شيئاً فشيئاً حتى يأتي في تفصيلها عن الملة إمكاناً فتتم الدائرة بعود المتجلي بالتجلي بالجملة من طرف الوجوب إلى التجلي بالجملة في طرف الإمكان، فيظهر مرتبة الإنسانية على صورة المرتبة الرحمانية فيكون المتجلي أولاً آخر فصاحب إحدى المرتبتين يكون ظاهراً، والآخر فيه باطناً وإلى هذا الحكم الإحاطي الذي هو حكم إحاطة الدوائر إشارة رسم الهاء العربي هكذا، دائرة عاد أولها آخرها والألف لإحاطة الوجود، فافهم[1].

الرحمن: هو وجود العقول المؤثرة للعالم، والرحيم: وجود النفوس المصورة للعالم فالرحمن اسم الوجود العام من حيث هو المستغرق فهو اسم الهوية السارية، والرحيم اسم له من حيث هو مرسل أي: عام مطلق فهو اسم الهوية المرسلة، والله اسم للوجود من حيث هو المحيط الشامل بكل اعتبار، وهو الهوية المحيطة ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 3]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾

---

(1) قال سيدنا المصنف في «المسامع»: من ظهر فيه الروح الحكيم بإدراكه لا فعله فهو وليٌّ، فالنبوة حيطة الإحاطة الربَّانية، والرسالة منها للفرقان، والولاية للجمع، في كل مقام بحسبه.

[الحشر:22]، والحق: هو الوجود الثابت على مرتبته فالكل حق وهو الحق، فافهم.

العقل الكلي: هو عقل الفلك المحدد للجهات عرشي رحماني، والنفس الكلية نفس الفلك المكوكب كرسي رحيمي وما دون ذلك لوحي؛ فافهم.

الحق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:11]، فلا يكن حظك ما يتشبه بك فيه المبطلون، ولكن تحلى بما لا سبيل للمبطلين إليه، وهما الكمالات المعنوية أرأيت مبطلاً يستطيع التحقق بالحق، أو محبته، أو الإخلاص له، أو شهوده، أو مراقبته، أو معنى من هذا النوع فعلى هذا النوع فعرج تعرج بك إلى أن ترى وتسمع من مكان قريب أو أقرب من قريب، فافهم ودع الاعتماد على ما يتشبه به المبطلون إن كنت حقيًا فالحق واجب التنزيه عن التشبيه، والله أعلى وأعلم.

إذا ظفرت بالحضرة الوفائية الختامية فحسبك فالمقصود قد تم بها ثمّ ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:16]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

أهل النعيم المقيم كلما انتهت دورتهم وتجرد وجودها ثم تعين بها أعادها فيما هو أعلى تعيناً، فإن ما كان لهم قبل ذلك علماً وغيباً، يصير فيهم بعد ذلك حسًا وعيناً، وهكذا يكون أمر أهل الجحيم المقيم في مقابلة ذلك، فحال كل منهم متجدد على الدوام، فافهم.

النفس بفتح الفاء عبارة عن أمر باطن اتسع مظهره المعبر عنه بالمتنفس، وآخرها آخر الأنفاس وهو محيط بها عيناً؛ لأنه مستقرها كما أن الأول محيط بها غيباً؛ لأنها عنه تظهر من غيبه إلى شهادته، فافهم .

كل حي عالم فإنه نفس رحماني إلهي، وكل محقق علماً ومدرك حياة فإنه نفس رحيمي وكل مقدر علماً، وفاعل حياة فإنه نفس رحيمي، والحقيقة المحققة يعبر عنها بالعقل إذا كان تحقيقها في دائرة الفعل، وبالقلب إذا كان في دائرة الإدراك والحقيقة المقدرة يعبر عنها بالروح إذا كان تقديرها في دائرة الإدراك، وبالنفس إذا كان في دائرة الفعل، فالنفس قرين العقل والروح قرين القلب، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، فافهم .

الإلهية نسب الوجود في التقدير لما تعين به من موجوداته، والمألوهية نسب الموجودات في القبول؛ لتقررها بوجودها، فالإلهية باعتبار الهوية السارية شاملة بحكم الاستغراق، وباعتبار الهوية المرسلة مرسلة شاملة بحكم الإطلاق؛ فإن الوجود باعتبار تعينه بجميع موجوداته هو لها هوية سارية فيها عامة عموم الاستغراق، وباعتبار تعينه بكل موجود من الموجودات، هو لها هوية مرسلة عامة عموم الإطلاق فلا تخلو مرتبة من الإلهية بوجودها ولا

من المألوهية بموجوديتها، إذ الإلهية لازمة الوجود، والمألوهية لازمة الموجود، وحيث لا يقوم الموجود إلا بالوجود، ولا يتعين الوجود إلا بالموجود، ولا تتحقق معرفة المألوه إلا بالإله، ولا تتعين مرتبة الإله إلا بالمألوه، وأيما موجود غلب عليه الظهور بنعوت مألوهيته؛ فإن الإله يكون أحب إليه من نفسه؛ لأنه اشتغل بنعتها عن نفسه، وإن كان الغالب عليه الظهور بنعوت إلهية وجوده لنفسه أحب من إلهه؛ لأنه اشتغل بما يوسع موجوديته، ومن ثم دعا السيد الكامل كل عبد؛ لأن يكون إلهه أحب إليه من نفسه وعما سواه؛ فافهم"[1].

الحلقة في دائرة من أتم القيام فيها بحسن نظام العبودية معترفاً أنه العبد مع كمال القيام بنظام الربوبية، معترفاً أن ما جاء به من ذلك فهو لربه، ولربه الحمد والمجد، فافهم.

العقول الناطقة رحمات وجوبية كل منها وسع كل شيء، وكتبه الرحمن على نفسه إذ النفس قابلة العقل.

والنفوس الناطقة رحمات إمكانية فتلك صفات ذات الرحمن، وهذه صفات فعله وصفات ذات الرحيم، فافهم.

والنفوس مشتقة من العقول فصفات العقل مشتقة من صفات الذات، وصفات الرحيم مشتقة من صفات الرحمن، والقابل رحم الفاعل المعين فيه صورته كما يقولون: إن النفس تتعين بالفعل المستفاد من العقل الفعال فتكون به عقلاً بالفعل فعالاً، والله أعلى وأعلم.

اسمع يا بني نصيحة رحمن وحنان محققة الكشف والبيان، إن أردت ثبات أخوة الإخوان، القاصي منهم والداني، وألا تزول مودتهم مدى الزمان، وأن يثنوا عليك بكل لسان، فعاملهم بالحلم والغفران، فبذلك امسك السماوات والأرض أن تزولا ربك الرحمن، وأخبرك ليس بعد الحليم الخبير الغفور من يمسكها يا أيها الإنسان، وأخبرك أيضاً أنه لكونه بهذين الوصفين سبح كل شيء بحمده، وحسبك هُدى هَدي القرآن.

قال الحق تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: 41].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: 44]؛ فافهم واعرف، والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

---

(1) قال سيدنا المصنف: صورة الوجود الواجب في الإمكان هوية مطلقة، متصفٌ صفاته أصلاعه العلم في للواجب عقل فيه، والحياة في الواجب روح فيه، وفروع العلم ووجوهه في الواجب قوى إدراكية فيه.

متى شغل الإنسان قلبه بالأكوان عن ربه الرحمن ذلَّ وهان؛ لأنه جعل نفسه عبد عبده، ومتى شغل قلبه بالرحمن عزَّ؛ لأنه ردَّ نفسه إلى غايته ومجده «خلقت كل شيء من أجلك، وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما خُلق من أجلك عما خُلقت من أجله»(١).

ألا ترى أن الرجل ولو كان ملكاً متى شغل نفسه بحب امرأة ينكحها، أو بهيمة يخدمها، أو حرفة يكسبها، أو أموال يكنزها، أو مهما كان من يشغله عن الحق امتهنته القلوب بعقولها، وإن عظموه في الظاهر رغباً أو رهباً، والرجل ولو كان شحاذاً متى شغل قلبه بربه الحق عظمته القلوب بعقولها، وإن أعرضت عنه لهواً وتكبراً، فالعز في الشغل بالرحمن، وأما الشغل عنه بالأكوان فذلك الهوان، فافهم.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، إنما وعد تعالى بأن يجعله خليفة في الأرض للملأ الأدنى؛ لأنه كان يومئذٍ خليفة في السماء للملأ الأعلى حيث خروا له ساجدين، وكان في خلافته هناك في تعليم الأسماء، وظهر فيها بحكم الربوبية؛ لأنه أقيم خليفة في المرتبة التي يجب لها السجود حتى وجب له ذلك فسجد له كرام الجنود، وإنما جعل خليفة في العالمين لأنه مظهر من يعلم ﴿غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:33]، وما كانا به وله ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:33]، أي: بالأسماء التي هي حقائقهم العلمية ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:33] الآية، وهذا لسان الحقيقة على لسان الخليفة فانظر بأي أمر قام هذا الخليفة القائل: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 33] الآية.

وفي الحقيقة أنه كان في السماوات التي هي مراتب الرفعة الإيجابية عيناً ومثلاً أعلى، وفي الأرض التي هي مراتب الدنو والإيجاد الحادث خليفة، ومثلاً أدنى.

واعلم أن كل ظاهر لباطن لا قيام لذلك الظاهر إلا بذلك الباطن، ولا ظهور لآثار ذلك الباطن إلا بذلك الظاهر؛ فإن الظاهر أرض لباطنه، وباطنه سماء له فعالم الحكم كله أرض لنفسه، ونفسه سماء له، وكذلك النفوس للعقول أرض والعقول سماواتها، والعقول عروش والحق مستوٍ عليها، فافهم.

عالم كل سماء ملائكة لأرضها؛ فافهم.

أكمل المظاهر في كل زمان هو الذي إذا بدا بكشفه وبيانه ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:47]، لأهل زمانه فهو ما لم يكونوا يحتسبون من الله، وهو غيب الله الذي لا يطلع عليه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الجن:27]، وهو رزق من آمن به بغير حساب وهو ما

---

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير»(5/ 466).

لا يعلمون، ومن علمه فقد علم من الله ما لا يعلمون.

وإنما قال القائل: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:62] إشارة إلى كامل الوقت وإن كان هو قائل ذلك في زمانه؛ لأنه عرف نفسه ومرتبته الخاصة، وهو الذي قال عنه حين ظهر بحكمه فلم يعلمه إلا قليل ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الأنعام:91]، فافهم.

هذا المخصوص ظهوره للناس كالماء، إذا ورد على الأرض يظهر ما بطن فيها، وما خفي من أمرها فتتميز شئونها بعد أن كانت سواء في صورتها، كان أبو بكر وأبو جهل سواءً في الصورة حتى ورد الحق عليهما فكان في أبي بكر حقاً وصدقاً، كما ورد فظهر أنه بلد طيب أخرج ﴿نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف:58]، وكان أبو جهل بالضد من ذلك، فتعلق بالمحقق إذا ظهر تعلق صدق المحبة والتعظيم تغنم كل مغتنم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو يا هو هو سيدي وربي وهو مولاي، وحسبي ليس إلا هو.

متى اشتغل البدن بهمِّ الرزق مع راحة القلب من الالتفات إليه، كان ذلك تعباً فيما لا حاجة إليه، ومتى تفرغ البدن من همه مع شغل القلب به كان ذلك عذاباً بحب ما لا يحصل فكلاهما عذاب، وهكذا كل ما لا يتم حصوله وفائدته إلا مع طلبه والسعي حصوله، فراحة القلب والبدن منه رفع الضرورة إليه، وعدم الباعث على السعي فيه؛ فافهم.

اللهم أرح أبداننا وقلوبنا من الشغل بغيرك، وخلصنا لك، واستخلصنا بحلمك من تحكم سواك، وأغننا بمنك عن التمني، وبعنايتك عن التعني فأنت ولي الهبات الحميدة إيجاداً ووجوداً، ولك الحمد والشكر كله، وجوداً، وشهوداً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، والله أعلى وأعلم.

ليس بطيب ما فيه عيب، ولا أمكن تغيره إذ الطيب المطلق: هو الخلوص من أحكام النقص كلها، ولكل كامل في أمر محبوب من هذا الطيب نصيب بحسبه فالحياة الطيبة هي المصحوبة بكل محبوب، ومن جملة ذلك الأمان من التغير، فافهم[1].

الطيب في جعل ما لا يتعب في مناله، ولا يفوتك شيء من كماله، ولا سبيل إلى زواله؛

---

(1) قال سيدنا المصنف في «المسامع»: جاء في الحديث: «إنَّ اللهَ طيبٌ لا يقبل إلا طيباً»، فما من موجودٍ إلا وهو بوجوده الإلهي لا يقبل إلا الطيب، ولو كلمة طيبة، كما أنه بوجوده الإلهي لا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام، وإن قبل خلاف ذلك فبوجوده من حيثية مرتبة سوى هذه المرتبة الإلهية، فافهم.

فافهم.

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:97] أي: بتحقيقه بمدد وجودنا، والله أعلى وأعلم.

لا راحة لعاقل في نعيم زائل فافهم، إنما النعيم بالسرور المقيم، فافهم.

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:31]، جنود الرب عباده الذين شغلهم شهوده واستغرقهم عرفانه عن معرفة نفوسهم وشهودهم، فلا يعرفون إلا شهوده هو، واستغرقهم عرفانه عن معرفة نفوسهم وشهودها فلا يعرفون إلا هو، ولا يعرفهم إلا هو فافهم، وكن منهم تغنم، والله أعلى وأعلم.

لكل عبد لسان خلق يترجم به عن نفسه للأوهام، ولسان حق يترجم به عند ربه، ولو على لسان خلقه الألباب الأفهام، فمن سكت لسان خلقه عن شيء من شأنه نطق لسان حقه في عبارات أحواله وأفعاله، فألزم لسان خلقك الترجمة عن نفسك بما لا تحب أن يشهد به ربك عليك، وكفى بربك شهيداً، فقل: أنا الفقير الحقير الكسير أحسن أحوالي التقصير يقول عنك ربك: عبدي فلان عندي غني مكين قوي أمين، واحذر أن تتبع من قال بلسان خلقه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:24]، فقال عنه ربه: ﴿ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص:4]، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات:25]، ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ [الأعراف: 176]، واتبع من قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص:24]، ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:67، 68]، فافهم.

العبد إذا أشهده ربه شيئاً من المحامد في نفسه وأراد أن يوجبها له، ويخلصها من ضيق الإمكان إلى سعة الوجوب ألهمه أن يضيفها إلى ربه، ويحمده بها، فإذا آنس من نفسه علماً قال: ربي هو العليم أو قدرة قال: هو القدير، وهكذا لكل المعاني؛ فافهم.

أيما فهم استخرج مما أغفله الناس، واتخذوه لغواً حكمة وإرشاداً، فقد غاص في بحر الظلمات فأخرج منه الجواهر المنيرة فهو في حقه بحر الأنوار، فافهم.

المعاني جواهر في أصداف قوالبها فجواهر قوم أصداف قوم آخرين، فافهم.

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:76]، والله أعلى وأعلم.

إذا ذكرت لك الخيرات فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله «القلب بيت الرب»(1) وأعن بذلك عليها، ومن لا حول ولا قوة له إلا بالله فهو الفاني في الله، وطالب ذلك: هو المجيب

(1) سبق تخريجه.

الداعي الوصلة بالله، وإذا ذُكرت لك المصائب فقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، وأعن بذلك ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:57]، جميعاً وأن في وجوده تعالى عوضاً من كل فائت، وفيه تعالى لمحبه شغل عن كل شيء سواه، وإذا ذُكرت ذنوبك فلا تقل عليها: لا حول ولا قوة إلا بالله بل قل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص:16]، إنك أنت الغفور الرحيم، فافهم.

من تجمل بصحبة المعرضين عن ذكر ربه فقد نادى على نفسه بأنه ممن أهانه ربه ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: 18]، فافهم.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم:29]، وأقبل بكليتك علينا تغنم، والله أعلى وأعلم.

أجمع بين قوله تعالى عن إبراهيم عند رؤية الغفلة بالهياكل ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 78،79]، مع قوله تعالى عنه أنه قال له آزر: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: 46]، وبيّن قول الحق تعالى في إبراهيم: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:114].

يظهر لك أن كل ما أغفل العبد عن ربه الحق، وحال بين قلبه وبين مشاهدته فهو عدو الله فإن تبرأ العبد منه، وتوجه كله لربه فهو الأواه الحليم فافهم، والله أعلى وأعلم.

ما أنت أيها الآدمي إلا الجوهر الناطق الروحاني، وأما شكلك الجسماني فآلة لظهور آثار معانيك فما أبوك حقيقة إلا من تولد عن كشفه وبيانه صورة نفسك حتى صارت عقلاً بالفعل، وأما أبو جسمك فهو أبوك مجازاً لأنك ما أنت هذا الجسم بل روحه، وربك من أنشأك من تلك الصورة الروحانية ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]، فافهم.

فمتى أغفلك أبو جسمك عن أبي روحك، وجب عليك البراءة من أبي جسمك، ولا يحل أن تُدعى لغير أبيك الحقيقي فإن ذلك كفر بفاعله؛ فافهم.

وقول الحق فيما وجد في قراءة ابن مسعود: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6]، وهو أب له بذلك بضمير الفصل وتقديمه على أب: لا أب لهم حقيقة إلا هو لموضع الدلالة على الاختصاص بذلك الضمير وتقديمه، وكفاك إن كنت متروحناً أخروي الكشف، قد تجرد جوهر نفسك عن لبس الخلق الجديد، وآتاك الفتح المبين

بالحق اليقين قوله: «كل نسب منقطع إلا نسبي»[1]، والله أعلى وأعلم.

العارف بالحق من حيث هو عارف هو متلاش الآنية في هوية الحق الذي هو معروفه كالقمر في نقطة تمام اتصاله، ومحاقه بالشمس فالشمس حينئذٍ تصدق عليه صدق التمكين الذي لا بين في عينه حتى أن من رآه رأى الشمس، ومن رأى الشمس رآه، ثم هو يظهر بنور الشمس على التدريج بحسب استعدادهم؛ ليعلموا فلو أخرج لهم من مقامه بحكمة لجهلوه لأنه معروفه الحق إذاً؛ ولأن المقصود من ظهوره لهم أن يتزلهم في منازلهم التي يصل إليها استعداداتهم كما أن المقصود من تدريج ظهور القمر أن يعلموا ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:5]، فلو ظهر بكماله الشمسي؛ لجهلوا المقصود به كجهلهم به ذلك المقصود بالشمس؛ فافهم.

المريد المترقي في منهاج استعداده بإخراج أستاذه له عن حكم البشرية إلى حكم الروحانية هو كالحجر أخرج عن الأرض إلى السماء فما دام تحت نظر أستاذه، وفي قبضة حكمه وتصرفه فهو كالجوهرة المستصحبة إلى السماء في حوصلة تمثل ملك طائر بها لا يمكن سقوطها، ولا يغلب حكم انحطاطاتها الطبيعية لحيزها الجرماني الآدمي عليها ما دامت كذلك.

وإن استبد بأمره عن الأساتذة اتكالاً على ما حصله منه قولاً وفعلاً فهو كالحجر المرفوع إلى السماء ما دامت تلك القوة الرافعة مصاحبة له هو متعالٍ بقدر تأثيرها فيه، ثم متى فتر انحط مع ميله الطبيعي فسقط فافهم، وكن تحت حكم مولاك يتولاك بعنايته فتغنم، والله أعلى وأعلم.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا﴾ [يوسف: 37]، يصح الوقف هنا ثم يبتدئ ﴿مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 37]، فافهم.

مهما أضمرته في نفسك، وكتمته عن الخلق في خاطرك ظهر يوم تتقلب القلوب، وتبلى السرائر فافهم وأعمل ألا يكن في سريرتك إلا الحق تغنم، والله أعلى وأعلم .

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:125] التي هي أحسن عبارة عما يحصل به التسليم للحق والإذعان لحكمه فإن حصل ذلك بالاستدلال والبحث فهي التي هي أحسن، وإن لم يحصل بذلك، وحصل بالترغيب فالترغيب إذاً هو التي هي أحسن، فإن لم يحصل

(1) رواه البيهقي في «السنن» (7/ 64).

بذلك، وحصل بالترغيب إذا هو التي هي أحسن فربما كان القتال هو التي هي أحسن وربما كان الإغضاء والاحتمال هو التي أحسن فافهم، والله أعلى وأعلم.

مرشدك الذي يهديك الله به لما به الأولى بك عند ربك هو حضرة ربك به يقول وبه يفعل فمهما دعتك نفسك إليه ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [مريم:84]، به قبل معرفة رضاه به، ومهما دعاك إليه فلا تتوان فيه حتى ترضي به نفسك، وتدعوك إليه فإن فوزك في أمره لا في شهوتك فافهم، والله أعلم .

وقال ﷺ: ورد عليَّ وارد وأنا كالنائم صورة وجه الرحمن من علمه البيان صورة حاجب شهوده، وناطقة عين وجوده، فقلت: يا مولاي ما زينة الوجه إلا العين والحاجب، فصوب لي مولاي ما ألهمني، وله الحمد والمنة.

وقال ﷺ: ألهمت وأنا كالنائم ما صورته يا علي هل رأيت أحداً ممن اسمه علي أناديه في حضرة جلالي: بيا علي سواك، قلت: لا يا مولاي ولوجهك الجلال والإكرام ،قيل لي: يا علي فلما ذاك ؟ قلت: يا مولاي علي عبدك الضعيف ما له إلا رحمتك، يا لطيف أنت أعلم بما جليته في جناني، وأهبتني أن أحرك به لساني، فقال لي: يا علي هذه الحرمة هي الحسنة التي أزيد فيها حسناً فأرعدت هيبة وفرقاً، وكاد قلبي أن يطير خفقاً، قيل لي: ما لك يا علي؟

قلت: يا مولاي لقد خشيت أن يكون هذا الجواب من اقترافي، فقيل لي:بل تلك مدرجة الطافي لكل عبد موافي ،يا علي إذا تجليت بعلمي في إرادتي تنوعت ذواتي وتلونت صفاتي، وتمايزت مسمياتي بأسماء تعيناتي في مراتب تعرفاتي، وإذا تجليت بوجودي في عمائي تعينت بشيئية أسمائي في أرضي وسمائي، وعززت ذاتي في غيوب أشيائي، وإذا تجليت بذاتي لذاتي ناديتني باسمي، ونادمتني بعلمي، وما بعد ذلك فأنت يا علي هنالك، فوقعت لا أدري ميتاً أو ساجداً .

وقال ﷺ: «السكر تجريد، والصحو تجديد»[1].

وقال ﷺ: قال لي خاطر كريم، وأنا كالنائم: يا علي الصحو مملكة، والسكر برمكه فما تقول في عطائهما؟ قلت: يا مولاي عطاء السكران منه بلا تقييد، وعطاء الصاحي محكم لا

---

(1) الاتصال: أحد المنازل العشرة التي يشتمل عليها قسم الحقائق، فإن السائر إلى الله تعالى إذا انتهى به إلى مقام البسط الذي يوجب السكر، فإن ارتقى عنه إلى مقام الصحو نزل بعده في منزلة الاتصال، ثم ينفصل عن رؤية الاتصال المنبيء عن نوع من الانفصال، كما ستعرف معنى كل واحد من هذه المنازل في بابه.(لطائف الإعلام ص5).

يبيد فالأول أوسع، والآخر أنفع فصوب لي مولاي ما ألهمني، وله الحمد والمنة.

وقال ﷺ: قال لي وارد علمني، وأنا كالنائم: يا علي بم تعين الغيب الرحماني ؟ قلت: يا مولاي ببيان العين الإنساني قال: يا علي؛ ولذلك سجد الساجدون قلت: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، قال: يا علي لا تظهر العين إلا بالعين فالواحد للواحد، والزائد للزائد.

قال ﷺ: قال لي خاطر من الخواطر المقدسة المحمية الحمي عن الوسوسة: يا علي ذات الأسماء أحدية، وذات الصفات صمدية، وذات الأفعال واحدية، وذات التجلي عددية وذات الأمر أزلية، وذات الخلق أبدية، وذات الذات وراء ذلك بالكلية.

وقال ﷺ: ألهمت إلهاماً فهمياً يوم الإثنين رابع ربيع الأول عام تسع وتسعين وسبعمائة وقت الظهر، وأنا ذاهب إلى الحمام ما صورته: يا علي إنَّا اخترناك لنشر الأرواح من ألحاد أجسادها، فإذا أمرناك بأمر فاستمع ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18]، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:19]، فخفت خوفاً شديداً، وقلت لنفسي: كنت بالحكم المحمدي فراجعت الأمر فصرت موسوياً، ثم أنزل علي السكينة، وذهب عني الروع فلما ظهرت من الحمام ألهمت إلهاماً روحانياً ما صورته: يا علي أزعمت أنا حططناك بل حططناك، وخصصناك ألم تسمع ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:41]، إلى قوله: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق:43].

وهكذا الحال في كل من أردنا للنشر فإذا استقر الجمع في يوم جمع الأرواح خصصنا المحمدي بـ «قل تسمع»؛ فالله حسبي ونعم الوكيل لا مولى لنا غيره، ولا خير إلا خيره.

وقال ﷺ: نواطق الأستاذين مطالع شموس حقائقهم، وقوابل غلمانهم مرايا وجوه رقائقهم.

وقال ﷺ: الشمس تظهر في مطلعها بذاتها، وتظهر في المرايا الصقلية بتمثلاتها فمن أقبل على المرايا شهدها، ومن وصل إلى المطالع وجدها.

وقال ﷺ: الرحمة العندية العامة، والكلمة النورية التامة من أهل حبها ألزمها ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:26]، ومن صرف بكراهتها حرمها ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود:28].

وقال ﷺ: هذا الشأن السيادي لا يحصل لمن اشتهاه، ولا يكره عليه من أباه فلازم الحب والتمحيص ومحبوبك ولي الوهب والتخصيص.

وقال ﷺ: من أحب المواهب فهو عبد المواهب، ومن أحب الوهاب فهو معطي المطالب.

وقال ﷺ: من تعلق بالصفات تلون، ومن تعلق بالذات تمكن.

وقال ﷺ: الرجال للمنن القدسية، والنساء للزين الحسية، فأيما امرأة تعلقت همتها بالمنن صارت رجلاً، وأيما ذكر تعلقت همته بالزين صار من النساء.

وقال ﷺ: العارفون بالله كلمات تامة صادقة، والعلماء بالله كتب جامعة من صدق بهم فهو الرجل، وإن أنثى فيما ظهر، ومن كذب بهم فهو من النساء، ولو أنه في الظاهر ذكر.

وقال ﷺ: وجوب كمال الصفات والأفعال أوجب وجود النقص والكمال[1]، وتحكم الهداية، والإضلال اقتضى وجود الأسرار، والأنوار، والأمور في أطوار وأبشار، وأشكال ليرحم بشهود البواطن ملأ اليمين، ويقهر بالوقوف مع الظواهر ملأ الشمال فالحمد لله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد:9]، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:11].

أوجد العالم من غيبه لإظهار عظمته، وأتقنه بحكمه وحكمته، وأمسكه مرتباً لتغليب رحمته على نقمته، وأبدى علمه في خلقه لإتمام كلمته ببالغ حجته، وصدق كتابته على بريته هو المسؤول وفاء المنة، ووقاء المحنة، وجلاء دجنة كل دجنة بنور الكتاب والسنة إنه البر الرحيم المنعم الكريم، وكل صلاة وتسليم على النور الواسع العليم، والأمر الواضح الحكيم والروح السعد المعتد المقيم وسر الألف في الهاء والواو والميم، وعين اللام في الباء والنون حيث يتصل الراقد بالقويم.

ويسفر الحادث عن القديم، وعلى كل وجه، وعين، ومظهر، ومشهد من محب له وخديم إله الحمد، واجعلنا فيهم منهم معهم في كل محيط كريم مجيد عظيم فلا رب غيرك، ولا خير إلا خيرك[2].

وقال ﷺ: كلٌ له سبب إلا عليٌ ليس له سبب إلا أن ساداتي تفضلوا عليّ بمحبتهم فأثمر فضلهم من فضلهم لعبدهم ما ترى فالكل هم وبهم ومنهم، ولولا الإجلال لقلت ولهم

---

(1) قال سيدنا المصنف: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتمكين تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقيق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عيناً وأثراً، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

(2) قال المصنف في «المسامع»: فاللوازم والأمور الوجودية لا تبديل لها بخلاف الحادثة، والأقضية الأزلية منوطة بالأولى، وهي إيجابية لا تكتسب، والشرعية منوطة بالثانية، وهي كسبية، والظلم في الأولى محال بخلاف الثانية لموضع الإيجاب والكسب، وعلى العبد الرّضا من ربه بها من حيث اختارها ربه، فهو يرضى في الحقيقة برضا ربه.

وهم أعلم.

فائدة: في قوله :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ [يوسف:111] الآية، تنبيه للناس على ما فيهم من ذكر ما يشاكله في سواهم إكرام لهم فمن تنبه بذلك للمراد منه فهو كريم قبل الكرامة، ولا يأبى الكرامة، ويحتاج إلى المواجهة بالملامة إلا لئيم.

ولما خص الله حبيبه محمداً من مكارم الأخلاق بأكرمها، وكان من خلقه الكريم ألا يواجه أحداً بما يكره أنزل له القرآن والذكر على ما خصه به من المكارم الكريمة فنبه أمته على المعائب بذكر معائب سواهم، وحذرهم من الموبقات، وما يترتب عليها من العقاب بذكر موبقات الأمم السالفة، وما حل بهم منها من المثلات، ونبههم على المحاسن مواجهة، وبشرهم بما يترتب عليها من الثواب مشافهة، وذكر أحوال المصطفين الأخيار في ذلك تهيئة لهم بمراقفتهم في موافقة أحوالهم، فرحم الله عبداً قبل كرامة ربه فتنبه من غمرته بما ذكر به، وكرم نفسه عن المواجهة باللوم فلم يجعل حظه من الأخيار تحريك اللسان بأحوال غيره، بل اقتبس من ذلك ما يستضيء به في سيره إلى ما وعده ربه من خيره فكان عبداً كريماً لرب كريم، فإن الله كريم يحب الكريم، وآخذ بيد الكريم عند عثرته فافهم، والله أعلى وأعلم .

فائدة: العاقل لا يمدح نفسه بقالة، ولا يذمها بحالة إلا لحكمة تنفي النقص عن كماله فافهم، والله أعلم.

وقال ﷺ: لما كان خاتم الأولياء، وفاتح كنوز الآلاء معلوم ظهوره بالأمر العظيم والسلطان العزيز الكريم مبلغاً كل قاصد أحسن قصده، ومنفذ كل متعلق به إلى غاية حده من مجده نهضت همم أولياء الأزمان المبشرة بزمانه؛ لتدوين أحسن أقوالهم، وأحوالهم وأعمالهم بأيديهم، وأيدي المؤمنين بهم رجاء دخول حضرته بوجودهم الكتبي بدلاً عن كونهم الجسمي المنحل قبل إتيانه؛ لعلمهم بأن هذا المولى لا ينظر لأحد بعين الرضا والرحمة، ولا يذكر بلسان العناية شأنه أو اسمه إلا بلغه غاية قصده، ووصله حيث لا يصل بجده، وجده يخلصه، ويخصصه ويمحصه مما ينقصه فلذلك يذكر أخبارهم ليحقق أسرارهم.

وينظر أسطارهم، ليكمل أنوارهم ويتول بالآية قصصهم، فيثبت كمالهم بمحو ما نقصهم، ويلقون ساعتئذٍ فوق غاية آمالهم بما به خصصهم، فالجاهل بهذا النور الذاتي يظن أن هذا السيد يتعاطى أخبار العباد ليستفيد.

والعارف بفضله يعلم أنه يذكر، وينظر ويخبر ليعطي ويمنح ويفيد، فربما خالط جلساء المكان المشرف بوطء أقدام بشره الأعز الأكرم؛ ليسمع عقولاً طارت من أقفاص أشباحها إلى رياض الاختصاص أرواحها جوعى، عطشى، هيانة، لهفى، حلقت بصدق هواها، وذها لعز

مناها، ألا تشرب إلا من عين خطابه شفاهاً، ولا تغتذي إلا برؤية وجهه وجاهاً، فلما دخلت إلى حضرة مولاها، وشكت إليه ما بها أشكاها، وعطف عليها فأطعمها وسقاها.

وقال ﷺ: لا تأمن المعتقد ولو ظهر لك من نفسك غاية السكون فإنها سكنت حيث عقلها عقلها النظري بعقال ضني مسده من لحي عوارض الأحوال، والأعمال، والأقوال والظنون بتناسخ الأعراض لا تبقى فكأنك بالعقال، وقد انحل أو تمزق ورجع المعقول إلى توشحه، وفساده والمحب من النار في قرار البحار، ومن نور الضحى في ظلمة الأسحار، فإن ظفرت به كن معه كما تريد فهو لا يريد إلا ما تريد شغله ذاتك، وإن تلونت صفاتك.

وقال ﷺ: من عقله عقله بعقال الاعتقاد انكشفت نفسه عن المبارزة بالنزاع إلى أن يحل العقال عرض أو عرض، وما ذاك من المعتقد ببعيد، ومن ربط الله على قلبه بالمحبة ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256].

وقال ﷺ: المحب كإنسان العين صغير وجوده كبير شهوده إلا أنه لا يتأثر لعارض، ولا تضعف شهوده العوارض فبهذا تميز عن الباصر، وعزّ عن مُناظر.

وقال ﷺ: المحبون قليل، والمعتقدون كثير، وما قل ونفع خير مما كثر وألهى، وكفى باللهو ضرراً.

وقال ﷺ: من ظن أنه حصل على المراد بالاعتقاد فذلك الذي ضل بالله عن الله في كل واد ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:23]، ومن علم أنه ليس إلا بالله إلى الله يصل فهذا الذي هيهات أن يقف أو يضل ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر:37].

وقال ﷺ: إذا انصبغت عندك الأشياء كلها بالحكمة التي لم ترها إلا محامد، ومسبحات بمد الحكيم المنعم بها؛ فالنفس الخارج من الدبر قائلاً: عندك سبحان المنعم بالفرج والراحة، ومن ثم كان السيد الكامل إذا خرج من الخلاء، قال بالحق المبين: «الحمد لله الذي رزقني لذته، وأخرج عني مشقته، وأبقى في جسمي قوته»[1].

وقال: «لا تسبي الحمى؛ فإنها تنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[2].

وقال عن كل مصيبة ومكروه: «إنها خير للمؤمن»[3].

وقال: «حال المؤمن كله خير»[4]، وقس على هذا فكان لا يرى إلا محامد، حتى قال

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه (7/ 200)، وأبو يعلى في مسنده (4/ 64).

(2) رواه أحمد (5/ 427)، بنحوه.

(3) رواه مسلم (14/ 280)، وأحمد (48/ 450)، بنحوهما.

بحقه المبين عليه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:44]، فبحق يسمى محمداً، وأحمد وصاحب لواء الحمد والمقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون.

لمحة: إذا رفع لك عرش حجاب الخفاء حتى عرفته فقد واجهته وعاينته، وإذا عرفت الواجد للحق من حيث هو واجد للحق فهو وجه الحق الذي واجهك به فالزم طاعته والكون له كما يريد فكن من ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:206]، واحذر مخالفته ومعاندته فإن مخالفة الحق الحكيم على المشاهدة توجب العقوبة في الوقت، وإلى ذلك الإشارة بلعن إبليس على ترك سجدة واحدة أمر بها في حضرة المعاينة حيث تعين له الحق بمظهره آدم ﷺ، وضل عنه على علم، وكم ترك غيره صلوات كثيرة لكن على حجاب وجهل فأمهل ولم يعاجل، وهكذا مكث فرعون في غمراته وجهالاته مئات السنين، وهو ممهل غير معاجل حتى تعين له الحق بوجهة موسى ﷺ من حيث استيقن آياته، وعلم أنها أنزلها ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:102]، فقال: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف:52].

قال الحق تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف:55]؛ لأنها معاندة مع المشاهدة توجب في الحكمة المعاجلة بالتأديب، كما ينبغي من الملك التغافل عمن أتى ما يغضبه مستتراً عنه، وينبغي عقوبة من أتى أي: ذلك مجاهرة له في حضرته حيث ينخرم النظام بإهماله فافهم، واخدم مظاهر الحق تخدم، والله أعلى وأعلم.

لمحة: ما دام أثر الروح ظاهراً في عالم هي حاصلة بذلك فيه فإذا ارتفعت عنه زال وذلك هو أن محمداً ﷺ لا يرتفع من الدنيا حتى ينزل عيسى ﷺ بارتفاع محمد ﷺ؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

قال سيدي سيف علي ذو الفقار: هو إشارة كني بها المشير، وأشير عن لسانه الناطق بالأمر الصادع الصادق ما شرب به في فهم قلب حديد إلا قد أوهمه أي: تقديد؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

لمحة: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:69]، وقوله: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الصافات:99]، أي: إني عدم في وجود ربي لا حول لي ولا قدرة، إنما أمري كله لربي فافهم، والله أعلى وأعلم.

ما ثَمَّ بالحقيقة إلا الله فمتى ملأك به أوجدك كل شيء.

وقال ﷺ: صاحب الوقت هو أبو أرواح المصدقين من أتباعه من حيث هو إمام هدايتهم الممكن كما أنه ربهم الحق بوجوبه، وإذا لوحظت وحدة حقيقة المرتبتين قال قائلهم

بتلك الملاحظة: أنا ابن الله ولا يصح ذلك إن صح إلا لإكمال القابلين فإن الابن من كان على صورة كمال أبيه، ومن ثم نسخ الديّان المحمدي إطلاق الأبوة والنبوة بين العباد وربهم؛ لأنها لا تصح للعموم، وقال بلسان أكمليته المظهرية: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: 81].

الرب لا يفاتح عباده إلا بما خبأته عقولهم ومداركهم فمفاتحته لهم ذكر ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:21]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: 8]، باختلاف الأمور علينا بعد إذ هديتنا لنظـام جمعها، وإن افترقت ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ [آل عمران: 8]، العلمي ﴿رَحْمَةً﴾ [آل عمران:8] وسعت ما وسعه علمك وحكمتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8]، الذي لا تنقضي مواهبه، ولا تنفد كلماته فلا تنفد خزائنه، شيء لله يا سيدي ومولاي شيء لله هذا العبيد الفقير، وقد مدَّ كف فاقته، وذله، ومسكنته متوجهاً لوسع عطائك، متوجهاً لوجهك العزيز الغني الكريم الواسع المعطي.

شيء لله يا سيدي ومولاي الله الله الله، ما ثمَّ إلا الله، شيء لله يا الله من الله إلى الله آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام عليك يا رسول الله بفضل بسم الله الرحمن الرحيم.

الرب هو غيب الغيوب، والإنسان عين العيون فهو مستقر أنبائه فأيهما غلب بخاصيته على الآخر كان الحكم له، واعتدال الظهور بهما لا يكون إلا لكمال مطلق باختصاص لا يعلل بل شهوده لذلك لا يحصل لشاهد إلا بذلك، أجرى سيدي ومولاي لسان عبده بقوله :

أَحبَّني الحبيبُ فصَانَ ذَاتي ... عن الأغيارِ في غيبِ الغُيوبِ
فلاَ يَصِلوا إليَّ ولاَ يَرَاني ... سوىَ عينِ الحبيبِ المُعتني بي

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: 75]، كلما أوقد نمرود ﴿نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ [المائدة: 64]، بإساءته ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة:64]، من إبراهيم بحلمه.

سمعت بعض إماء بيت سيدي قدس الله أسرار من له به نسبة أجمعين تقول ما معناه: إن إبراهيم عليه السلام حمد الله تعالى على أن وهبه حبيبين من أحبابه هما إسماعيل عليه السلام، وإسحاق عليه السلام على الكبر فما لي لا أحمد الله تعالى على أن وهبني الدخول في غلمانية بيت سيدي، وأظفرني بخدمة مولاي على الصغر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ [إبراهيم:39]، من خلقني الدخول في محبة أحب أحبابه، ولم يشغلني بالفانيات الباطلات عن حقه فكفى بالحق شغلاً، والله أعلى وأعلم.

ما تعين الحق المبين بعينه المخصوص الناطقي الزماني في زمان قط إلا قال ملائكة المدارك النظرية فيه: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: 30]، ولا يزالون كذلك إلى أن يتنزل برهبوته

ويسط يد سلطان جبروته، ومكنة إدخال ممالكهم تحت ملكوته فهناك يقعون له ساجدين، ويصر شيطان الوهم البهيم فيستمر على عداوته لروحه الحكيم؛ لأنه يحاول إخراج كل حاكم دونه عن حكمه، وقد شعر بظاهر ذلك ورقة فقال: «ما جاء أحد بما جاء به محمد إلا عودي»(1).

وقال آخر: «وكذلك الرسل تبتلى»(2)، وتكون لهم العاقبة فاصبروا واعفوا ﴿وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:109]، أي: يظهر ويتجلى ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:24]، فافهم.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لم يتبين لهم ﴿قَامُواْ﴾ أي: وقفوا فيه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ أي: اختص بالسريان بسمعهم فلا يسمعون إلا منه ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة:20]، فلا يبصرون إلا وجهة لتبينه لهم؛ فافهم.

الخليفة نائب الكل وولي أمرهم فهو بدل الجملة ومتبوعها ما أعجب واحداً هو الكل ومثله معه؛ فافهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:194] أي: وليس في الحقيقة من دونه شيء ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف:194]؛ لأن الكل أحكام تعين بها الناطق وتكون وتبين فالكل ناطق فحقيقتكم كلكم واحد بالحقيقة ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: 21]، هو وجود الناطق الحق المبين؛ فافهم.

مهما استشار ناطقك مداركه في ظهوره بها فتردد حكمها فيه فهو مرتبة تردد والتردد غريزي فيه لا يرجى زواله؛ لأنه به عجنت طينته وخمرت كما تقدم، وعلى هذه الطريقة كانت بشرية آدم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 30] الآية فافهم.

أنت تعلم أن ترددك في الشيء على قدر عظمه في بابه فافهم.

صورة آدم شرح نسخة العالم، وبالشرح تفتح الأقفال وتكثر الأمثال، وينشأ ذلك من الواحد بتعرفاته التي توسع بها من عين معرفته في مرايا تمثلاته، وأي شيء أعظم عند من شأنه الوحدانية من ذلك، لكن مقام التعرف يعطي العمل على شاكلته، فمن ثم يعطي التردد كما تقدم فافهم.

الإسراء ترقي العبد في درجات أسباب التحقيق إلى أن يبلغ تحققه لغاية في استعداده التحقق به من ربه فحقيقته هذه هي منتهى إسرائه فما أسرى في الحقيقة إلا إلى حقيقته، ومن

(1) رواه البخاري (1/ 4)، ومسلم (1/ 141).

(2) رواه البخاري (3/ 1076)، ومسلم (3/ 1395).

حيث إن ربه درجة إلى ذلك بما قام به فيه من أمره التدريجي فما أسرى في الحقيقة إلا الرب بعبده لحقيقته ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] ومن حيث إن العبد مرتبة معرفة الرب بنفسه كما الرب مرتبة علم العبد بنفسه كان ذلك كذلك أيضاً.

قال هو سيدي ومولاي:

فسبحانَ مَنْ أسرَى إليهِ بعبدِهِ وفيهِ سرَى عَبداً لربِّ البريةِ

فلاَ يَصِلُوا إليَّ ولاَ يرَاني سِوىَ عينِ الحبيبِ المعتني بي

وفي أنتَ عَبدي ثمَّ ربكَ إنني قَرالسرُّ إقرارٍ بقلبي استقرَّتِ

وذلكَ أنَّ اللهَ ينزلُ عبدَهُ بمنزلةٍ من نفسهِ بالسَّويةِ

أرَاني وجهي فيهِ حتَّى أريتُهُ بتحقيقِ وجهي في حقيقتي

ففيهِ اتصَالي بي وفيَّ اتصالُهُ بهِ في اتصالِ جمعهِ في تشتُّتي

أي: الذي وجد ناقته بعدما أعياه طلبها، فقال: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك؛ فافهم.

إن خالقك شخص بأخلاق البهائم خالقه أنت بأخلاق الأكارم، فكلٌّ يعمل على شاكلته التي هي جزاؤه، فافهم.

ارحم من أساء؛ فإنه مبتلى، وأعنه على العافية، ولو بالدعاء؛ فإن ذلك من خلق الكرام ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195] فافهم.

متى تخلقت بخلق الجميل أحبك لشهوده فيك جماله فمن ثم يحب الكريم ويأخذ بيده إذا عثر فافهم.

لازم النزاهة عن النقائص في كل مقام بحسبه، فإن الحق نظيف يحب النظافة فافهم.

لا تؤثر الحصول من المحبوبات فيما يقبل الزوال والتغير على ما لا يقبله فلا تؤثر الدنيا على البرزخ وعلى الآخرة، ولا تؤثر شيئاً على فضل ربك الحق، واعلم أن فضل مرشدك إليه على كل ما ترجوه من إمداده كفضله على عباده فافهم.

مرشدك إلى الحق هو عينه التي ينظر بها إليك، ووجهه الذي يقبل به عليك فاعرف والزم وانظر ماذا ترى؛ فافهم.

لا تطلب أن تحصر مرشدك إلى الحق في حدودك فإنك إن لم تعرف أنك محيط بك فإنك تعرف أنه أكبر منك قياماً وأوسع منك مقاماً، وكيف ينحصر الأكبر الأوسع فيما دونه حسبك أن يغلب حكمه عليك عيناً وأثراً بحسب استعدادك فافهم.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:116]، أي: أبعدهم من المرتبة الواحدية ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام:116]، فسبيل الله اليقين، وأهله الإفراد أهل التوحيد؛ فافهم.

التوحيد التجرد عن قيود الشرك والاشتراك في كل مقام بحسبه فافهم .

المحبة سبب التوحيد فافهم.

ما أشد مفارقة المألوفات سيما الطبيعة على أهلها فلذلك عز طلبهم لما يجردهم عنها فافهم.

محبة الحق تقضي بالتجرد عن طبائع الخلق فافهم[1].

ما أعز مقام صدق محبة الحق فإن طبائع الخلق كلها صوارف عنه فافهم.

لا يخلو مخلوق من محبة الحق لعلة وصدق المحبة فوق العلل فافهم.

لا يجد صدق محبة الحق إلا الحق فلذلك لا يفقدها من وجدها أبداً، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: 64]، فافهم.

ألسنة المحبة أعجمية على غير أهلها، وهي لأهلها لسان عربي مبين فافهم.

ما بلسان وجد الحق لكن ولا بكم وإنما في آذان غير أهله عنه وقر وصمم، فلذلك لا يفقهون من قدمه حديثاً فافهم .

من لم تحي بروح مرتبته أو بما هو محيط بها فأنت بالنسبة إليه موات فكيف يكون له عنه إدراك فافهم.

وجد المطلوب متوقف على فقد المانع في كل مقام بحسبه فمت عن نفس خلقك تحي بروح حقك فافهم.

لم تتجرد عن نفس خلقك ما بقي لك شغل شاغل بمحبة مخلوق عن حقك فافهم.

محبتك للوسائل لكونها وسائل إنما هي بالحقيقة محبة لما هي وسائل إليه في كل مقام بحسبه فافهم.

من كلفك بتحقيق الحقائق قبل تحققك بها، وأنت في قيد الإمكان فقد كلفك ما ليس في وسعك فافهم.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: جاء في الحديث: «(سبحان الله) براءة من السوء»، فضد الجمال في كل مقام بحسبه، والجلال هو التجرُّد عن السوء، فخلاف صواب القول بالحق سوء، وهو السوء المنفي بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾.

من كلفك بتحقيق الحقائق قبل تحققك بها وأنت في قيد الإمكان فقد كلفك ما ليس في وسعك فافهم.

هذه النفس المزاجية كلها آفات فأسلم لولي أمرها تسلم من شرها، ويخلصك من أسرها، ويظهرك على سرها فافهم. انحشار الكثيف في المضايق تلف في كل مقام بحسبه، وأما اللطيف ففي سعة حيث كان ومع ذلك فأنت ترى الماء بل الهواء إذا خرج من المسام الضيقة كيف تحصل له صرخات فيالك وللمضايق ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ [الزمر:١٠]، وهي القبولات الخاصة بكشف وحدانيته فمن ثمّ لا تبرح، ولا يزال لسان حالك يتلو عليك ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح:١]؛ فافهم

قال قائل: من قائل كن؟ قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه الفاعل.

قال: فمن المقول له؟ قلت: القابل، قال: فما معنى كن؟ قلت: معناها يا قابلي اكشفني لمن يقصر إدراكه عني إلا بواسطتك.

قال: وما مثاله؟ قلت: مقابلتك للمرآة الصقيلة بحيث تكشف للناظر فيها فإذا سامتها كذلك فقد قلت لها: اكشفيني له بحالك؛ فافهم.

انظر كيف تدرجت بك الوصايا حتى أطلعتك على أن المفعولات أعيان فاعلها، وما ثم إلا فاعل واحد فالكل أعيان واحد، فالزم الجلاء الذي تقدم يلازمك هذا الاجتلاء فافهم.

الإنسان الكامل: هو الجوهر الفرد الشامل، في فاعله كل فاعل، وفي قابله كل قابل، فهو على الصورة المحيطة بلا شك ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8].

فيا محمول أحسن تقويم، حاشاك أن يعوج خطك القويم، وإن ظهرت بخط منحرف لإظهار المختلف والمؤتلف، فأنت يا نفس الرحمن، ونفسه إمام الهدى لمن أئتم لا قلص ظلك عن العامة، وإن استوت شمسك في الخاصة يا رب الإمامة؛ فافهم.

مفاجأة الإفهام بالكشف الصريح كمفاجأة الأبصار بالشمس ليس دونها سحاب فليس كل بصر يثبت لذلك.

فلذلك الحكيم يلوح فإذا اطمأنت بذكره القلوب يصرح؛ فافهم.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحديد:16]، بل قد آن لك أن تفارق حدودك السفلية وأن تتجرد عن قيود نفسك البشرية بالكلية، فقد وضحت لك الحدود العلية، وأمكنتك الحضرات الإلهية، وأعيذك بالله من الإخلاد، بادر فما هذا التواني لائق، ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ٱذْهَبَآ﴾ [طه:43]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:11] ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:

12]، وقد فعلت فافهم.

دع الدنيا للغافلين، والبرزخ للحائرين، والجحيم للشياطين، والجنة للجان، وقل: يا عباد الديان ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:58]، فقد فتحت لك حضرة الرحمن ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:76]؛ فافهم[1].

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:8]، فأنت محمول الجملة صورة وحاملها معنى، أنت روحها وحياتها ووجودها وذاتها، أنت المثل في البيان، وأنت العين في العيان، لا يا عرشك ولا أغير فرشك، ولا غضب نوحك، ولا غرب يوحك أنت مركز دوائر الأحكام ومحيطها، وآية ذلك تحقق الكل في غيبك، وتعين الجمع بعينك، فإذا ظهرت لم يكن لهم عيناً سواك، ولا مستقراً إلا إياك، تظهر بحكمك وتستتر برسمك.

كأنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبُ إذا ظهرتَ لم يَبدُ منهنَّ كوكبُ

لا من البدو ولا البدو؛ فافهم.

يا عين الحق في خلقه، ويا سر جمعه في فرقه، لا زال محبك محظوظاً بجلالك، ملحوظاً من كل وجه بأعين كمالك يا من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:11]، وليس وراءه مرمى لمن رمى؛ فافهم.

إنما أخبرتك بمرتبتك على الحقيقة لتتفقد حالك، فإن وجدت نفسك فيما دون هذه المرتبة مقيداً أعلمت أنك اعوججت عن قوامك، وسقطت من مقامك فالتمس متمكناً من عونك، عارفاً بعينك وأينك، تسلم إليه يدك ليرجعك إلى معهدك، ولست موضوعاً للمغالطة ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۞ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: 14 – 16]؛ فليس يقنع من الحال بالقال متنبه؛ فافهم.

انظر كيف أنت الملك الكبير، وأنت في حظك الأقوم؛ فإن انحرفت خوطبت كالعبد الصغير ما ذاك إلا لترجع فافهم.

ما لك والالتفات لحظوظ النفس، كمالك في أن تتجرد عنها فافهم.

الملك عن اليمين، والشيطان عن الشمال، والإنسان وسط، والرب الرحمن ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:39]، هو الخط القويم؛ فلا تلتفت يميناً ولا شمالاً فإن ربك قبل وجهك؛

(1) قال المصنف في «المسامع»: جاء في الحديث: «مَن شرب الخمر في الدُّنيا لم يشربه في الآخرة»، معناه أنه من أشربته قلبه من حيث ما هو خمرٌ حاجبٌ عن مظهر المدبر الحكيم، وهو العقل، فلا يدخل بها في سوق الجنة، ولا يحبها لو رآها.

فافهم.

لو كشف عن الساق، حجاب يوم التلاق، لم تر حيث التفت إلا النار، ولم تجد جنتك، إلا نصب عينك يناديك جمعها ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ [فصلت: 30 – 31]؛ فافهم.

إن التفت يميناً حجبتك الأنوار، وإن التفت شمالاً حجبتك شعب النار، وإن لم تلتفت وجدت حبيبك بلا حجاب، وكل حجاب عن الحبيب عذاب ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾ [الدخان: 12]؛ فافهم.

الشيطان حجاب الملك، والملك حجاب الشيطان إذ كل منهما مانع للآخر بمضاداته فذاك حجاب النور؛ لأنهم كفار وهذا حجاب النار؛ لأنه غفار، وسر الأسرار وراء الحجب والأستار فاجعل من هنا مشربك، وإلى هنا مسربك؛ فافهم.

ما دمت بين الأضداد فأنت في غلبة، فإذا خلصت لما لا ضد له استرحت من هذه الغلبة؛ فافهم.

«إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[1] ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: 6].

واعلم أن للموت سكرات؛ فلا تصدنَّك عن المغتم إلى الفَوت، واصبر فالشجاعة صبر ساعة أعانك الله على سكرات الموت؛ فافهم.

محبوبك مولاك، ومولاك من آواك، ومرجع كل لمأواه؛ فاعمل على أن ترجع بكلك إلى الله، ولم تذهب حتى يقال لك: ارجع قد عرفت؛ فالزم واستقم.

ها أنت وربك ليس بينك وبينه إلا أداة العطف الجامع؛ فإن شهدتها هو بالحال صدق عليك ربك بلا انفصال فإن واو الحال لا تشرك ،وإنما تحقق فافهم.

النور للنهار والنار لليل، وليس عند ربك ليل ولا نهار؛ فلا تشغل همتك عنه بنور ولا نار، وما ثم إلا جلاله وجماله فقد أحاط بجهاتك كماله لك المنا أراحك الله من العنا؛ فافهم.

إنما المعاد لأهل البعاد، فلا تقوم القيامة على أحد يقول: الله الله، وأتقوم القيامة على الله؟! فلا تقوم على من أحبه فافهم.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]، فليس المعاد مقامك ألم تسمع قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88]؛ فلا معاد له بالنسبة إليه، وإن عاد بالنسبة إلى العائدين ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8]، وإلا فلا،

(1) سبق تخريجه.

ألم تر إلى الحي القيوم ينزل برحمته إلى حيث ينادي النائمين في الظلمات ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح:25]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:17]؛ فافهم.

الفضل الرجحان في المحامد في كل مقام بحسبه فافهم.

﴿وَسْـَٔلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:32]، بحسن القبول والاستعداد؛ فإنه سؤال واجب الإجابة في كل مقام بحسبه؛ فافهم.

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:59]، أي: محققاً يهدي به إليه من أراد التحقق به؛ فافهم.

﴿ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة:35]، هو إمام هدايتك ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:59]، فوسيلته الرحمن فأنت لا تجد أستاذك الخبير ما لم يشفع الرحمن عند نفسه فيك أن تجده فاسأله منه به كما تقدم إن أردت أن يدلك عليه، ويهديك إليه؛ فافهم.

الهادي إلى الله لا يهدى إليه سواه؛ لأنه صورة فضله الذي يؤتيه من يشاء، ولا يسأل إلا منه؛ فافهم.

صورة أستاذك صورة فضل الله عليك فاسأل الله من فضله؛ فإنك لا يوصلك إلى الله إلا فضله، واسأل فضل الله من الله؛ لأنك لا تظفر بهذا الأستاذ إلا بتخصيص وجودي؛ فافهم.

معرفة حقيقة المحقق الهادي بالله إليه الدال بالحق المبين عليه مشروطة بمعرفة ذات الله، ومعرفة ذات الله مشروطة بمعرفة مرتبة محققه ومعرفة مرتبة محققه مشروطة بمعرفة مرتبة الإلهية، وإلى هذه المعرفة يصل الربانيون؛ فافهم.

المحقق من نصب معراج الخلوص من قيود الصفات إلى التحقق بالذات والعارف من نصب معراج الخلوص من قيود الخلائق، وهي الصفات الفعلية إلى التحقيق بالحقائق وهي الصفات الذاتية، والمرشد الهادي من نصب معراج الخلوص من قيود أخلاق الخلق إلى التحقق بأخلاق الحق، والربانيون فيما دون ذلك على مراتبهم، وكلهم يخلص من قيود مرتبة ليحقق بالمرتبة المحيطة بها في كل مقام بحسبه؛ فافهم.

الربَّاني من حاول تحقيقك بأحسن الصور الممكن تحققك بها عنده بتخليصك من موانع ذلك؛ فاعرف، والزم تسلم، وإذا سلمت تغنم، وإذا غنمت عرفت ما قلت لك حقاً؛ فافهم.

أستاذك بالنسبة إليك فضل الله عليك ورحمته بك فتحققك به خير ما استفدته ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:58]؛ فافهم.

الآيات الفعلية كلها في المرشدين آدمية؛ فإنه القائم في الإرشاد بقيومية ربَّانية الدائرة الفعلية، ثم من هؤلاء من آيته نوحية، أو إبراهيمية، أو موسوية، أو داودية، أو سليمانية، أو عيسوية، وقس على هذا ويعرف ذلك من الواقع ومطابقه، والآيات العلمية الفرقانية كلها محمدية فإنه القائم في الأئمة الهادين بقيومية ربانية الدائرة العلمية الربانية، وآدم ﷺ فمن دونه تحت لوائه هذا كما قال، وقوله الحق جله في الخبر: «ما من نبي إلا أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر» أي: آيات تناسب المدارك البشرية؛ فهي فعلية جسمانية.

قال: وقوله الحق: «وكان الذي أوتيت وحياً يوحى»[1] فإنما تتلقاه المدارك النورانية الروحانية هذا ما أتوا به من حيثية مراتبهم الخلقية من مراتبهم الحقية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم:4]، لا بلسانه؛ فافهم.

إنما يأتيك بآية فعلية قوة آدامية، وإنما يأتيك بآية علمية فرقانية قوة محمدية فهو الشديد القوي، وإنما يأتيك بآية علمية جمعية روح روحانية فتوسم واعرف والزم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ﴾ [النساء:26]، فافهم .

جاء مظاهر الحق المبين في مراتبهم الرسلية التي سموا فيها رسلاً وأنبياء تشريع بألسنه الخلق، وجاءوا في مراتبهم الولائية سموا فيها أولياء وعارفين حقائق بألسنة الحق فالمراد أولاً أن يبينوا ﴿ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل:44]، وثانياً: أن يحققوا المتبنين بما يتولونهم إليه ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:7]؛ فافهم.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [النساء:162]، لا خروج لهم منه فلا يشهدون خلافه، ولذلك لا ينسوه فيحتاجون إلى تذكرة ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الرعد:19]، التي أنساها الحصول في قشورها ما كانت عليه حال تجردها فصارت تذكر منها ما عادت الحصول في قشورها ما كانت عليه حال تجردها فصارت تذكر منها ما عادت بالتجرد إليه ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة:269] فافهم.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:7] فليس عند هؤلاء زيغ ولا ضلالة؛ لأنهم في إحاطة العلم لا يشهدون أينما تولوا إلا الحق اليقين ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۞ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: 7، 8]، فهذا قول أولي الألباب الذين دخلوا دائرة الزيغ والضلال بحجاب الجلباب، ثم درست رسومهم فتجردوا من ذلك الإهاب فشهدوا هداية الوهاب،

---

(1) رواه البخاري (6/ 2654)، ومسلم (1/ 134).

واستعاذوا بالله المانح بلا علة من النقص على الأعقاب.

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ ﴾ [آل عمران:195] فافهم.

النفوس المستكبرة أصحاب الفيل جعل ﴿ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾ فهم ﴿ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل:5]، قشور لا لب لها ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:43]، لا ألباب لهم رسوم بلا علوم، والنفوس المقابلة لهذه طير صغير بعوض فما فوقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:26]، فلو وازنت الدنيا جناحاً واحداً من هؤلاء ما شرب منها كافر غرفة ماء، في العندية الإلهية، انكشف ساق ابن مسعود، وفيه دقة فضحك منه شخص فقال السيد الكامل: «ما لك أما إنها لأرجح عند الله من أحد»[1] فافهم.

القلب بيت الرب عمارته وجد ساكنه وساكنه روحه، لا يملك الكعبة ولا يسكنها مخلوق، وإنما يتردد إليها الملائكة ويدخلونها من حيث لا يشعر البشر مثلاً من ذلك ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ [التوبة:19]، إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [التوبة:20]، فلم يحجبهم مال ولا نفس ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة:20]، بربهم فافهم.

لا يحاول هدم بيت الرب إلا أصحاب الفيل، فإذا أحسست بهم فقر إلى الطير الأبابيل فإن الحق يُهلك بهم، يحبس عنك أصحاب الفيل كما يحصل بالضد لضده وعلامة هذه الطير أن تكشف لك عن أصحاب الفيل حتى تراهم رأي العين قشوراً بلا ألباب إذ الكافر لا يعقل؛ فافهم.

من رأيته على عظم مرتبته وكبر قدره عندك يتواضع لعظمة الله، ويتصاغر من خشيته علماً وحكمة حتى يكون كالوضع ـ الوضع هو الطير الصغير ـ فالزم قدمه؛ فإنه الذي ينفخ الأرواح النورانية في صور صورك، وسلام على إسرافيل، وما أدراك ما إسرافيل ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه:47] فافهم.

الذكر مدده يخلصك من ربقة النسيان بيد العرفان، والعيان في الكشف، والبيان في كل مقام بحسبه فافهم.

الذكر مدد المذكر فالزم حضرته ينجز لك بوعده ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:152] فافهم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:17]، فالزم الذكر يكون الجمع عليك يسيراً؛

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 520).

فافهم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم:97]، وهو ناطق الحقائق لا بلسان قومك فمن طلبه من ذلك اللسان وجده يسيراً، ومن طلبه من لسان الخلق كان عليه عسيراً؛ فافهم.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية:21]، تفيد الذكر فأنت مفيده لا مستفيده ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف:44]، تفيده ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:44]، يستفيدونه من إفادتك؛ لأنك حقيقة العلم وصورته فافهم.

القرآن سر الفرقان أو روحه الأول ناطق الحق اللدني بالتحقيق كما قال في السورة المفتتحة بـ﴿ قَدْ﴾ [الأعلى:14]، وهي حرف التحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ [الأعلى:14]، وهو الفوز بالباطن ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المؤمنون:62]، والثاني ناطق بحق التشريع كما قال في سورة الشريعة المعنونة بقوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية:18] ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ فاعرف ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:189]؛ فافهم[1].

حسبك من ألسنة الرب ما أسمعك مراده منك فهيأك للتحقيق بأعظم ما في صدرك من المعتقدات فيه؛ فافهم.

أثبت تثبت فلا تثبت شجرة قطعت زمانها في التنقل من مغرس إلى مغرس إلى مغرس فافهم.

البيانات الربانية لا تتناهى ما دام ثَمّ ربٌ وعبدٌ فافهم.

إذا وجدت من لو بقيت أبداً لرباك بربانيته أبداً فقد تصور لك ما لا يتناهى من البيانات الربانية، فمتى التفت عنه إلى غيره فأنت محروم، ما لا يتناهى هو الحق و﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:32]، فشغلك به حرمان؛ فافهم.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:42]، فمتى طلبت شيئاً بعده كنت كمن وقف على أعلى درجات سلمه، وهمز عنها بقدمه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج:31] فافهم.

كهف المريد حضرة مرشده؛ فافهم.

لا يأوي إلى الكهف إلا من كان ربه أحب إليه من نفسه أو قال بالحال: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن

---

(1) قوم كشف الله عنهم أغطية البصائر، فشاهدوا ما خلف الستائر التي حجبت أهل الظواهر عن شهود للمعارف الحقيقية والعلوم اللدنية بما حصل في أذهانهم من الصور الوهمية الناتجة عن ظنونهم وخيالاتهم(لطائف الإعلام ص49).

﴿لَدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10]، بخطاب الحاضر المشهود؛ فافهم.

أصحاب الكهف ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف:22]، فكيف بأستاذهم لا جرم لما عرفوا من الحق ماتوا وعاشوا ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:26].

فعيل يكون بمعنى فاعل ومفعول والرقم التخطيط اللازم، فالرقيم فاعل ذلك وقابله في كل مقام بحسبه فافهم.

﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف:9]، آيات ربهم وآية كل شخص؛ فافهم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ [الجاثية:6]، أي: في مراتبهم التي يسمون فيها علماء وأولياء ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ [البقرة:253]، فكلهم أتباع هذه الآية الكبرى من آيات الجمع الرباني الرحماني وقد عرفت ما آية الشيء منه؛ فافهم.

خارجك إدراكك الحاكم بانفصال متعلقاته عنك فبكل مقام بحسبه ما لك خارج سوى هذا فمهما تعلق به فهو موجود في الخارج بالنسبة إليك وما لا فلا فافهم.

كل موجود في الخارج محدود ولو بأنه لا يحد فهو مجمل بضرب من الإجمال؛ ولذلك يقبل الانقسام بضرب من التفصيل لموضع تميزه؛ فافهم.

إن أردت التحقق بالأحد فتهيأ لفناء مراتبك الخارجية كلها، وإن من دون ذلك أهوالاً ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:35]، فافهم.

الحق المبين المتنزل إلى المدارك متعيناً بمراتبه العلمية الناطقية التي هي آياته التي يتشخص بها في مدارك المدركين تشخصاً، تزيهاً، قدوساً، حكمياً واحد، وكل هذه الأعيان إخوة من أهل من أصل واحد، ولكن بعضهم محيط ببعض فهم بين كبير وأكبر؛ فافهم.

المظهر الإحاطي في كل زمان أكبر الآيات المعاصرة له، والمتقدمة عليه بالزمان؛ لأنه محيط بها ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف:48] فافهم.

لكل شيء أجل هو زمن ظهوره التفصيلي بما في إجمال مرتبته الخارجية في كل مقام بحسبه فللأعيان آجال، وللمعاني آجال؛ فافهم.

كما أن حالك الروحاني في سنّ الشبوبية محيط بحالك في سن الطفولية وزيادة.

وحالك في سنّ الرجولة محيط بحالك في سن الشبوبية وزيادة.

وحالك في سنّ الكهولة محيط بحالك في سن الرجولة وزيادة.

وحالك في سنّ الشيخوخة محيط بحالك في سن الكهولة وزيادة.

ففي كل طور متأخر بالزمان أنت أكبر من كونك بالذي قبله لإحاطتك في الثاني

بالأول فهكذا النواطق الربَّانية كل منها في كل زمان هو أكبر من كونه في الذي قبله فلا تقل: هل يكون بعد فلان أكبر؛ لئلا يقال لك: لا ولكنه هو يأتي بأكبر مما أتى به؛ فافهم.

«العلماء ورثة الأنبياء»[1]، وليس الأنبياء إلا تلك الحقائق الناطقية فما يرثها إلا عينها التي تَعيَّن بها بعد تعيُّنها بسواها، ويبعث الله كل ولي على قلب نبي فالعالم عين لسان نبوي، والولي عين قلب نبوي؛ فافهم.

انظر إلى عصا موسى كيف لبست صورة بعد أخرى، وهي هي، وأنت ترى دود الحرير كيف يلبس صورة بعد أخرى، وهو هو، وأنت ترى نفسك المتجسمة كيف تلبس من صورة السلالة إلى صورة الهرم، وهي هي، وأنت قد سمعت في صحيح الخبر أن الجناني يلبس سبعين حلة لا يستر أولاها أخراها، وأن في الجنة سوقاً لا يباع فيها ولا يشترى إلا الصور، فمن أحب صورة التبس بها فيلبس ما شاء من الصور، وهو هو وأنت قد سمعت بتمثل المالك في صور كثيرة، وهو هو قد أتاك في صحيح الخبر أن الربَّ يتحول لعباده في الصور، وهو هو ونظائر هذا كثيرة؛ فلا تعجب إذاً إن كان العلماء والأولياء هم الأنبياء الذين كانوا في تلك الصور، وأتوا في هذه الصور.

وقد روى الترمذي الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي في كتابه «نوادر الأصول» بسنده حديثاً فيه «القلب بيت الرب»[2] كاف التشبيه.

و﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: 19-22]؛ فافهم.

النظريات فروع البديهيات والضروريات، وهي أمور وجدانية فالوجدان أصل الأصول فافهم[3].

إذا وجدت حقًّا فلا تستدل على حقيقته بأكثر من وجدانك، فإن قال لك معارض: فها أنا أقول لك: إن الذي وجدته باطل، وأستدل عليه بوجداني فقل له: ومن ينازعك في وجدك هو لك كما وجدت، وهو لي حق كما وجدته؛ «فلي حبيبي وللعذّال ما عشقوا».

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:44]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾

(1) رواه أبو داود (3/ 317)، والترمذي (5/ 48).

(2) سبق تخريجه.

(3) قال المصنف في «المسامع»: ما تمنى أحد الموت إلا ليتم له وجوده بزوال ما يراه مانعاً من ذلك، ولذلك يقول قائلهم: أشتهي الموت حتى أستريح، فما عنده محبوب له بالحقيقة إلا وجوده، وهو أبده البديهيات عنده مع العجز عن تقييده بتحديده اللساني ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: 102].

[الكافرون:6]؛ فافهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:62]؛ فليس إلا هو «كان ولا شيء معه، ولم يكن شيء غيره»(1).

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:54]، يظهر في كل شهود بحكمه الذي خصصه ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات:102] واعرف مرتبة أي: شهود أنت من مشهودك؛ فافهم.

كن إما في مرتبة تحقيق، وإما في مرتبة تصديق، واحذر فيما دونهما لخير من طريق فافهم.

﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[الزمر:33]، محقق ومصدق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ [الزمر:33، 34] ﴿أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر:56] فافهم.

المصدق من الصادق بمنزلة هارون من موسى، ويحيى من عيسى ﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:39]؛ فافهم.

مصدق الصادق سيد بين الملائكة الإلهيين فكيف بصادقه ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ [آل عمران: 39] الآية فافهم.

إن وجدت مصدقاً للحق فلك به البشرى من الله فكيف إذا وجدت الصادق بالحق فافهم.

المصدق بشارة بصادقه فافهم.

الحقائق شموس، واللواحق ظلال، والوجد معرفة الثانية بالأولى، ولذلك كان بحيث لا يحتمل النقص، والنظر عكسه.

وليسَ يصحُّ في الأذهـــانِ شـــيءٌ	متـى احتاجَ النّهــــارُ إلى دَليــلِ

فافهم.

دلت الألسنة الفرقانية كلها بالظلال على الشمس إلا ظلال خاتم النبيين فإنه كما قال لصديقه وقوله الحق: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ [الفرقان:45]، على ما تقدم ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾ [الفرقان:45].

وجاء في هذا الجعل بضمير العظمة الجمعية فمن ثمَّ أنزل هذه الدلالة القرآنية في فرقانه؛ فافهم.

جاء في صحيح الكشف والخبر: «لكل حق حقيقة»(2) فما لجملة الحقوق إلا حقيقة

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (11/ 129)، والبيهقي في «الشعب» (22/ 15).

واحدة، وما دونها لواحقها، ولا موجود إلا حق، فما لجملة الموجودات إلا حقيقة واحدة هي الوجود المتعين بكل موجود تعيناً خاصاً؛ فمن ثمّ جاءت كثرته وعدده وهو الواحد الأحد بالذات فافهم.

ما ثمّ إلا الوجود متعيناً بمعلوماته في كل مقام بحسبه ليس إلا ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] فافهم.

التحقيق هو النور الأسود سيد الأنوار وغايتها فكلها تنفعل إليه، وهو لا ينفعل إذا واجه غير أهله ظنوه ظلمة وهي عندهم مذمومة فمن ثمّ يذمون أهله فيعملون سوءاً، ويرمون به بريئاً ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: 69]، ما ذاك إلا لأن الغيرة شديدة سيما على من ليس له مثل، ولا مثل، ولا منه بدٌّ، ولا عنه بدل فافهم.

لسان الحق لا يأتي في كل زمان إلا بحكم ما يتنزل به الحق في ذلك الزمان، فإن أتاك عن حقه بأمر بصيغة ما من ماضي، أو حال، أو مستقبل، أو سوى ذلك فإنما ذلك عنه من حيث تنزل في زمانه ذلك، وإن أتاك عن خلقه بأمر كذلك فإنما هو عنهم من حيث هم هنالك إما في هياكل دنيوية، أو صور برزخية، أو غير ذلك فلا يختلطن عليك الأمر فإن لكل مقام مقالاً، ولكل مجال رجالاً، و﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 78].

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال: 44] فافهم.

جاء في الخبر المحمدي أن الحق سبحانه وبحمده يقول لقوم يوم قيامتهم: «أنا اليوم رسول نفسي إليكم»[1].

فهو إلههم بإلهيته، وهو رسولهم برسليته، ومن كشف عن ساق إدراكه حجاب وهمه البشري لم ير الأمر إلا كذلك في كل مقام بحسبه فافهم.

الصلاة من أذانها إلى سلامها صورة حال المريد من دعائه عن حجبه إلى رجوعه بربه إلى حجبه فافهم.

طهارة الجسم من حدثه إشارة إلى التجرد الظاهر عن الحوادث السفلية، ولما لم يكن المقصود من ذلك إلا تجرد النفس عن التعلق الحسي بها لم يكن من إخلاص النية بُد، واكتفي من التطهر الظاهر بما أمكن، والتكبير صورة الإخلاص وهو مفتاح حرم المناجي فافهم.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الزمر: 66]، ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144]، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: 40]، ومن ثمّ افتتحت الصلاة

---

(1) رواه أبو يعلى في «المسند» (6/ 260).

بحمد الربِّ نفسه على لسان عبده، فإذا أحبه فكان لسانه سقطت الوسائط فافهم.

لما رجع حجاب المناجي رأى قيومية الربِّ بعبده فكبرها عن المماثلة بقيومية العبد فركع معظماً فكان ركوعه مظهر عظمة القيوم، ثم قام فجدد الفاتحة بالحمد، وهو كليم وربه سميع فلم يلبث أن أدركته الغيرة فأفنت بقية حجابية قيامه فسجد مسبحاً لعلوية من تفرد بالقيومية حيث لا يشهد سواه، فكان سجوده مظهر عظمة القيوم علوية ربه في أقربيته، وقام فتمكن متحققاً بربه، وأخذ يرجع به إلى حجبه فأثبت أنه مسلوب المغايرة في قيامه وسلامه فقال: «التحيات لله»، وهي التسليات التي يبدأ بها الدخول في حضراته التي رجع إليها، ثم دخل حضرته النفسانية الجامعة لكل الصور فقال: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله» يعني: كل عبد لله صالح، فمن هو إذاً، ومن النبي في شهوده؟ انظر ماذا ترى، وكيف اختصر لك في الصلاة مشهد الإسراء؛ فافهم.

العارف عين معروفه[1]، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون المحبة، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:62] ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي، وربي وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو.

روى ابن حبان في صحيحه حديث أبي ذر الطويل، وفيه: «قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وعشرون ألفاً، قلت: يا رسول الله! كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، أربعة سريانيون: آدم ﷺ، وشيث ﷺ، وإدريس ﷺ هو أول من خط بالقلم ونوح ﷺ، وأربعة من العرب: هود ﷺ وشعيب ﷺ، وصالح ﷺ، ونبيك محمد ﷺ»[2].

فظن بعض الناس أن محمداً ليس داخلاً في هذا العدد كما فهم فافهم أن اسم الجلالة ليس داخلاً في أسماء الله التسعة والتسعين، فإن الجلالة عند هذا الفاهم يكمل المائة، واسم محمد ﷺ مكمل عدة الرسل ثلاثمائة وأربعة عشر، وذلك عدد بسط أحرف محمد ﷺ فإن الحرف المشدد بحرفين فيكون هكذا: ميم 90 حاء 9 ميم 90 ميم 90 دال 35 تلك 314 فيكون عدد اسم محمد ﷺ للرسل كعدد اسم رحمان 299 للمائة اسم إلا واحداً، والمائة رحمة، وللمائة

---

(1) قال المصنف في «اللوامع»: الحاصل بالنظر والخبر أثرهما فهو دونهما رتبة، وإن حكم بفضله عليهما بهما؛ لملاحظة أمر غيب عند رؤية كونه أثرهما، وأما متعلق اليقين فعين حقيقته، ولا حاجة للأثر بعد العين، ومن ثمَّ قال بعضهم: ربما وصل العارف إلى حيث يستغني بالله عن الله، أي: يستغني به يقيناً عنه.

(2) رواه الطبراني في «الكبير» (14/ 12)، وابن حبان (2/ 213).

درجة تلك 299، وعدد محمد 20 بالجمل الصغير مع اعتبار الحرف المشدد حرفاً واحداً وعشرون وفق عدد رحمان 20 بالجمل الصغير، فإذا اعتبرت الحرف المشدد بحرفين كان عدد محمد 24، وذلك هو العدد الكامل، وفي رابع عشرين رمضان أنزل القرآن وأحرف الشهادتين لا إله إلا الله،12 محمد رسول الله،12، وليس في الأسماء المذكورة في القرآن من أعلام الرسل اسم: هو أربعة أحرف محققة في اللفظ والخط معاً، إلا محمد، وأحمد، وماعدا هذا ففيه ياء أو ألف ممدود غير مهموز فلا يتحقق في اللفظ، فمحمد يكمل أحرف الشهادتين أربعة وعشرين، وكلها في عدد محمد بالجمل الصغير كما تقدم فافهم.

ما من مرتبة فوقية إلا وهي في نظام ما هو أعلى منها، ومحكوم بأن كمالها في التحقق بأحكامها وأمثلة معانيها؛ ولذلك يتنزل ناطق كل مرتبة بما يتم به نظام ما تحت مرتبته من المراتب مع ما يقوم به نظام مرتبته هو ومن هنا يظهر لك أن أمر كل صاحب زمان منظوم في نظام أمر صاحب الزمان الذي بعده في كل دائرة بحسبها؛ لأن الثاني يأتي مكملاً لأمر الأول، ومبتدئاً أمراً جديداً زائداً على أمر الأول، ومن هنا يظهر لك سر قول الحق المحمدي: «آدم فمن دونه تحت لوائي»[1].

وإخباره الإسراء أنه دخل سماء كل منهم، ودخل إلى مستوى لم يدخله معه أحد منهم.

وقال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [محمد:22] والخاتم يحفظ المختوم من أسباب التغير والضياع، وإذا ظهر لك هذا علمت أن قوابل جميع الأمم في نظام قوابل أمته فلذلك هو، يتنزل لبعضهم بالناطق الآدمي المنظوم في نظام نطاقه المحمدي فيقبل ذلك البعض عنه ذلك؛ لأنه وسعه، ومتى يتنزل لهم بناطق سوى هذا لم يقبلوه، ولم يسعوه كالأول، وإن ألجأتهم ضرورة التصديق إلى التسليم.

ويتنزل لآخرين بالناطق النوحي المنظوم في نظام ناطقه فيقبلون ذلك كذلك، وآخرون استعدادهم للناطق الإبراهيمي كذلك، وآخرون للناطق الموسوي، وآخرون للناطق العيسوي، وعلى هذا فقس، وله هو منهم قوابل خاصة بناطقه هو، يتنزل إليهم بحكم ناطقة الجامع المحيط بتلك النواطق كلها فيقبلون ذلك ويسعونه دون غيرهم.

فالكل أمم بمجموعهم أمة دعوته، وهؤلاء الخاصة منهم أمة خصوصيته، والكل

---

(1) رواه أحمد (1/ 281).

(2) رواه البيهقي في سننه (10/ 192)، والطبراني في «الكبير» (15/ 6).

أصحابه من حيث عموم رسالته وهؤلاء الخاصة أصحاب حقيقته؛ ولذلك لما سب خالد ابن الوليد عبد الرحمن بن عوف قال السيد الكامل لخالد: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[1].

مع أن الكل داخلون في عموم الصحبة لكن هذه إضافة تخصيص تدلك على الخاصة منهم به، ولما كانت المعاني الرحمانية الثبوتية ثمانية: العلم والحياة والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر والوحدة، وهي الإحاطة بهذه المعاني السبعة ووجوهها وجهاتها التي هي دائرة الصفات الفوقية الإلهية الربانية كلها وهذه الإحاطة هي المعبر عنها بالرحمانية فتلك ثمانية معاني وانخلع من هذه الإحاطة روح الاستواء العرشي المتنزل بالأمر الإلهي الإحاطي، وبأمر الرحماني الرحيمي انخلاع تعين، وعن بقية المعاني أرواح الأمر السبعة الموحاة بالتعيين الكوني والتصرف التدبيري في السماوات السبع، كما قال الحق المحمدي: ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فصلت:9،10]، إلى أن قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت:12].

ثم تعين لكل روح منها ناطق ظاهر رباني فرقاني وباطنه جمعي رحماني هو مستوى حكمه، وقلم رسمه وجب حيث أريد الظهور أن تظهر هذه النواطق فيما تحت السماوات على تدريج الترقي فظهر أولاً آدم ﷺ بناطق روح السماء الدنيا، ونوح ﷺ بعده بناطق روح السماء الثانية، وإبراهيم ﷺ بناطق روح السماء الثالثة، وموسى ﷺ بالرابعة، وداود ﷺ بالخامسة، وسليمان ﷺ بالسادسة، وعيسى ﷺ بالسابعة ، وجاء محمد ﷺ بناطق الروح القدس، والاستواء العرشي بالحكم الرحماني الرحيمي في ختمه النبوي، وبالأمر الإحاطي الإلهي في ختمه الولائي كما قال: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:52]، وقال: ﴿ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [البقرة:19].

وعند التحقيق أنه جاء في ختم النبوات بحكم روح الفلك الثامن، والكوكب بأنوار الفرقان الثابت في مركز الجمع وهذا هو فلك الكرسي مستوى التفصيل الأمري المستقر، وفي ختم الولايات أتى بحكم روح فلك العرش الأطلس الذي لا جهة بعده، ولا مقصد لمتحرك، وهذا هو الترتيب الحقيقي، وإنما أخر وقدّم في قصة المعراج لحكمة اقتضاها الوقت والسامع، وليشعر الذائق أن كمال نوح ﷺ في عيسى ﷺ ويحيى ﷺ، وسر عيسى ﷺ في إبراهيم ﷺ، وحكم إبراهيم ﷺ في يوسف ﷺ وسر موسى ﷺ في إدريس ﷺ وكمال داود ﷺ

---

(1) رواه البخاري (3/ 1343)، ومسلم (4/ 1967).

في هارون ﷺ وكمال سليمان ﷺ في موسى ﷺ، وهذا من الكشوفات العزيزة غير المدارك الإحاطية، وهذه المظاهر هي المثل الأرضية للحقائق الروحانية السماوية التي أنبأ بها قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:12]، وهي أفلاك العلي التي يديرها روح المكوكب الدائر بروح الأطلس العرشي الجسمي.

ولما تم هذا النظام التنزلي في النبوات بخاتمه، وكان تنزله بإظهار معاني الربوبية في حجب مراتب العبودية، عاد فتنزل بدور ثان في الولايات بسبع دورات يختمها ثامنها، وتنزل بتحقيق مراتب العبودية بحقائق معاني الربوبية فالأول أظهر اللواحق، والثاني أظهر الحقائق فكان صاحب الزمان الأول الذي أوله يوم قول الحق المحمدي: «إن الزمان قد استدار اليوم كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»[1].

بالحق الآدمي إلى رأس مائة سنة كما قال: «يبعث الله على رأس كل مائة سنة... »[2].

من يحيي به الله هذا الأمر، كما قال ما هذا معناه قال: «بعد مائة سنة من يومكم هذا لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو على ظهرها اليوم أحد»[3].

فدل بهذا على الحكم النوحي كما دل بقوله: «استدار الزمان» على الحكم الآدمي، وبقوله: «كان بداية دينكم نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون مُلكاً»[4].

دلَّ على الحكم الإبراهيمي فصاحب القرن الثامن من الزمان المحمدي هو الخاتم المحمدي صاحب السر الذاتي المحمدي الرحماني المنظوم في نظامه الأسرار الذاتية من جميع نواطق أرواح المعاني الرحمانية فهو المتكلم بكل ناطق، والمحقق لجميع الحقائق، وظهوره في هذا الكون المحسوس للجمهور الآن بالصورة الآدمية منه في عام اثنين وسبعمائة كما هو عدد ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:1]، وجاء أجل الله، وأتى عالم الغيب كما هو عدد ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ﴾ [سبأ:3] وجاء الرب المحمدي ومراتبه الملائكة جميعاً، كما هو عدد قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22] فـ﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ لعظمة ذلك الظهور فيها ﴿زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1] وهذا هو المتنزل بكل حقيقة كشف وبيان، وإذا ظهر لقوم بناطق إمامهم الذي فيهم قبول فاعليته عرفوا ربهم فوقعوا له ساجدين، واعترفوا بأن هذا هو العين

(1) رواه البخاري (3/ 1168)، ومسلم (3/ 1305).

(2) رواه أبو داود (4/ 109)، والطبراني في الأوسط (6/ 324).

(3) ذكره ابن قيم في المنار المنيف (1/ 70)، وفي «نقد المنقول» (1/ 63).

(4) رواه الطبراني في «الكبير» (16/ 93)، والدارمي (6/ 321).

المشهود من الغيب المقصود، فإذا ظهر لهم بناطق آخر «أتاهم بغير الصورة التي يعرفونه بها فأنكروه واستعاذوا به منه، وقالوا: إنما أنت شيطان حتى إذا عاد، فتنزل لهم بناطق إمامهم قالوا: أنت مقصودنا»[1]، ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 91] هكذا حاله مع الفرق المتفرقة كلها إلا أن له خاصة، هم قوابل فاعليته الخاصة به يعرفونه في كل صورة، ويقبلون عنه كل تنزل ويشهدونه في كل مشهد، أولئك الذين يقول عنهم: «الله الله في أصحابي»[2].

لا يلتبس عليهم بغيره في صورة من صور تحولاته، وهؤلاء الختاميين الموفين الخاتمين الولائيين الوفائيين هم الذين اشتاق إليهم صاحب الختم في دائرة ختمه النبوي فقال: «واشوقي إلى إخواني»[3].

ومن تحقيق هذا الكشف يظهر لك تلون بعض المريدين على أستاذهم فتارة يقر به، وتارة ينكره، وتارة يظن أنه قد سلب؛ لأنه جاءه بما ليس فيه استعداد له على خلاف ما اعتاده منه، ولم يشعر أن ذلك لفقده هو لاستعداد ما تنزل به أستاذه المتنزل في أي مرتبة اقتضى حاكمه الحكيم أن يتنزل بحكمها من المراتب المنظومة في نظامه ؛ وبعض المريدين متمكن مع أستاذه لا يتلون عن إرادته، وإن تلونت تنزلات أستاذه في مراتب إفادته وسيادته.

والسر في ذلك أن ذلك المتلون مريد بعض المراتب المنظومة في نظام مرتبة ذلك الأستاذ، فإذا تحول له في صورتها عرفه وإلا أنكره، وأما ذلك المتمكن فإنه مريد حقيقة ذلك الأستاذ فهو يعرفه في كل صورة، ولا ينكره في مرتبة من المراتب كما تقدم فإذا وجدت إمام هدى فاعرف كيف تكون بين يديه، والزم تغنم، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

والذي هو إمامك بموجوده هو ربك ومولاك بوجوده، «فلينظر أحدكم بمن يأتم»، فإن للمأموم حكم إمامه، «ولا يؤمَّنَّ أحدكم قوماً وأكثرهم له كارهون»[4] فلا يكون إمامك إلا من تحب، وعلى قدر المحبة يتحقق المحب بمحبوبه، والله أعلى وأعلم.

جاء في الأثر أن الحق سبحانه وبحمده قال: «كنت كنزاً لا أُعرف، فخلقت خلقاً، وتعرفت إليهم فبي عرفوني»[5].

ومصداقه قول الحق المحمدي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

---

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (16/ 93)، والدارمي (6/ 321).

(2) رواه الترمذي (5/ 696)، وأحمد (5/ 54). (3) رواه الترمذي (5/ 696)، وأحمد (5/ 54).

(4) رواه الترمذي (5/ 696)، وأحمد (5/ 54). (5) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 173).

قال ترجمانه: أي: ليعرفوني فيا حققت دائرة الخلق؛ إلا ليعرف الحق بتفصيل أسمائه وصفاته في مظاهر آثارها فكل من كان أعرف بحاله بالآثار كان أعرف بمظاهر الأسماء والصفات، وكل من أعرف بالمسمى الموصوف كان أعرف بحقائق تلك المظاهر على قدر معرفته بالحقائق الظاهرة بها.

ولما كان النظر المحمدي أبصر الناظرين الفرقانيين بالحق المبين عرف من حقائق الأسماء والصفات ما لم يعرفه من قبله أحد حتى قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:30]، ﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:142]، ﴿ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:64]، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ [الذاريات:48] ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء:94]، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [الحديد: 11]، «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»[1]، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:138] «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره»[2].

ويده، ولسانه، وفؤاده، وعقله، ورجله؛ «فإذا أحببته كنت هو»[3]، وبين بذلك أن من كأنه كانت نسبه كلها نسبه وإضافاته إضافاته فقال: «مرضت فلم تعدني، واستطعمتك فلم تطعمني، استسقيتك فلم تسقني، وجدتني عارياً فلم تكسني، وجدتني غريباً ضائعاً فلم تؤوني»[4].

ونظائر هذا ؛ إلى أن بيّن أن الله ينزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه فقام بالوصفين بما منه لعبده، وما من عبده إليه حتى غفر لمن سلبه الفرح بالوجد غطاء الوهم؛ فقال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»[5]، وبيّن أن الله أحد ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3]، وأنه ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت:54].

وقال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49] برفع لام كل على إحدى القراءتين.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ﴾ الشأن الصفاتي ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:154]، ونظائر هذا مما لم يسبق إلى كشفه وبيانه على هذا الأسلوب المحكم الذي يأخذ منه أهل الفرق بحسبهم، وأهل الجمع بحسبهم، وأهل التحقيق بحسبهم فبحق قال وقوله الحق: «أحمد الله بمحامد لا يحمده

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 99)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (5/ 250).

(2) رواه البخاري (5/ 2384).

(3) سبق تخريجه.

(4) رواه مسلم (4/ 1990)، وابن حبان (1/ 503).

(5) رواه مسلم (4/ 2104).

بها غيري لم يحمده بها أحد قبلي»[1] سيا في ظهوره بالختم الولائي بالصورة الوفائية التي هي بالمعنى درجته الرفيعة، ووسيلته العظمى، وبالعين دويرة الله ربه التي يدخل عليها فيها بمحامده الخاصة فيظهر منها بشفاعته العظمى التي تحقق كل قابل عنه بإيمان بعين حق من حقوق الرحمن ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:74] فافهم.

الكلام هو مبدأ الحكم التصديقي فكل عين تصديقية مجموعة من موضوعها ومحمولها، والرابطة بينهما فهي كلمة ومفردات معانيها حروفها فأحد كلمة، حروفها أولو العزم السبعة آدم عليه السلام ونوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وداود عليه السلام وسليمان عليه السلام وعيسى عليه السلام، وكل واحد من هؤلاء كلمة حروفها ما في نظامها من النواطق الجزئية عن كليتها الظاهرة بمن في زمانه من علماء وحكماء، وكان الدال في لفظ محمد ﷺ أحد حقيقة الدال التي في لفظ تسامي هؤلاء السبعة الحاء حقيقة حاءاتهم، والميم من معناه الجمعي على وفق هذه النواطق السبعة التي هي أحرف كلمته فقال مشيراً إلى ذلك: «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ من قرأ بواحد منها كفاه»[2] ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:196] هذا حقيقة الأمر وإن كان له معانٍ أخرى في دائرة التشريع شهد منها كل مجتهد بحسب نظره و﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء:78] ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال:44]؛ فافهم.

كل نفس كلمة بالنسبة إلى جسمها، وكل عقل كلمة بالنسبة إلى نفسه، وكل معنى كلمة بالنسبة إلى عينه، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة:40]، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

كل كلمة فإنها اسم الوجود للمتكلم بها من حيث تعرفه بها، وعين له من حيث تعينه بها وصفة له من حيث فعله بها، جاء في حديث المهدي أن السيد الكامل ذكر المهدي فقال: «اسمه يواطئ اسمي»[3]؛ أي: مسمانا واحد، وكلمتنا النفسانية، والعقلية، والوجودية في درجة واحدة سواء كان اسمه اللفظي محمداً، أو علياً، أو مهما كان فإن الأسماء المتواطئة هي الدالة على معنى واحد، مستوية في أكثر من محل واحد فافهم.

ومعناه أيضاً بتنزله بالاسم الذي أنا متنزل به، وهو الرحمن الرحيم وأيضاً «اسمه يواطئ اسمي»؛ لأن معانية التي يشتق منها أسماؤه أمثال المعاني التي اشتق منها أسمائي.

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (6/ 373)، والبيهقي في «الدلائل» (5/ 106).

(2) رواه النسائي (1/ 352)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 182)،.

(3) رواه أحمد في «المسند» (2/ 123).

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:128] هادي إلى صراط مستقيم الله، حق مبين علي حكيم، بشير، نذير، سراج، منير داعي إلى الله، وقِسْ على هذا.

وجاء في بعض الروايات «اسمه على اسمي»[1] وهو بمعنى الأول لكن فيه زيادة الاستواء المشعر به كلمة «على» وكأنه أيضاً يشير إلى أن اسم هذا المنتظر في اللفظ «علي»، وإذا علمت أن القابل اسم الفاعل المتعين فيه بتجليه كان معناه أيضاً أن القابلين عن هذا المبشر به أمثال القابلين عن هذا البشير به، وربما أريد بالمواطأة الموافقة بالعدد، وأنت إذا حسبت عدد «اسمه يواطئ اسمي» بالجمل الكبير وجدته 24، وذلك وفق عدد أربعة وأربعين ومائتين، ويكون عدد ما يعرف به عدد اسمه مع ما يعرف به، ولولا حجاب الوقت لنصصت لك اسمه، وقد جاءت شواهد عددية كثيرة من الكتاب والسنة تدل على أن ظهور سلطان هذا المنتظر يكون في أوائل المائة التاسعة؛ فافهم.

فينتظر ذلك ما بين سبع وثمانمائة إلى أربعة عشر وثمانمائة؛ فإنه لا يتأخر ظهوره أكثر من هذا القدر إن شاء الله تعالى، والله أعلى وأعلم.

ما ميزت مرتبة العبودية إلا وقاية لما أحب الوجود أن يظهر به من مرتبة الربوبية من الأحكام التي تنزهت عنها مرتبة الربوبية في عقول الفرقان، فمتى كان موجود في حك مرتبة العبودية، ووقف نفسه بمعاني الاقتدار والاختيار ووصف ربه بمعاني الافتقار والاضطرار؛ فقد نازع الأمر أهله، وخرج عما وضع له قبله من عقل الفرقان بالمذمة، والحكم بالكفران والخسران.

وإن قام هو بأمر الاضطرار والافتقار على قدم الائتمار، وشهد لربه بالاقتدار والاختيار وأنه الغني الحميد الفاعل فقد ثبت له عند عقل الفرقان أحسنية التقويم، وحكم السعادة بالإيمان؛ فافهم.

لا معقب لحكم العقل الفرقاني في إسراء حكم الفرق التغايري فقف عند حدوده حتى تخلص بالتحقيق الوجداني من حكم هذا الفرق المبين ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:99] تتحقق من ربك بعد موتك عياناً بما تحققت به منه قبل موتك حبًّا، وتعظيماً، وإيماناً، وهكذا المحبة توجب تحقق المحب بمحبوبه في كل دائرة بحسبها فاعرف والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

---

(1) لم أقف عليه.

جاء في الحديث: «من قرأ عشر آيات من سورة الكهف أمن من فتنة الدجال»[1] اعلم أن الوهم البهيم مبدأ كل ما هو ذميم عند روح عقل الفرقان الرباني الحكيم، وهو حقيقة جميع المضلين، وقواه هي المتمثلة بسائر الدجاجلة والمفسدين، وكل شيطان غوي عدو مضل مبين، أي: قاطع عن جناب الحق المبين لحقائق الكشف اليقين.

وهذا الوهم هو ذات البين التي أمر الحق بإصلاحها بالتقوى في قوله سبحانه وبحمده: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:1]، فمن صلح هذا الوهم منه بدخوله تحت حكم روح حكيم، فقد أمن فتنة الفتانين الدجالين ما دام له ذلك التحكيم، ومن جملة ما يحصل به هذا الصلاح قبول رشاد المرشدين وذكر المذكرين، ووعظ الواعظين فمن قبل بفهم سليم ما ضرب مثلاً من الرجلين الذي جعل ﴿لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الكهف:32]، فكانت فتنة عليه حيث أخرجته عن حد العبودية غفلة، ودعوى فكانت جنة دجال ظاهرها جنة تُشتهى، وباطنها نار تلظى فأتاه صاحبه بدوائه، لو قبله منه فذكره أولاً بالفناء في الله الربِّ الحق فقال: ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف:38].

وذكره بوضاعة قدره بالنظر إلى نفسه وشرف قدره من حيث ربه فقال له: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:37] فبهذا وأمثاله يأمن المؤمن فتنة دجاله فافهم.

من قتل نفسه الرديئة بالتجرد عنها أُبدل منها نفساً زاكية، فإن قتل نفسه الزاكية بتجريدها عن الدعوى بل عن شهود ثنوية في الأمر لها مع الله مولاه الحق، فقد تقرب إلى الله بنافلته فأحبه فكان له بروحه مكان آنيته التي تجرد عنها بشهود وحدة هويته، وتلك الروح خير من تلك النفس الزاكية ﴿زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:81] فافهم[2].

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:82] ما هذه عند الناس نافية، وهو ظاهر وفي أيضاً موصلة بمعنى الذي أي: فعلته عن أمري، فإن لم تفهم هذا على كون الأمر مضافاً إلى صاحب الأمر فافهمه مضافاً إلى المأمور، فلكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

كما ظهر هذا الروح في خاتم النبيين بحكم الرحمن الرحيم، هكذا ظهوره في ختم الولايات بحكم هو الله الرحمن الرحيم كما قال: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:24] وكل ولي على قلب نبي فالذي على هذا القلب المحمدي قائماً بالختم الأعظم هو بحكم الله،

(1) رواه النسائي (5/ 15)، وأحمد (6/ 446).

(2) قال المصنف في «المسامع»: يا عجباً لمن يعظم ذو المعاني لأجل معنى من معانيه، وأعجب منه من يعظمه لأثر من آثار معانيه، إن كان لا بُدَّ من الفرق، أليس المقوم أولى بالأصالة في النظر من المقومات به.

وهذا هو الأخرى التي قد أحاط الله بها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ [البقرة:115]، منها ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:115] وهذه لا تدخل فلذلك قال لأهله: لا تقدروا عليها كما أن الغيب الذي ظهر في ختم الأنبياء لم تكن الأزمنة المتقدمة على زمانه مستعدة لظهوره كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:179] أي: الذي أطلعتكم عليه الآن، وهكذا لذلك الغيب غيب لا يطلع عليه أحد إلا في زمن ختم الولايات، وهذه الولاية الخاتمة التامية الوفائية هي الأخرى التي لا تنال إمداداتها إلا بالمحبة، فمحبتها هي نصر محبها وفتحه القريب الذي به يرى ﴿ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:2] لا في دين الذين دونه كما قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف:13].

وبهذه بشر محمد ﷺ كما بشر عيسى ﷺ بأحمد ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:223]، وظهور من هذا شأن حضرة حسه في هذا العالم المحسوس عام اثنين وسبعمائة من الهجرة كما قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:1]، ويوم تمثله في ذلك الكون المقدس ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1] لعظم ما أوحي إليها رب محمد ﷺ من مظهره الأعلى كما قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1] الآيات.

وعدد إذا بالجمل 702 فزمن هذا الظهور الأقدس هو أجل الله كما قال:﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ﴾ [نوح:4] ومدة أعوام هذا الظهور عدد السبع المثاني، وسور القرآن العظيم تلك مائة وأحد وعشرون عاماً من تمام عام اثنين وسبعمائة، وذلك عند تمام ثلاثة وعشرين وثمانمائة عام، ثم يأتي الله بعد ذلك بما يشاء ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:247] فافهم.

مهما حققه عندك المحقق فاعلم أن ذلك تجلٍ من تجلياته، وأن الذي تعين به من ذلك في إدراكك تمثل من تمثلاته وذلك المحقق هو أجل، أو من أجل حقائق وجودك التي قام بها في شهودك فافهم.

المريد عين من عيون وجود أستاذه بالنسبة إلى الأستاذ، والأستاذ حقيقة وجود المريد بالنسبة إلى المريد، والوجود في الكل واحد محيط؛ ولذلك يتحقق المريد بأستاذه في معاني الكمال وجوداً، ويتحقق الأستاذ بمريده في مراتب المتعرفين شهوداً، ومن ثم قال السيد الكامل لمريده الكامل: «أنت مني وأنا منك يا علي»[1] فافهم.

حكم المماثلة يمنع قبول الأفضلية فلذلك ما دام ظهور المحقق في الصورة البشرية حاصلاً قائماً بحكمه لا يتأتى له إظهار عن حقيقته وأكملية معانيها؛ إلا لمن لا يراه من حيث

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 499)، والحاكم في «المستدرك» (10/ 421).

تلك الصورة البشرية التي هو في نوعيتها مثله عند نفسه فهذا هو الذي يؤمن بما ألقي إليه من ذلك، وأما من لا يراه إلا بشراً مثله فلا يزيده ما كشفه حقه المبين من ذلك، وبينه له ناطقه الصادق له مما هنالك إلا إعراضاً، وتكذيباً، ونفوراً.

ومن ثمّ لا تجد محققاً يظهر لقوم إلا من حيث يشهدونه، وما دام في ظهور المماثلة لهم لا يكلمهم إلا بلسانهم، ولا يعاملهم إلا بكيلهم وميزانهم، وإن استرقوا من كلامه للمستعدين بما لديه سمعاً، وأطلع عليهم أخفى عنهم حقيقته بما يناسب حالهم من تأويل أو صرف إلى جهة لا ينكرونها ما استطاع حتى إذا تجرد عن تلك الصورة المماثلة قام مستوياً على ناطق من استعد ناطقه لقيامه مستوياً عليه من صديقه فتكلم بما احتملته قوة ذلك الصديق مما كان سكت عنه قبل مفارقته، وكشف ما كان يستره، ورفع الموانع عما كان كتمه، وقبل ذلك من ذلك الصديق من لو كان المستوى عليه ألقاه منه إليه، وهو في حجابه البشري لم يقبله.

ومن ثمّ تجد النبي ﷺ يقول: «لا تفضلوني على موسى»[1]، ويقول: بعد مفارقته لبشريته على لسان بعض ورثته العلماء أنه أفضل من جميع المرسلين والملائكة أجمعين فيقبل ببشاشة، وتصديق خالص من لو قال له وهو في بشريته: لا رتاب، وهكذا كل ولي في حال ظهوره بشراً لا يقبل منه أثر كشفه الحق الصادق، ويقبل منه ذلك إذا تجرد عن بشريته، وألقاه على لسان صديقه فيقبل من المحبين في محبوبهم ما لا يقبل من المحبوب عن نفسه عند أهل حجاب المماثلة فافهم.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:25]، فهو مثال حضرة الواحد الذي مراتب العدد كلها فيه سواء من حيث هي تعيناته فلا غير له في كثرته ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ [الحج:25]، فيخصص أمراً بأمر دون أمر ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج:25]، يميل الأمر عن سوايته ﴿بِظُلْمٍ﴾ [الحج:25]، فيرى غيراً له استحقاق قد غلب عليه ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:25]، تعلق ذوقه بالغير الذي لا حقيقة له فوجوده متجرد عنه بالذات متقيد به بالحكم، وكفى بطلب الذات للخلاص من الحاصل اللازم عذاباً أليماً، فافهم.

المسجد الحرام الذي لا ينفر صيده فهو مقام اليقين ولا يختلي خلاؤه فلا تكتسب أموره، هذا منشأ الناطق المحمدي الذي تنزله منه إلى المسجد الأقصى الفرقاني النظري ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:1] فولى وجهه كشفه وبيانه إلى هذه الضرورة أهل المنزل، وجعل له أوقاتاً يولي وجهه فيها إلى منشئه فهو القبلة التي يرضاها﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ

---

(1) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (4 / 315).

يأتيك اليقين﴾ [الحجر:99] فمبدؤه غايته، وما ثم في الحقيقة غير﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115]، ﴿وَلِكُلٍّ﴾ [البقرة:148]، من الفرقانيين ﴿وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: 148]، فوجودك الذي هو ذاتك الحق هو الذي أثبتك ثم أثبت فيك جميع معانيه فظهر بك وظهر لنفسه فيك بمراتب ألوهيته، وربوبيته، وحقيقته، ومألوهيته، ومربوبيته، وخلقيته ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:148]، فهي كلها شئون الوجود ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة:148]، يظهر بكم بجميع مراتبه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [البقرة:148]، مستو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [البقرة:148]، بأنه ﴿ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:148]، ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: 150]، من حضرة الوحدة إلى حضرة الكثرة، ولم تخرج عنها إلا بحجابك الكوني ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ [البقرة:150]، الفرقي ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:150]، حتى تمزج رحيق الأبرار أهل الشرب من كأس النظر على أرائك الأدلة بتسنيم المقربين أهل الشرب بالعين ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[البقرة:150]، فإذا تجردتم عن الكون رفعت إحاطة الوحدة حجاب البين فافهم.

قال قائل: ما الذات؟ قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه، الذات والوجود بديهان فلا يسأل عنهما ولا يطلبان بالتحديد.

قال: أريد التنبيه، قلت: الذات ما به قيام كل حاكم، وحكم ومحكوم فمهما أدركته من هذا فهو مما قام بالذات لا الذات فقد نبهتك على عجزك المحض.

قال: فكيف هو بديهي؟ قلت: من جهة، إذ مع الجهة يتعلق العلم وإلا فلا، قال: فبين لي هذا الأمر بياناً وافياً كافياً شافياً في إيجاز يعيه قلبي ولا ينبو عنه لُبي، قلت :طالب الله لا يخيب فنعم الذات بما هو الذات كما سمعت معجوز عنه وهو بديهي فليس ذلك إلا من جهة، فأول الجهات المصححة الشعوب به أنه المقتضي لذاته أن يقتضي، وما ثمَّ إلا هو فيقتضي لنفسه بنفسه، وعليها قضايا لا تتناهى لوجوب قضائه له لذلك، وذلك على الطريقة التي نسميها في علم البيان تجريدا بيانيًا.

فأنت إذا جردت نفسك من نفسك لنفسك طالباً، ومطلوباً، وطلباً، وذاكراً لذلك لا يمكنك نسيانه، وناسياً له لا يتأتى منك ذكر، ألست تقوم عندك بهذه الأحكام صور متقابلة لا يشغلك شيء منها عن شيء فأنت حقيقتها جميعاً، وليست هي زائدة عليك بالحقيقة، وهي أغيارك ومتغيرة هي في نفسها حكماً ومعاملة فهكذا فافهم هنا، فالذات من هذه الحيثية القضائية الاقتضائية تسمى الذات الوجود، وتسمى القضايا موجودات، ومراتب الوجود، ثم للذات الوجود جهات جهة ما هو الوجود مطلقاً، وعلمه اللفظي العربي من هذه الحيثية

هو وجهة ما هو الوجود المجرد عن كل ما يحكم بزيادة عليه، واسمه العلم هنا هوهو.

وجهة ما هو الوجود المحيط تعيناً بكل موجود فهو ذات كل موجود، وكل موجود صفته، وتعينه، واسمه العلم الجلالة الغير مشتقة من شيء أصلاً الله.

وجهة ما هو الوجود الذات المتصفة بجميع الصفات المحيط التعلقات الحكيم، واسمه العلم هنا هو الجلالة المشتقة من الألوهية، وهذه الجهة المرتبية هي الألوهية لله، واسمه العلم من جهة ما هو الوجود المتصف بالصفات التي تسميها الأشاعرة ثبوتية من هذه الصفات الإلهية الرحمانية.

وهذه الجهة المرتبية هي الرحمانية، واسمه العلم من جهة ما هو الوجود المتصف بالصفات التي يسمونها صفات الفعل من هذه الصفات الإلهية وحقائقها نسب الصفات الثبوتية إلى تعين متعلقاتها رحيم، وهذه الجهة المرتبية هي الرحيمية، فالرحيمية فرع الرحمانية، والرحمانية فرع الإلهية، والإلهية أحدية جمع ذلك كله وأسم الوجود من حيث ما هو وجود المرتبة التي هي مبدأ الترتيب وكشف المراتب وبيانها جميعاً في كل دائرة ومقام بحقه حتى كون هذه المرتبة الحق المبين، وكذلك ما واطأ هذه الأسماء في باقي اللغات.

ثم هذا القضاء الذي تقتضيه الذات لذاته من حيث هو مبدأ تحقيق القضايا يسمى علماً فعلياً، ومن حيث هو مبدأ تعينها وانكشاف الوجود بها يسمى علماً انفعالياً، ومن حيث هو مبدأ ثبوتها لأنفسها يسمى علماً مجرداً، ومن حيث هو مبدأ تمييزها يسمى علماً مميزاً، ومن حيث هو مبدأ ترتيبها يسمى علماً مرتباً، ومن حيث إن هذا القضاء المشترك ثابت للوجود في مرتبة محدودة متميزة بحدها تميز التقيد التغايري يسمى هذا القضاء هنا إدراكاً وله مراتب: مرتبة التعقل ومرتبة التخيل، ومرتبة التوهم، ومرتبة الإحساس، ومرتبة التصرف، في محاذاة المراتب المتقدم ذكرها.

والعلم الفعلي حقيقة المراتب الإدراكية الفاعلية كلها، والعلم الانفعالي حقيقة المراتب القابلية كلها، وحيث حكم الوجود بمراتب متغايرة له في كل منها شئون خاصة بها عن الأخريات كعليم وقدير، فللعليم العلم الزائد ليس إلا، وللقدير القدرة الزائدة ليس إلا، فهما في جامعهما متفاصلان وهو ذاتهما المتعين بهما فهما غيران ولكن من حيث تفاصلهما وليسا غيره فهما به واحد عيني وقس على هذا، فالقدرة والقدير ذات واحدة وهذه هي القدرة بالذات والقدير صفة للمتصف به، فالقدرة معنى من معانيه وهو الذات، والقدير صفة للمتصف به فالقدرة معنى من معانيه وهو الذات المتصف بها القدرة ذاتية في دائرة هذا الحكم الترتيبي، فتلك دائرة كثرته فإن حكم مع ذلك بأنه ذات الكل وحقيقته كالكلي مع أشخاص فتلك

دائرة جمعه، وإن حكم باستقلال كل عن الأخرى بنفسها وذاتها وحقائقها ولواحقها فتلك دائرة فرقه، وفيها يحصل التقابلات والتماثلات وتظهر المراتب الفوقيات جليات، ولا حاكم إلا الوجود فلا حكم إلا له فلا معقب لحكمه فلا يقيد موجوداً بمرتبة ولا يطلقه منها إلا وجوده الذي هو ذاته وحقيقته.

والوجود كل شيء، وله كل شيء، وهو وجود كل شيء، فكل شيء كل شيء، وله كل شيء، وإن ظهر بشيء من جهة شيء؛ فبطن به من جهة شيء آخر حكم بنفيه وسلبه حيث بطن به، وبإثباته ووجوبه حيث ظهر به وهو الحق وكل حكمه حق ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:3]، هذه وحدته ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3]، هذا جمعه لأن العالم ذات متعين بمعلومه، والفرق ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4]، ولسريان الوحدة، في الجمع لا يرجع الجمع عند التحقيق إلا إلى الوحدة هل أنت سوى ذاتك؟

وما ثم إلا ذات، أليس متعينك ذات؟، وتعينك أيضا أليس ذاتاً، فما ثم إلا ذات، ولسريان الجمع، في الفرق لا يرجع الفرق عند التحقيق إلا إلى الجمع، هل معك أينما كنت إلا وجودك فإنك تكون حيث تراك مع قطع النظر عما سواك ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال.

ويا أيها المفروق إذا وجدت من يهديك بالحق المبين فاعلم أنه عين حقك المبين أتاك من حيث تتمكن من التحقق الظهوري به فإن المحبة توجب تحقق المحب بمحبوبه فأشهده من حيث ترى وجوبه الحقي إلهك وربك وهاديك المتحول لك في صورة تعرفه بها وعامله على شاكلة ذلك، ومن حيث ترى إمكانه الخلقي فأشهده إمام هدايتك ومربيك ومرشدك المنبعث لك من الجناب الإلهي المخصوص بك المختص به وعامله على شاكلة ذلك.

واعلم أن الحرمة مبدأ الحكمة، والحكمة هي ما فيه، وبه صلاح النظام، وكمال القوام في كل مقام بحسبه، والروح الحكيم صورة الرحمة وهو مبدأ كل خلق كريم وعمل حميد، والوهم البهيم ضده والنفس البشرية موردهما، فهي منهما كرسي لمن غلب ولوح لمن كتب[1].

واعلم أن حقيقة الدنيا إحساس يمد التخيل ويغلب عليه بحكمه بلا عكس، وحقيقة البرزخ عكس ذلك، وحقيقة الآخرة الموعودة في الألسنة الفرقانية إحساس يمد تخيلاً ويغلب

---

(1) الأنس من قسم الأصول أحد المنازل العشرة التي يشتمل عليها قسم الأصول التي عرفتها، والواصل إلى هذه المنزلة على وفق الحكمة البالغة التي لا أبلغ ولا أحكم منها، ويتحقق بأنه لا بدّ من وقوعها كذلك، رعاية لتلك الحكمة، فلهذا لا يهتم صاحب هذا المنزل لنازلة، ولا يغتم لحادثة، ولا يؤثر فيه سماع ما يكره، ولا رؤية ما لا يلائم. (لطائف الإعلام ص44).

عليه بحكمه فيستلزم ذلك إمداد ذلك التخيل لذلك الإحساس وعليته علية بحكمه وعكسه، فمن ثم كان الأمر الأخروي دائماً حيث كان متلازماً فالدنيوي يحس فيتخيل فيحس فأمره دائم لازم لا ينقضي، ثم إن الإدراك يكون بحسب الصبغة الغالبة على محله كما أنك ترى من غلب عليه خلط من الأخلاط الأربعة في آلة ذوقه لا يذوق شيئاً إلا بحكم ذلك الخلط الغالب عليه أو في بصره لا ينظره إلا كذلك.

ومن ثمّ يذاق الحلو مرًّا، ويرى الأبيض أحمر، وقس على هذا فمن غلبت على نفسه البشرية ملكة روحانية حكيمة غلبة اقتضت منها بها إدراك كل ما صدر عنها، أو ورد عليها أبداً حسناً جميلاً مناسباً لها مرضياً عندها مطابقاً لاختيارها من جميع جهاته، وذلك هو النعيم المقيم فتلك الملكة هي حقيقة الجنة في حق تلك النفس، ومن غلب على نفسه البشرية ملكة وهمية بهيمية غلبة اقتضت منها بها عكس ما اقتضت حقيقة الجنة فتلك حقيقة الجحيم المقابل بالضدية لذلك النعيم واعلم أن الروح الحكيم أمره على الأصل الثبوتي فلا يمكن نقضه في الدائرة العقلية بخلاف الأمر الوهمي فمن ثم يمكن أن يخلص الجهنمي من جهته ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء:18]، ولا يمكن ذلك في الجناني ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾[التوبة:115]؛ فإن الأمر الحكيم يقين في دائرته.

وهل رأيت يقيناً يقبل الحدس؟

فهذا هو حاصل أمر دائرة الفرقان في نظام دائرة الفرق وقد فتح لك الباب ورفع الحجاب فتطهر وادخل وتأمل وانظر ولمولاي فاحمد؛ فافهم.

إن شئت أن تحمد وتسبح فاحلم وتكرم واسمح واسمعهم بقوله سبحانه الحليم الكريم المسامح ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة:13]، فبكونهم في مدارك المدركين فإذا أحببته كنتم، وقس على هذا فافهم.

انظر كيف لا يعبدون حالاً إلا من قام لهم بما يشتهون حالاً فافهم.

ما منك إلا وإليك، ولا إليك إلا ومنك ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم:39] فافهم.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون:45، 46]، ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: 4]، فله علو في دائرة الضلال، وكما لم يرد في الأسماء الملّية مضل لم يرد فيها إنما ألقي هذا الاسم على العدو المضل المبين ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص:75]، وإنما ورد في هذه الأسماء هادٍ علي وأعلى ومتعالٍ ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [طه:68]، ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى:1،2،3] فلهم العلو في دائرة الهدى ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:5] على نور من ربه، ونور الشيء صورته البيانية الكشفية الحميدة؛ فافهم.

الجود سعة العطاء والهبة إثبات العطية وإتمامها على من أعطيها والسماحة سهولة، والسخاء إعطاء المحتاج لتفريج ما به بالعطية فافهم[1].

مراتب الفعل لواهيت وآزال وأصول وآباء وأزواج لمراتب الانفعال في كل مقام بحسبه مبدأ التمييز والكشف من حيث تحقيقه لمتعلقاته يسمى معنى علماً، ومن حيث تعينه لها يسمى معنى حياة، ومن حيث تخصيص بعضها ببعض ما يقبله منها دون بعض يسمى معنى إرادة، ومن حيث جعل بعضها موضوعاً وبعضها محمولاً ليتبين مرتبة بعضها ببعضها يسمى معنى كلاماً، ومن حيث إظهارها في مراتب الإدراك على مقادير محددة تسمى معنى قدرة، ومن حيث تشخيصها في الإحساس يسمى معنى بصيراً، ومن حيث تشخيصها في التخيل يسمى معنى سمعاً، وقس على هذا سائر المعاني.

والعلم مثلاً اسم تأثيره، وقس على هذا؛ فافهم.

الصور أعيان المعاني في مراتب الإدراك في كل مقام بحسبه، العقل صورة العلم، والروح صورة الحياة، والنفس صورة الإرادة ،والصيغة صورة القدرة، ولكل مرتبة فعل في ما هو تحت إحاطتها وقبول مما هو تحت إحاطته في كل مقام بحسبه؛ فافهم.

الباري بصور الأقلام والأقلام: هي القوى الفاعلية للصور البيانية في كل مقام بحسبه، والألواح قوابل الأقلام؛ فافهم.

العلم الإدراكي نظام المجردات الإدراكية، والحياة الإدراكية نظام المستحقات والمعينات، لذلك فهما إحاطتا الوجود المدرك بجميع المدركات، والعلم مبدأ التحقيق والتقدير تمييزاً وكشفاً، والحياة مبدأ التعيين المعبر عنه بالإدراك الموجودي الفرقي، والتشخيص المعبر عنه والمعبر عنه بالفعل كذلك، والعقل صورة مبدأ التحقيق، والنفس صورة مبدأ التقدير، والروح صورة مبدأ الإدراك، والطبيعة صورة مبدأ العقل، والرحمن وجود العقول والأرواح، والرحيم وجود النفوس والطبائع، والله وجود العلم والحياة، هذا

---

(1) أعلى التجليات: ويسمى بالتجلي الذاتي، وهو أعلى مراتب التجريد الذي عرفت بأنه تجريد الذات الذي لا يرى فيه سوى ذات واحدة في تعيناتها، أدنى الجود، ويقال أقصى نهاية الجود، ويشار بكل من الأمرين إلى بذل العبد لنفسه وترك حظوظها في حب لربه، فأما ذلك فهو أدنى الجود. (لطائف الإعلام ص16).

هو الأمر في هذه الدائرة.

والإنسان صورة مجموع النفس، والطيعة الأول: مستوى الرحمن، والثاني: مستوى الرحيم.

وقلت: الإنسان المعبر عنه بالإنسان الكامل صورة مجموع الصور؛ فهو مستوى الله الرحمن الرحيم، والمستوى حضرة الاستواء، والاستواء هو الظهور التام بمعاني الحقيقة والمرتبة في كل مقام بحسبه، وكل موجود مستوى وجوده بالنسبة إلى ما استوى به فيه عليه، وحضرة الاستواء الإجمالي يسمى: عرشاً، وحضرة الاستواء التفصيلي للاستواء العرشي يسمى: كرسيًا، فهذه هي هذه في كل مقام بحسبه ،وإن تمثلت لكل مدرك بحسب الصفة الغالبة على إدراكه، فاختلفت شواهدها بحسب اختلاف شهوداتهم ؛ فافهم.

لما كان الوجود في دائرة الدلالة يظهر بموجوده سمي الموجود مظهراً، والوجود ظاهراً به في كل مقام من هذه الدائرة بحسبه؛ فافهم.

وجودك هو ربك بربوبيته وإلهك بإلهيته ورحمانك برحمانيته، وقس على هذا جميع المعاني والصفات، فتارة يظهر لك بحكم هذه المراتب، أو بعضها في إدراكك من الحيثية التي تراها أنت وتراه منها وجودك، وتارة من الحيثية التي يراها غيرك وتراه منها وجود غيرك منه وما هو في الحقيقة إلا وجودك إذ لا يظهر لك الوجود حيث ظهر وكيف ظهر ومهما ظهر إلا من حيث هو وجودك وأنت لا تدرك ذلك، ولا شيء منه إلا بأنه وجودك المدرك لذلك بإدراكه من حيث إنه وجودك المدرك ما ثم شيء خلاف هذا ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت: 54]؛ فافهم.

شأن المرتبة الإلهية كراهة أن يمال بحكم العبودية الخاصة بها إلى مرتبة سواها ميل حب وتعظيم يضاهي به حبها وتعظيمها والظهور بحكم الغيرة المانعة من ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 48].

قال هو سيدي ومولاي:

أَغَارُ عليهَا من تَوهمِ غيرهَا وغَيرِي على الأغْيَارِ صَاحِبُ غَيرَتِي

وهكذا مظاهره لا يغفرون أن يشرك بهم لأنه حقيقتهم الظاهرة المتمثلة بهم فهو هم، وهو قوامهم وأمورهم كلها أموره فإذا رأيت أحد منهم يكره ممن يتعين عليه حبه وتعظيمه أن يحب سواه ويعظمه كحبه وتعظيمه.

فاعلم أن ذلك شأن الله الذي ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 48]، ظهر به في مظهره واعرف والزم، ولا تظن أنه في ذلك بمنزلة أهل الحظوظ الوهمية فتكون قد ظننت بالله

الظنون، ومن أساء ظنه بربه الحق أرداه؛ فأصبح من الخاسرين يوم يكشف غطاؤه فيعرف من هو الذي كان المتحول له في صورة الهداة ويعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:25]؛ فافهم.

من رد الحادث إلى القديم في مقام من المقامات؛ فهو ممن أوتي تأويل الأحاديث كمن يؤول المثال المنامي إلى المراد الوقوعي في الأزل، ومن يرد نسب الأمور الخلقية إلى المبادئ الحقية، وأعظم هؤلاء من كشف حجاب حدوث الموجودات عن وجه قدمها بوجوب وجودها؛ فافهم.

جاء في الحديث «من اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه»[1]؛ لأن إنكار الذنب أو الاعتذار عنه بالكذب تزكية للنفس المذنبة وشهادة زور وتجهيل للمنكر منه المتعذر عنده ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت:23] فـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:50]، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام:24]، وهذا شيء نجده من نفوسنا أن المذنب إذا اعترف وخضع رققت له وكرهت عقوبته وتوبيخه بعد ذلك ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف:91،92] والعكس بالعكس.

وانظر قصة كعب بن مالك وصاحبيه، وقال الحق تعالى بعد ذكر قصصهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة:119].

وجاء في الحديث: «كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب»[2]؛ فمجموع هاتين الرذيلتين رذيلة لم يطبع عليها المؤمن، وهي ضد الاعتراف والتوبة.

حَبِيبِي إِنْ أَكُنْ أَذْنَبْتُ جَهْلاً ... فَمعذِرَتِي خُضُوعِي واعتِرَافِي

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:23] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:118] فافهم.

ليس للعبد ملك دون سيده، وإنما هو مال سيده في يده يفعل فيه ما أمره به ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:7]، فمتى أدعاه لنفسه دون سيده فقد خان وافترى، وكان عليه فتنة، وإن اعترف بأنه لسيده أقامه عاملاً له فيه فلا تستكثر عليه ما في يده، ولو كان العالم كله في يده فإن ذلك إنما هو لمولاه ومولاه لا يكثر عليه شيء؛ فلا ينتقص وليًّا لله بكثرة ما في يده من مال الله إلا جاهل، وإنما الإنكار على من زعم أن ما في يده له يفعل فيه ما اختار، وإن

---

(1) رواه البخاري (2/ 945)، ومسلم (4/ 2135).

(2) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (4/ 207)، ورواه الطبراني في «الكبير» (9/ 184)، بنحوه.

قل وذلك هو موضع الفتنة والإملاء والاستدراج، وأما من يقول كما علمه السيد الكامل: «المال مال الله وأنا عبده»[1]؛ فكلما كثر مع ذلك ما في يده علم أن مولاه فضله بتوسعة عمالته وخدمته.

ومن ثم قال يوسف ﷺ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾[يوسف:55].

وقال السيد الكامل: «وضعت مفاتيح خزائن الأرض في يدي الله المعطي»[2]، و«أنا القاسم أضع حيث أمرت»[3]، فاعرف والزم، ولا تغلط ولا تجهل.

واعلم أن من استكثر على عبد الله ما في يده لله؛ فإنما استكثره على الله، ومن نقص العبد الأمين بما ائتمنه الله عليه واستخلفه فيه فقد نقصه بما فضله الله به، وهو لا يشعر ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل:71] ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:34]، وإنما أضافها إليهم كإضافة الإقليم إلى العامل عليه، ولا تكلف هذا العبد أن يتصرف فيما في يده بهواك أو بهواه؛ فإنه ليس له أن يتصرف فيه إلا بأمر مولاه، ومن حكم بغير حكم مستخلفه في موطن استخلافه فهو خارجي منقلب لا خليفة، إنما الخليفة من يحكم بحكم مستخلفه، والعبد تارة يكون ممن يأتيه أمر ربه بلا واسطة غير قلبه، وتارة بواسطة، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:17]؛ لأنهم مع اعترافهم بأنه الله وصفوه بالبنوة لمريم؛ ولأنهم وصفوه بالله في الزمن الذي ليس هو موصوفه فيه، فإن موصوفه بوصف الحق المبين من حيث وجهة المحمدي، ولا يتسمى في كل زمان إلا موصوفه من الوجه الذي ظهر به منه، سيما وهذا هو الوجه المحيط بجميع الوجوه العينية الإلهية الفرقانية عيسى ﷺ وسواه ولأنهم وصفوه بالله ولم يقوموا بمقتضى الإيمان بقوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:6]، وقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:117]، يعني: الظاهر بوجهه المحمدي؛ فافهم.

قال قائل: الفاعل هل يكون قابلاً؟ قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه هو قابل لكونه فاعلاً، ولأن يفعل لا بدَّ من ذلك، وقس على هذا؛ فافهم.

المرتبة القابلة لذاتية الذات بالذات هي قابلتي وعينها فقير مجرد غني على الإطلاق،

---

(1) رواه البيهقي في «الشعب» (7/ 228)، وأبو نعيم في «الحلية» (8/ 32).

(2) رواه البخاري (1/ 451)، ومسلم (4/ 1795).

(3) رواه البخاري (3/ 1134).

قال له مقبوله: أنت لي وحدي، وقال فيه:

الفقرُ تجديدُ لوُجُودٍ عَنِ النَّسَبِ حقًا فهذا لا تُقَيِّدُهُ الرُّتَبُ
فَاشهَدْ فَقيراً هكذا تَشهدُ بِهِ أحديَّةُ التجريدِ مَا فيهَا رَيبُ

فلذلك ما اعترضتني نسبة قيدية مرتبية إلا وجد بمرصدها مانع لي منها، وما مني أتقيد بها، وهذه غربتي الأحدية فما من مرتبة إلا وهي تعشقني بالذات، وتعجز أن تقوم معي بالذات؛ لأن ذات مرتبتي تفيد وجود المراتب جميعاً في ذات نسبها، وتقتضي بذاتيتها محض عدمية المراتب جميعًا تحت سلطان تجرد أحديتها فجاء المراتب حبي من الأول وعجزها عني من الثاني، ولما كان للروح الخضري سريًا رحمانيًّا رحيميًّا من سريان سر هذا السلطان في دائرته ومقامه بحسب مرتبته قال للنبي النسبة الإلهية الربانية في وقته: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:67] كقوله له بلسان حقيقته: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف:143]؛ فإنه منه، وإليه ما ثم إلا هذا؛ فافهم.

﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ قرآنا ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ فرقانا ﴿مِن لَّدُنْ﴾ حق مبين بناطق ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ يقول بلسان تنزله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وجودي الإلهي ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ فهذا ظاهره الإمكاني وذاك باطنه الوجوبي ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ اتخذوا حكم وجوبه وجمعه مغفراً يستركم من حكم ما دونه ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ اقلعوا إلى التحقيق به ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بما يظهر به من أخلاقه عليكم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو مرتبة ظهوره بحكم عينه على التمام ﴿وَيُؤْتِ﴾ في أجله ذلك ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:1-3]؛ لأن الكل في نظام عينه ذلك فافهم.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ﴾ القلب بيت الرب ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:7] سريع التعين سريع التجريد فكما أن الماء هكذا فالقلب هكذا وذلك لأنه مستو من يومه الآن و﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:29] فعلى في قوله: ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ هنا كهي في قوله: «خلق الله آدم على صورته»[1] فافهم.

قطب الأقطاب قطب الدائرة التي كل نقطة من نقطها قطب الدائرة وذلك لا يكون إلا في الدائرة الوسطى القاسمة للدوائر كلها قوسين متساويين، قوس في إحاطة باطنها، وقوس في إحاطة ظاهرها حتى تصير نقطها أقطاباً لتلك الدوائر فدائرة قطب الأقطاب دائرة وسطى جامعة لكل الدوائر والباطنة والظاهرة على الإطلاق في كل مقام بحسبه.

أنا الوسطُ المُختارُ والجامعُ الذي أحاطَ بها تُحصي الدوائرُ والعِلمُ

---

(1) رواه البخاري (5/ 2299)، وابن حبان (14/ 33).

فافهم.

الكفء المثل في كل مقام بحسبه، والأحد لا مثل له فلا كفؤ له ألا ترى أن كل مثل مركب مما به مشارك مثله، وما به امتاز عنه، والتركيب كثرة تنافي الواحدية فضلاً عن الأحدية التي هي تجريد الوحدة عن النسب المفروضة في الواحد والغربة مفارقة الأهل، ومن لا كفؤ له لا أهل له؛ فهو غريب بالذات، ومن ثم قال: من نسبه الرباني سورة الإخلاص «أنا سيد الغرباء»[1] أي: أحق الغرباء غربة كلية سارية في غربة كل غريب؛ فافهم.

كبير كل طائفة فرقية من آثرهم براحته واستأثر بهموم في باطن الأمر، وإن كان في ظاهره بخلاف ذلك؛ فافهم.

جاء في الحديث: «أشهد أنك الحق، ووعدك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق»[2].

انظر كيف جاء في الأول بالألف واللام للشمول، وكيف ختم بالحقيقة المحمدية وأفردها في الذكر عن حقيقة النبيين ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: 12]؛ فافهم.

جاء في الصحيح: «لك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق»[3].

محمد ﷺ يوم جمعية الأنوار وخاتم أمره ساعة إجابته؛ فافهم.

قل اللهم يا حق يا حق الحق، يا من هو أحق بالحق، يا من يقول الحق، ويهدي السبيل، اهدنا لحقك بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، اللهم خذنا من كل شيء إليك، واجمعنا بك عليك، وامح صفاتنا بأنوار صفاتك، وكن لنا سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً، وعافنا من كل علة، وطهرنا من كل دنس، اللهم خلصنا، واستخلصنا بجمال لا مشقة معه آمين آمين آمين آمين، يا الله آمنا فأنت أمننا وإمامنا، أنت السلام، ومنك السلام، وإليك في تباركاتك السلام، ولك الحمد آمين؛ فافهم.

انظر إلى ظاهر الأكوان ليس فيها قائم القوام متحركاً بالاختيار؛ فلا يحصره حين عن حين في دائرة الأكوان إلا الإنسان، والظاهر عنوان الباطن الرحيم الرحمن الذي ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: 29]؛ فافهم كيف يستطيع الصبر ذو مقام معلوم لا يعرف، ولا يألف سواه

---

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه البخاري (1/ 377)، ومسلم (1/ 533).

(3) رواه البخاري (1/ 377)، ومسلم (1/ 533).

أو ما ناسبه مع من لا مقام له فهو في كل آن في شأن، ألا ترى أن لما لا تعهد له في النفس روعة إذا ألف واعتيد زالت؛ فافهم.

جاء في الأثر الإلهي: «فأحببت أن أعرف»[1] فمعرفة الله محبوبة وجاء في الصحيح «إن الله وتر يحب الوتر»[2] فالوتر معرفته بنفسه الواترة بين عارفه ومعروفه من نفسه، وسمي الوتر وتراً؛ لأنه يتر بين أمرين متساويين، فالأول الأوتار الثاني من الثلاثة التي هي أول الأفراد والمعروف المشهود يتر بين الواجد والموجود فيحقق العارف بموجود المعروف حتى لا يعرف إلا نفسه.

وقال الحق بلسانه المحمدي: «وأنا حبيب الله»[3] فعيل بجميع معانيه فهو محبوب ومحبه فهو الواحد والفرد والوتر، وانظر كيف لا يظهر الوتر إلا في فرد؛ فلا يظهر محبوب الله إلا في فرد، وكل فرد فذلك فيه ظاهر فالفرد من تحقق بالله عرفاناً عياناً في كل مقام بحسبه فافهم.

إذا أراد الله أن يريحك من الطلب لم يشعر بشيء إلا من حيث ترى أن ذلك تمام حصوله ومتى أشعرك بشيء من حيث ترى أن ذلك ليس حصوله على التمام فقد فتح عليك باب الطلب فافهم.

الشوق طلب والاشتياق يزيده الأول للمحب ومتعلقه الوجد من حيث يشهد الفقد والتالي للعاشق ومتعلقه تمام الوجد من حيث يشهد الوجد فافهم .

من هو أنت إذا شهدته منفصلاً عنك وكان لك عند ظنك في المعاملة على شاكلة شهودك معاملة لا حقيقة؛ لأن الحقيقة أنه أنت فقد صار أمره من حيث هو أنت وسواك ضعف أمره من حيث هو أنت، أو سواك، ومن ثم يقول: «من تقرّب مني شبراً تقربت منه ذراعاً»[4]، وهو ضعف الشبر فشبر بها أنا هو، وشبر بها أنا هو سواه، وشبر بها أنا هو وسواه معاً، وقس على هذا شدة شوقه لعبده وأفضلية كل أمر من قبله على ما هو من قبل عبده فافهم.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:152]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45] ولو لم يكن إلا من حيث التضعيف ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:160]، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:245]، و﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام:139]؛ فوصفهم منه في المجازاة أكبر من وصفهم منهم في كل مقام بحسبه فافهم.

---

(1) سبق تخريجه.
(2) رواه أبو داود (2/ 61)، وابن ماجه (1/ 370).
(3) رواه الترمذي (5/ 587)، والدارمي (1/ 39).
(4) رواه البخاري (6/ 2741)، ومسلم (4/ 2061).

العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون المحبة من الشاهد لمشهوده، وعلى قدر المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:75] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

روح الأمر له نظامان نظام علمي وهو تقديري، ونظام فعلي وهو تصويري، والثاني تحت سلطان الأول لأن نظام أعيان المتعينة بها وعلمه تارة يتعلق بأمور تدبيرية ومنها الديانية: وهي التي بها يصلح نظام الأجسام والنفوس الجسمانية والأحكام البشرية، ومنها السياسية وهي التي بها يصلح عليها نظام خاص بفعل المرغوبات والمرهوبات، وروح الأمر السياسي هو الذي إذا تجلى بمظهر قام بسياسة الجمهور والسلطنة عليهم، أو على جمهور معينين وروح الأمر الرباني هو الذي يقوم بأئمة الهدى الربانيين الأنبياء وورثتهم.

فأيما نبي قام به روح الأمر السياسي مع روح الأمر الرباني فهو رسول، وأيما ولي قام به الروحان فهو مهدي؛ فإن قام روح الأمر السياسي بمن لم يقم به روح الأمر الرباني فهو سلطان ظاهر لم يتم له نظام على السداد إلا برعاية من قام به روح الأمر الرباني لحاله بغيب أو شهادة أي: من حيث يعرفه ذلك السلطان أو من حيث لا يعرفه، إذ هذا هو السلطان الباطن والباطن روح الظاهر ولا حياة لشيء إلا بروحه.

ورعايته له بالباطن هي بانبساط قبول مدده الحقي بسببه مع سلامة الصدر له، ورعايته له بالظاهر هي بما يشيعه في الناس من دعائه إياهم إلى الحق وإرشادهم إلى مرضاته وحملهم على المعاملة بما تقتضيه الحكمة الربانية في الوقت وأخذ مداركهم إلى ذلك بما يتيسر به لسان حكمته من كشف وبيان؛ ولهذا إذا أتى الرسول وجب على ملوك دائرته ألا ينازعوه في الأمر إذ هو سلطان الوقت ظاهراً وباطناً، فإذا توفي وقام له خليفة وارث وجب له مثل ماله، فإن قام روح الأمر الرباني بواحد وقام روح السياسة بآخر وجب على السيوس طاعة الديّان ليصلح النظام على التمام، فإن لم يفعل فسد الحال ولم يحسن له مآل، كما جاء أن بني إسرائيل كانوا كلما قام فيهم ملك أقام الحق معه نبيًّا يؤيده فيصلح به أمرهم ما أطاع الملك النبي، فإن عصاه أو عصوهما هلكوا، وهكذا الأولياء ورثة الأنبياء وهم العلماء بالحق ومراده على بصيرة وهبية منه تعالى يمدهم بها فيرون بنوره مراده من عباده ويرشدون إليه ويحملونهم عليه.

فما دام الملوك مطيعة للأولياء الذين هم هؤلاء العلماء وأمرهم بينهم قائم نافذ فأمرهم فالح، ونظامهم صالح، ونورهم واضح، ومتى انعكس انتكسوا، وأما حملة العلم المولدون للمسائل على وفق الأغراض وأتباع الهوى فليسوا من هذا الأمر في شيء وإنما هم كما وصف

﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة:5]، فالصواب الانتفاع بمحمولهم من غير تحكيم لهم ولا رجوع لرأيهم ولا تمكين لهم من تصرف إذ الحمار للحمل والانتفاع لا، لأن يحكم أو يسمع له أو يطاع؛ فافهم.

روح الأمر واحد وإنما يتكثر برقائقه، وهي صور تجلياته على كل قبول قلبي بما يناسبه إذا زالت الريون القلبية عن قبول تجليه، وكل رقيقة من رقائقه تسمى روح أمر كما أن كل صورة ظهرت في مرآة من المرايا الصقيلة التي ظهر فيها فلان تسمى فلاناً، وهذه الروح هي التي ينزل الحق بها الملائكة النورانيين على صاحبه، وينزل به الهدى والرشاد الرباني على القلب، وهو الروح الموحي من الأمر الكلي بتجليه كما تقدم، ولهذا الروح نور يقال له: البصيرة وهو تمييز الصواب من ضده في كل أمر بحسبه، وهذا الروح تأكل وتشرب طعاماً وشراباً من نسبته فطعامه الحكمة وشرابه العلم، الحكمة غذاء القلوب ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:60]، شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً، ومن ثم قال ابن عباس: «روح الأمر من خلق الله تعالى يأكلون ويشربون إلا أنهم مقدسون» فافهم.

وما أئمة الهدى في الحقيقة إلا أرواح أمر مقدسون فافهم، متحولون في بشرياتهم التي بها يأكلون مما يأكل البشر منه، ويشربون مما يشربون، فمن وقف عند حجب بشرياتهم تحير، ومن شهد أنوار أرواحهم تبصر؛ فاعرف وتوسم وعظم واصدق في المودة مع حسن الخدمة لمظاهر روح أمر الحق المبين والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:45]، إلى قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:46]، أشار بإرساله سراجاً منيراً إلى أن العالم ظلمة على الباطن لا تنجلي فتضيء للباطن مسالكه فيه ومقاصده منه إلا بكشف الناطق بالحق المبين وبيانه فهو السراج المنير في العالم، وهكذا ورثته في كل زمان هم أنوار أزمنتهم بسراجيتهم المقتبسة بالتخصيص لهم من سراجيته فما داموا ناطقين ظاهرين فالنور شائع والأبصار تدركه والفرق واضح بين المفاسد والمصالح[1].

ومتى خفوا عن فريق تلفوا بحيرتهم وجهلهم الذي فيه اختلفوا، فلا تقابل سراج وقتك بالأهواء وارع له حقه وإبقاء مدده تدوم لك الأضواء فافهم.

(1) قال المصنف في «المسامع»: قال النبي ﷺ: «أخي داود» فهو الأب والأخ، ﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: 46]، فهو كل سراج اقتبس منه بالحقيقة، وهو أبوهم بالنسبة الاقتباسية، وأخوهم بالنسبة الإخائية التفصيلية.

إمامة الهدى إلى الحق هي الخلافة الربانية لا يقوم بها في الناس إلا من هاجر بهمته عما تشتهي الأنفس البشرية.

ألا ترى آدم لما أريد لهذه الخلافة في الأرض كيف أسكن الجنة قبل ذلك، ثم أهبط منها إلى الأرض، ثم قام بهذه الخلافة في الأرض بعد ذلك، وهذا إشارة لما تقدم فإذا لم يقم بهذه الخلافة حتى هاجر من الجنة فكيف بما دون الجنة، وهكذا كل من أريد الحق فإنه لا يقوم به حتى يخرج ويهاجر بهمته عما يشغل عنه ويعوق دونه؛ بل عن خلافة فما دونه فليعرف الناس من توسم ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [النساء: 89]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: 72]، وأفضل الهجرة أن يهجر العبد خلاف مراد ربه منه والمتخلف مع ما دونه عنه لكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

الدنيا غابة النفوس المحجوبة عن حقائق الحق المبين، فيها سباع ووحوش كواسر، وصاحب القلب السليم المحقق أو السمع الشهيد المصدق بينهم إنسان دخل ليلاً إلى تلك الغابة وهو حسن القراءة والصوت، فلما أحس بما فيها من السباع آوى إلى شجرة يختفي فيها منهم، ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هناك حذراً منه، فهل يدل اختفاؤه منهم على أنه حكيم أو على أنه غير إنسان؟

وهكذا هل يدل إخفاؤه لقراءته وخفضه من صوته على صوته على حكمته أو على بطلان قراءته ونكارة صوته؟ إنما يدل ذلك للعاقلين على حكمته لأنه لو تراءى لهم أو أسمعهم قراءته وصوته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا إلى تمزيقه وأكله وكان هو الملقي بيده في ذلك.

فإذا قال الجمهور عن عارف لا يظهر معارفه العزيزة الإلهية إلا في مقام خاص بين قوم خاصين: ما هذا لا يظهر للناس، ويتكلم على الجمهور بمعارفه إن كانت حقاً؟ فافهم المثال السابق، وقل لهم قد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: 110]. فأمره ألا يجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم، ولا يخفيه عن من يؤمن به؛ ولا يدل إخفاؤه عن الجاهلين المنكرين على بطلانه ولا قدح في حقيقته؛ حتى إذا تهيأت لهذا العارف أسباب إظهار أمره بما يقهر له المنكرون ويقر طوعاً أو كرهاً، فحين ذلك يظهر عرفانه في الملأ اتباعاً واقتداءً بإظهار القرآن عند تهيؤ السباع والظهور لهم حتى يتهيأ له أسباب القهر لهم من قوة ومكنة وأنصار.

فإن قالوا لك: فإن لم تكن له مكنة إظهار معارفه فلم لا يتركها ويدخل فيما فيها الجمهور فيكون أسلم له؟

قل لهم: ورثة رسول الله ﷺ خاتم النبيين لا يخالفون أمره نوره أمام نفوسهم فحيث سلك سلكوا، فكما أنهم مقتدون بهداه في أنهم لا يخشون أحداً إلا الله هم مقتدون به في التمسك بما ظهر لهم من الحق وكتمانه عن الجهلة المنكرين له واعتزالهم إلى أن يأتي أمر الله تعالى بإظهار ما لديهم من الحق للعموم فيظهرونه، لا يخشون لومة لائم، وقل لهم: أرأيتم مجانين أنكروا على عاقل مخالفته لأمرهم، أينبغي له أن يوافقهم على جنونهم فيجن مثلهم ويذر عقله حتى يألفوه، وهو يمكنه الفرار منهم بعقله؟ أرأيتم الإنسان الكائن بين الكلاب الضواري إذا لم يرضوه بينهم حتى يمشي مثلهم مكباً على وجهه ويعوي كعويهم أينبغي له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه، وهو يمكنه الفرار عنهم والحذر منهم مع بقائه على طريقته الإنسانية؟

لا والله لا ينبغي للقادر على الخير أن ينسلخ منه ليرضي أهل الشر ويقيم معهم فـ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:62]، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:140]، فنعوذ بالله أن نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، فافهموا أيها المريدون هذا الكلام ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:60]، ولا يلبسوا عليكم دينكم بجدالهم في الحق ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال:6] لكم، ومن عرف الحق فليلزم يغنم، والله أعلى وأعلم.

الناطق بالحق الإلهي هو قلم الله الذي يكتب به علمه التعريفي والتكليفي والتحقيقي في نفوس خلقه في حسن القبول التصديقي، والنفس التي لها هذا القبول وقد كتب فيها هذا المقبول هي الأرض المقدسة التي كتب الله لأهلها، وإلى ذلك أشار الأمر الإلهي بدخولها حيث يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة:25]، فمن دخلها بالقيام بما كتب له فيها والتبحر في أنواره وخلص قواها بذلك من كل غلبة مانعة من قبول الحق والتحقق بنوره فقد دخل الأرض المقدسة التي بها بابها الإسلام وخلصها من الجبارين فصارت هي الأرض البيضاء التي ليس فيها علم لسوى ربها، وقد وضع الرب فيها عرشه العقلي وطاف بأنواره في أكنافها ينادي بتخليصها لروحه: أين الملوك الجبابرة؟

﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر:16]، فيجيب نفسه بلسان تفرده فيها بالأمر والتجلي: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:16]، ويحشر عليها حينئذ الأرواح في صعيد كشفها العرفاني وبيانها الفرقاني، فهذه هي أرض الله الواسعة لتنزلاته وتجلياته وأرض حشره لمنشوريه من عباده، فلا يلهينك عن دخول هذه الأرض أيها الفهيم بلد فالتلهي بالموهمات والمجازات والمحسوسات

عن الحقائق العلميات والإلهيات شأن أهل البلد فافهم"[1].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج:26]، إبراهيم عليه السلام مخاطب بالمعارف والتعريف هو الروح الناطق اللطيف والعقل المحقق الشريف لا الجسم الكثيف، وبيت هذا الإبراهيم هو التوحيد الذي جعل له مكان البيت الظاهر للجسم كما فسر في حديث الرؤيا بالدار الإسلام، وقال تعالى للإبراهيميين: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:208].

وقال تعالى: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 95 - 96]، فهنا بيت الناس فيه للقلب السليم والسمع الشهيد والفهم الصحيح ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:97] هو التوحيد الإسلامي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82] هذا معنى، ومعنى آخر: جعلنا ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج:26] أي: فأنت بيتي الحقيقي، وأنا ساكنك بنور تعريفي الحقيقي وتحقيقي وأنت لي مكان البيت للناس فـ ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج:27]، إليك بلسان كشفي وبياني الذي لديك ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج:27] الآية، فهو البيت العتيق من قيود الحجب المانعة من الظهور الرباني، وهو أقدم من البيت الموضوع للناس؛ لأنه بانيه ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ القلبي ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:26] من الغل كله كي لا يكون عندك ما يمنعهم من الركون إليك ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الأعراف:43] ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43] فافهم.

واعلم أن البيت حضرة المستخلصات، وذلك البيت هو القلب السليم بيت الرب العليم الحكيم، والعرش حضرة التجلي التام بمعاني الجلال والإكرام، وذلك هو روح الأمر الموضوع في القلب الذي هو بيت الرب، والعرش هو حضرة شهادة الغيب معاينة بلا ريب، وذلك هو الفؤاد السري المودع في روح الأمر ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾

(1) قال المصنف في «المسامع»: وإن رأيت عاصياً فقل: هذا دلّ بإخراجه عن داعية عقله على عظمة القهار، وبتلبسه بالنقيصة على جلالة القدوس السلام، وبتوقعه العفو على عظيم منة العفو، وبالتستر عليه والحلم عليه، واتصال المدد به مع مواقعته للمعصية دليل على عظمة الستار الحليم الحكيم الجواد، ونحو هذا.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [النجم:11-13]، والسماء حضرة التنزيل بأنوار الترغيب والترهيب في الروح الحيواني الذي هو الصدر الذي فيه القلب بيت الربِّ، وأما الأرض فقد تقدم بيانها وأنها النفس المدركة البشرية عند اضمئنانها لفيض سماء الروح بمدد الروح الناطق، والأرض فراش القرينين، والسماء على الأرض، والبيت في السماء والعرش في البيت والعرش في العرش والعرش حضرة المقصود المجرد فمن كانت هذه اللطائف والحقائق أحرف كلمة مجموعه فهو سماء الحق وأرضه وبيته وعرشه وفرشه، وهو شأنه الذي يتجلى به، وفي مظهريته للشاهدين في يوم وقته؛ فافهم.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:29] وهو الله الرحمن المتجلي بوجه بقائه الرباني الرحيم ذي الجلال والإكرام؛ فاعرف والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

من طلب الرزق وتوجه إليه رزقه من حيث يحتسب، ومن حيث لا يحتسب كما رزق الطير الذي خرج لا لرزق معين ؛ ولكن متوجهاً للرزاق يفتح له ما يشاء فأتاه بالغذاء في الحصاء الذي يلقطه وبالدفاء في ريشه الذي هو شعره، ومن طلب الرزق وتوجه إليه تقيد بما قيد به نفسه من تكلف التسبب فيه، ولم يرزق إلا من أفقه؛ فافهم.

إذا قال ولي بلسان الضراعة: إظهار العظمة الربوبية ما هو من قبيل قول المعصوم ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:41].

فاعلم أنه فتح بذلك باباً يدخل منه المضطرون إلى حضرة أرحم الراحمين فيكشف ما بهم من ضر مع كونه على رفعة مقامه؛ فافهم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [ص:43]، أي: مريدين فأقل حال المريد مع أستاذه في حياته أن يكون لأستاذه فيها كالأم لوحدها يؤثره بالراحات ويحمل عنه المشقات ويحبه على جميع أحواله وهكذا يكون الأستاذ لمريده في معنوياته؛ فافهم.

للخدمة حرمة انظر إلى خدمة عصا موسى ﷺ له كيف أنتج لها أن أحضرها حضرة كليمه، وأنزل في شأنها قرآناً يتلى، وجعل لها لسان صدق في الأكرمين؛ فافهم.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ [طه:18]، فأضافها إليه للتشريف ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [طه:18]، أتبع الإضافة المؤذنة بالملك السيادي بالتوكؤ المؤذن بالعجز والاضطرار العبداني تعليماً لأدب محاضرة الحق؛ فافهم.

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه:18]، ولم يقل أخبط بها حاجتي من الشمر وإنما ذكر أمر رعيته ذكر شكر في حضرة المنعم فهكذا إمام هدايتك يهتم بأمرك عند ربك أكثر من اهتمامه بنفسه فهل يرحمك هكذا أب أو مألوف سواه فافهم ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:18] أجمل

ما له فيها من المآرب كي لا تحصرها مرتبة عددية فيكون إمدادها محصوراً بنسبة وصفها فهكذا إذا لم يعدد لك أستاذك خدمك.

فاعلم أنه أراد أن يجبرك من كسر نقص الحصر إلى كمال الإطلاق، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10]؛ فلا تقل: ما له لا يجبرني بكلمة؟ فإنه بسكوته عن تعداد خدمتك جبرك، ولو حصرها في عدد لكسرك؛ فافهم.

جاء في الحديث: «ما من أحد له عندنا يد إلا كافأناه بها إلا يد أبي بكر ﷺ؛ فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها»(1).

انظر كيف ذكر تلك الأيادي في مظنة النفي حتى أثبتها بواسطة الاستثناء، ويد أبي بكر رفع الشك عن ثبوتها في عنديته حيث أكده بـ«إن»، وأضاف مكافآت تلك إلى مشهودهم منه، وجعله ماضياً وأضاف مكافأة هذه إلى مشهود أبي بكر ﷺ منه وجعله مضارعاً باقياً؛ فافهم.

الذات الوجود هو موصوف الأمور الوجودية جميعاً؛ فافهم.

الظهور المعبر عنه بالتعين والوجود الزائد، والبطون المعبر عنه بما يقابل ذلك هما صفتان نظم بهما الوجود مراتب دائرة الفرق؛ فافهم.

الحق هو الوجود الثابت على مرتبته، والحقائق لا تنقلب؛ فكلها حق حتى الباطل في أنه باطل هو حق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج :6] الآية؛ فافهم.

لا يكشف عليم ولا يبين حكيم إلا مراتبه أو ما انتظم في نظامها فتوسم واعرف هاديك من هو والزم، وتجرد عنك للتحقق به فذلك هو المغنم وشواهد الحال لا تخفى؛ فافهم.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي وهو مولاي، وحسبي ليس إلا هو.

المقصود الخلوص من حكم الحجاب لا من صورته ألا ترى الزجاجة وسائر الأجسام الشفافة كيف هي صورة حجاب لمنعها وصول الأجسام إلى ما في باطنها، وليس لها حكم الحجاب بالنسبة إلى ظهور الضوء المختزن فيها ونفوذ البصر إلى ما في باطنها، وانظر إلى قوله: «فرفع لي كل حجاب» أي: خلصت من منع كل مانع وصورته «إلا حجاب العزة الذي يلي الرحمن»، وهو مظهر حكم العبودية قال: «فخرج ملك من الحجاب، فقال: الله أكبر، فقال من

(1) رواه الديلمي في «الفردوس» (4/ 104).

وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر»[1].

فانظر كيف حصل في صورة الحجاب ورفع عنه حكمه حتى عرف المتكلم من وراء الحجاب فيحق قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:22]، أي: ما هو بمحجوب فافهم.

قال ﷺ: قوله ﷻ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:85]، هي مرتبته الموجودية فلا يمكن كائن أن يخرج عن حكم مرتبته الموجودية، فإن كانت مرتبته الموجودية كمال وسعادة فتراه يأتي النقائص والمذام، فتنقلب في حقه أسباب كمال وسعادة بما ينتج له عنها من ذلك، وإن كانت مرتبة نقص وشقاء تراه بالعكس.

وانظر كيف من شاكلته مرتبة جهل وحجاب كثيف كلما توغل في الفنون العلمية وتبحر في الكشوفات النظرية لا يزيده ذلك إلا شكًّا في الحق، وبُعداً عن الصواب، ومن شاكلته مرتبة علم وكشف كلما اعترضته الشكوك والأوهام انفتح له فيها أعين يبصر بها الحق ويري بها الصواب إما بإلهام، أو بفهم عن تعليم.

وانظر من شاكلته شاكلة ضعة كيف يتكبر، فلا يزداد بتكبره في النفوس إلا ضعة وهو مذموم موزور، وآخر مرتبته شاكلة عز؛ فلا يزيده التواضع إلا عزًّا، وهو ممدوح مأجور، وهكذا كل لا يعمل مهما عمل إلا على شاكلته فالعبد عبد وإن ترقى، والرب رب وإن تنزل؛ فافهم.

اسمع: الوهم البهم هو حجاب الظلمة ونار الجحيم، والروح الحكيم هو حجاب النور وسر النعيم وكلاهما من دائرة الفرق حجابان عن وجه حقيقة الحق فافهم.

المحيط من الذوات ما هو ذات كل ذي ذات، أو فقل ما هو الذات الموصوفة بكل صفة المقومة لكل صفة ووصف والمحيط من الصفات ما تعلق به كل ذات، ووجه المحيط هو مرتبته التي بها يعرف أنه هو هو فمن عرفت به المحيط حقيقة فهو وجهه الذي واجهك به لا به برؤية الوجه يعرف صاحبه، وإن خفي ساتره، وبخفاء الوجه يجهل صاحبه، وإن بدا ساتره فوجه الشيء ما به يعرف؛ فافهم.

اسمع: أولى المتصفين بالصفة أولهم بها اتصافاً؛ لأنها فيه حقيقة، وهي في من تبعه عليها رقيقة لتلك الحقيقة، وكذلك حال كل مأموم، وتابع ووارث ومريد، وهو رقيقة حقيقتها حال إمامه ومتبوعه وموروثه بالإرادة والرقيقة هي صورة الحقيقة في القابل كالصورة المرئية في قبول الأجرام الصقلية من مقابلها، فالمقابل حقيقة ومقبول القابل منه

---

(1) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (4/ 34)، والبزار في «المسند» (2/ 146) بنحوه.

رقيقة تلك الحقيقة فأيما صفة قامت بك فانظر من أول المتصفين بها؛ فاعلم أنها رقيقة قامت من تلك الحقيقة، وتلك الرقيقة قرينك من تلك الحقيقة؛ فافهم.

من وصف بالحسد بغياً والغرور حقداً وسوء الظن بربه والتحكم على أمر سيده ومعارضة علمه واختياره بهواه ووهمه وما أشبه هذه من الصفات الذميمة هو إبليس فمهما قام بمن بعده من شيء من ذلك فهو قرين إبليسي مع من قام به، فإن قهر ذلك الوصف وخالف داعيه ولم يعمل به فهو محفوظ من قرينه الإبليسي وإلا فهو معه مصروع وكلما قلّت من النفس المدركة القرناء الذميمة كثرت بها القرناء الكريمة إذ لا واسطة لذي فعل واختيار بين الفضائل والرذائل؛ فافهم.

اسمع: المعاني أرواح الأعيان فما أرواح الكلم إلا ما تبين فيها من الأحكام والحكم وعلى قدر علو هذه المعاني يكون كمال حياة هذه المثاني فمن منع العارفين بإنكاره العنيف أن يبينوا في الحديث الكلامي ما يأتون به من معنى لطيف وروح شريف فإنه عدو ذلك الكلام بجهله يريد أن يذره ميتاً دارساً، وهو يحسب أنه يحفظه من اللغو والتحريف.

فيا أيها العارف إذا رأيت من هذا شأنه السخيف، فاترك له اللفظ الذي ليس عنده من الحق سواه وآت أنت بمواجيدك في لفظ لا يغاير ذلك اللفظ إلا في التأليف، ويا أيها المتعلم المستمطر من سماء التعريف اقبل ما نشره عليك العليم الحكيم الخبير اللطيف من رحمة معارفه وعوارفه في أي: صورة تيسرت لك، ولم يأت بها من تقدم، ولا تخلد إلى التعظيمات العادية، فتنقل عن العروج إلى مواجيد العارف حتى ينشلك بيد نقل، أو عقل، أو معتاد معظم فما أحوج العارفين إلى التعرض من إبداء معارفهم في مظاهر ظواهر ألفاظ النصوص التي ليس بيد المنكرين من الحق سواها إلا إخلاد نفوس بعض التلامذة المتعرفين إلى الوقوف مع تلك المظاهر، فلو علموا الحقائق لوجدوا الناطق، وسمعوا منه خطاب طري التنزل في كل زمان فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] ؛ ولكن نفوسهم كثيفة ومشاهد الحقائق شريفة وأرواح الوصال بها لطيفة والغيرة من المغاير عنيفة، ولا يؤذي الأستاذين في حجاب المنكرين إلا غلبات النفوس الكثيفة من المريدين، وحسبك أن ذلك الأذى لا يأتي إلا بسببهم، ولكن الله عاصم مظاهر حقه المبين؛ فافهم .

واكتف بهم حجة ويحببهم إليهم محجة تغتنم بحسن حديثهم كل مغتنم، والله أعلى وأعلم يا سيدي يا مولاي يا عزيز يا ودود.

اسمع: مدد أمر الأستاذ حبه وضعها في أرض قبول تلميذه وسقاها بتفهيمه وتأييده فمهما ظهر من التلميذ أو عنه من نوع ذلك فهو من ثمرات تلك الحبة ونتائجها، ونتائج الحبة

وثمراتها وإن كثرت إنما ملك لغارس الحبة في أرض يستحقها فكل ما لتلميذ من أمر رشيد فإنما هو في الحقيقة حق لأستاذه؛ فلا يظن من التلامذة أنه ظفر من نوع ما أفاضه عليه أستاذه بما لم يظفر به أستاذه إلا تلميذ جاهل.

ومن ثم قال الصحابي العالم حين استفتي فيما لا يحفظ فيه نصًا: «لا أعرف في هذه المسألة نصًا؛ لكني أقول برأيي، فإن أصبت فمن الله ورسوله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان».

فانظر كيف عرف أنه إن أصاب فإنما إصابته نتيجة ما تقدم له من تعليمات الله ورسوله ﷺ فرد الأمانة إلى أهلها، وإن أخطأ فذاك شيء ليس من تلك التعاليم في شيء، وما ألهم الصحابي هذا العلم إلا من نور قول أستاذه وسيده: ﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:50]، ولا تحسب أن خاتم الأنبياء، وخاتم الأولياء الذي هو وارث حقيقته حقًا قيامهم بطريقة أحد من الأئمة وأتباعهم، له تلمذة منهم له، وإنما ذلك منهما لتكميل تلك الطريقة، ونشر رحمتها، ولذلك قيل: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:125].

ثم بيّن أن ذلك لأمته فقال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:95]، وقال عن إبراهيم ﷺ: إنه يقول: اجعلني اليوم من أمتك؛ فافهم.

اسمع: معاني الاختيار والاقتدار في مرتبة الربوبية، ومعاني الاضطرار والافتقار في مرتبة العبودية، فإذا ظهرت أحكام الربوبية في العبد بالسر العليم المحقق عنده أنهما مرتبتا الوجود الذات فقام بكل من المرتبتين قياماً حكمياً على بصيرة يقينة ذلك فهذا العبد السيد هو صاحب كنز الربوبية ومالك لملك العبودية ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ﴾ [الكهف:44]، له الحق الغني الحميد العزيز الرحيم.

فإن ظهرت أحكام الربوبية في العبد بالروح الحكيم المحقق عنده أن مرتبة العبودية هي حقيقته وذاته وأن مرتبة الربوبية تظهر فيه أحكامها باختصاصها الاختياري فهو يظهر فيه من أحكام الربوبية ما يكمل به مرتبة العبودية فقط مع لزوم شاكلة العبودية علماً وعملاً فهذا أمين على كنز الربوبية، وخليفة مالك ملك العبودية والربوبية أمانة حملها وهي الأمانة التي لا يحملها إلا المظهر الإنساني، وبها يقوم العالم الذي حملها من أجله أحسن تقويم ما دام قوياً بتمكينها أميناً عليها لا يخون بادعائها لنفسه ولا يضعفه عن القيام بروح قدسها خضوع همته لغلبات طبعه الجسماني وحسه، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ...الآية﴾ [الأحزاب:69]، ثم قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ...الآية﴾ [الأحزاب:72].

فمن تأمل الترتيب فهم هذا المعنى الغريب فموسى ﷺ الذي أوتي الفرقان والضياء والذكر الفرقاني هو القول السديد المصلح الذي يتميز به خبيث الطباع من طيب النفوس ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ..الآية﴾ [الأحزاب:73]؛ فموسى ﷺ أمير حامل لهذه الأمانة، وهو فيها خير مستأجر في وقته، إذ هو فيه القوي الأمين، وكذلك كل من جاء في حقّه أنه أمين.

فإذا ظهرت أحكام الربوبية في العبد بوهم بهيم تلبس عليه الحق بالباطل فيدعي الربوبية لنفسه المهينة المغلوبة لغلبات طبعه المهين مع تحققه أنه بهذا الطبع رهين، وأنه مقامه الذاتي المكين فهذا العبد هو المضل المبين، وكلاهما في دائرة التغاير الفرقي فكل أمين حق أمين يقابله خائن الأمانة مبطل عدو مضل مبين فللأمين جنة نعيم، يقابلها لمقابلة الخائن دار جحيم.

وأما صاحب الكنز، ومالك الملك؛ فجنة فردوس جمع كله حق لا يقابله باطل فأمره بسلام النعيم لا يقابله جحيم إنما هو ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:58]، ذي الجلال والإكرام فحكم هذا السيد نافذ في العباد الأمناء، وحكم الأمناء قاهر قاصم للخائنين؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

واعلم أن الخضر ﷺ هو تمثل ما بطن في الأمانة الموسوية من روح السيادة؛ فلذلك عبر عن ظاهرة الذي تمثل به أنه من آثار موسى ﷺ وفتاه وأنه عبد من عباد السر الذاتي الجمعي العلمي اللدني والرحمة الصمدية فقال الحق الغني الحميد المتجلي بهذا الخضر لموسى وفتاه كما تمثل بروحه الذي أرسله لمريم بشراً سوياً ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ [الكهف:64]، فالخضر هو آثارهما الذي ارتدا عليه وإنما هو آثارهما بتمثله الذي تمثل لهما فيه حتى أدركاه بحسهما الجسماني بشراً سوياً ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف:65].

فانظر نون الملك والجمع وهو ضمير ذات المتكلم الواحد المطاع القائم بأمر الجمع كله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:65]، هو متمثل من غيب أمانة موسى ﷺ إلى شهادة إدراكه ولذلك تصرف بملكه وسيادته فعارضه القوي الأمين بحكم أمانته، فعامله بمثله فأقام الجدار العبداني على الكنز الرباني حجاباً عن كشف حقيقة القيام السيادي به، فقال له الأمين الخير مستأجر: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:77]، فكان في طي هذا الخطاب خرق لذلك الحجاب حيث أثبت له الإشارة الماضية، وهي ربانية مع أخذ الأجر وهي حالة عبدانية.

فهذا شهود منه بوجه سيادة الخضر، فلذلك قال له: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:78]، أي: هذا الشهود الذي حصل منك لي هو زوال البين الذي كان يحجبني عنك

ففارقت أنا به البين الذي كنت أباينك به، وهو التكتم عنك لما فارقت أنت به البين الذي كنت تباينني به، وهو وقوف نظرك على تمثلي ومعاملتك لي على شاكلته من لزوم دخوله تحت حكم أمانتك عندك، فلما زال مابينه وبينه نبأه بتأويل ما لم يستطع عليه صبراً من حكم السيادة إذ هو في مرتبة الأمانة فأوّل له تلك الوقائع ولازال يكشف له عن وجه السيادة البراقع فيقول له: أردت وخرقت، ثم يقول: فخشينا وأردنا حتى ظهر به من خبئة السري بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:82].

ثم أخبره إذ لاح له في جعل ما فعله صادراً عن أمره لا عن أمر غيره جهراً أن هذا المشهد هو تأويل ما لم يستطع ﴿عَّلَيْهِ﴾ [الكهف:82]، إذ تجلى للجبل ﴿صَبْرًا﴾ [الكهف:82]، فما هذه موصولة لأهل القرآن ونافية لأهل الفرقان، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال.

وهكذا تمثل روح السيادة الباطنة في الأمانة العيسوية بشراً سوياً، وقال بحكم تمثله: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم:19]، فوهبها منه ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:19]، وجعله آية للناس ورحمة منه ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:21]، لما كشف عنها حجاب وجه المكون بقوله: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم:21]، فافهم.

واعرف صاحب السيادة، ومالك الملك، وقيوم الدرجة الرفيعة، والمقام المحمود في غير وجه المقام الحامد، فالزم تغنم كل مغنم، والله أعلى وأعلم[1].

اسمع: رزق الله من عندية الله كالقرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء:88]، ورزق الجنة من الجنة متشابهاً، ورزق النار من النار متبايناً، فأهل الله ليس لمواجيدهم شيء، وأهل الجنة مواجيدهم خيرات متشابهة، وأهل جهنم مواجيدهم شرور متباينة فلا تقس أهل الله بما دونهم فافهم.

من تحقق بالله تلت عنه جميع أموره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، يسمع من يعلم أن يتوهم، فافهم.

يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حليم هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: قال النبي ﷺ: «حالُ المؤمن خيرٌ كلُّه»، وقسْ على هذا؛ فكان لا يرى إلا حامد حتى قال بحقِّه المبين عنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:44] فبحق تسمّى بمحمد وأحمد، وصاحب لواء الحمد والمقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون.

بسم الله الرحمن الرحيم روى ابن حبان في صحيحه حديث أبي ذر الطويل، وفيه: «قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وعشرون ألفاً، قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر: أربعة سريانيون: آدم ﷺ، وشيث ﷺ، وإدريس ﷺ، وهو أول من خطّ بالقلم، ونوح ﷺ، وأربعة من العرب: هود ﷺ، وشعيب ﷺ، وصالح ﷺ، ونبيك محمد ﷺ»[1].

فظن بعض الناس أن محمداً ﷺ ليس داخلاً في هذا العدد كما فهم فاهم أن اسم الجلالة ليس داخلاً في أسماء الله تعالى التسعة والتسعون فالجلالة عند هذا الفاهم مكمل المائة اسم ومحمد ﷺ مكمل عدة الرسل ثلاثمائة، وأربعة عشر وذلك عدد بسط أحرف اسم محمد ﷺ فإن الحرف المشدد بحرفين فيكون هكذا ميم (90) حاء (9) ميم (90) ميم (90) دال (35) تلك 314 فيكون عدد اسم محمد للرسل كعدد اسم رحمان (299) للمائة اسم إلا واحداً، والمائة رحمة، والمائة درجة تلك، وعدد محمد بالجمل الصغير مع اعتبار الحرف المشدد حرفين أربعة وعشرون وفق عدد رحمان (24)، وذلك هو العدد الكامل، وفي رابع عشرين رمضان أنزل القرآن، وأحرف الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وليس في الأسماء المذكورة في القرآن (259 من أعلام الرسل اسم هو أربعة أحرف محققة في اللفظ والخط معاً إلا محمد، أحمد، وماعدا هذا ففيه ياء أو ألف ممدود غير مهموز؛ فلا يتحقق في اللفظ فمحمد يكمل أحرف الشهادتين أربعة وعشرون، وكلها في عدك بالجمل الصغير كما تقدم فافهم.

لما كان بتاريخ يوم الثلاثاء تاسع عشرين ذي القعدة عام ثمان مائة، قلت لسيدي: رأيت اليوم في المنام رجلاً فقيراً لابساً زي الصوفية، وسمعته يقول: أنا ما أشك فلأجل أني أوقن بكل ما يخطر لي، لا يأتيني الهم من جهة الجهات، وما يأتي أحد الهم إلا من الشك، ومن أيقن لا يأتيه هم، فقال لي سيدي: وأنا رأيت اليوم في المنام أن خيلنا هذه عند البيت الجديد الذي على كتف باب النصر، وأن ذلك البيت بيتنا الرحبة لنا، وأن باب النصر بابنا، وأن بيدي مفتاح لطيف، وأنا أفتح به باب النصر ففتحته حتى لم يبق من الضبة مشبوكاً إلا سنية واحدة أو نحو ذلك.

ثم استيقظت فقلت: لم يبق إلا قليلاً سنة فما دونها أو نحو ذلك، وينفتح بنور بيت سيدي، ويد تأييدهم باب نصر الله والفتح الموعود به، ويكون مفتاح ذلك روح اسم الله

---

(1) سبق تخريجه.

اللطيف، ويكون غلمان بيت سيدي، وخدمة بابه يومئذٍ هم خيل الله وأنصاره إن شاء الله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:95-96]؛ فافهم.

جاء في الحديث الصحيح: «إذا أحب الله عبداً أمر جبريل والملائكة بحبه فيحبوه، ويضع له القبول في الأرض؛ فلا يراه أحد إلا أحبه»(1).

واعلم أن الله لا يحب الفساد؛ فالله تعالى يحب الصلاح، ولا يحب المفسدين فيحب المصلحين، ولا يحب الكافرين فيحب المؤمنين، ولا يحب الظالمين فيحب المقسطين، ولا يحب الجهر بالسوء من القول فيحب الكلم الطيب، والله تعالى يحب المحسنين، ويحب الصابرين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، أو يحب الذين يتبعون خاتم النبوة في تمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ويحب الذين ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:54].

وبالجملة فالله تعالى يحب من تخلق بأخلاقه الربانية كما ندب إليه الشارع بقوله: «تخلقوا بأخلاق الله»(2)؛ فمن كان هكذا أحبه الله تعالى، وما تعلقت محبة الله تعالى فيه حقيقة إلا بأخلاقه تعالى، فهو الجميل يحب الجمال الذي له في كل مظهر؛ فإن قيل: فإذا كان محبوب الله تعالى الموصوف بهذه النعوت الحسنى أو بشيء منها يضع الله تعالى له القبول في الأرض حتى لا يراه أحد إلا أحبه؛ فكيف يبغض الضالون أئمة الهدى، والجاهلون لأهل الحق أعداء.

قلت: لأنهم لجهلهم بهم لم يروهم على ما هم به في نفس الأمر أحباب الله تعالى، ولكن جهلوهم فتصوروهم بغير ما هم به من الأمر فسموهم ضلالاً، وسحرة، وكهنة وكذبة، وأشباه ذلك من التسامي الذميمة التي هم بضدها؛ فلذلك لم يروهم حقيقة فلم يحبوهم؛ لأنهم ينظرون إلى ظواهرهم، وهم لا يبصرون حقائق مراتبهم عند ربهم، ولو أبصروهم من تلك الحيثية لم يسعهم إلا محبتهم أرأيت أحد يذكر له من هو موصوف تلك الصفات الحسنى فلا يهتز شوقاً لرؤيته، ويعترف بصدق حبه له، فهكذا كل أحد يحب أحباب الله تعالى من حيث هم أحباب الله تعالى، وإن جهل مقام أحد فأبغض ما تصوره فيه بجهله، ولم يبغضه هو؛ لأنه هو ليس ذلك المتوهم بالجهل.

وقد أشار محمد ﷺ إلى هذا بقوله: «ألا تعجبوا من قريش يسبون مذمماً، وأنا لست

---

(1) رواه البخاري (3/ 1175)، ومسلم (4/ 2030).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 3) بنحوه.

يعلمهم إنما أنا محمد ﷺ[1]، ويقوله: «اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون»[2] فكل أحد يحب حبيب الله، وإن قابل بالبغض ظاهره لجهله به فهو يحبه من حيث حسبه غيره ،ولا يبغض إلا موهومه فيه لا هو؛ ولذلك متى كشف عن عقله حجاب جهله حتى عرف وجده محبوبه الذي لا يجد لسلوه سبيلاً؛ فافهم.

لن يصيب الأرواح الرحمانية المحمدية بالعرفان والتحقق إلا ما كتب الله لهم من العالم عبداً، وذلك المكتوب لهم الذي يصيبهم هو عبدهم، ونعم المولى مولاهم؛ فافهم.

جاء في الحديث: قيل لي: انظر إلى الأفق يعني: في إسرائه؛ فنظرت فإذا سواداً عظيم قد ملأ الأفق، فقيل لي :هذه أمتك»[3].

فانظر كيف أمته هي تلك المثالات الروحانية الظاهرة في أفقه الكشفي قبل تكون تمثلاتهم الجرمانية، والأفق عبارة عن محدد ظهور الشيء إما بابتداء الأفق الشرقي، أو بانتهاء كالأفق الغربي، فالحس المشترك أفق المحسوسات، والخيال أفق الخيالات، والعقل أفق المعقولات، فالأول هو الأفق الأدنى، والثاني هو الأفق المبين، والثالث هو الأفق الأعلى، وما بين الأول والثالث جملة سدرة المنتهى، وما بين الأول والثاني منها هو طوبى مقام روح التخيل ميكائيل، وما بين الثاني والثالث منها مؤتساً مقام روح الفكر جبرائيل، والأفق الأعلى مستوى الرحمن، والاستواء هو التجلي التام بمعاني الجلال والإكرام، وكل موجود مستوي لوجوده، ووجوده مستوي عليه بما تجلى به فيه التجلي التام، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: 23].

قال المفسرون: معناه جاءهم من الرسول بيان الحق فالهدى هنا البيان، والرسول ظاهراً بخلقه هو ربهم باطناً بحقه.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الإسراء: 94].

قال المفسرون[4]: الهدى هنا هو محمد ﷺ، وقال بعضهم: هو الإيمان، وقيل: الإسلام، وقيل:القرآن، وكلٌّ صواب إن شاء الله تعالى.

---

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

(4) انظر: تفسير التستري (1/ 306)، وروح البيان لحقي (7/ 393، 387)، والبحر المديد لابن عجيبة (3/ 366، 410)، ونظم الدرر للحرالي (5/ 109).

فعل أنه محمد ﷺ؛ فانظر إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] أي: وإن تدعهم إلى حقيقة معينة بحيث تقول لهم: أنا المراد فالمقصود والحق المشهود فلن يقبلوا هذا، ولن يسمعوه فلن يهتدوا، وهذا خبر عن الذين لم يعرفوا منه إلا ظاهره الخلقي، ولم يفتح لهم نور الإطلاع على باطنه الحقي كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:198] أي: ظاهراً ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:198] أي: الباطن، وهؤلاء هم ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ﴾ [الكهف:101] وهي عن ذكر الله الذي هو عينه، وشاهد غيبه؛ فافهم.

انتهى الجزء الأول من الواردات الإلهية، ويسمى بـالوصايا



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، يا مولاي يا واحد يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم.

ومن واردات سيدي علي بن وفا ﷺ به أيضاً، جاء في الحديث: «خزائن الله الكلام»[1]، وليس في الكلام إلا المعاني التي يأخذ منها كل فهم بوسعه، ويلهم الحق منها كل مدرك ما يناسب استعداده.

انظر كيف نظرت إلى يوسف ﷺ زليخا وصواحبها، وأغيارهم، فأما الأغيار فلم يروا منه إلا أنه بشر فتى زليخا، وأما صواحبها فشهدنه ملكاً لا بشراً فقلن: ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31]، وأما زليخا فما ظهر لها عند مشاهدته إلا الحق، فقالت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف:51]، أي: ظهر وتجلى لها عين معنى قول الملائكة لجده إبراهيم ﷺ عن جده إسحاق ﷺ: ﴿بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:55]، بعدما سموه غلاماً عليماً، والولد سر أبيه، وهذه المرتبة الحقية هي النعمة التامة التي أشار إليها يعقوب ﷺ بقوله: ليوسف ﷺ عند سماع رؤياه، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ [يوسف:6].

ثم عرفه أن الربوبية له من دائرة العليم الحكيم؛ فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6]، وإلى هذه المرتبة أشار لإخوته بقوله: ﴿فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:87]، وأشار إلى ذلك يوسف بقوله: ﴿هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف:100]، حتى قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100]، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، فافهم.

اليوم حضرة النور الذاتي الشمس، والليل حضرة النور المستفاد القمري، واليوم حضرة العطاء ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: 73]، والليل حضرة الدعاء: «ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه»[2].

---

(1) رواه الديلمي في «الفردوس» (2/ 194).

(2) رواه مسلم (6/ 125)، وأحمد في «المسند» (4/ 81)، وابن حبان (3/ 201).

والليل حضرة المحو، والسكون، واللباس، والتغطية المعبر عنها بالجنون.

والنهار حضرة الإبصار، والنشور، والمعاش، والظهور، فحقيقة الليل المعنوي الباطن قبول المريد الصادق، وحقيقة اليوم الروحاني الباطن روح الأستاذ الناطق، وهذا اليوم إذا جلا أنوار الكشف والبيان الرباني فهو يوم ﴿عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:47]، ورقائق كل يوم هي ساعاته وأوقاته وأحيانه، وأنوار المريدين رقائق أنوار أساتذتهم وأنوار أساتذتهم حقائق أنوار مريديهم، وهذه الرقائق هي أقدار المريدين، وقدر كل منهم بحسب وجده، فالرقيقة الكمالية البدرية هي القدر الكامل، وقبول قابلها ليلة القدر، وبإفادتها للقابلين عنه صورة مقبولة تكون ليلة مباركة، والتبارك عبارة عن توسع التجليات القدسية، واليوم اثنتا عشرة ساعة، والألف إذا جزئت اثني عشر كان كل جزء ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر فساعة اليوم الرباني مقدارها ثلاثاً وثمانين عاماً، وأربعة أشهر كل ستة وتسعين شهراً بثمان سنين، فالثمانون سنة بتسعمائة وستون شهراً، والأربعون شهراً بثلاث سنين وأربعة أشهر، وساعة من ساعات الغني تغني،

فكما ليس في مرآة البدر إلا الشمس فيضيء الليل كله كذلك ليس في المريد الكامل إلا أستاذه فيفيده المدد القبولي كله؛ فافهم، واعرف، والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:33]، إلى قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:34]، الصدق وقوع الحكم، والتصديق تفعيل منه، والعند مقام الحضور الاختصاصي، والمتقي مفتعل التقوى، وهي الامتناع الحضور الاختصاص، والمتقي مفتعل التقوى، والتقوى هي الامتناع والاحتجاب بالمحبوب عن المكروه، وبالأعلى عن الأدنى، وأدنى التقوى الاحتجاب بالحسنات عن السيئات، وأعلاها الاحتجاب بالحق عن الخلق، وغايتها الوافية الاحتجاب بشهود الله الأحد عن رؤية سواه فمعنى ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:34]، أنهم مهما شاءوه كان لهم في حضرة شهود معبودهم ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:34]، الذين يعبدون الله على مشاهدة ذاتهم؛ فافهم.

جاء في الحديث: «إن الله خلق الأجسام في ظلمة، ثم رشّ عليها من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل»[1].

معنى: كون الأجسام في ظلمة أنها مراتب إبهام وإيهام فشأنها من حيث جرمانيتها الوهم البهيم، والنور المرشوش عليها: هو الروح الناطق العليم الحكيم من تجلي الوجود

(1) رواه الديلمي في «الفردوس» (2/ 170).

الرحمن الرحيم، فالأجسام على هذه الأرواح المرشوشة على استعداداتها كنقاب أسود أغبر على وجه مبهج أقمر، فمن لم ير من ذلك الوجه إلا نقابه فلم يبتهج، ولم يجد السرور كمن لم ير من أولياء الله إلا أجسامهم، فلم يذكر الله لشهود نور المذكور، ومن كشف الستور ابتهج بالسرور عند مشاهدة المقصود.

ولهذا جاء في الحديث أولياء الله هم: «الذين إذا رأوا ذكر الله»[1].

وكم من يرى أجسامهم، ولم يزده تلك الرؤيا إلا غفلة واستغراقاً في ظنون السوء وقلة الأدب، وما ذاك إلا أنه حجب برؤية الحجاب عن رؤية الأحباب، فلو كشف له ذلك الحجاب لوجد من الله نعيم الرؤية والخطاب، وإنما يصح هذا لمن تجردت همة نفسه عن علائق، وهمة البشري وعوائق شهوته وحظه البهيمي ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:52]، أي: من وراء حجاب بشريته بتجريده عنه إلى جهة روحانيته حتى تكون البشرية حجاباً بينه وبين الخلق لا بينه وبين الحق فهو هناك بشر مقيد عند الخلق، وروح مجرد عند الحق فإذا جرده من بشريته، ونفخ فيه من روح حبه حتى كان له سمعاً وبصراً خاطبه بألسنة أوليائه الناطقين به شفاهاً، ورآه بعين معاينتهم وجاهاً.

ألا ترى كيف قال الحق عن طائفة أنها قالت: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:18]، فرد عليهم ذلك بقوله: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ﴾ [المائدة:18]، فكان الأعمى في حجابية ظلمته البشرية لا يجتمع مع هذا المقام المدعي، فافهم.

جاء في الخبر: «أن أبا الدرداء دعا سلمان الفارسي إلى سكنى إيليا، فقال له: يا أخي هلم إلى الأرض المقدسة؛ فقال له سلمان: يا أخي! إن هذه الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسان عمله»[2]؛ فافهم.

إذا وجدت من كمالاتك في نظامه ووسائلها من حكمه وأحكامه فاعلم أنه إلهك، ومولاك، وربك بوجوده وأستاذك، وإمامك، ووليك بموجوده فمن أي الجهتين شهدته فعامله على شاكلة شهودك، واعلم أن صدق المحبة يوجب تحقق المحب بمحبوبه بعد الموت شهوداً، واعلم أن صدق المحبة يوجب تحقق المحب بمحبوبه بعد الموت وعياناً وشبهة كما كان متحققاً به قبل ذلك حباً، وعرفاناً، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:62]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54].

---

(1) رواه أحمد (4/ 227)، والبيهقي في «الشعب» (7/ 494).

(2) رواه مالك في الموطأ (2/ 769).

وهو هو بيا هو هو سيدي ومولاي، وحسبي ليس إلا هو.

إذا تجلى سر الوجود بمخصوص في زمان فقام به ناطقه نادى لسان تخصيصه في ملأ الأرواح والمعاني: «إن الله قد بنى لكم بيتاً فحجوه»[1] فتأتي وفود المعاني والأرواح إلى ذلك الناطق ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:27، 28]، بالتكميل بين يديه ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج:28]، الذي يلقيه إليهم زيادة إلهية ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾ [الحج:28]، قبل ذلك فذاك الناطق هو الحضرة الخاصة إلى الخاصة المخصوصين بالمزيد اللدني في قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:35]، فكذلك لا مستقر لعين روح فاضلة إلا بين يديه راجعة الأمر إليه فاطلب الحقائق الفاضلة تجدها بين يديه؛ فافهم.

حضرة الناطق بالحقائق مرآة وجوه السوابق من قابلها بنظرة رأى وجه سابقته التي سبقت له في الغيب فانظر ماذا ترى، واعلم أن ما تراه راجع إليك بلا مراء فمن نظر في المحقق فرأى أنه زنديق فذلك الرائي هو الذي سبق له في الغيب الأزلي أنه زنديق، وإن رأى أنه صديق فهو الذي سبق له في الغيب أنه صديق، وحقيقة ذلك المحقق لا يراها إلا هو في كماله أو من هو محيط به؛ فافهم، واعرف الحق لأهله، واشهده في مظاهره، والزم القيام بحقه على قدرك، وطاقتك تسلم وتغنم، والله أعلى وأعلم.

الشهوة والحظ نار النفس، والاختيار والسيادة، نار القلب والمحبة، وعلو المرام، نار الروح والإرادة والتمييز، نار العقل، والعشق والتحقيق نار الحقائق الفؤادية، وهي ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة:6، 7]، وإذا أطلع نار من هذه النيران على ما هي ناره أخرجت ما استعد للظهور من ذخائره بقوة كما تخرج ذخائر النفط بنارها، ومن ثم تأتي اشتهارات النفوس بمكاسبها، والقلوب بمشاهيها، والأرواح بمواهبها، والعقول بمراتبها، والأفئدة بتجريد كل مرتبة مأربها لإظهار عينها من غيب حواجبها؛ فافهم.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:3،4]، القلا: البغض، والتوديع: البعد أي: عدم قلاه لك خير لك من عدم توديعه لك فـ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى:3]، هي الأولى من هاتين الكلمتين ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:3]، هي الأخرى منهما، وإنما كان كذلك؛ لأن البعد مع المحبة والرضا خير من القرب مع البغض والغضب؛ فافهم.

من جعل آخر أمره في كل حال الرضا بحكم الله فكان خيراً له من أوله؛ فهو محمدي له نصيب من كنز ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:4]، فإن دخلت في الطاعة بغفلة

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (4/ 283).

وكسل فلا تخرج منها إلا بذكر وانبساط، وإن دخلت في المعصية بإقبال وشهوة فلا تخرج منها إلا ببغض لها ونية ألا تعود إلى مثلها، وإن دخلت فيها ببغض وعدم محبة فلا تخرج منها إلا بتوبة وندم، وإن كنت في نعمة فاجعل أولها قياماً بالحقوق، وآخرها فيضاً وجوداً لكل مخلوق، وإن كنت في ضيق فاجعل أوله رضاه بحكم الله فيه، وآخره رضاه بحكم الله فيه فتكون في آخر كل أمر أقرب إلى ربك من أوله فبذلك تكون الآخرة ﴿خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: 4]؛ فافهم.

ما الموت إلا خمود بهيمي الحركات، وتعطيل آلات الشهوات فمت بالاختيار تحت أحكام روح حكيم قبل أن تموت الطبيعي قسراً تحيا بحقيقة ذلك الروح حياة طيبة في دنيا كاملة الطيب في أخراك؛ فافهم.

ربما وقف رب الحي على رأس طريق حيه ليهدي أبناء السبيل إلى داره كرماً، فإذا جاء طلابه يسألون منه عنه، وعن منزله فدلهم على منزله؛ فمنهم من يدله بعلامات يرشده بها، ولا يعرفه بنفسه، ومنهم من يوصله هو إلى منزله، ولا يعرفه بنفسه حتى إذا دخل مع هذين الفريقين منزلة عرفوه بأمره من في حيه أو بتعريفه إياهم بنفسه، ومنهم من يعرفه نفسه على رأس الطريق من أول لقياه؛ فلا يصل إلى منزله إلا عارفاً، وذلك لكرامته عند رب الحي وخصوصيته لديه، فهكذا يتحول الوجود المجرد في صور الهادين إليه الدالين عليه المرشدين لما يقرب لديه، وبتحوله ذلك يتعرف، وفي عين تعرفه به بتنزيهه نفسه عن تلك الصور يتنكر فمن كان من أهل الاستدلال دله على حضرته بعلامات، ومن كان من أهل الترقي في المقامات صاحبه حتى وصله إلى حضرته، وكلاهما لا يعرفه حتى يصل، ومن خصصه واصطنعه لنفسه ظهر فيه بنور توحيده، وأصدق عليه حكم تجريده، وعرفه بنفسه وكان دليله، وصاحبه، ومقصوده إلى أن يكمله فيجده وجوده، ويشهده شاهده ومشهوده، وليس ذلك إلا في الحضرة الوفائية الإحاطية؛ فافهم، واعرف، والزم تغنم كل مغنم، ولا يقصد إلا أهل الوفاء فحسبك الله، وكفى إن أردت أن تظفر بهذا الاصطفاء، والله أعلى وأعلم.

أهل كل مرتبة لا يعرفهم إلا من تحقق بسيماهم شهوداً أو وجوداً ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [البقرة: 273]، اتصافاً ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [محمد: 30]، انكشافاً إلا المحيط؛ فإنه لا يعرفه إلا من تحقق شهوداً أنه ليس إلا هو وجوداً «فبي عرفوني»[1] فافهم.

الذات شيء واحد لا كثرة فيه، ولا تعدد بالحقيقة، وإنما تتعدد الذات باعتبار تعينها

---

(1) سبق تخريجه.

بالصفات تعدداً اعتبارياً فقط والتعدد الاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لأصلها، فافهم[1].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، الأيات التقويم نظم الأمور بالتدبير والتصوير، وأحسن ذلك تقويم الحق الذي لا يجوز عليه ظلم ولا جهل، وبوجوده صار الإنسان الآدمي ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:11]، بعدما كان بوهمه البشري ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72]، فهذا الحق الذي حقيقته الرحمن الموجود الرحيم الإنسان هو الأمانة التي حملها فقوم بها الأكوان، والعوالم أحسن تقويم فيما دام الإنسان ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، للعوالم والأكوان فهو في صورة الرحمن، وحسبك بذلك الشأن من شأن؛ فافهم.

جاء في الحديث: «من صام رمضان، وأتبعه بست من شوال؛ فكأنما صام الدهر»[2] السنة ثلاثمائة وستون يوماً والحسنة بعشر أمثالها.

وجاء أنه قال في يوم نحر حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار اليوم كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض»[3]، ومعنى ذلك أن الدور قد تم بحصوله في آخر نقطة الدائرة فإذا انقضى هذا الزمن المحمدي بدأ دور جديد.

وجاء: «أنه يبعث الله على رأس كل مائة سنة رجلاً يحيي به هذا الدين»[4]؛ فهذا الرجل هو القطب.

وجاء في الحديث: «يبعث الله كل ولي على قلب نبي»[5].

وأولو العزم أقطاب الأنبياء، وهم سبعة ومحمد خاتمهم ثامنهم فأقطاب الأولياء سبعة وثامنهم خاتمهم على قلب خاتم النبيين، ولكل منهم مائة سنة من حساب ثلاثمائة وستون يوماً، وهذه المائة سنة بدايتها من يوم استدار الزمان، وهو قبل وفاته ﷺ بثلاثة أشهر كوامل؛ لأنه ولد، وبعث، وقبض ﷺ يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول على قول الأكثرين، وكل سنة فعدتها ثلاثمائة وستون يوماً، وكانت وفاته ﷺ بعد الهجرة بعشر سنين أو إحدى عشر سنة أو

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: انظر تر كل ذي معتقد لا يخلو من إثبات معتقده بما يعجز خصومه عن إبطاله بقاطع، وحينئذ فإن تركت الكل وقعت في خسفة التعطيل ما لم تتحقق بتجريد الوحدة الذاتية، وإن قبلت الكل وقعت في تيه الحيرة ما لم تتحقق بوحدة القيومية الوجودية.

(2) رواه أبو داود (2/ 324)، والترمذي (3/ 132).

(3) رواه البخاري (3/ 1168)، ومسلم (3/ 1305).

(4) رواه أبو داود (4/ 109)، والطبراني في «الأوسط» (6/ 324).

(5) لم أقف عليه.

اثني عشر سنة على اختلاف في ذلك، ونحن الآن حين كتابة هذه الأحرف في بكرة الجمعة رابع ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة من الهجرة بالحساب الهلالي، وسته ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً، فتتفاوت كل سنة ستة أيام فهي ستة في ثمانمائة بأربعة آلاف وثمان مائه يوم، وهي اثنا عشر عاماً وشهران وعشرون يوما، وعشرة الهجرة تسقط من هذا العدد إلا ثلاثة أشهر كوامل، وهي تسعون يوماً فيكون زمن آخر الأقطاب بقي فيه اثنان وعشرون عاماً من حساب السنة ثلاثمائة وستون يوماً، وشهران كوامل وتسعة عشر يوماً، واحسب على هذا إن كان زمن الهجرة إحدى عشراً ومائتين ذلك على ما يترجح عندك.

ثم إذا انقضى هذا الزمن الثامن دخل التاسع، وهو قرن آيات الساعة، وعلاماتها فيه يظهر المهدي الظهور التام، ويخرج الدجال، ويظهر عيسى بن مريم، وتطلع الشمس من مغربها، ويأتي الناس ما وعدهم الصادق من حيث ينظرون، ويمكث ذلك مائتان المائة الأولى قرن المهدي، والثانية قرن عيسى ابن مريم، وبه ينقضي هذا الدور، ويأتي دور جديد يتحقق فيه أمور وانظر في عدد قول الحق: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ﴾ [هود: 103] بالجمل الكبير تجدها ألفاً وواحداً، فذلك الواحد هو مشهود الشاهد منه بدأ الأمر، وكما بدأ منه يرجع إليه ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [القيامة:12]، (ذ ا ل ك ي و م م ج م و ع ل هـ)، وهذا مجموع عدد أزمنة هذه الأمة إلى اليوم المشهود ألف سنة وواحد بإشارة هذا النص، وهذا هو الذي جاء فيه: «إن استقامت أمتي فلها يوم»[1] وإن ﴿ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ ﴾ [الحج:47]، ومائة وواحد؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي فيها وجه الله فذلك في سبيل ربه، ومن أغبرت قدمه في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين عاماً»[2]؛ فمتى عرفت وليًّا لله،ومشيت في خدمته لوجه الله، ابتغاء مرضاته فأبشر بذلك حقاً فافهم .

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [آل عمران:152] أي: ومنكم من لا يريد سوانا، وفي الآية دليل على أن المؤمن قد يريد الدنيا، ولا يقدح ذلك في أصل إيمانه وكل من طلبه النعيم الجثماني بعد الموت فهو يريد الدنيا، وفصلهم ممن يريد الآخرة بواو العطف، وحرف التبعيض والضمير دليل على بعد ما بين المقامين، وكل من رقت همته عن التعلق بالجثمانيات إلى التعلق بالروحانيات والنورانيات فهو من الذين يريدون الآخرة، وأهل الله

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 417)، بنحوه.

(2) رواه ابن حبان (1/ 163)، والحاكم في «المستدرك» (1/ 291)، بنحوه.

مجردون عن المقامين؛ لأن همتهم متعلقة بلا أين، وما لا يقبل الشركة والبين لا ينقسم إلى اثنين فالواحد الأحد لا شريك له، ولا يحكم عليه العدد؛ فافهم.

ما ثبتت لك وحدته للذاته مع قطع النظر عن إضافته، أو الإضافة إليه فهو أحد، وما تثبت لك وحدته بإضافته فهو فرد.

فالأحدية أمر ذاتي وما دونها من المذكورات أمور إضافية فالأحد لا قبله ولا بعده، ولا معه عدد، والواحد بعده ما ثبت به وحدته، وليس قبله شيء فهو الأول، والوتر ما وتر بين شيئين متساويين كالثاني من الثلاثة، والثالث من الخمسة والخامس من التسعة، والفرد قبله ما يثبت به وحدته، ولا شيء بعده، كالثالث من الثلاثة، والخامس من الخمسة، والسابع من السبعة، والتاسع من التسعة فإذا عرفت هذا عرفت مراتب الاختصاص؛ فافهم.

محمد ﷺ صاحب الأحدية في العبودية؛ ولذلك أضيف إلى ضمير الذات المجردة في المقام الإلهي؛ فقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء:1]، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [النجم:10]، والهاء ضمير الذات المجردة، كما أن أنا وأنت وإياك وإياي، وما في معنى هذه من الضمائر كلها ضمائر الذات في مراتب التعينات، فهنا حلت مرتبة «هو» على ما عداها من الضمائر، وكذلك المضاف إليه فعبده أعلى من عبدنا، وأما ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:2]، فهذه الهاء ذاتية لكن في مقام الربوبية، والحق أنها عائدة إلى الرحمة؛ لأن المضاف هو المقصود من جملة المضاف، والمضاف إليه فهو أقرب إلى ما بعده معنى، وإن كان المضاف إليه أقرب لفظاً، وهذه الرحمة التي أسند إليها الذكر هي الرحمة الحقيقية التي محمد ﷺ عينها في العالمين، فاعرف ذلك وأعلم أن اسم الجلالة من خمسة أحرف ألف، ولام، وألف، وهاء، فأما الألف واللام فآله التعريف، والتعريف تعيين وإثبات فهذه دائرة الإثبات، والحمد، والإكرام، واللام، والألف آله النفي، والنفي تجريد وتنزيه فهذه دائرة النفي، والجلالة، والسبحان، والهاء ضمير الذات المجردة فهذا الاسم الأعظم اسم الوجود المجرد بذاته لكن في مقام الإحاطة بدوائر النفي والإثبات والحمد والسبحان، والجلال، والإكرام فالنفي، والإثبات إلهيات إحاطيات يدخل تحتهما كل ما له حكم بسلب أو ثبوت والجلال والإكرام رحمانيات، جمعيات، والحمد، والسبحان، رحيميات، فرقيات فالإضافة إلى هذا الاسم الأعظم تارة تكون باعتبار الحمد كما هي لمحمد ﷺ حيث قيل عنه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: 19]، أي: تعين عبد الله ﴿ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:19]، وقيل عنه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾

[الكهف:1] فذكر الجلالة والحمد هذا هو الحد العيسوي[1].

حيث قال تعالى فيه عنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَـٰبَ ...﴾ [مريم:30]، وقال له: ﴿يَـٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة:110]، وتارة يضاف إلى هذا الاسم الأعظم باعتبار السبحان بقوله تعالى عن محمد ﷺ ﴿سُبْحَـٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:1]، وهذا هو الحد الموسوي حيث يقول فيه كما قرئ في الشواذ: وكان عبد الله وجيهاً[2].

وقال له الله عنه: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۞ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [النمل:8، 9]، وقال: ﴿سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:143].

وانظر نار السبحان هنا ونور الحمد الذي قال فيه أحمد الحامدين: «رأيت نوراً»[3] ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة:15]؛ لأن النار للنفي، والتمحيص، والتمحيق، كما قال: «حجابه النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[4].

وقال موسى للسامري: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ [طه:97] ورأى ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:29] والنور للإثبات والتخصيص، والتحقيق، والأمران إسميان كما ترى، وانفرد محمد ﷺ بالضمير الذاتي التجريدي كما تقدم؛ فهو الأحد في خصوصية عبوديته، وهو المتعين بالواحد في العبودية أيضاً كما هو مقام القائل ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم:30].

وانظر قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم:30]، فله هذه الواحدية في العبودية بذاته المتعينة من نفسها؛ لأن في ﴿إِنِّي﴾ [مريم:30]، إضافة الذات المتعينة من نفسها إلى نفسها و«أنت» إضافة الذات المتعينة إلى نفسها من غيرها.

وأما في محمد ﷺ فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن:19]، وأنه أضاف الذات المتعينة إلى الذات المجردة فمحمد ﷺ هو العبد الذاتي، وما دونه فعبد وصفي، وإن علا مقامه، فكما أن صفات الوجود من ذاته فسائر العبوديات رقائق من العبودية المحمدية، والعبد في الحقيقة

---

(1) قال المصنف: وأما المتولدات بين تحليل وتركيب فكتاب محو وإثبات، مصدر مضاف للمنفعل بها بالتعاقب، فذو الأوليات الإيجابية الذي هو الجملة المجردة للتفاصيل الكائنة هو: الحمد، العقل، الرحمة، القلم، الذكر اليعسوب الأب الأم، بوجوهه في مراتب أوليائه، وهو النور المرشوش بسريانه في تفاصيله على الكائنات.

(2) هي قراءة ابن مسعود والأعمش وأبي حيوة [انظر: الكشاف (1/ 1010)].

(3) رواه ابن حبان (1/ 774)، وأبو يعلى في «المسند» (1/ 231).

(4) رواه مسلم (1/ 161)، وأحمد في «المسند» (1/ 405).

مرتبة تعين مولاه فليس إلا به يعرف تعيناً وتبييناً فكما أن العبد من مولاه وجوداً، فكذلك المولى من عبده شهوداً، «أنت مني وأنا منك»[1]؛ فافهم وتوسم، واعرف، وترق، والزم، واغنم، والله أعلى وأعلم.

لولا مزج شراب ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف:143]، بقوله: ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر:66] لأحرقت نار السبحات ما أتت عليه فعاد المفيق بعد الصحق إلى الاستهلاك؛ فافهم.

وقال ﷺ: الإنسان هو بكشفه وبيانه آلة التعريف «أل»، وهو بإمكانه، وبانفراده عن مشابهة الأكوان في جمعية شأنه آلة النفي «أل»، وبما يشار إليه من معاني غيبه بالهاء هو ذات مجردة فذاته، وجود محيط بحقيقتي النفي والإثبات، فهو القائم في مراتب دوائرهما بأحسن تقويم ليس لتقويمه لما قومه من مراتب الدوائر شيء دونه بل لا قيوم لها فيها سواه يفهم ذلك من عرف معنى اسم الله؛ فافهم.

والرحمن هو الله في مرتبة الإيجاد، والإمداد بالدوام، والرحيم هو الله الرحمن في مرتبة الإرشاد، والجود بالتمام، وعين المجموع من هذا النظام القديم إن فهمت ما تأخر بما تقدم، واسم الله الرحمن الرحيم فإن ظفرت بحضرة الإنسان الكامل فقمت بفضل تقويمه الواحد الشامل فأنت قائم باسم الله الرحمن الرحيم بفضل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: 3]، يا مولاي، يا واحد، يا مولاي يا دائم علي، يا حكيم، وهو هو يا هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

وقال ﷺ: المراد من العبد ذله الذي يظهر به عز ربه؛ ولذلك أمر بالتعبد فافهم.

إذا فعلت ما يريده منك ربك فعل لك ربك ما تريده منه، فاجعل مرادك منه هو ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر:99]، فافهم.

وقال ﷺ: إذا بعت نفسك لمظهر من مظاهر الحق المبين الهادي، فلا تخف عنه شيئاً من عيوبك، فإن البائع إذا بين وصدق بورك له في بيعه، وإذا كذب وكتم محقت بركة بيعه، والمشترى إذا اشترى بعد بيان العيب، لم يتوان له أن يرد السلعة، وإذا اشترى من غير بيان العيب كان له الرد، ومن ثم جاء في الحديث الصحيح: «من اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه»[2]؛ فافهم.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم (4/ 2135)، والنسائي (5/ 298).

متى رأيت مظهر من مظاهر الحق المبين في وصف من الأوصاف فتوجه إليه بوجه صدق محبة قلبك له، واجعل نفسك له عبداً خالصاً لله فإن لسان الحال منه ينادي على أسماع الإفهام في ذلك الوقت ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ [المائدة:119]، وحسب الذي صار عبداً لله أن العبد من مولاه، وكفى من كان محباً لله أن: «المرء مع من أحب»[1] فافهم.

انظر إلى الزرع في بدايته يروق الحس دون العقل، وعند نهايته يروق العقل لظهور منفعته المقصودة منه، ولا يروق الحس فاحرص على أن تعجب القلوب النورانية، وإن لم تعجب المدارك الوهمية، واحذر العكس ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ [يس:68]، فافهم.

جاء في الحديث المحمدي أنه قال لعلي ﷺ: «أنت مني وأنا منك»[2] أي: أنت مني وجوداً فإني أنا المتعين بك لنفسي وأنا منك شهوداً؛ لأنك الذي توجدني عرفاناً للمؤمنين المتعرفين، وبذلك حصلت بينهما الأخوة في إفادة كل منهما الآخر فقال له: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[3] أي: في زمن ختم النبوات، وفي زمن ختم الولايات، وفي حكم الفرقان، وفي حكم العرفان، وهذه في تمييز المراتب بمنزلة الإنسان المؤمن الذي به يعرف الرحمن من الرحيم المؤمن الذي به يوجد الإنسان، وبمثل هذا ثبتت الأخوة بين محمد ﷺ، وآدم ﷺ، ونوح ﷺ، وإبراهيم ﷺ، كما كان يقول: «أخي موسى»[4] أخي فلان «الأنبياء إخوة»[5]؛ لأنهم آباء جثمانيته بالتكوين، وهو أبو روحانيتهم بالتحقيق، والتعريف المتولد عن كشفه وبيانه في قوابل المستفيدين.

قال سيدي ومولاي:

طويتُ طوايا قلبِ موطناً
عن الريبِ في الأراءِ مبرأ
لإلهامِ وحيِ الروحِ مِنّي مهيأ
فأنباءُ روحي كلُّ روحٍ منبأ
وأربابُها في حجرِ حجري تربّتْ
ذهبتُ بروحِ الله في كلِّ مذهبِ

---

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.

(3) رواه الترمذي (5/ 636)، والحاكم في «المستدرك» (3/ 15).

(4) رواه الطبراني في «الأوسط» (7/ 78).

(5) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 499).

وحققـــتُ إمكَـــاني بتمكـــينِ مُـــوجبِ

أي: ظهرت مكنته من وجبت به في مرتبة إمكاني، فكنت لذا إمكاني المرتبة وجوبي المكنة.

تمـــثلت بالـــرُّحمنِ في كُـــلِّ طـــيبِ

أي: في كل قبول خالص من تحكيات الأخيار تمثلت روحي المقيدة بما أفادته من المرتبة الرحمانية في قبول المستفيد فإن عقل نفس المتعلم إنما هو تمثل عقل المعلم الفعال في تلك النفس عند ملاحظة مفيد ومستفيد، وأما عند قطع النظر عن اعتبار قبول مفيد ومستفيد، فهو ذلك العقل العليم ليس إلا كنور الشمس إذا اعتبر كون القمر مستفيداً له ليلاً كان الحاصل في القمر من النور تمثل نور الشمس فيه، وإذا قطع النظر عن ذلك كان هو نور الشمس ظاهراً ليلاً ونهاراً، وهكذا رؤيتك نفسك في جرم صقيل إن اعتبرت كونه قبل صورتك تصورت نفسك متمثلاً فيه، وإن قطعت النظر عن ذلك علمت أنت الناظر لنفسك عند مقابلته كما أنك الناظر إليك دونه، فأنت أنت في الحالين واحد بلا ثنوية إلا وهمية نسبية.

قال سيدي ومولاي:

ولي أبـــو مَـــنْ كَـــان قَـــبل أبـــا أبي

كما قال: «أخي لوط »[1]، و«الأنبياء إخوة»[2]، وآدم منهم؛ ولأن آدم أفاد ظاهر محمد ﷺ وخلقه، ومحمد ﷺ أفاد باطن آدم وحقه كما تقدم، ومن ثم ورد أن آدم قال لمحمد ﷺ لما الجلالة والإكرام في ليلة الإسراء، وهي ليلة كشف المراتب مرحباً بابن صورتي، وأبا معناي، وتحقيق هذا يظهر لك أيضاً من اعتبار العلة الغائية، فإنها المفيدة لوجود حقيقة المعلول، وذلك المعلول مفيد لظهور صورة مرتبتها؛ فكل منهما علة للآخر فتواخيا في الإفادة.

وتحقـــيق هـــذا مـــنه حـــق الأخـــوة

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، «المؤمن مرآة أخيه»[3] فافهم.

في كونك الجثماني قلمان يا أيها الآدمي الإنسان: قلم يكتب المعاني في الأذهان بتصوير رسوم شواهدها في الأعيان هو القلم الذكري العلمي اللساني اقتضت غيرة العزة الحقية ستره الوضعي بحجب اللهوات، والشفاه، والأذقان، وقلم يكتب الأكوان في أرحام الأبدان: هو

(1) ذكره المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (2/ 164).

(2) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 499).

(3) رواه الترمذي (4/ 325)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (5/ 229).

القلم الذكري قلم الكيان اقتضت غيرة العزة الأمرية سترة الشرعي بحجب الأزر والقمصان، فالمتكلم بقلم كشفه وبيانه يظهر معانيه في المدارك الروحانية بواسطة أعيانها الكلامية فتكون صورته المعنوية حاصلة في هيولانية تلك المدارك على قدر سلامتها، وكمال استعدادها فبهذا يكون العليم المتجلي صورة السميع القابل وقد جاء في الحديث: «خلق الله آدم على صورته»[1] أي: على الصورة المستعدة لظهوره بأحكام جميع معانيه فيها دون سائر الصور، وفيه: «لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل»[2]، أي: بحسن الخدمة وصدق التودد «حتى أحبه فإذا أحببته»[3] يعني: وأقبلت على قبوله بوجه تعرفي له وتحقيقه بي «كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً»[4]، وجاء: «إذا أحببته كنته»[5].

ولسان حال كل أستاذ ناطق بالحق المبين يقول هكذا لكل مريد صادق: تقرب إليَّ حتى أحبك فإذا أحببتك رأيتك أهلاً لي فظهرت فيك بما أنت مستعد له مني ظهوراً تكون به كاملاً متمكناً بحسبك، بل لسان حال كل معلم يقول للمتعلمين منه ذلك، فاعرف واعرف الأعلى، والزم تغنم، والله أعلى وأعلم.

لا يقبل المريد الصادق من الحق المبين الناطق إلا صورته الحقيقية في العلم المحيط؛ فإن الحقيقة تحن إلى مثلها كما هو يحن إليها بالذات، وكل ما هو في النظام الفعلي فإنها هو مثال حقيقة في النظام العلمي، فلا سكون لطلب المريد إلا بتحققه بحقيقته؛ فهي وجه الله العليم بالنسبة إليه؛ فافهم.

المعلومات تعينات ذات العالم، والمفعولات شواهد معاني الفاعل فافهم.

الحقيقة العلمية لمثالها الفعلي وجود وجوبي، والمثال الفعلي لحقيقته العلمية وجود إمكاني فيا أيها المريد الصادق ما وجودك الواجب الذي أنت به حق إلا عند أستاذك الناطق بالحق المبين فإن تحققت به كنت كما لم تزل حقاً، وإلا فها أنت لا تزال خلقاً فافهم.

قلت: يوم الأحد تاسع شهر رجب الفرد عام أربع وثمانمائة: لم أجد إلى الآن مريداً صادقاً يتقرب إلى حقيقة حقه عندي بالنوافل حتى أحبه، ولو وجدته لوافيته بحقه، وأحببته فكنت هو فكيف بمريدي على المطابقة والتمام، ولكن سنة مولاي أن يجيء مريدنا منا والله

---

(1) رواه البخاري (5/ 2299)، وابن حبان (14/ 33).

(2) رواه البخاري (5/ 2384)، وابن حبان (2/ 58).

(3) رواه البخاري (5/ 2384)، وابن حبان (2/ 58).

(4) رواه البخاري (5/ 2384)، وابن حبان (2/ 58).

(5) لم أقف عليه.

أحسن ﴿حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50]؛ فافهم.

علياً العلم المحيط وجوداً رحمانيون فهم مظاهر الرحمن ومثالات مراتبه ومريدوهم الصديقون لهم رحماء لرحمائهم فكل صديق منهم رحيم تعين به رحمانه الصادق عليه، وذلك في كل دائرة بحسبها وفي كل مقام بحسبه؛ فافهم.

جاء في الخبر المحمدي: «أبو بكر مني بمنزلة السمع، وعمر بمنزلة البصر»[1].

وبايع عن عثمان بيعة الرضوان بيده الكريمة، وقال: «اللهم هذه يد عثمان»[2]، فعثمان منه بمنزلة اليد.

وقال: «لا يبلغ عنه إلا أنا أو علي»[3]؛ فعلي لسانه واللسان أخص المراتب بالناطق؛ فلذلك قال علي: «أنا الصديق الأكبر»[4] يعني للحق المحمدي الصادق عليه، «لا يقولها بعدي إلا كاذب»[5].

قال الحق سبحانه وبحمده بعد ذكر آل إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: 50]، وذلك أجابه لدعائهم حيث يقول إبراهيم ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء:84].

ولما كان اللسان باب مدينة روح الكشف والبيان جاء في الخبر المحمدي: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[6]، وهذا الخبر، وإن كان ناقلوه عند المحدثين غير ثقات؛ فإن شاهد الحال يشهد به، وهو الثقة الأمين؛ فافهم .

المحبة توجب تحقق المحب بالمحبوب؛ «فإذا أحببته كنته»[7]؛ فإذا أحبني كانني، «فإذا أحببته كنت سمعه، وبصره، ويده، ولسانه»[8]؛ فإذا أحبني كان سمعي، وبصري، ويدي، ولساني، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:10].

ألا ترى محبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي للحق المحمدي كيف اقتضت قوله:

---

(1) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (6/ 443).

(2) رواه البخاري (3/ 1352)، والترمذي (5/ 629).

(3) رواه الترمذي (5/ 636)، والنسائي (5/ 45).

(4) رواه النسائي (5/ 107)، والحاكم في «المستدرك» (10/ 338).

(5) رواه الحاكم في «المستدرك» (3/ 120).

(6) رواه الطبراني في «الكبير» (11/ 65)، والحاكم في «المستدرك» (3/ 137).

(7) سبق تخريجه.

(8) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (3/ 81).

"سمعي، وبصري، أبو بكر وعمر"[1]، وقوله على يده أنها "يد عثمان"[2]، وإشارته لعلي بأنه لسانه المبلغ عنه، وقال عن عمر: "إنه عين من عيون الله"[3]، وقال الحق عنه: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:12]، وأخبر عنه بأنه "يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله"[4].

وأحب يأتي لازماً بمعنى اتصف بالمحبة، ومتعدياً بمعنى حمل على الاتصاف بالمحبة.

وبالجملة المحبوب صفة محبة كما المعلوم صفة عالمه، والمعروف صفة عارفه في كل مقام بحسبه، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

الصدق ثبوت الحكم فمن ثبت في قبوله صورتك فتصور بها، فقد صدقت عليه، ومن أنزله منزلة نفسك في الحنان والمعاملة بالأجسام فقد تصدقت عليه أي: تفعلت صدقك عليه؛ فانظر من هنا ما معنى قول أخوة يوسف له ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف:88]، أي: بأن يتصدق عليهم، وافهم قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 95]، أي: على، وانظر قوله في أولياء الشيطان: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ﴾ [سبأ :20]، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم .

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ﴾ [يوسف:65]، إذا وجدت أخاً في الحق فاحفظه تزدد به مما آخيته من أجله؛ فافهم.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ [يوسف:36]، أي: أرشدهما وخيرهما ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ﴾ [يوسف:36]، أي: المستحق التأخير والترك ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:36]، فيه إشارات وحكم من جملتها أنك إذا جئت إلى أئمة الهدى فلا تأتهم إلا لتهتدي بهم، ولا يحصل ذلك إلا بأن ترى نفسك على غواية أنت مضطر إلى كشف غمتها بنور روح الهداية كما قال أحدهما: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف:36]، والخمر غواية وأم للمآثم؛ فكأنه قال أيها الصديق ما جئتك إلى، وأنا أرى نفسي أعظم الناس اضطراراً إلى رحمتك، وروح حكمتك؛ فلذلك نجا به، وأما الآخر فزكي نفسه، ورأى أنها من المحسنات كما قال: ﴿أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف:36]، فهلك ولو اعترف بين يدي الصديقين مظاهر الحق المبين بالعجز والاضطرار إلى ما لديهم لنجاه الله كما نجا الأول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:62].

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) لم أقف عليه.

(4) رواه البخاري (3/ 1096)، ومسلم (4/ 1872).

ألا ترى أدب الملائكة حيث قال قائلهم عند التحاكم إلى خليفة الحق داود:

﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص:22]، هذا وهم المعصومون فما قالوا ذلك إلا تعليماً لمن دونهم كيف يكون أدبه في حضرة خلفاء الحق الناطقين به ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص:22] أي: لا تبعدنا عن جنابك: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص:22]؛ فافهم.

الروح الناطق ذو الفرقان الرباني صاحب الحكمة، وفصل الخطاب كشفاً وبياناً هو المنفوخ بالظهور من غيب الاستعداد إلى فعله في آدم؛ فبه عَلِمَ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:31]، إذا هي في نظامه فكان خليفة الرب في أرضه الجثمانية كما هو عين الرب ووجهه في سمائه الروحانية، ولذلك سجد له الروحانيون؛ فلا يزال الآدمي ابن آدم حتى يقوم به هذا الروح، ويظهر فيه حكمه الرباني على التمام؛ فحينئذ يصير هو آدم خليفة الرب وتصير أبناء آدم الذين في زمانه كلهم أبناؤه في محل خلافته كما هم عباده في حضرة غيبيته كما قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[1].

والله هو السيد ومن علمك آية من كتاب الله تعالى أي الناطق الحق فقد ملك رقك؛ وقد جاء في الحديث: «اللهم أصبحت أشهد أن لا إله إلا أنت، وأن عبادك كلهم إخوة أبوهم آدم»[2]؛ فانظر كيف آدم معلم أسماء الربوبية، ومفيد معاني العبودية أبو جميع عباد الله من حيث إنهم عباد أخوة، ومن قام به روح هذا العليم والحكيم تمام القيام؛ فهو آدم عباد الله في زمانه، فيجب عليه القيام بمصالحهم كما يجب للأولاد على أبيهم، ومن ثم لم يسع الأقطاب، وأئمة الهدي أن يعتزلوا الناس، ويقطعوا عنهم مدد رحمتهم ورشد حكمتهم فحاشا مثلهم «أن يضيع من يعول» ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:233]، ولولا أوجبت لهم الرحمة ذلك، وإلا فلم ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾ [الأنعام:34]، ولكن ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:54]؛ فافهم.

الناطق بالحق بالتحقيق هو الكتاب اللدني كما قال في السورة المفتتحة بحرف التحقيق ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:1].

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون:62]، والناطق بالحق بالتشريعي هو الكتاب الفرقاني كما قال في سورة الشريعة المقول فيها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية:18].

---

(1) رواه البخاري (4/ 1745)، ومسلم (1/ 184).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (2/ 353)، بنحوه.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية:29]، الآيات؛ فافهم.

والناطق بالحق المبين بالأمرين هو الكتاب المطلق كتاب الله والإمام المبين ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:12]؛ فافهم.

جاء في الصحيح: «إن الله خلق آدم على صورته»[1]، وفي رواية: «على صورة الرحمن»[2] هذه الصورة التي خلقية آدم ﷺ، وكونيته حجاب عليها هي الروح الناطق العليم الحكيم المسمى وجوده بالحق المبين، وهذه الروح هي عين الإنسان الذي عرش الرحمن ظاهره، ومعنى استوائه باطنه؛ فافهم.

إنما هو الوجود الذات يحكم فمهما حكم به علماً تعين به لنفسه إدراكاً، فما من الله إلا وإليه ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39]؛ فافهم.

لا داخل الحقيقة وجود إلا علمها، ولا خارج لها إلا إدراكها أعني: علمها الفعلي نظام مفارقاتها، وما لا تدركه منفصلاً عنها، ولا تسميه موجوداً في الخارج، وعلمها الانفعالي هو نظام ما تسميه موجوداً في الخارج، فما من وجودك إلا إلى شهودك إلا من وجودك؛ فافهم.

لو لم يصر صدر أبي بكر من رق، وهمة عتيق، لم يسع ما صبه الصدر المحمدي فيه من التحقيق، وهذا سر تسميته عتيق فعيل بمعنى: المفعول، والفاعل أي: معتق بفتح التاء، ومعتق بكسر التاء كحكيم[3]، ومحكم بكسر الكاف؛ فافهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]، ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام:139]، متى أرادت نفس العبد أن تظهر دون سيدها الحق ظهر سيدها دونها وأبطنها، ومهما أرادت أن تبطن في ظهور سيدها الحق يبطن سيدها الحق فيها وأظهرها كما جاء في الحديث: «إن الله ينزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه»[4].

وهو لك عند ظنك به مهما ظننته به أقامك فيه؛ فافهم.

العقل صورة العلم المحقق للحقائق والمعاني، والروح صورة الحياة التي هي العلم المحقق للأعيان فصورة العلم الإلهي عقل إلهي، وصورة الحياة الإلهية روح إلهي، وصورة العلم الرحماني عقل رحماني، وصورة الحياة الرحمانية روح رحماني، وصورة العلم الرحيمي

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه الدارقطني في «الصفات» (ص37).

(3) زيد في المطبوع: [بفتح الكاف بمعنى: محكوم عليه].

(4) رواه الحاكم في «المستدرك» (1/ 671)، وأبو يعلى (3/ 390).

عقل رحيمي، وصورة الحياة الرحيمية روح رحيمي، وليس في استعداد مرتبة من المراتب ولا دائرة من الدوائر، ولا عالم من العوالم لهذه العقول والأرواح كلها إلا المرتبة الإنسانية الآدمية منها، والوجود الذات من حيث إنه ذو المعاني المحيطة الزائدة، والغير الزائدة هو المسمى الله الإله، ومن حيث أنه ذو المعاني المعبر عنها من هذه المعاني المحيطة الإلهية بمعاني الكمال الثبوتية كالتي يؤمن بها الأشاعرة هو المسمى الرحمن، ومن حيث أنه ذو المعاني المعبر عنها من هذه المعاني المحيطة الإلهية بمعاني الفعل هو المسمى الرحيم، فالرحيمية في نظام الرحمانية، والرحمانية في نظام الإلهية، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم .

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:84]، شاكلته: هي مرتبة الوجودية فلا يمكن كائناً أن يخرج عن حكم مرتبته الوجودية؛ فإن كانت مرتبة كمال وسعادة فتراه يأتي النقائص والمذام، فتقلب في حقه أسباب كمال وسعادة بما يفتح الله له عنها من ذلك، وإن كانت مرتبة نقص وشقاوة تراه بالعكس.

وانظر كيف من شاكلته مرتبة جهل وحجاب، كيف كلما توغل في الفنون العلمية، وتبحر في الكشوفات النظرية لا يزيده ذلك إلا شكاً في الحق، وبعداً عن الصواب، ومن شاكلته مرتبة علم وكشف كلما اعترضته الشكوك والأوهام انفتح له فيها أعين يبصر بها الحق، ويرى بها الصواب، إما بالإلهام، أو بفهم عن تعليم، وانظر من شاكلته شاكلة ضعة كيف يتكبر فلا يزداد بتكبره في النفوس إلا ضعة، وهو مذموم موزور، وآخر مرتبة شاكلته عز فلا يزيده التواضع إلا عزًّا، وهو ممدوح مأجور، وهكذا كل لا يعمل مهما عمل إلا على شاكلته؛ فالعبد عبد وإن ترقى، والرب رب وإن تنزل؛ فافهم.

الوهم البهيم: هو حجاب الظلمة، ونار الجحيم، والروح الحكيم: هو حجاب النور، وسر النعيم، وكلاهما من دائرة الفرق حجابان عن وجه حقيقة الحق؛ فافهم.

المحيط من الذوات: ما هو ذات كل ذي ذات، أو فقل ما هو الذات الموصوفة بكل صفة المقومة لكل صفة ووصف والمحيط من الصفات ما تعلق بكل ذات، ووجه المحيط هو مرتبته التي بها يعرف أنه هو هو فمن عرفت به المحيط حقيقة فهو وجهه الذي واجهك به؛ لأنه برؤية الوجه يعرف صاحبه، وإن خفي سائره، وبخفاء الوجه يجهل صاحبه، وإن بدا سائره فوجه الشيء ما به يعرف؛ فافهم.

أولى المتصفين بالصفة أولهم بها اتصافاً؛ لأنها فيه حقيقة، وهي فيمن تبعه عليها رقيقة لتلك الحقيقة، وكذلك حال كل مأموم ومتابع، ووارث، ومريد هو رقيقة من حقيقة حال إمامه، ومتبوعه، وموروثه، ومراده.

والرقيقة: هي صورة الحقيقة في القابل كالصورة المرئية في قبول الأجرام الصقيلة من مقابلها، فالقابل حقيقة ومقبول القابل منه رقيقة تلك الحقيقة، فأيما صفة قامت بك؛ فانظر من أول المتصفين بها، واعلم أنها رقيقة قامت بك من تلك الحقيقة، وتلك الرقيقة قرينك من تلك الحقيقة؛ فافهم.

أول من وصف بالحسد بغياً والغرور حقداً، وسوء الظن بربه، والتحكم على أمر سيده، ومعارضة علمه واختياره بهواه ووهمه، وما أشبه هذا من الصفات الذميمة هو إبليس فمهما وقع ممن بعده شيء من ذلك، فهو قرين إبليسي مع من قام به، فإن قهر ذلك الوصف وخالف داعيته، ولم يعمل به فهو محفوظ من قرينه الإبليسي، وإلا فهو معه مصروع، وكلما قلت من النفس المدركة القرناء الذميمة كثرت بها القرناء الكريمة، إذ لا واسطة لذي فعل واختيار بين الفضائل والرذائل؛ فافهم[1].

المعاني أرواح الأعيان فما أرواح الكلم إلا ما تبين فيها من الأحكام والحكم، وعلى قدر علو هذه المعاني يكون كمال حياة هذه المثاني؛ فمن منع العارفين بإنكاره العنيف أن يبينوا في الحديث الكلامي ما يأتون به من معنى لطيف، وروح شريف فإنه عدو ذلك الكلام بجهلة يريد أن يذره ميتاً دارساً، وهو يحسب أنه يحفظه من اللغو والتحريف.

فيأيها العارف! إذا رأيت من هذا شأنه السخيف، فاترك له اللفظ الذي ليس عنده من الحق سواه، وأتِ أنت بمواجيدك في لفظ لا يغاير ذلك اللفظ إلا في التأليف.

ويأيها المتعلم المستمطر من سماء التعريف! اقبل ما ينشره عليك العليم، الحكيم، الخبير، اللطيف من رحمة معارفه وعوارفه في أي: صورة تيسرت لك، ولم يأت بها من تقدم، ولا تخلد إلى التنظيمات العادية، فتنقل عن العروج إلى مواجيد العارف حتى ينشلك بيد نقل، أو عقل، أو معتاد معظم فما أحوج العارفين إلى التعريض من إبداء معارفهم في مظاهر ظواهر النصوص التي ليس بيد المنكرين من الحق سواها إلا إخلاد نفوس بعض التلامذة المتعرفين إلى الوقوف مع تلك الظواهر، فلو علموا الحقائق لوجدوا الناطق، وسمعوا منه خطاباً طري التنزل في كل زمان فـ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، ولكن نفوسهم كثيفة، ومشاهدة الحقائق شريفة، وأرواح الوصال بها مطيقة، والغيرة من المغاير عنيفة، ولا يؤذي الأستاذين في

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: القرين ظل لازم، ولا ظل إلا لشخص، وللآدمي في كيانه أشخاص ثلاثة: شخصٌ عقليٌ به يكون مميزاً حكيماً، وظله قرين ملك وهو روح فكره الصالح، وشخصٌ وهميٌ تارة به يضاد حكم شخصه العقلي، فهو وهم بهيمي، وظله قرين شيطان.

حجاب المنكرين إلا غلبات النفوس الكثيفة من المريدين، وحسبك أن ذلك الأذى لا يأتي إلا بسببهم، ولكن الله عاصم مظاهر حقه المبين؛ فافهم، واكتف بهم حجة ويحبهم إليه محجة، تغنم بحسن خدمتهم كل مغنم، والله أعلى وأعلم، يا سيدي، يا مولاي، يا عزيز، يا ودود.

أمر الأستاذ كحبة وضعها في أرض قبول تلميذه، وسقاها بتفهيمه، وتأييده فمهما ظهر من التلميذ أو عنه من نوع ذلك؛ فهو من ثمرات تلك الحبة ونتائجها، ونتائج الحبة وثمراتها وإن كثرت، إنما هي ملك لغارس الحبة في أرض يستحقها فكل ما للتلميذ من أمر رشيد فإنما هو في الحقيقة حق لأستاذه فلا يظن من التلامذة أنه ظفر من نوع ما أفاضه عليه أستاذه بما لم يظفر به أستاذه إلا تلميذ جاهل.

ومن ثم قال الصحابي العالم حين استفتي فيما لا يحفظ فيه نصًا: «لا أعرف في هذه المسألة نصًا، لكني أقول برأيي؛ فإن أصبت فمن الله ورسوله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان»[1].

فانظر كيف عرف أنه إن أصاب فإنما إصابته نتيجة ما تقدم له من تعليمات الله ورسوله فرد الأمانة إلى أهلها، وإن أخطأ فذلك شيء ليس من تلك التعاليم في شيء، وما ألهم الصحابي هذا العلم ليس إلا من نور قول أستاذه وسيده ﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: 50].

ولا تحسب أن خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء الذي هو وارث حقيقته حقًا في قيامهم بطريق أحد من الأئمة، وأتباعهم له تلمذة منهم له، وإنما ذلك منهما لتكميل تلك الطريقة ونشر رحمتها؛ ولذلك قيل: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: 125].

وقال عن إبراهيم أنه يقول له: «اجعلني اليوم من أمتك»[2] فافهم.

معاني الاختيار والاقتدار هي مرتبة الربوبية، ومعاني الاضطرار والافتقار هي مرتبة العبودية، فإذا ظهرت أحكام الربوبية في العبد بالسر العليم المحقق عنده أنهما مرتبتا الوجود الذاتي، فقام بكلا المرتبتين قياماً حكميًا على بصيرة يقينه في ذلك فهو العبد السيد هو صاحب كنز الربوبية، ومالك العبودية هنالك الولاية لله الحق ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: 125]، الغني، الحميد، العزيز، الرحيم؛ فإن ظهرت أحكام الربوبية في العبد بالروح الحكيم المحقق عنده أن مرتبة العبودية هي حقيقته وذاته، وأن مرتبة الربوبية فيه أحكامها باختصاصها الاختياري فهو يظهر فيه من أحكام الربوبية، ما يكمل به مرتبة العبودية فقط مع

---

(1) سبق تخريجه. (2) سبق تخريجه.

لزوم شاكلة العبودية علماً وعملاً؛ فهذا أمين على كنز الربوبية، وخليفة مالك ملك العبودية أمانة حملها، وهي الأمانة التي لا يحملها إلا المظهر الإنساني، وبها يقوم العالم الذي حملها من أجله أحسن تقويم ما دام قوياً بتمكينها أميناً عليها لا يخون بادعائها لنفسه، ولا يضعفه عن القيام بروح قدسها خضوع همته لغلبات، وهم طبعه الجثماني وحسه، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ...الآية﴾ [الأحزاب:69].

ثم قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ...الآية﴾ [الأحزاب:72]، فمن تأمل الترتيب فهم هذا المعنى الغريب فموسى الذي أوتي الفرقان، والضياء، والذكر الفرقاني الذي هي القول السديد المصلح الذي يتميز به خبث الطباع من طيب النفوس ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ... الآية﴾ [الأحزاب:73]، فموسى أمين حامل لهذه الأمانة، وهو فيها خير مستأجر في وقته إذ هو القوي الأمين، وكذلك كل من جاء في حقه أنه أمين فإذا ظهرت أحكام الربوبية للنفس المهيمنة في العبد بوهم بهيم يلبس عليه الحق بالباطل فيدعي الربوبية للنفس المهينة في العبد بوهم بهيم يلبس عليه الحق بالباطل فيدعي الربوبية لنفسه المهينة المغلوبة لغلبات طبعه المهين مع تحققه أنه بهذا الطبع رهين، وأنه مقامه الذاتي المكين فهذا العبد هو المضل المبين، وكلاهما في دائرة التغاير الفرقي؛ فكل أمين حق مبين يقابله خائن الأمانة مبطل عدو مبين.

فللأمين جنة نعيم يقابلها لمقابلة الخائن نار جحيم، وأما صاحب الكنز، ومالك الملك فجنة فردوس جمع كله حق لا يقابله باطل، فأمره سلام نعيم لا يقابله جحيم، إنما هو ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:58]، ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:78]، فحكم هذا السيد نافذ في العباد الأمناء، وحكم الأمناء قاهر قاصم للخائنين؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

واعلم أن الخضر هو تمثل ما بطن في الأمانة الموسوية من روح السيادة، فلذلك عبر عن ظاهرة الذي تمثل به أنه من آثار موسى وفتاه، وأنه عبد من عباد السر الذاتي، الجمعي، اللدني، والرحمة العندية؛ فقال: الحق، الغني، الحميد، المتجلي بهذا الخضر لموسى وفتاه كما تمثل روحه الذي أرسله لمريم ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:17]، بتمثله الذي تمثل لها فيه حتى أدركته بحسها الجسماني ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:17]، ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ [الكهف:64]، فالخضر هو آثارهما التي ارتدا عليه ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف:65]؛ فانظر نون الملك، والجمع وهي ضمير ذات المتكلم الواحد المطاع القائم بأمر الجمع كله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:65]، فهو متمثل من غيب أمانة موسى إلى شهادة إدراكه، ولذلك تصرف بملكه، وسيادته فعارضه القوي الأمين بحكم أمانته فعامله بمثله،

فأقام الجدار العبداني على الكنز الرباني حجاباً عن كشف حقيقة القيام السيادي به.

فقال له الأمين الخبير ما استوجر: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:77]، فكان في طي هذا الخطاب خرق لذلك الحجاب حيث أثبت له الإشارة الماضية، وهي حالة ربانية، مع أخذ الأجر، وهي حالة عبدانية؛ فهذا شهود منه لوجه سيادة الخضر، فلذلك قال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف:78]، أي: هذا الشهود الذي حصل منك لي هو زوال البين الذي كان يحجبني عنك لما فارقت أنا به البين الذي كنت أباينك به، وهو التكتم عنك، ولما فارقت أنت به البين الذي كنت تباينني به، وهو وقوف نظرك على تمثلي، ومعاملتك لي على شاكلته من لزوم دخوله تحت حكم أمانتك عندك، فلما زال بينه وبينه بتأويل ما لم يستطع عليه صبراً من حكم السيادة، إذ هو في مرتبة الأمانة فأول له تلك الوقائع، ولا زال يكشف عن وجه السيادة البراقع بقوله[1]: أردت وخرقت.

ثم يقول: فخشينا وأردنا حتى ظهر له من خبأه السري بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:82].

ثم أخبره إذ لاح له في جعل ما فعله صادراً عن أمره لا عن أمر غيره جهراً أن هذا المشهد هو ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ﴾ [الكهف:82]، إذ تحمل للجبل ﴿صَبْرًا﴾ [الكهف:82]، فيا هذه موصولة لأهل القرآن، وناقية لأهل الفرقان، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، وهكذا تمثل روح السيادة الباطنة في الأمانة العيسوية لمريم بشراً سوياً[2].

وقال بحكم تمثله: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم:19] فوهبها منه ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:19]، وجعله ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾ [مريم:21]، منه ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 21]، لما كشف عنها حجاب وجه المكون بقوله: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: 21]؛ فافهم، واعرف صاحب السيادة، ومالك الملك قيوم الدرجة الرفيعة، والمقام المحمود في عين وجه المقام الحامد، والزم تغنم كل مغنم، والله أعلى وأعلم.

رزق الله من عندية الله كالقرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، لو ﴿اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء:88]، ورزق الجنة من

(1) زيد في المطبوع: [فأول له تلك الوقائع، ولازال يكشف عن وجه السيادة البراقع بقوله].

(2) قال المصنف في «المسامع»: إذا جئت ربك الحق ومريك الصدق ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 89]، له أملي على باطنك بسره أولاً، ما يكشفه ويبينه لك بقوته ثانياً، فتكون مقولاته الظاهرة قوالب لتلك المعاني الروحانية التي هي كلماته الباطنة في باطنك، وربما بطن فيك قبلك إنما أظهر لك، فالخير كله والفضل لك يبديه منه وإليه فافهم.

الجنة متشابه، ورزق النار من النار متباين؛ فأهل الله ليس لمواجيدهم شيء، وأهل الجنة مواجيدهم خيرات متشابهة، وأهل جهنم مواجيدهم شرور متباينة، فلا تقس أهل الله بما دونهم؛ فافهم.

من تحقق بالله تلت عليه جميع أموره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، بسمع من يعلم أو يتوهم؛ فافهم.

الصدق مصدر يوصف به وله معنيان أحدهما الوقوع، والحق مصدر أيضاً يوصف به، وله أيضاً معنيان أحدهما الثبوت؛ فالأول أعم من الثاني لأن كل ثابت واقع، ولا ينعكس، والثاني من معنى الصدق مطابقة الخبر لمخبره، ويقابله الكذب، والحق مطابقة المخبر لخبره، والباطل يقابله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج:6] أي: المطابق لما وصف به نفسه ووصفه به العارفون من عباده ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:62] أي: المخالف لما يصفه به عابدوه؛ فالصدق حكاية الحق بالمطابقة، وإذا فهم هذا فقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119] أي: مع المطابقين للحق في أخلاقهم وأفعالهم، وهم المثل الأعلون، وكل منهم قدم صدق لمن بنوره سلك؛ لأن القدم ما به السلوك، وهذه الإضافة إما من إضافة الموصوف إلى صفته أي: قدم صفته الصدق أو من إضافة السبب إلى مسببه أي: قدم يوصل إلى الصدق؛ فمن سلك به وصل إلى الصدق والصادق موصوف الصدق وفاعله أيضاً، وكل عبد مطابق لربه فهو صدق ربه وربه حقه، وكل إمام طابقه مأموم فذلك المأموم صدق ذلك الإمام، وذلك الإمام حق ذلك المأموم، وقد يكون الإمام من جهة مأموماً مطابقاً من جهة أخرى؛ فيكون من جهة ما هو مأموم مطابق لإمامه صدقاً، ومن جهة ما هو إمام طابقة مأمومه حقاً؛ فافهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف:57]، هذا هو الصدق ولذلك عبر عنه بقول الحق فالحق محكيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ﴾ [الحج:73]، أي: بين ﴿مَثَلٌ﴾ [الحج:73]، أي: مظهر مطابق للحق الذي هو يدل عليه، ويهدي إليه، ويعين في نفسه للإدراك ما غاب من مثوله عن المدارك ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج:73]، وأطيعوه تهتدوا ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: 27]؛ فافهم.

الصادق موصوف الصدق والصادق أيضاً فاعل الصدق، ومنه: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ﴾ [الأحزاب:22]، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر:74]؛ فافهم.

«قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء»[1]، يقال: لفلان على رعيته إصبع حسنة أي: صفة حسنة[2]؛ فالأصابع هي الصفات الحسنى والآثار الحسنى وهذان الإصبعان صفتان من الصفات القرائن وأثرهما؛ فافهم .

نبع الماء الذي هو مظهر الإحياء والتطهير من الأصابع المحمدية إشارة إلى أن أرواح القدس تأتي من صفاته الجميلة وآثاره الحميدة؛ فافهم.

انظر كيف كل حسن وطيب ورونق وقوة وإدراك وجمعية وانتظام لا يحصل في الجرم إلا بروحه؛ فمتى فارقته زال عنه ذلك كله كما ترى حاله إذا مرض أو مات، وما المرض إلا ضعف علاقة الروح بالبدن، وما الموت إلا تمام مفارقتها له بمعنى استغنائها في جميع أفاعيلها وإدراكاتها عنه، وكل ألم ووهم عادي وتشويش وتعب لا يحصل للروح إلا من الجرم.

ألا ترى أنك لا تتعب في تحصيل ذكر ولا خشية ولا عمل روحاني؛ فإن الروح تأخذ أمرها من حبيبها الحق بلا واسطة فلا يعترضها في ذلك حجاب عنه يمنعها، ولا يحصل أمر جرماني إلا بتعب فلا تحصل أكلاً ولا شرباً ولا لبساً ولا مسكناً ولا مركباً ولا منكحاً، ولا دواءً، ولا رئاسةً، ولا أمراً جرمانيًا في عالم النشء إلا بتعب يحصل للروح بواسطة حجابيتها فيه عن مكاشفة محبوبها الحق بالسبب الذي رتب حصول ذلك الأمر الجرماني عليه.

وانظر إلى الروح حالة اليقظة كيف لا تزال تجد آلام الجرم حتى إذا فارقته بالنوم ذهب عنها الألم، فاقض على هذا بأن للروح من عالم البهجة والنعيم؛ فمتى خلصت من اللواحق الجرمانية لم يكن لها سوى البهجة والنعيم، وهذا هو حال أهل الجنة أجسام مغلوبة الأحكام تحت سلطان أرواح غالبة الأحكام فهم أجسام في أرواح بمعنى غلبة حكم الأرواح على أحكام الأجسام ومغلوبية أحكام الأجسام لأحكام الأرواح غلبة محضة ومغلوبية محضة، وأما أهل الجحيم فبالعكس فهم في دار البلاء والغموم والآلام التي هي دائرة الأحكام الجرمانية العنادية الكثيفة، وهل المزاج الذي هو قوام هذه الأجرام إلا أضداد متغلبة، ولا تباين أشد من تباين الأضداد، فأين النعيم مع الحشر في سجن التضاد؟

وهل الأرواح إلا نور واحد تكثرت؟ وهل مع المناسبة إلا البهجة والسرور والنعيم؟ والعالم جثة له العارف روح؛ فالزم محبة أهل الاختصاص تظفر على يد عنايتهم بالخلاص؛ فافهم.

---

(1) رواه مسلم (4/ 2045)، والنسائي (4/ 414).

(2) زيد في المطبوع: [وأثر حسن].

الصديق من كملت مطابقته وكان بحيث يفيد الصدق من رقائق حقائق مطابقته للقابلين على مقادير درجاتهم فافهم.

انظر إلى السحاب كيف يتفرق وينحط لجمع التراب؛ فاجعل نفسك بالعبودية تراباً يخدمك من جعل نفسه بالرئاسة سحاباً؛ فافهم.

التراب محل الراحة والحمل وإعطاء الدواء والغذاء وظهور فوائد الماء الذي هو مدد السماء، ولذلك كانت منه مادة أجساد بشريات الأصفياء ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غافر:67]، وانظر الإشارة في تكنية علي ﷺ بأبي تراب؛ فالعلو في التنزل، من لم يطرح نفسه في التراب لم يسترح؛ فافهم.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:143]، لولا وجد التجلي ما أندك؛ فإذا وجدت من خشع للمحق جهراً؛ فاعلم أنه قد وجد الحق فلذلك خشع، وإن لم يشعر، واحفظ له حرمة ذلك الوجد تسلم وتغنم؛ فافهم.

من شهد أن الأمر كله لواحد ما ثم غير فعله وإيجاده ومطابق معلومه ومراده لم ير في العالم إلا صادقاً مطابقاً فليس عنده في العالم إلا الصدق لا ضده فافهم.

من شهد أن الوجود لا يمكن أن يقوم به نقيضه ولا واسطة بينهما لم يشهد في الوجود إلا حقًا، وإن بطن شيء بعد ظهوره لشيء، وظهر له بعد بطونه عنه، ومتى تم لهذا شهوده وكمل لم يشهد إلا واحداً وشاهده مشهوده؛ فافهم.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:4]، الأجل: عبارة عن زمن الظهور من حيث يدرك، ولا يظهر الله من حيث يدرك إلا بالمحقق الكامل الرائي «من رآني؛ فقد رأى الحق»[1]، فزمن ظهور هذا الكامل من حيث يدرك أنه الكامل الذي برؤيته يرى الحق فيكون له الأمر كله، ولا يقبل من أحد غير الإسلام له هو أجل الله إذا جاء، وجملة ﴿أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ﴾ [نوح: 4]، وحين يظهر بمعنى قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:16]، فاعدد ومثل هذا العدد من أعوام من الهجرة المحمدية، وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:42]، ومثل هذا العدد من حجة الوداع، التي في يوم الوداع، التي في يوم عيدها استدار الزمان «كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»[2]، يظهر لك هذا الأجل الموعود به حكماً عدلاً يملأ الأرض حقًا وعدلاً إن شاء الله تعالى؛ فانتظروا وعد الله؛ فإنه آتٍ ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

---

(1) رواه مسلم (4/ 1776).

(2) رواه البخاري (3/ 1168)، ومسلم (3/ 1305).

بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾[الروم:4 -6]؛ فافهم.

الوجود واحد بالذات كثير بالنسبة إلى موجوداته والموجودات متغيرة بحدود ماهياتها الحكمية الإدراكية لا بحقيقة وجودها؛ فمتى نظرت إلى حقيقة الوجود ورددت أمر موجوداته إليه كنت موحداً، ومتى نظرت إلى حدود الماهيات الحكمية ورددت أمر وجودها إليها كنت معدداً، ومتى عملت في كل دائرة بما تقتضي الحكمة أن يعمل بها من مقتضيات النظرين في تلك الدائرة مع تحقيقك لها كنت كاملاً سيد مسدداً فافهم.

من حدد عدد ومن جرد وحد ومن تمكن من التصرف بالحكمة في أحكام الأمرين أطلق وقيد، وذلك هو الحق المبين فافهم.

صور الخيرات ملكية وصور الشرور شيطانية فأيما صورة خير عرض لها ما به تكون سيئة فهي شيطان تشكل بصورة ملكية تشبهاً وتلبيساً، وأيما صورة شر عرض لها ما به تكون حسنة؛ فإنها شيطان «أعانني الحق عليه فاسلم»[1]؛ فهو لا يأمر صاحبه إلا بخير مثال هذا صورة الكذب شيطانية، فإذا كذب لإصلاح ذات البين أو لإقامة حق من حقوق الرب كحقن دم أو نصر مظلوم أو كف ظالم عن ظلمه وما أشبه هذا فتلك الصورة الشيطانية حينئذٍ مسلم لا يأمر إلا بخير وقس على هذا فافهم .

لكل موجود أعماله هي أثر وجوده الواقع به سواء سمي ذلك الموجود معنى أو عرضاً أو جوهراً؛ فالوجود ملك جميع الموجودات جنوده ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح:4]؛ فافهم.

لا يطلع على ما في كل واحد من الموجودات بدون إفادته إلا الوجود من حيث إنه وجوده أو من تجلٍ فيه بصفة إحاطته بذلك الموجود فافهم.

لما تجلى الوجود المحمدي بصفة الربوبية؛ فأظهر من مراتبها وموجوداتها الحكمية ما لا اطلاع لموجود عليه في زمانه إلا بإذنه لأن الوجود لم يتجل في أحد منهم في ذلك الزمان بصفة الإحاطة بالموجود المحمدي فلذلك قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:31]، فافهم.

وهكذا صاحب كل وقت بالنسبة إلى أهل زمانه، ومن تقدمه فإذا رأيت الخاتم الوفائي؛ فاعرفه، والزم تغنم كل مغنم، والله أعلى وأعلم.

إذا ظهر الوجود في موجود بوصف أحب أن يوافق ومتى خولف فارق فمن ثم لا

---

(1) رواه مسلم (13/ 428)، والترمذي (4/ 405).

تغيب على موجود أمره إلا كره منك ذلك ولا يقبل منك إلا أن تسلم له ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85]؛ فافهم.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، الخلق تعيين المقدور في الإدراك على ما أثبت له بالتقدير بالمقادير الحدية والتقدير هو الأمر وحقيقته إنزال المعدوم من الإدراك بمنزلة الموجود في المعاملة، فالحقيقة وجود ذات واحد متعين بأحكام منه لنفسه هي صفاته وموجوداته والخلق مراتب تقديرية ثبت في حدودها ثبوت المحققات في المدراك المنفعلة بها وحقيقة الأمر ما تقدم كما قال الحق: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، على قراءة من قرأ بضم لام «كل»؛ فافهم.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] أي: ليعرفوني بالربوبية، ويقوموا لي بالعبودية كما قال تعالى على بعض ألسنته: «فأحببت أن أعرف فخلقت»[1]، فلذلك لا ترى في دائرة الخلق إلا عبداً شهد حال عبوديته ربوبيته متصرفة فيه لا يتقيد موصوفها[2].

كل مرتبة من المراتب الخلقية لها مرتبة تعلوها وكمال كل مرتبة منها في تحققها بالتي تعلوها، فأعلى المراتب هي التي ليس يعلوها إلا المرتبة المطلقة من قيود المراتب الخلقية، وهي المرتبة التي فيها كمال المرتبة المعبر عنها بعرش الرحمن سقف الفردوس؛ فكمال أهل الفردوس أن يكونوا عروشاً، وكمال العرش أن يتجرد عن قيود الحد العرشي ويتحقق بالحق المستوي عليه؛ فافهم.

الجنات درجات أعلاها الفردوس التي سقفها عرش الرحمن الرب الأعلى رب الأرباب الذي ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: 14]، ومنه يأتي لأهل كل جنة «ما لا عين»، منهم ولا ممن دونهم «رأت، ولا أذن» من ذلك «سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[3] من أولئك؛ فالعرش عنده ما لا يعلمه إلا رحمانة الحق المجرد والفردوس عنده من الرحمن ما جاءه بواسطة العرش؛ فلا يطلع عليه إلا العرش وأهله والجنة التي سقفها الفردوس عند أهلها من الرحمن بواسطة الفردوسيين ما لا علمه ولا أدركه إلا أهل العرش وأهل الفردوس، وهكذا إلى آخر الجنان[4]، فأدناها عطاء وأعلاها أعلاها علاء، وأهل كل جنة يرون سقفها عرش

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 173).

(2) زيد في المطبوع: [بالحدود الخلقية وإن كتم هذه الشهادة قاله؛ فافهم].

(3) رواه البخاري (3/ 1185)، ومسلم (4/ 2174).

(4) زيد في المطبوع: [وهم أهل الجنة إلى هي سقف جهنم].

الرحمن؛ لأنهم لا يرون ربهم الرحمن إلا في مظاهره، وهم أهل الجنة التي هي سقف جهنم.

فأهل الفردوس عبيد من حيث يستمدون، أرباب من حيث يمدون، وهكذا من دونهم إلى آخر الجنان، وهي الجنة التي نعيمها النعيم النفساني البشري أي: نعيم النفس البشرية الجرمانية بملاذها الجثمانية وأهل هذه الجنة ليس لهم جهة إمداد جناني فليس لهم ربوبية على أهل جنة إنما ربوبيتهم على من يفيضون عليه من أهل الدرك الأعلى من الجهنميات ما يخلصونه به من دركه حتى يتحقق بمرتبتهم ويدخل جنتهم.

واعلم أن حقائق هذه الجنان ملكات حكيمة خيالية إذا تم خروجها في النفس المدركة من القوة إلى الفعل اقتضت لها إدراك كل ما أورد عليها أو صدر عنها حسناً جميلاً مطابقاً لمرادها مرضياً لها من جميع جهاته وحقيقة الإدراك الجهنمية ملكات بهيمية وهمية بالنسبة إلى تلك الملكات [الجنانية](1) إذا تم خروجها في نفس مدركة من القوة إلى الفعل اقتضت لها عكس ما تقتضيه حقيقة الجنة لأهلها فأئمة الهدى بيد كشفهم العليم وبيانهم الحكيم يستخرجون حقائق الجنان في النفوس المؤمنة بهم المسلمة لهم الصادقة في مسالكهم.

وأئمة الضلالة بيد الوهم البهيم تحكماً وتلبيساً يستخرجون حقائق الدركات الجهنمية في النفوس المنفعلة لغلباتهم محبة لهم، وإيثاراً لطرقهم، والدرجات مرفوعة يتنزل الأمر الحكيم بينهن من أعلاها إلى أدناها، والدركات منكوسة موضوعة يشيع الأمر البهيم من أسفل سافليها إلى آخرها، فأكثفها حجاباً وآلمها عذاباً أسفلها، ثم يتدرج ذلك فيما فوقها حتى يكون أخفها حجاباً وعذاباً آخرها التي ما فوق حجابها إلا أدنى الدرجات الجنانية التي أهلها هداة أخف الجهنميين حجاباً وعذاباً.

وجاء في الحديث: «إن في الجنة مائة درجة بين كل درجة مسيرة خمسمائة عام»(2).

وجاء: «إن بين السماء والأرض خمسمائة عام»(3)، وكذلك بين كل سماء وسماء، فكأن كل درجة سماء لما تحتها وأرض لما فوقها ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:22]، ففي كل درجة رزق التي تحتها وما توعد مما «لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(4)، وفضل(5) التي تحتها كفضل أهل السماء وسكانها على أهل الأرض.

---

(1) زيادة من المطبوع.

(2) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/ 419)، ورواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 82).

(3) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (3/ 1047).

(4) سبق تخريجه.

(5) زيد في المطبوع: [أهل كل درجة على أهل].

والعرش سقف الفردوس أي: سماؤها ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:32]، والطريق الموصل لسالكه إذا تم سلوكه من مرتبة إلى مرتبة هو الصراط المنصوب على متن المسلوك منها، ومتن المسلوك إليها؛ فإن أحسن السالك سلوكه حتى تم [مسالكها] سالماً من المفسدات وصل إلى منتهى ذلك المسلك، وهو المرتبة التي ذلك المسلك منصوب على متنها[1]، فأهل الجنة [الثانية] يرون الجنة الأولى بالنسبة إليهم كما يرى أهل الجنة الأولى أول دركات الجهنمية بالنسبة إليهم، فلذلك يزهدون العاملين الذين هم يطلبون الوصول إلى أدنى الجنان عن التعلق بتلك المقاصد الجرمانية ويدلونهم على كمالات نفسانية متى سلكوا سبيلها وأحسنوا إتمامها وصلوا إلى الجنة الثانية جنة أولئك الأئمة المزهدين لهم في الوقوف مع حدود الجنة الأولى، وإن لم يتم لهم سلوكهم سقطوا في الجنة الأولى برجوعهم إلى ما كانوا عليه وإخلادهم إلى ما كان رغبتهم في المآل إليه.

وقس على هذا حال أهل كل درجة مع التي تعلوها إلى أن يكون أهل الأئمة من يهدي إلى التجرد حتى عن قيود الحدود العرشية، ويدعو إلى رب الأرباب، ويجذب إلى التحقيق منه بـ «أحببته كنته»[2]، وهكذا كل كمال مرتبة في نظامه كمالات ما دونها.

فهذا الإمام هو مظهر عرش الرحمن وعرشه، أو مظهر الله وعرشه إن دعا [إلى] «كان الله، ولا شيء معه»[3]، فهذا هو حقيقة العرش المحيط لرب الأرباب المستوى عليه بالدعاء إلى نفسه بلسانه ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب:46]، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال.

وأما صراط الدركات فمنكوسة من قصر في سلوكها ثبت في حدود المرتبة التي لو لم يقصر لسقط من حدودها وحصل في حدود الدركة التي أسفل منها، ولا يزال السقوط بالساقط إلى أن ينتهي مع أضل المضلين إلى التحقق [منه] بالوهم البهيم الذي هو حقيقة الشيطان الرجيم، وكل هذه الدركات والدرجات إنما هي في الدوائر الخلقية ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۞ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۞ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج:20-22]؛ فافهم.

جاء في الخبر: «من تشبَّه بقوم؛ فهو منهم»[4] أي: من تصور بصورتهم الوصفية فهو منهم؛ فافهم.

---

(1) زيد في المطبوع: [وإن زل سقط في المرتبة المسلوك عنها وهي التي ذلك المسلك منصوب على متنها].

(2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

(4) رواه أبو داود (4/ 44)، والبزار (7/ 368).

جاء في الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه، وبصره، ولسانه، ويده ورجله، وفؤاده»[1].

وفي الحديث: «فإذا أحببته كنته»[2]؛ فأهل كل مرتبة هم أرباب أهل المرتبة التي دونها ومرتبتهم العليا عرش عند المرتبة التي دونها؛ فمتى صدق على أهل مرتبة صورة أهل التي فوقها بمعنى تحقق لهم منهم معنى «أحببته كنته» صاروا أهل تلك المرتبة العليا، وصاروا أرباباً لمن كانوا عبيداً مثلهم قبل هذا التحقق؛ فافهم.

الجرم آلة لروحه ما أظهرت به أمراً إلا كان ذلك الأمر رقيقة مثالية منها، وذلك أن لها إدراكاً عنه تصدر أفاعيلها الآلية، ومدركاتها إنما هي تعيناتها من حيث إنها المدركة لها والظاهرة ظهوراً فعليًّا تمثليًا بما أظهرته منها ظهوراً فعليًّا؛ فافهم.

قال بعض العارفين: حججت فرأيت البيت، ولم أر رب البيت أي: ولم يعرف ربه بالتعيين معرفة يقين، قال: ثم حججت ثانية فرأيت البيت، ورأيت رب البيت، أي: وعرفت أن الحق المحمدي الآمر بحجه وتعظيمه هو ربه، قال: ثم حججت ثالثة فرأيت رب البيت ولم أر البيت أي: فعرفت أن البيت من حيث إنه البيت المحجوج المعظم إنما هو تمثل عيني لربه، ولو عرف الحقيقة حق معرفتها لأنزل كل شيء منزلته، ولم يغب عنه أن الكل واحد إذا رأى العدد، ولا غاب عنه العدد إذا رأى الواحد.

قال: ثم نظرت فإذا الخلق كلهم موتى أي: مراتب عدمية عوملت معاملة الموجودات قال: فكبرت عليهم أربعاً أي: فعاملتهم معاملة المعدومات، ولو تمكن أمره لكان أحسن تقويم بالحق للخلق فإن الله ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [النساء: 126]؛ فافهم.

الربُّ الحق المبين رب المشارق له في دائرة مشرق لا يعرفه أهل تلك الدائرة إلا من ذلك المشرق ولا تسجد له إلا من تلك الجهة فالفقهاء مشارق الربوبية للمجحيميين[3]، والصوفية مشارق الربوبية للفقهاء، وأهل الذوق الباطن مشارق الربوبية للصوفية.

وهكذا إلى أعلى المشارق، وهم نواطق التحقيق فلا تحاول من عبد سجوداً للرب إلا إن أتاه من مشرق دائرته، وهو الصورة التي إذا أتاه فيما فوقها قال له: أعوذ بالله منك ما أنت ربي، فإذا تحول له فيها قال له: أنت ربي، وخر له ساجداً؛ لأنه تحول له في الصورة التي يعرفه بها وفيها؛ فافهم.

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (3/ 51).

(2) سبق تخريجه.

(3) زيد في المطبوع: [والجنانيين].

ليس من أثبت البين كمن فارقه فمن فارقه ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: 78]، وقال من أثبته: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [القصص: 28]؛ فافهم.

موسى ﷺ ترك فرعون، وقد كان منه بمنزلة الولد في التخويل في دنياه وتوجه تلقاء «مدين» ينشق نفحات الربوبية من مشرق شعيب، وقد قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 21]، فقال له من مشرقه: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 25]، هذا وهو في الدنيا مستضعف بين قوم جهلوه؛ فلم يقوموا بحق خدمته، ولا حفظ حرمته بل قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [هود: 91، 92] أي: أنا مظهر الله كما قال هود: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ [هود: 54]، فلم يكونوا أهلاً لشهادة ذلك فنبذوه ظهرياً، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، فما آمن معه إلا من كان على صورته؛ فافهم.

قال قائل قال النبي ﷺ: «ما من شيء لكم فيه خير إلا وقد بينته لكم»، أو قال: «دللتكم عليه»[1]، وإذا كان كذلك فكل شيء لم تجده في الكتاب ولا في السنة ليس بخير ويؤيد هذا قوله: «كل عمل ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»[2]؛ انتهى.

قلت: هذا صحيح لو قام دليل على أن كل ما بينه النبي ﷺ، ودلَّ عليه نقل عنه وبلغنا؛ لكن الصحابة ﭫ قد اعترفوا بأنهم نسوا كثيراً، وأخفوا شيئاً رأوا المصلحة في إخفائه، ومع هذا كيف يعرف إنما ما وجدنا له ذكراً فيما بلغنا من السنة ليس مما بينه، ودلَّ عليه الشرع، ولم يبلغنا، وإذا لم نعرف ذلك؛ فكيف نحكم بأنه ليس بخير لكن الحق أن ما وجدنا له فيما بلغنا أصلاً، ولو على بعد، ولم نجد فيما بلغنا نصاً صريحاً يبطله فهو خير، وما لا نجد له أصلاً ولا مبطلاً؛ فهو موقوف موكول أمره إلى علام الغيوب.

وما وجدنا له مبطلاً؛ فالأصل بطلانه بذلك حتى يأتي ما يصححه، ولعل من قال بصحة العمل بالإلهام فيما يبطله بعض العمومات أو النصوص يخصص تلك المبطلات بقصة الخضر ﷺ وأمثالها، والذي قال في أصحاب الأحوال التي لم نجد ما يبطلها، ولا ما يصححها نسلم إليهم أحوالهم، ولا نقتدي بهم أنصف؛ فافهم.

ما من كامل في مرتبة إلا وكمالات ما دونها مجموعة في نظام كماله وهو مع ذلك فقير

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (11/ 126)، وعبد الرزاق في «المصنف» (11/ 125)، بنحوه.

(2) رواه البخاري (2/ 753)، وأحمد (6/ 180).

إلى كمالات ما فوق مرتبته من المراتب حتى ينتهي الأمر إلى مرتبة من إليه المنتهى وليس وراء مرتبته مرمى لمن رمى؛ فافهم[1].

للرحمن لسان لا يكلم به إلا عرشه لا يسمعه ويفهمه سواه «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي»[2]؛ فافهم.

الاستواء عبارة عن التجلي التام بمراتب الجلال والإكرام؛ فافهم.

العقل عرش والنفس الروحي كرسي، والروح النفسي لوح، وفي القوى الكون

---

(1) زيد في المطبوع: [أدنى الجنان التي قيل في وصفها: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: 62]، وأطلع ساكنها فرأى خصمه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:55]، وهي الجنة الجرمانية التي فيها مثل ما في الدنيا، ويتعاطى كتعاطيه غير أن نفعه صافٍ من الضرر ولذته صافية من الكدر، وسلامته من العيوب المخرقة على ما هاهنا لا تغيرها الغير، وهي ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:33]، مع ذلك والموت الذي هو فساد المزاج لا يحدث هنالك، وهذه جنة المستقيمين على الشرائع الظاهرة ليتمتع أحدهم من شرب خمر الدنيا حذراً أن يشرب من عصارة أهل جهنم وليشرب من ﴿خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد:15]، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:47]، مع أنه خمر من نسبة هذا الخمر، ويشرب كما يشرب هذا إلا أن له كيفيات جرمانية ليست لهذا وقس على هذا باقي ملاذها ومقاصدها.

وهؤلاء الذين هم أهل هذه الجنة لا يعدون إلا أهل شجرة الزقوم فيخوف شارب الخمر مثلاً يشرب طينة الخبال، ويرجيه في شرب خمر كله لذة بلا اغتيال فإن أطاعه فيما أمره ونهاه وصل معه إلى الجنة التي هي منتهاه، وإن سقط عن ذلك سقط في دركه، وأما الذي في الفردوس التي سقفها عرش الرحمن فهي دار العرش الداعي إلى المستوي عليه؛ فهو يدعو أهل التحقيق بالحقائق الرحمانية الاستوائية ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الحج:67]، وأهل الفردوس أصحاب الجنة التي تحتها، وأهل التي تحتها أصحاب التي تحتها، وأهل كل جنة أرباب أهل الجنة التي تحتها وأصحابها، وكل جنة سقف التي تحتها وأهل جنة الدنيا أرباب أهل النار وأصحابهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر:31]، ولكل جنة أصحاب إلا الفردوس؛ فهي دار العرش الرحماني ليس لها صاحب سواه وهي أعلى درجة في الجنة لا تكون «إلا لعبد واحد قال المستوى الرحماني: «أنا هو»؛ فافهم.

لا يدخل أحد دار الملك حتى يأتي، فكل متقدم بين يدي إتيانه منتهاه الباب وهناك يقف حتى يأتي صاحب الدار فيقول البواب «بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»؛ فافهم.

جاء في الصحيح: «أكون أول من يحرك حلق الجنة، فيقال: من؟ فأقول: محمد فيقول الخازن: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»؛ فانظر كيف لا يفتح الباب الجناني فتأخره لأحد قبل ما به يأتيه الأمر الرباني وهو إمام هدايته الذي بيد حكمته ما يحقق له جنته ويعطيه من هدايته ما يفتح دائرتها؛ فافهم].

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 173).

والناطق الحق من ورائها بها محيط بالصون والعون فافهم.

الذات واحد والتعدد بحسب الأوصاف والأسماء تكثرت بذلك التعدد وتفصلت تلك المسميات في الإدراك مراتب حكم بأن مفاهيمها ماهيات متغايرة فتوهم من ذلك تغاير الذوات بالحقيقة وليس التغاير في الحقيقة إلا في المفاهيم النسبية كما تقدم؛ لكن ذلك الذات هو موصوف العلم بجميع جهاته، وموصوف الإدراك بجميع مراتبه؛ فما ثم شيء خارج عن نظامه، وما من الله إلا وإليه ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام:57]، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد: 41] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت:54]، فافهم.

الإلهية هي الاستغناء في التحقق والحكم والتأثير عن سوى ذات المستغني أو فعل عن سبب منفصل والمألوهية هي الافتقار في ذلك إلى سبب منفصل ففي الحقيقة الواحدية ما ثم إلا الألوهية وليس في المراتب العددية إلا المألوهية لأن كلا منها مفتقر مما تقدم سبب منفصل ألا ترى أن الفاعل يفتقر في كونه فاعلاً إلى تحقق الفعل عنه وتحقق الفعل عنه يفتقر إلى إمكان المفعول، والمنفعل يفتقر في كونه منفعلاً إلى حصول الفعل فيه.

وليس ذلك كله إلا في دائرة الفرق التغايري العددي وأمره لا يخلو من دور وتسلسل حتى ينكشف بنور التحقيق أن الذات الوجود هي الحقيقة المتعينة بالكل من نفسها علماً لنفسها إدراكاً تعيناً حكمياً، والكل من ذلك الذات وإليه، الكل صفاته وهو ذاتها، وله عنده باعتبار كل صفة ماهية، وله باعتبار كل ماهية أحكام، وليس في الحقيقة ذات فاعل ولا قابل ولا فعل إلا هو، وما دونه فأحكام مترتب بعضها على بعض فمن كان حكمه في كشفه بذاته لا بسبب منفصل فهو إله وإلا فهو مألوه بحسب مرتبة ماهيته.

واعلم أن الإلهية شأن مرتبة الوجوب فمن توهم في نفسه الإلهية ولم يتحقق في كشفه وجوبه لذاته بشرائط الوجوب الذاتي بحيث يصدق عليه من هذه الحيثية اسم الجلالة فقد قال: ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ [الأنبياء: 29]، وكفاه بذلك افتراء على مرتبته التي ماهيته فيها فافهم.

جاء في الصحيح: «وأعوذ بك أن أغتال من تحتي»[1] أي: أن يتغلب من مرتبته دون مرتبتي علي بتحكمه حتى يخرجني عن نفوذ حكمي بالدخول في قيود حدود مرتبته؛ فهذا هو الاغتيال من تحت، وهذا أيضاً هو حقيقة قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود:82]؛ فافهم.

---

(1) رواه النسائي (4/ 466)، وابن ماجه (2/ 1273).

المقيد بمرتبته لا يتيسر له القيام بها دونها إلا وهو متلبس بحكمها والمطلق يقوم في كل مرتبة بحكمها لأن كل المراتب يحكم بها ولا تحكم عليه؛ ولذلك تجد أهل المراتب الذوقية لا يترقون من المراتب الخبرية والنظرية إلا بحكم أذواقهم وكذلك أهل المراتب الخبرية أو النظرية لا يدخلون في سوى مراتبهم إلا بحكم مراتبهم؛ ولذلك ينكر بعضهم بعضاً إذا قابله بغير حكم مرتبته، وأما المحقق المجرد المطلق فيخاطب أهل كل مرتبة بلسانها ويعاملهم بكيلها وميزانها؛ فافهم.

علامة المذكر بالحق أن يأتيك من الحق بها إنما بينه لك تجده في قلبك ثابتاً كأنه لم يزل متحققاً عندك إلا أنك نسيته بعارض ثم لما بين لك بذلك البيان ذكرته ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:21]؛ فافهم.

إن اتبعتني ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:70]، لأن كمال التابع أن يتحقق بمتبوعه، وطريق ذلك المحبة والتعظيم، ومن توابعها مطابقة إرادة المحب لإرادة في محبوبه، فلا يسبقه بقول ولا فعل، وأيضاً فإن التابع إذا سأل متبوعه عما لم يحدث له منه ذكراً فقد تقتضي حكمة المتبوع ألا يجيب التابع عن ذلك، فإن أجابه حصل الضرر بمخالفة الحكمة، وإن لم يجبه فلا يؤمن من ثوران نفس التابع فيكدر عليه صفاء المودة ويقطع عنه طريق المطلوب من متبوعه؛ فافهم.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:70]، «حتى» هذه ظاهرها أنها للغاية، ويمكن أن تكون في معنى الإسراع كأنه قال: لا تسألني عن شيء إلا وأحدث لك منه ذكراً من أذكار الحق على الفور، كما تقول: لا تدعني حتى أجيبك أي: أسرع بجوابك سرعة تخال بها أن الجواب كان قبل الدعاء؛ فافهم.

الذكر البيان وهو إلهي ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ [الأنبياء:2]، ورحماني ﴿ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الشعراء:5]، وذكر رباني ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم:2]، ولم يصف في لسان القرآن بالحدوث من هؤلاء إلا ما دون ذكر الله فأيما ذكر وصف بالحدوث فهو من إحدى تلك الدوائر؛ فافهم.

ما دمت في عالم الإنشاء؛ فاذكر عند كونك في كل أمر كونك في ضده، واعمل في الحاصل بما تحتاج إليه عند حصول الواصل؛ فإن كنت في شدة فاذكر كون الرخاء، ولا تتراخ لأمر الشدة يائساً من الرخاء فتهلكك؛ ولكن أعمل عمل الراجي للرخاء بعد الشدة، وإذا

كنت في رخاء فاذكر كون الشدة، ولا تطغ مع قدرة الرخاء أمناً من الشدة[1]، فتهلك؛ ولكن اعمل عمل الخائف من الشدة بعد الرخاء، وهكذا فليكن حالك في كل كون حاصل مع الكون الواصل [هذا] ما دمت في عالم الإنشاء والتدريج الكوني فإذا حصلت إلى[2] دائرة الثبوت وحيث ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:3]، فاعمل بالحاصل ولا تلتفت إلى ضده، وكل ذلك [حكمه] في دائرة الفرق ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج:20]، فإن وجدت المحقق حقك فغذك على قدر معرفتك به وشهودك فيه وعجتك وتعظيمك له؛ فافهم.

جاء في الصحيح: أنه عليه الصلاة والسلام قال لامرأة من الأنصار: «زوجك ذاك الذي في عينه بياض»، فجعلت تقول: لا، والله، وهو يقول: «سبحان الله»[3]، فتأول بعضهم هذا أنه مفاكهة، وعندي أنه أراد أن يمده برقيقة ممن أبيضت عيناه هو قال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:96].

واعلم أنك ليس لك من كلام العارف الحق إلا ما فهمت منه، وليس لك منه إلا ما شهدته فيه، فاعمل على أن تشهد من حيث علمك بحقك لا من حيث أنسك بخلقه لتتحقق بشهودك منه فتقوم حقًّا مبيناً ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35].

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260].

الكلام هنا من وجهين:

أحدهما: ما يقتضيه ظاهر اللفظ، وفيه أسئلة:

الأول: ما الحكمة في كون إبراهيم ﷺ مع فضله على الذي مرَّ على القرية، وهي خاوية سأل أن يريه ربه كيف يحي الموتى وذاك أري ذلك بلا سؤال فقيل له ابتداءً: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ...﴾ [البقرة:259]؟

الثاني: ما الحكمة في أراه الذي مر على القرية ذلك بلا واسطة، وأحال إبراهيم ﷺ في ذلك على الواسطة مع فضله عن المار؟

الثالث: ما [وجه] تقرير توجيه مقابلة سؤاله هذا بأن يقال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة:

(1) زيد في المطبوع: [وإذا كنت في رخاء فاذكر كون الشدة].

(2) زيد في المطبوع: [دائرة حصلت في].

(3) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (1/ 293)، بنحوه.

260]؟

الرابع: ما الحكمة في تقريره بـ«أولم تؤمن»، وقد سبق الإخبار عنه بأنه المصطفى في الدنيا ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؟ [البقرة: 130].

الخامس: ثم وقع الاستدراك بقوله: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[البقرة:260].

السادس: ما المراد باطمئنان القلب هنا؟

السابع: ما الحكمة في تعيين هذا العدد الذي هو الأربعة دون غيره؟

الثامن: ما الحكمة في تعيين جنس الطير من دون غيره؟

التاسع: ما الحكمة في الأمر﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:260]؟

العاشر: هل معنى صرهن إليك بضم الصاد وكسرها الحكمة واحدة؟ أو لكل معنى حكمة؟

الحادي عشر: ما الحكمة في الإتيان بالفاء في قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:260] دون غيرها؟

الثاني عشر: ما الحكمة في الإتيان بـ«ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ [البقرة: 260]؟

الثالث عشر: ما الحكمة بتخصيص الجبال بهذا الجعل؟

الرابع عشر: هل الظاهر إرادة جميع الجبال أو أربعة أجبل فقط؟ أو غير ذلك؟ وما وجه كل واحد من هذه إن كان هو الظاهرية؟

الخامس عشر: ما معنى ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:260]؟ هل هو جزء من مجموعها أو جزء من واحد منها أو جزء من كل واحد؟ أو كل جزء من كل واحد أو غير ذلك؟ وما وجه الذي يظهر؟

السادس عشر: ما الحكمة في الإتيان بـ«ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ [البقرة:260]؟

السابع عشر: ما الحكمة في تعلق إتيانهن إليه على دعائه إياهن؟ ولم يجيين فيأتين من دعاء لها منه[1]؟

الثامن عشر: ما الحكمة تعليق في إتيانهن إليه، ولم يكتف بطيرانهن حيث شئن أو إتيانهن غيره؟

التاسع عشر: ما الحكمة في إتيانهن إليه ساعيات لا طائرات، ولا ماشيات على هون إن

(1) زيد في المطبوع: [غير دعائهن].

كان سعياً متعلقاً بهن؟ وإن كان متعلقاً به هو فما الحكمة في حصول ذلك منهن وهو يسعى؟ أو بدعائه لهن وهو يسعى؟

العشرون: ما الحكمة في ختم الآية بقوله: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:260]، وما مناسبته لها؟

الحادي والعشرون: ما الحكمة في الفاء في قوله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة:260]؟

الثاني والعشرون: هلا ذكر في هذه الآيات ما يدل على الباعث له على هذا السؤال كما ذكر في آية الذي مرَّ على القرية من قوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:259]، حين رآها خاوية؟

الثالث والعشرون: ما الحكمة في توجه إبراهيم عليه السلام بهذا السؤال إلى حضرة الربوبية ونداله باسمه الرب، ولم يناد باسم الجلالة، ولا باسم الرحمن، ولا باسم الملك، ولا بسوى ذلك من الأسماء الحسنى؟

الرابع والعشرون: الإحياء معنى من المعاني فكيف تتعلق به الرؤية البصرية إن كانت هي المسئولة في قوله: ﴿أَرِنِى﴾ [البقرة:260]؟ وإن كانت رؤية قلبية فهل كانت حاصلة له أم لا؟ فإن كانت حاصلة فما وجه طلبها؟ وإن لم تكن فكيف حصل التصديق مع عدم الرؤية القلبية[1] حتى صح جوابه عن ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة:260]، بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ [البقرة:260]؟

الخامس والعشرون: إن إبراهيم عليه السلام مقامه التسليم فما الحكمة في سؤاله ما لم يبتدأ به؟

فهذه خمسة وعشرون سؤالاً حضرتني الآن حين كتابتها، وفيها ما يستحق التقديم على الذي قبله؛ لكنني كتبتها بحسب ما ظهرت لي فجاءت هكذا.

الجواب عن الأول: إن الذي مرَّ على القرية حصل منه سؤال من غير تعيين مسئول منه فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:259]، وذلك إما لغفلته أو لجهله إن لم يكن نبيًّا وإلا لشغله بالتعجب إن كان نبياً أو غير غافل ولا جاهل وأراه الله تعالى ما أراه كشفاً وبياناً لا من حيث يظهر أنه أجابه لسؤاله وأراه ذلك بعد أن أماته ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: 259]، فلم ير ذلك إلا في حال بعث بعد الموت، وأما إبراهيم عليه السلام فتوجه بسؤاله إلى الحق قصداً لكمال حضوره، وأعطى مسئوله إجابة لسؤاله على الفور كما دل عليه قوله: ﴿فَخُذْ﴾

---

(1) قال المصنف: إذا أفادك الحق نفسه بكشفه وبيانه فحصلت لك رؤيته والتحقق به، فإنما رآه وتحقق به نفسه التي أفادك إياها، فهو لا يراه إلا إياه، ولا يتحقق به سواه، وكل صدِّيق لمصادقه هو، يتحقق به ويراه، فثفاة الرؤية ومثبتوها على صواب كما سمعت، فافهم.

[البقرة:260]، فأتى بالفاء المقتضية للفور تنويهاً بالاعتناء بأمره وإظهاراً لكرامته ورأى أي: قبل الموت والبعث منه ما لا رآه ذاك إلا بعد البعث من الموت فظهر فضله بذلك على الذي مرَّ على القرية، والله أعلم.

الجواب عن الثاني: إن إبراهيم ﷺ لموضع خلته جعل مظهراً للإحياء الذي هو من أخص صفات الربوبية حسبما دلت عليه حجة إبراهيم ولتقوم الحجة الربانية فيه فعلاً كما كانت منه قولاً حيث قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:258]؛ ولأن الإحياء والإماتة هما الصفتان المدلول بهما على الملك الرباني في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:1،2]، ولما آتى الله تعالى إبراهيم الملك الحقي إمامة ورشداً كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة:258]، على أن يكون الضمير في آتاه راجعاً إلى إبراهيم ﷺ وقال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ...الآية﴾ [النساء:54]، جعله مظهراً للإماتة والإحياء، ولذلك لم يحل على واسطة سواه لا ملك ولا غيره فظهر أن إحالته على واسطته فيما سأل إنما كانت لكمال أهليته لظهور أنوار صفات ربه فيه وبلوغه في ذلك ما لم يبلغه الذي مر على القرية فلم يحل على وساطته نفسه فيما أراه، والله أعلم.

الجواب عن الثالث: لما كان السؤال بـ«أرني كيف»؟ تارة يستعمل في طلب مشاهدة كيفية المعلوم المتحقق بالبرهان ليتحقق مع ذلك بالعيان الذي يدعو الإنسان إلى طلبه العلم بإمكان حصوله مع الإعجاب به واستشعار الفضيلة فيه، ويستعمل السؤال بـ«أرني كيف»؟ تارة للإفحام والتعجيز لعدم اعتقاد وجود صاحب ذلك الكيف أو إمكانه كما تقول لضعيف ادعى حمل صخرة كبيرة وحده: أرني كيف تحملها؟ وأنت تعتقد أنه لا يستطيع حملها ولا يمكنه وكان في ترك الإتيان بما يدل على أن إبراهيم ﷺ لم يرد هذا الثاني ولا بطريق توهمه، وإنما اقتضت حكمة الرب الرحيم بعباده أن قال لإبراهيم ﷺ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: 260]، فحفظ عباده المؤمنين بذلك عند سماع هذه الآية من أن يخالطهم الوهم بذلك الظن السوء في حبيب من أحباب الله فيهلكوا، وهم لا يشعرون، والله أعلم.

الجواب عن الرابع: إن هذه الآية ربما سمعت وحدها أو يجوز وقوع هذا السؤال قبل الإخبار بآية الاصطفاء ولأن في ذلك حفظ السامع من الظن السوء المهلك كما في الجواب عن السؤال الثالث، والله أعلم.

الجواب عن الخامس: إن الاستدراج وقع من نفي كون السؤال لعدم الإيمان وتقرير كونه لاطمئنان القلب فقط، والله أعلم.

الجواب عن السادس: إن المراد بالاطمئنان هذا السكون من قلق التشوق لحصول هذا المسئول والتشوق لقضاء الوتر منه لا السكون من قلق بتردد مشك فيه، والله أعلم.

الجواب عن السابع: إن عدد الأربعة أجمع الأعداد لأنه مجموع من الفرد البسيط وهو الواحد، والمفرد المركب هو الثلاثة، والزوج البسيط وهو الاثنان، والزوج المركب وهو الأربعة فكان فيه تذكير بقيام الخلق لربهم مثنى وفرادى، مثنى اثنان بسيطان واثنان مركبان، وفرادى فرد بسيط وفرد مركب وفيه تذكير بأصناف المبعوثين ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:2]، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر:32] غلط ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر:32]، ونحو هذا، والله أعلم.

الجواب عن الثامن: إن الطير أشد الحيوانات نفوراً وأقدرهم على الفرار والتباعد عما ينفرون منه فإذا دعا هذا الجنس فأجابه وأتاه يسعى كان كل ما دونه أولى وكان ذلك أعظم آية من غيره، والطير أيضاً أقل رطوبة من باقي الحيوانات وميتته أسرع جفافاً فيتيقن معه عدم الحياة الجثمانية منه باطناً وظاهراً والله أعلم.

الجواب عن التاسع: أمر بصرهن إليك ليحبسهن بحيث يتحققهن؛ فلا تلتبس عليه بغيرهن إذا أتينه، ويتحققنه فيكون إتيانهن إليه بعد ما فعل معهن ما يزيد مثلهن نفوراً ببرهان واضح على أن ذلك بفعل قادر قاهر، والله أعلم.

الجواب عن العاشر: صرهن بضم الصاد بمعنى أملهن إليك وأقطعهن إليك، وبكسر الصاد بمعنى أحبسهن إليك وكلاهما للحكمة التي ذكرتها في الجواب عن التاسع، والله أعلم.

الجواب عن الحادي عشر: الحكمة في الفاء أن يأخذهن أخذاً يكون صرهن إليه مسبباً عنه، وأن يكون حبسهن والتضييق عليهن كالذي يمسكهن ليذبحهن على أثر أخذهن قبل أن يستأنسن به فيوهم أن إتيانهن إليه عند دعائه إياهن إنما كان لأمنهن به كما هي عادة بعض الطيور مع مربيها الذي أنست به، والله أعلم.

الجواب عن الثاني عشر: أن يلبث بعد ذبحهن حيناً فيه مهلة حتى يتحقق موتهن وعدم الحياة منهن بالكلية، والله أعلم.

الجواب عن الثالث عشر: أن كون الميت على الجبال أسرع لذهاب الرطوبات التي تتعلق بها الحياة منه لما يوجد عليها من إفراط قرع الشمس والهواء، وذلك أهون على تحقيق عدم الحياة الجثمانية باطناً وظاهراً، والله أعلم.

الجواب عن الرابع عشر: المراد جبال بعدد الأجزاء التي يجزئها إليها، إن كانت كثيرة فكثيرة، أو قليلة فقليلة بدليل قوله تعالى: ﴿ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:260]،

ولأن هذا ولم يأمره بتقطيعهن فلو وضع كل واحد من الأربعة[1] ﴿ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ ﴾ [البقرة: 260] [جزءاً] كان ممتثلاً لقوله: ﴿ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:260]؛ لأن هذا الواحد من الأربعة جزء منهن وكذلك لو قطعهن عشرة أجزاء وجعل على كل جبل جزءاً كان ممتثلاً، وهكذا لو قطعهن مائة أو أكثر أو أقل ووضع على كل جبل جزءاً منهن كان ممتثلاً، ولو ألزمناه تقطيعهن على عدد الجبال كلها لقوله: ﴿ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:260]، لكان إلزاماً للدليل محتمل غير ما التزم به.

ألا ترى أنه لو فرض معه أربعة أجزاء لا تتجزأ، وقيل له: اجعل على كل جبل منهن جزءاً صح، ولم يضعهن إلا على أربعة أجبل فقط، ولأن الإحاطة بجميع الجبال متعذرة عادة فحمل الأمر عليه خلاف الظاهر، والله أعلم.

الجواب عن الخامس عشر: الظاهر أن المراد أن يجعل على كل جبل جزءاً لا بعينه من كل واحد منهن لأن ذلك هو المناسب للقصة، وما فيها من رؤية ذلك الأمر العجيب، والله أعلم.

الجواب عن السادس عشر: جيء بـ«ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ [البقرة:260]؛ ليحصل في كونهن على الجبال مهلة فلا يبقى في عدم الحياة منهن بطول المكث في محل الجفاف ريب ما، ولو لوحظ في جعلهن على الجبال التي هي بلا حائل عن الشمس التي كانت النمرودية ينسبون الآثار إليها وتركها هناك برهة حتى يعلم أن الشمس لا تأثير لها حيث كنا منها بمطلع ولم يحيين ولما دعاهن داعي الحق حيين وأتينه سعياً لكان قولاً حسناً؛ لكن ذلك يستدعي من يحتاج إلى مثل هذا في نفي التأثير عن الشمس ونحن أيضا إنما نتكلم بحسب الظاهر المحض من اللفظ ومقاماته، والله أعلم[2].

الجواب عن السابع عشر: أن تعليق إتيانهن إليه على دعائه لهن فيه إرشاد إلى أن إحياء الموتى يكون بدعائهم ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:25]، لكن الدعاء من الله بالكلام النفساني اللائق به تعالى يقوم مقام الكلام اللساني في إيصال المراد إلى المدعو فجعل الكلام اللساني هنا من إبراهيم عليه السلام هنا مظهراً للكلام النفساني من الحق تعالى في

(1) زيد في المطبوع: [جزء منهن وكذلك لو قطعهن عشرة أجزاء وجعل].

(2) هو أنه لما ظهر لمن تحقق بشهود التجلي الساري في جميع المتراءي بأن الحق تعالى هو الوجود المحض الذي لا اختلاف فيه؛ لأنه واحد وحدة حقيقية لا تتعقل في مقابلة كثرة، ولا يتوقف تحققها في نفسها ولا تصورها في العلم الصحيح المحقق على تصور ضد لها بل هي لنفسها ثابتة مثبتة [لطائف الإعلام ص 366].

إحياء الموتى بالدعاء ليتمكن إبراهيم من رؤية الإحياء برؤية نفسه حين الكلام إذ كان مظهر اسم المحيي به فلولا دعا بالقول لم يكن عنده من مظاهر الإحياء ما يحس فيحس الإحياء بإحساسه؛ لأنه [في] مظهره، ثم يرى ذلك القول برؤية قائليه هذا مع ما في إحيائها بدعائه من البرهان الساطع على بطلان مذهب خصومه في الدين ما لا يخفى، ولو لم يكن ذلك مع قوله المسموع المتيقن بالحس لأمكنهم مكابرته في أن ذلك الإحياء من غير ما ينسبونه إليه، والله أعلم.

الجواب عن الثامن عشر: أن إتيانهن إليه في مشاهدته استوائهن إليه في مشاهدة استوائهن كما كن من غير نقص ولا خلل، وفيه تذكير بما أخبر به محيي الموتى سبحانه بقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:52]، أي: تحشرون إليه، والله أعلم.

الجواب عن التاسع عشر: أن سعي الطائر في تحدره من الجبل فهو أبلغ في قوته وتمام حياته وصحته من غير ذلك فكان سعيهن هذا دليلاً على أنهن أعدن إلى أتم ما كن عليه وفيه تذكير بـ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:29]، ويحشر المبعوثين ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج:43]، والله أعلم.

الجواب عن العشرين: إن الآية لما تضمنت إجراء الأمر على يد العبد الكريم وأحيل على رؤية ذلك بواسطته ناسب أن يؤتى باسم العزيز وصفاً لمجرى ذلك على يد عبده بعزته عن الاحتياج إلى أحد في تنفيذ مراداته وتحقيق مقدوراته وإن أجراها على يد من يشاء من عباده، ولما لم يكن في إرادة إبراهيم عليه السلام غرض ظهر له غير بلوغ وطره من ذلك حيث اختاره لخلته ووده ناسب أن يؤتى باسم الحكيم إعلاماً بأنه تعالى لم يجر ذلك على يد عبده مع غناه عن الوسائط، ويرى عبده ذلك، وإن لم يظهر للعبد في ذلك حكمة إلا لحكمة بالغة منه هو بها أعلم، ولأن من لم يشارك في هذا الإحياء عزيز والقادر الفاعل له حكيم فناسب أن يختم هذه الآية بهذين الاسمين، وتقدير الكلام: واعلم يا من يسمع هذه القصة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:209]، والله أعلم.

الجواب عن الحادي والعشرين: إن الفاء تقتضي الفور في الإجابة وبيتها عن السؤال وفي ذلك من إكرام السائل والتنويه برفعة قدره ما لا يخفى، وقد سبق الإشارة إلى ذلك، والله أعلم.

الجواب عن الثاني والعشرون: أن قوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فيه إشارة على الباعث له على السؤال، وأنه أراد سكون قلق الطلب بحصول المطلوب لا لشك، ولا لريب، ولكن تشوقاً لكشف الغيب، والله أعلم.

الجواب عن الثالث والعشرين: أنه لما علم ﷺ أن الإحياء والإماتة من أخص صفات الربوبية كما أن أخص صفات الألوهية إحاطة العلم والقدرة وأخص صفات الرحمانية إحاطة الجود بحيث قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، ناسب أن يكون توجهه في هذا المطلوب إلى حضرة الربوبية، وقوله: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، والله أعلم.

الجواب عن الرابع والعشرين: الظاهر أن المراد بقوله: ﴿أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: 260]، رؤية القلب، وعرفان الكيفية ليس شرطاً في الإيمان بصاحبها لو كان للإحياء كيفية من حيث هو، فكيف إذا رجعت الكيفية إلى محل أثر الإحياء أو إلى اتفاق أسباب الإحياء؟ ويمكن أن يكون المراد رؤية البصر ورؤية ﴿كَيۡفَ تُحۡيِ﴾ [البقرة: 260]، معناه رؤية كيفية الأمور التي يحصل بها الإحياء وهيئتها عند انتظامها واتفاقها على حصول سببها وإلا فنفس الإحياء الذي هو المعنى لا كيفية له كما تقدم فتطلب رؤيتها فضلاً عن المعنى الذي هو صفة لله للحق تعالى، وإذا كان هذا هو المعنى ظهر لك حينئذٍ بعض الأسرار في إحالته في ذلك على نفسه؛ لأنه تظهر منه أمور محسوسة يراها ببصره عند رؤية نفسه وهو يفعلها.

واعلم أن الصفات الفعلية لها جهتان: جهة ظهور أثرها على الفاعل وهي جهة تحققها للفاعل، وجهة حصول أثرها في القابل وهي جهة تعلق تلك الصفة بالقابل فقوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: 259]، رؤية كيفية الفعل من جهة القابل، وقوله: ﴿أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: 260]، محتمل لإرادة رؤية الفعل من حيث الفاعل أو من حيث القابل، ولما أحاله على نفسه أراه الفعل من جهة الفاعل وبإطلاعه على حال ما جيء بدعائه رأى الفعل من جهة القابل أيضاً فالمار على القرية رأى من جهة القابل فقط، وإبراهيم ﷺ رأى من الجهتين؛ فافهم.

الجواب عن الخامس والعشرين: أنه لما أورد الحق على قلبه طلب هذه الرؤية والقلق شوقاً إليها علم أن مراد ربه منه الدعاء والابتهال إليه تعالى في ذلك، فطلب ذلك تعبداً واستسلاماً، فكان طلبه ذلك من مقتضى مقامه لا تشبيهاً ابتدائيًّا، والله أعلم.

وهذه الأجوبة فتحت بها باب الجواب فقط والله تعالى يمنح الحسنى وزيادة في كل مقام فإنه الواسع، لا يتناهى فضل ربنا وجوده سبحانه وبحمده.

وفي هذه الآية من الأمور الفقهية جواز إطلاق الكيفية على الصفات الفعلية، وأن الكفر بشيء من الصفات الواضحة الدليل كالإحياء يزيل أصل الإيمان؛ لأن الحق تعالى قابل إيهام عدم الإيمان بالإحياء بعدم الإيمان مطلقاً فقال: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾ [البقرة: 260]، فدل على

أن الكفر بها مستلزم لعدم مطلق الإيمان.

فإن قيل كيف يلتئم هذا مع قول من قال: إن إبراهيم ﷺ سأل ذلك عن شك عرضه فيما سأل؟

قلت: لا منافاة بين هذا لو صحّ[1]؛ لأنه إنما سأل رؤية الكيفية، وذلك منصرف إلى جهة الفعل بحسب قابله فكأنه شكٌّ في هيئة الميت بعد إحيائه، والشك في ذلك ليس من الشك في نفس الإحياء شيء أصلاً، والله أعلم[2].

وفيها جواز تقطيع الحيوانات المأكولة وذبحها لا لأكلها، وفيها جواز أخذ الطيور لطيرها ودعائها إذا لم يؤد ذلك إلى محرم، وفيها جواز حبسها في الأقفاص وغيرها لاستماعها واستفراخها، وغير ذلك من الأغراض المباحة، وفيها أن سؤال خرق العادات إذا كان ممكناً، ولم ينه عنه بخصوصه لا بأس به؛ لأن الأصل في أعمال أئمة الهدى أنها بحيث يقتدى بها ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:15]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة:4]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة:6]، وكان ذلك يدل على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ، وفيه أن الخارق يأتي آية النبي ظهر بواسطته كما يكون آية لغيره، وفيها صحة إجراء خوارق العادات على أيدي الأولياء يقال: هذه معجزة؛ لأننا نقول شرط المعجزة التحدي، وهذه ليس معها تحدٍ فهي كرامة، وفيها عظم قدر العلم بأسماء الله تعالى وصفاته ورفعة شأن من ذلك مطلوبه من كل دلالة لائحة لقوله تعالى في ختم الآية: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:260]، وقد فتحنا باباً لما في الآية من الأمور الفقهية، فادخل بفهمك، واشهد الله؛ فهو نعم الهادي سبحانه وبحمده.

الوجه[3] الباقي في الكلام في تأويل هذه الآية: وهو أن إبراهيم ﷺ لما قال له ربه: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:124] أي: في الحال والمآل، ولذلك جاء بالصفة الدالة على الثبوت والدوام؛ فقال: ﴿جَاعِلُكَ﴾ [البقرة:124]، ولم يقل أجعلك ولا جعلتك واستمرار إمامته كائن بورثته، ومن أتى ويأتي بعده من أئمة الهدى إجابة لقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [البقرة:

(1) زيد في المطبوع: [وبين هذا القول].

(2) قال المصنف في «المسامع»: فأحرف الشك إذا أتوا بها في خطابهم ليست لشكهم ولا لترددهم، لما يعبرون عنه، ولكن لتوسعة على السامعين؛ إذ فيهم من لا يسع إدراكه إلا أحد أمرين، فيقولون: الأمر كذا وكذا؛ ليصوبوا لكل مدركٍ ما وسع فهمه.

(3) زيد في المطبوع: [الثاني في الآية].

124]، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:78] ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النساء:125]، ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:95]، فافهم.

ولما كانت الإمامة الربانية لا يتم بها إلا أمر من كانت تصرفاته على نظام حكمة الرب سبحانه وبحمده، وكانت تلك الحكمة إحياء لما وردت عليه وتصرف بها فيه، توجه إبراهيم إلى وجه الربوبية المفيض عليه منه نور الإمامة في أن يطلعه على نموذج من الحكمة الربانية يمشي به في إمامته فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة:260]، قيل له: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ [البقرة:260]، والإيمان هو إحياء قلبي ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام:122]، و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ [يونس:9]، ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:11]، فكأنه قيل له: أليس إيمانك يكفيك في هدايتك إلى ما تريد من إجراء أمر الإمامة ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:260]، إنني عبدٌ قائم في عمالتي بما أراني مولاي غير معتمد على رأي ولا اجتهاد؛ فإنَّ مع ذلك يسكن روعي من خوف العوارض قيل له: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة:260]، فكأنه قيل له: من وجدت من روحه لطافة وارتياحاً إلى مفارقة السفليات، وخرق حجاب الهوى للوصول إلى العلويات، وهم الأرواح الآدمية المجبولة على شدة حب الخير، فاجعلهم محل تصرف إمامتك، واختر منهم أربعة: متكون داعٍ موقظ كالديك الذي ألهم أخذه، ومتكون شأنه قاصر على نفسه كالطاووس، ومتمكن داعٍ كالكركي، ومتمكن قاصر كالنسر فعبر له عن هذا المعنى تمثيلاً ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:260]، أي: أملهن إليك وأقطعهن إليك فلا بدَّ لإمام الهدى بعد أن يخص بإمامته من فيه استعداد لقبولها من أن يعامل مأموميه أولاً بما يؤلف قلوبهم عليه ويحببهم فيه؛ فإنه «لا يؤم [إمام] قوماً وأكثرهم له كارهون»[1]؛ لأن القبول من الأمر على قدر المحبة لأن القبول من الأمر على قدر المحبة له والركون إليه، ولذلك قال السيد الكامل ﷺ: «إنما بعثت مبشراً، ولم أبعث منفراً»[2]، وقال: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه والناس أجمعين»[3] ثم يقطع المأموم إليه عن كل ما يصرف نفسه [فيه] اتباع هواه ومن ثم كان بعض الأئمة يجرد مأمومية عن زوجاتهم وأولادهم وأهليهم وعشائرهم الذين يخشى عليه منهم الفتنة، ولهذا وجبت الهجرة من أرض الفتنة، وقال الحق تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ

---

(1) رواه ابن ماجه (1/ 311)، والطبراني في «الكبير» (1/ 115)، بنحوه.

(2) لم أقف عليه.

(3) رواه أحمد (4/ 336).

مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة:221]، فهذا وما في معناه عبر عنه تمثيلاً ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:260]، تمثيلاً لأن يجعل الإمام على كل مأموم قد كمل ورسخت قدمه في هدايته سياسة طائفة من المبتدئين ولا يتولى هو بنفسه جميع أمور المبتدئين لأن التلقي بواسطة من يأنس به المبتدئ ممن يراه مأموماً مثله أقرب لقبوله وأنشط لهمته وأبقى لسلامة قلبه لأستاذه وأقوى لاحترامه وتعظيمه قال الحق تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة:12]، ﴿فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل :43]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء:83]، والجبل مثال الرجل الراسخ في الأمر الثابت الذي لا تزلزله الزلازل، ولا تتلاعب به الأهواء ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: 260]، تمثيلاً لحال المبتدئ إذا دعاه أستاذه وضمه إلى نفسه بعد ما تمرن على يد الكاملين من إخوانه.

ألا ترى أن الصحابة الذين كان إيمانهم على يد[1] أبي بكر الصديق أولاً كانوا من أكابر الصحابة وأعلامهم منزلة وخصوا من السيد الكامل بأن جعلهم في عداد المأخوذين لحقه [للجنة] جذبا أعتنائيًا فقال: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة إلى آخر العشرة»[2] وقال عمر: «الأمر شورى بين هؤلاء الذين فارق رسول الله ﷺ الدنيا وهو راضٍ عنهم».

فانظر في هذه العبارة والمح ما تضمنته من الإفادة، وانظر كيف ندب القوم يوم الأحزاب ثلاثاً وفي كلها ينتدب الزبير ﷺ وكيف وقى طلحة ﷺ النبي ﷺ بنفسه يوم أحد، كما نام علي ﷺ على فراشه ليلة أراد المشركون تبييته؛ فهذا ونظائره من السر المودوع في الدعاء مواجهة بعد الدعاء بواسطة كاملة ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [البقرة:260]، لا يستطيع كل واحد أن يأخذ عنه مواجهة دون واسطة ﴿حَكِيمٌ﴾ [البقرة:260][3] يتصرف بما فيه وبه صلاح الأجسام والنفوس والأحلام، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

آيات التوحيد والأسماء الحسنى والصفات العليا هي القرآن العظيم، وما عدها من آيات الأحكام والمواعظ والحكم والعبر من القصص وغيرها هي المثاني والآيات الفرقانية،

---

(1) زيد في المطبوع: [الكاملين من إخوانه].

(2) رواه أحمد (1/ 188)، وابن حبان (15/ 454).

(3) زيد في المطبوع: [إمام حكمة].

ويشمل ذلك كله اسم القرآن والكتاب والفاتحة سبع ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]؛ لأنها أشملت على آيات توحيد وصفات وأسماء وآيات أحكام وحكم حتى قيل: إن القرآن كله فيها مجملاء وهذا حق ويكفيك ما احتوى عليه قوله:﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:3 ، 4] من أمور الدنيا والآخرة وما أحتوى عليه قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]، من الأمر بكل عمل يرضاه الرب، وينبغي أن يعبد به، وما احتوى عليه قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:5]، من جميع أحكام الدين[1] وما احتوى عليه قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:6]، من جميع الأمور بها وما احتوى عليه قوله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:7]، من جميع الأمور المنهي عنها وما في ذلك مدرجاً من الأمثال والقصص والمواعظ والعبر والأحكام والحكم وقد نبهتك مجملاً على ما لو فصل في مجلدات كثيرة لم يتناه؛ فافهم، والله أعلى وأعلم.

ليس في المدارك إلا ما تجلى به وجود المدارك العالم في مراتب علمه وإدراكه من أحكامه الموجودات: أليس العقل يكشف أموراً محققة فيه غير خارجة عنه وكذلك الخيال، وكذلك الوهم فكذلك الحس في كشف المحسوسات؛ ولكن الوهم المقيد بحكم العادة السمعية من أن المحسوس مفصول عن الإحساس نزل منه ذلك منزلة المقطوع به الضروري عنده فهو لا يسلك فيه ما لم يكشف نور التحقيق العلمي عنه ظلمة ذلك اللبس الوهمي فافهم .

أليس ترى غير الأحوال التي تعدها يقظة وصحة محسوسات تقطع بتحققها لك حساً وبأنها غير متحققة في الخارج المفصول عنك و﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:37]، فافهم[2].

ما أعظم قدرك إذا تعينت المظاهر الإلهية والربانية في إدراكك وأفاضوا أنوار الحق المبين عليك فقابلتهم بالإيمان والعرفان بصدقهم والقبول الحسن لحقهم، هنيئاً لموجودك بما أنجلى في مداركه من وجودك من حيث يتعين متحققاً في شهودك؛ فافهم.

ليس بمستكثر أن يجعل الله تعالى عبادته على بعض عباده الآدميين خفيفة سهلة مستحلاة عنده مريحة له كما جعلها على الملائكة.

---

(1) زيد في المطبوع: [الأمور المأمور بها].

(2) زيد في المطبوع: [فطوبى لمن أشرقت أرضه بهذه الأنوار وجمع له بين الدارين في هذه الدار فاستراح من ذلك الوقفة ولحق بأهل الاستثناء عند نفخة الصعقة ثم طوبى له ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد:29].

وقد جاء في الصحيح: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»(1).

وقال لبلال ﷺ: «أرحنا بالصلاة يا بلال»(2)، وهذا المعنى هو مراد القائلين أن العبد الولي قد يصل إلى حيث يرفع عنه كلفة التكليف أي: فيقوم بما كلفه من غير كلفة، وقد يريدون أن العبد قد يؤخذ عن اختياره وتمييزه اللذان هما مناط التكليف ويحفظ فلا يفعل إلا خيراً ولا يصدر عنه إلا حسن شرعاً، عناية من الحق به سبحانه ويحمده، فحسن حال هذا العبد وعلامات قربه من ربه تسوغ اعتقاد الولاية فيه وتحاشيه عن أن يعتقد أنه بمنزلة المجانين أو أن يسمى مجنوناً؛ ولكن هذا حال يجوز كونه وإذا وقع كان سراً فيما بين العبد وربه إذ هو في ظاهر أمره على النظام الشرعي الذي هو نظام العقلاء فلا يحكم ظاهراً إلا بأنه مكلف بناء على ما ظهر لنا منه(3)، وإن كان هو عند ربه فيما بطن عنا غير مكلف لفقده مناط التكليف ولكون حسن حاله إنما هو بحفظ وعناية من الله تعالى لا بواسطة عقل واختيارهما [اللذان] مناط التكليف وعلامة هذا العبد أن يكون على أحسن نظام لأنه قائم بالأمر بحكم أحكم الحاكمين من حيث لا يعتريه تغير ولا ضلال ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50]، ولعمري من كان هكذا فهو ولي [الله] على قلب نبي ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام:114]، فافهم.

ولا يعرف هذا العبد في حالته هذه إلا بتوفيق من الله تعالى فبه يعرف حقيقة أمر الأنبياء قبل رؤية معجزاتهم ؛ ولذلك أهل هذه الحالة العزيزة ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: 22]، اللهم إنا نسألك من فضلك، والله أعلى أعلم .

قال الحق تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:38].

قلت: هذه الآية تدل على نفي الجهة عن الله تعالى؛ وجه الدلالة أن قاعدة الترقي تقتضي أن يكون الاطلاع على ما في الأرض للأرض أقرب من الاطلاع على ما في السموات، فلو كانت السماء جهة لله تعالى لم تؤخر في الآية إذ لا يحسن أن يقال: لا يخفى على الملك شيء في البلاد القاصية ولا في بيته أو في بلده، وإنما يحسن أن يقال: لا يخفي عليه شيء في بلده ولا في البلاد القاصية عن بلده، فلو كان للحق جهة لاقتضت هذه الآية بأن تكون الأرض جهته؛ لكن نحن متوافقون على أن الحق تعالى منزه عن جهة الأرض والآية تدل على أنه تعالى منزه

---

(1) رواه أحمد (3/ 285).

(2) رواه أبو داوود (4/ 296)، والطبراني في «الكبير» (6/ 277)، بنحوه.

(3) زيد في المطبوع: [العقلاء فلا يحكم ظاهراً إلا بأنه مكلف بناء على ما ظهر لنا منه].

عن جهة السماء فما فوقها، ولا جهة غيرهما، فلا جهة للحق تعالى أصلاً فافهم .

الحق يفيض العلم المحقق المعبر عنه بالوجود على العقل فيحققه ماهيات تفيض مثالاتها أرواحاً مدركة على النفس فتسري به النفس سريان التخيل في الطبيعة فتظهر الطبيعة متمثلة بأشكال تلك المثالات فيفض الحق كلمته وحقائق العقول نظام الكلمات القديمة، والأرواح المدركة عالم الأمر، والصور الخيالية عالم الخلق، والصور الطبيعية عالم الكون وهذا نظام عالم الفرق وتحقيق الحقيقة خلق حجاب الحكم، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال .

إنما هو الوجود الذات يتجلى بمجوداته الحكمية العلمية في شهوداته الإدراكية الحياتية ويميز ويرتب ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾[الرعد:41]، إذ لا حكم إلا له فحيث حكم له به لا يتحقق إلا هو ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54].

وهو هو يا هو هو سيدي وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:30]، ولما أن كان لعلو شهود سليمان عليه السلام يشهد داود عليه السلام أستاذه الحاكم بالحق المبين وإن كان أباه ولم يعامله معاملة الأولاد؛ ولكن معاملة الغلام المريد للأستاذ حذف الحق ذكر ولداً دلالة على ذلك وأثنى عليه بالعبودية فلم يقل: ووهبنا لداود سليمان ولداً، وإن كان هو ولده [ولكن] حذف ذلك فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص:30]، فافهم .

من نسب أمراً إلى نفسه الإمكانية فقد نسبه إلى محل الزوال والفناء فهو عرضه للزوال والمحو، ومن نسب أمراً إلى مولاه الحق الواجب فقد نسبه إلى حضرة البقاء[1] باقياً دائماً؛ فانسب لنفسك أيها العبد ما تحب أن يزول ويفنى وانسب لربك الحق ما تحب أن يدوم ويبقى، وانظر لما في قصة سليمان عليه السلام من الإشارة إلى ذلك حيث يقول الحق عنه: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص:31]، وحذف فاشتغل بها عن صلاة العشي حتى غابت الشمس فلم يذكر هذا لأنه محاه وأزاله حيث نسبه سليمان عليه السلام إلى النفس الإمكانية لا إلى الحق الواجب فقال: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص:32، 33]، فكأنه ذبحها وتصدق بها كفارة لما كان بسببها فافهم .

من شغله الحق به لم يشغله عنه بشيء أقامه فيه من الخلق لأنه في ذلك بظاهره وأما باطنه فعند ربه كما قال في سليمان: ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص:34]، أي: كان في

---

(1) زيد في المطبوع: [والدوام فهو في مراتب البقاء].

المملكة التي أقمناه فيها بجسده فقط وأما قلبه فعندنا في ذلك كما جاء في الصحيح: «إذا نام عبد وهو ساجد» أي: لم يشتغل بسجوده عن معبوده، فقال الرب لملائكته: انظروا إلى عبدي جسمه بين يدي وروحه عندي»[1] ؛ فافهم.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير:22 ، 23]، أي: بمظهره المبين عنه ليس بمجنون عن مشاهد السر المصون إنما المجنون من لم يكشف له الله الحجاب عن قلبه ولا أشهده وجه ربه فافهم.

لست بمضطرٍ في مطلوبك إلا لمن لا يوجدك هو إلا هو، وإنما تتصف بالاضطرار صدقاً عند توجهك فيما طلبت إلى موجده وحده فمتى توجهت إليه بوجه طلبك إلى سواه، فلست بصادق في الاضطرار ولذلك رتب الحق الإجابة على دعاء المضطر أي: المتوجه إليه وحده في مطلبه غير ملتفت بوجه طلبه إلى غيره فقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62]، كما قال: ﴿ادْعُونِي﴾ [غافر:60] أي: وحدي ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60]، أي: بلا تخلف وانظر كيف أتى بحرف ﴿ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل:62]، ولم يقل إن دعاه لأنه حرف يؤتى به للتحقق، فلا يقال: إذا كان كذا إلا بحيث تحقق وصول ذلك الكون في المستقبل، فجعل دعاء المضطر محققاً، ودعاء غيره مجازاً، «وإذا» ظرف زمان وفيه معنى الشرط فالإجابة والدعاء معاً واقعين، فإذا دعوت ولم تجب فذلك لعدم صدق اضطرارك عند الدعاء كما وجب ولو وجد هذا الشرط لوجد مشروطه لا محالة ظاهراً وباطناً، أو هما عاجلاً وآجلاً أو هما؛ فافهم.

مهما أخبرتك ألسنة الحق به أو علقته فصدّرته بإذا فاعلم أنه واقع ﴿مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور:8]، كما قال إذا ﴿جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ [غافر:78]، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1]، ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر:1]، ونظائرها من المراتب بإذا فإنه أمر متحقق لأن حرف إذا حرف تحقيق، كقد، بخلاف «إن» فإنها حرف تردد وشبهها.

وقد قال سيدي ومولاي:

إذا ضـــاق وســـع الأرض وانقـــبض البـــسط

يعني: أرض مصر؛ لأن الوارد تنزل بها فيما يظهر لي.

رحلـــنا عـــن الأرض التـــي مـــسها القحـــط

فعلمت أن ذلك القبض لا بدَّ وأن يكون ويجب الرحيل فلما لم يحصل ابتداء ذلك

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 232)، والدارقطني في «العلل» (8/ 248).

القبض إلا من سنة إحدى وثمانمائة، كما أشار إليه عدد الصاد والألف من «ضاق» علمت أنه الموعود به، وأن الرحيل قد وجب عنها على «علي» عبد هذا الجناب ومظهر الأمر لأن معنى «رحلنا» حينئذٍ يرحل عبدنا ومظهرنا ثم بين لي سيدي ومولاي كيف يكون رحيلي.

قال سيدي ومولاي .

وواحـــدٌ بـــنا الهـــوجُ الـــبوازلُ ترتمـــي   هـــتاقاً لـــنا تـــرضى إذا وجـــبَ الـــسُّخطُ

المشهد بتمامه، وفيه بشارتي بما يترتب على هذا الرحيل من الفتح المبين واللطف الجميل والفضل وقد اتفقت لي بعض أسباب الرحيل وهي المنفرات وأرجو أن يتفق لي المعينات الميسرات وربنا الرحمن المستعان؛ فافهم.

يجب على أئمة الهدى ألا يقطعوا مدد هدايتهم وغذاء حكمتهم عن العباد فإنهم عيالهم، والكريم لا يضيع عياله ولذلك إذا اعترضتهم الموانع عن ذلك بأرض رحلوا عنها إلى أرض سواها كما قال [نوح]: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون:26]، حين قالوا عنه ﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر:9]، واستقر ذلك في نفوسهم حتى لم يبق في قبولهم لهدى الله مطمع؛ أيقبل أحد مما يعتقد أنه مجنون أو يرى أنه ممن يهتدي به فلذلك قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ [المؤمنون:27]، الآية فأمره بالهجرة عنهم، هكذا موسى قال لقومه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان:21].

فقال الله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ [الدخان:23]، فأمره بالهجرة عنهم، هكذا لوط قيل له ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود:81]، هكذا إبراهيم قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:48]، الآية.

هكذا السيد الكامل لما يئس من أهل مكة أن يؤمنوا له ما دام بينهم ورآهم يفتنون الناس عن هدايته ويصدون عن سبيله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف:45]، ولا يمكنوه من تبليغ رسالته وإظهار أمره أمر بالهجرة عنهم ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:77]، فافهم.

السر في المتكلم لا في كلامه فمتى انبسط المتكلم إلى السامع انشرح له [معاني] كلامه وإن قل، ومتى انقبض المتكلم لم تنبسط للسامع معاني كلامه وإن كثر، والكلام صفة المتكلم فمن وجد الموصوف وجد صفته وإلا فلا إذ الصفة متى انفصلت عن موصوفها زالت مرتبتها وغاب عينها؛ فافهم.

فإذا وجدت المتكلم الناطق بالحق المبين فاعمل على أن يكون مبسوطاً لك منشرحاً من قبلك إن أردت أن يبسط فيك خباء كلماته كما قال موسى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه:25]،

إلى قوله: ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه:28]. وقال: ﴿أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ۝وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشعراء:12 ، 13]، واعمل على أن تتحقق بالمتكلم إن أردت أن تجد حقائق كلماته، واعلم أن صدق المحبة سبب تحقق المحب بالمحبوب، والله أعلى وأعلم .

أيها الواقف في مرتبة حكم الفرق التغايري ذي التقابلات والتماثلات والانفصالات سيما المكانيات الجثمانيات أول ما تعينت به الطبيعة الجثمانية عن ذاتها صورة الهواء المحيط بسائر الأجرام فهو صورتها الجثمانية الخاصة بها وشكلها الطبيعي الذي هي متشكلة به وفيه تظهر عنها من قوتها إلى فعلها باقي الأشكال، وكلمات الأمر الناطق في الطبيعة أو ذاتها هي تحقيق مراتب ما في ذاتها في عينها ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:40](1).

فذلك الهواء المحيط هو العرش الكوني وسر الاستواء الأمري الصدري الرحيمي الرحماني الإلهي الذي به استوى الله الرحمن على هذا العرش يخلق من الجثمانيات ما يشاء من ماء وسماء ونور ونار وأرض وأجواء وصور مواد مرتسمة في الأجواء متولدات ثباتات، وكائنات فاسدات مستحيلات يلج بعضها في بعض بالتحليل، ويخرج بعضها من بعض بالتركيب، والأمر دائم فالكون قائم والله ينفذ بالأسرار من حصر الأقطار ما شاء من البصائر والأبصار ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:247]، فافهم.

وهذا الأمر هو الهوية السارية في الأكوان بنظامي مراتب الحقائق والأعيان وهو الحق الذي خلق الله به الكائنات وفصل فيها الآيات ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج:20-22]، والله أعلى وأعلم.

الحق عند ظن العبد به فإن ظنه حقاً حقق له إمداده بما عنده من الرضا والإيمان، وإن ظنه باطلاً أبطل عنه إسعاده لما عنده من السخط، والكفران(2)، انظر في نفسك إذا اعتقدت في أحد أنه محق بحق، أليس يحملك ذلك على قبول ما جاءك به، ولو لم تفهم ظاهره لأول وهلة، ومتى اعتقدت فيه أنه مجنون مبطل رددت كل ما جاءك به، ولو كان ظاهره عندك حسناً لا يخفى عليك؛ فهل أوجب ذلك إلا الاعتقاد، وما الذي رد المصروفين عن اتباع أئمة

(1) قال المصنف: ولو أن شبحاً روحانياً تنزل من الفلك العرشي على لطافته إلى الفلك الكرسي، لتكاثف بحسب صبغة الفلك الذي نزل إليه عما هو عليه في حكم صبغة فلكه العرشي، ومن ثمَّ تسري الأجرام فتتروحن بتلطفاتها، وتنفذ في الأجرام السارية نفوذ الشعاع البصري في الكرة الزجاج حتى يتصل بما في باطنها.

(2) زيد في المطبوع: [والإيمان وإذ ظنه باطلا أبطل عنه إسعاده لما عنده من السخط والكفران].

الهدى، والدخول في نورهم إلا اعتقادهم أنهم مبطلون، وما الداعي لاتباع أئمة الكفر لغير رهبة، ولا رغبة دنيوية إلا اعتقاد أنهم محقون؛ ولهذا الخطر العظيم جاء في الدعاء الكريم «اللهم أرنا الحق حقًّا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه»[1]، ولما أريد بيان أن الاعتقاد ملازم مقتضاه من رد أو قبول.

قال سيدي ومولاي: «وأرنا الحق حقًّا فنتبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه»[2] فانظر فاء السبب كيف تفهمك أن المراد[3] رؤية تكون سبباً في ذلك الحق فيكون رزقاً لازماً موهوباً فافهم[4].

المراتب الجهوية مراتب تقابل متخالف، فلا فوق إلا وهو يخالفه فيها [تحت]، ولا أمام إلا ويقابله وراء، ولا يمين إلا ويقابله شمال، فإذا انتهت دائرة الجهات بمحدودها لم يبق وراءه جهة ولا مقابلها؛ ولذلك لما جاء أئمة الهدى المختومين بالأمور الحقية السماوية الجهوية [ولذلك لما جاء أئمة الهدى المختومين بالأمور الحقية السماوية الجهوية] قابل كل منهم باطل مخالف لحقهم، مضل مخالف لهاديهم، تحت مخالف لفوقهم، شمال مخالف ليمينهم، خلف مخالف لوجههم كما جاء آدم ﷺ فقابله إبليس، وجاء نوح ﷺ فقابله دجال زمانه كحام، وجاء

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره (1/ 252).

(2) ذكره ابن كثير في تفسيره (1/ 252).

(3) زيد في المطبوع: [بالظن في الحق].

(4) زيد في المطبوع: [لما كانت ليلة ثالث رجب عام ثمانمائة وأربعة كنت في ألم شديد؛ لاختلاف حصل بيني وبين سيدي أبي العباس أخي في أمر أنا أراه حقاً فلا يمكنني إهماله، وأخي يراني غير محق فيه، فلا يتأتى له مع ذلك موافقته عليه، وصرت أجد في خاطري لذلك انكساراً شديداً، ووحشة، وقلت: عسى أن يريني الحق تعالى ما المراد بهذا الاختلاف، وما حصل لي بسببه من التشويش فرأيت في تلك الليلة أموراً من جملتها أن إنساناً من الأكابر في صورة أبي الطيب بن صلاح الدين جاء لي فشكوت له بعض ما أجده تلويحاً؛ لأني أكره التصريح به.

فقال: إن سيدي أظهر حالة فيك، وفي أخيك ليكون ذلك رحمة الله تعالى بالعالم، والآن حصل هذا الاختلاف فيخشى منه فتنة أهل الدنيا فقلت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» أخي يراني مبطلاً متعرضاً في هذا الأمر فأي فائدة لمكالمتي إياه فيه، ولا يزيده كلامي فيه إلا نفوراً ووحشة، وإن سكت حصل الفساد فأسأل الله كما أقامنا بجوده من دون اكتساب منا أن يقيمنا بما يرضاه منا، ويحفظنا من خلافه، ولا يكلنا في شيء إلى سواه ولا إلى سبب دونه إلى أن توالي تجريد حضرته سالمين من شوائب صغائرنا آمين يا سيدي وإلهي آمين ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64] فافهم].

إبراهيم ﷺ فقابله نمرود، وجاء دواد ﷺ فقابله دجال زمانه كجالوت، وجاء سليمان ﷺ فقابله دجال زمانه صخر، وجاء موسى ﷺ فقابله دجال زمانه فرعون، وجاء عيسى ﷺ فقابله في حياته الأولى بختصر، وفي حياته الثانية الدجال، وجاء محمد ﷺ وعليهم أجمعين بالنطاق النافذ من الجهات ومحدودها فلم يكن له مقابل، وإنما أتى بالإحاطة الحقية كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [الإسراء:60]، ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد:3]، وإنما هو حق نقذف به على الباطل ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:18]، وكشفه وبيانه حق ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت:42]، ولكنه لما تنزل بعين جميع الأئمة كلهم بحيث دعا كل أمة بناطق إمامها المجموع في جامعية ناطقه أتى في زمانه ورثة أولئك الأئمة وورثة مقابلهم كما قال عن عمر: «مثله في الأنبياء موسى»[1]، وقال: «اللهم انصر هذا الدين بأحب الرجلين إليك عمرو بن هشام» يعني: أبا جهل «أو عمر بن الخطاب»[2] فكان أحبهما إلى الله لذلك عمر بن الخطاب وارث موسى، وكان أبو جهل مقابلاً له فقال السيد الكامل عنه: «هذا فرعون هذه الأمة»[3]، وقس على هذا.

وأما خاتم الأنبياء، وخاتم الأولياء فلا مقابل لهما من حيث مراتبهما الخاصة بهما، وإن حصل بينهما مقابل قلنا في جمعهما لا لهما، ولهذا قال أبو جهل: والله إني لأعلم أن محمداً لصادق فافهم.

النور يأبى بذاته إلا الظهور فإذا علق بصورة مادية فهو عالق بها، وهي خالصة من إحاطة الحجاب بها فمتى أحاط بها حجاب فارقها، [كالمصباح] يفيد ما دام محله منفتحاً فمتى انطبق عليه فارق المفارقة المعبر عنها بانطفاء المصباح هكذا الحق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى:11]، يأبى بذاته إلا الظهور، فمتى ظهر [نفخ] بروح أمره في عبده لم يحتج ذلك العبد إلى معين له على إظهاره لكن يحتاج إلى إزالة الموانع والحجب فمتى اعترضه من يمنعه من الظهور؛ فافهم.

وبذلك وجبت الهجرة والظلمة تأبى بذاتها إلا الخفي، ولا تظهر إلا بغيبة النور فهي محتاجه في ظهورها إلى ما يخفى به النور، هكذا الباطل زاهق بذاته فلا يظهر إلا بالظالمين المانعين من ظهور النور.

---

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه البزار (6/ 57)، والحاكم في «المستدرك» (3/ 574).

(3) رواه أحمد (1/ 403)، والطبراني في «الكبير» (9/ 85).

الظلم ظلمات، ولذلك يقول الغاوون: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء:99]، ويقول قائلهم: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ [الفرقان:28، 29].

وقال رأس الضلالة للضالين: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم:22] الآية، ولم يكن له أن يستفزز إلا بصوته، ولا أن يضرب إلا بخيله ورجله؛ وأما الحق النور فلا يحتاج في ظهوره إلى سبب ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف:8] فيا صاحب الحق لا تهتم بإظهار شأنك اهتماماً يحملك على الاستعانة بالخلق فإنك إن كنت على نور حق فهو يظهر بالله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:45]، وإن كنت على ظلمة باطل فلا تتسبب في إظهار ذلك وإشاعته، فإنك لا تمتنع بذلك إن منعت به إلا قليلاً ثم ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء:84]، ومن ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ [يونس:45]، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:18، 19]، فافهم.

قال الحق تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾ [فصلت:10]، أي: الأرض ﴿أَقْوَٰتَهَا...الآية﴾ [فصلت:10].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت:12]، أي: ناطقها الذي هو مبدأ مراتب ما في نظامها العلمي من الحقائق، والأرض قابل السماء انفعالي، والتقدير تعيين المقدار الصوري، والمعنوي وهو أثر الإرادة، والأمر فاعلي فالتقدير في القوابل، والقضاء في الفواعل فافهم.

جاء في الحديث المحمدي: «عرج بي جبرائيل إلى سماء الدنيا، فاستفتح جبريل» أي: بي فهو سر الفتح الروحاني الجبرائيلي، قال: «ففتح لنا بعد أن قيل لجبريل: من معك، قال: محمد» فلمعيته لمحمد ﷺ فتح له المقام الأدمي فقال: «فدخلت فإذا أنا بآدم ﷺ»[1] ثم قال: مثل ذلك كل سماء فانظر قوله: «فإذا أنا بآدم» كيف معناه فإذا أنا في صورة حقيقة آدم وناطق بناطقته، وهكذا الجميع فصرح بأنه ظهر بصور حقائق الكل وجمع نواطقهم، كما قال: «أوتيت جوامع الكلم»[2] ونفذ هو إلى حيث على ليس فيه سواه، ولم يصل إليه غيره من الأنبياء فهو جامع لما لديهم، وزاد بما خصه عليهم ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر:23] فافهم.

جاء في حديث الإسراء المحمدي: «أنه وجد آدم ﷺ في السماء الأولى» سماء القمر التي

---

(1) رواه مسلم (1/ 146)، بنحوه.

(2) رواه مسلم (1/ 372)، وأحمد (2/ 314).

تقول الفلاسفة: إنها سماء العقل الفعال فياض الصورة المادية في عالم الكون والفساد، وذكر أنه وجد في كل سماء واحد من أولي العزم من الرسل السبعة، وهم آدم ﷺ، ونوح ﷺ وإبراهيم ﷺ وموسى ﷺ، وداود ﷺ، وسليمان ﷺ، وعيسى ﷺ فذكر أنه وجد آدم ﷺ وإبراهيم ﷺ، وموسى ﷺ، وعيسى ﷺ بأعيانهم وأسمائهم، ووجد نوحاً، داود ﷺ، وسليمان ﷺ بأعيانهم وأسماء كفلائهم فذكر إدريس ﷺ لنوح ﷺ أنه كفيله الآتي بين يديه، وذكر لداود ﷺ يوسف ﷺ، ولسليمان ﷺ، هارون ﷺ.

وأشار بقوله: وجدت فلاناً في مكان كذا إلى أن ذلك كشف وجداني فافهم بما ذكر من أماكنهم ما تنزل به ناطق كل واحد منهم من أمر السماء التي هو بها؛ لأن هذه السماوات تفيد بحركاتها في بواطن الكائنات وظواهرها استعدادات، فكل سماء تفيد نوعاً منها، فإذا غلب حكم سماء في زمان اقتضت الحكمة ألا يظهر الناطق الرباني في ذلك الزمان، إلا بما يناسب الاستعدادات الحاصلة عن ذلك الحكم في أهل ذلك الزمان فمن ثم تنوعت التشريعات والتعريفات والتحقيقات، فجاء آدم ﷺ بما ناسب استعدادات أهل زمانه المستفادة عن حكم السماء الأولى سماء القمر موطن آدم ﷺ وكانت استعداداتهم للأمر الرباني كاستعداد المولود للإدراك فهو ضعيف في بدايته.

وتنزل الأمر الناطق الرباني بالأسماء الربانية، والمراتب العبدانية بقدر ذلك الاستعداد، وظهر معه من النقباء والعرفاء بعدد ما استعد لظهوره في الوقت من أسمائه تشريعاً، وتعريفاً ظهوراً يناسب ظهور أمره، وهكذا مع كل صاحب وقت مظاهر أسماء بعدد أسمائه، ويكون ظهورهم في وقته على قدر ظهوره في القوة والضعف فكلما قوي ظهوره هو ضعف ظهورهم، وكلما ضعف قووا.

وقد أشار الحق المحمدي إلى ذلك بقوله: «أصحابي كالنجوم»[1] وكان ظهوره يومئذ كظهور القمر فكان نقباؤه وعرفاؤه كعدد الكواكب لكن ظهورهم معه كظهورها مع البدر، وفي زمان خاتم الأولياء يكون عدد أولياء زمانه بعدد أولياء الأزمنة كلها لكن ظهور أمره كالشمس، فظهورهم معه ظهور الكواكب مع الشمس؛ فلذلك لا يوجدون ولا يدركون متميزين عنه، ولكن في ضمن حضرته يوجدون كما يوجد نور الكواكب في ضمن نور الشمس إذا ظهرت، ولا توجد متميزة مستقلة فافهم .

فلما انقضى زمان آدم ﷺ بغلبة حكم السماء التي غلب حكمها، وهي سماء الشمس

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (1/ 147).

موطن إدريس ﷺ أتى الأمر الناطق الرباني بنوح ﷺ على ما يناسب ذلك الاستعدادات، وهو لهذا الأمر كاستعداد الطفل لأول التمييز، وكان معه من النقباء والعرفاء بقدر ما يحتمل ذلك الاستعداد ظهورهم من الأسماء تشريعاً وتعريفاً واستمر ذلك إلى أن انتهى زمانه بغلبة حكم السماء السابعة موطن إبراهيم ﷺ، وصار استعداد أهل زمانه لما تنزل به أمر الناطق الرباني كاستعداد الصبي المراهق المميز، وكان معه من النقباء والعرفاء بقدر ما يحمله ذلك الاستعداد من ظهور أسمائه تشريعاً، وتعريفاً، وقس على هذا [حتى جاء] إلى عيسى كان زمانه كبلوغ سن ثلاث وثلاثين للثبوت، والتحقيق التمييزي، وتمت به غلبات أحكام السماوات السبع التي هي دوائره [المتحركة] المتحيزة.

ولذلك كان شأن مدركيها الحيرة، وغلب حكم الفلك الثامن المكوكب فلك الكرسي ودوائره النورانية، وأنت تعلم أن استعداد سن الصغير لا يحتمل ما يحتمله استعداد سن التمييز منه، وسن التمييز يحتمل ما يحتمله استعداد سن الصغير وزيادة خاصية، وهكذا كل سن وما فوقه إلى نهاية الأسنان فهكذا يكون تنزل نوح ﷺ جامعاً لما تنزل به آدم ﷺ وزيادة خاصيته، وكذلك إبراهيم ﷺ مع نوح ﷺ، وموسى ﷺ مع إبراهيم ﷺ، وداود ﷺ مع موسى ﷺ، وسليمان ﷺ مع داود ﷺ، وعيسى ﷺ مع سليمان ﷺ فهو جامع من تقدمه كلهم وزيادة خاصيته، وجاء محمد ﷺ في ختم النبوات بما ناسب الاستعدادات المستفادة عن الفلك الثامن المكوكب فلك الكرسي فجاء بكل ما جاء به من تقدمه وزيادة خاصيته كما جاء في ختم الأولياء بما ناسب الاستعداد المستفاد عن[1] فلك العرش المتوسط بينه وبينه؛ ولأنه أتى بحكم مناسب لحكم فلك الثوابت، وأولئك أتوا بما ناسب أحكام أفلاك المتحيرات؛ فلذلك قبلت شرائعهم النسخ ولم تقبله شريعته.

ولما كان الفلك الكرسي الثامن دائر بنفس دوران الفلك التاسع الأطلس فلك العرش من غير واسطة، وما دونه فإنما هو بواسطته، أو بواسطة واسطته فلا يصل ذلك المدد من فلك إلى فلك بينه وبينه واسطة إلا بفلك المتوسط، وهكذا ما كان يصل المدد من الأمر الرباني في الرحماني الإحاطي إلى كل ناطق بينه وبين الخاتم المتنزل بحكم الاستعدادات الحاصلة عن فلك العرش المتوسط[2] بينه وبينه؛ ولما كان ذلك كان حكم الفلك التاسع ملازم باطن حكم الفلك الثامن، فجاء محمد خاتم النبوات، فاتح الولايات، مبطن التحقيق الثابت في التشريع

(1) زيد في المطبوع: [الفلك التاسع الأطلس].

(2) زيد في المطبوع: [إلا بواسطة فلك الكرسي الذي هو الفلك الثامن من المتوسط].

الثابت، وكان زمانه محتوياً على ما احتوت عليه الأزمنة المتقدمة كلها فكان علماء أمته كأنبياء سائر الأزمنة، وقد قال: «يبعث الله على رأس كل مائة سنة واحد يجدد به هذه الأمة دينهم»[1].

افهم أن لكل مائة عام قطباً يتنزل بحكم مناسب لاستعداد أهل زمانه، واعلم بذلك أن الأقطاب في أوزان أولي العزم، وأنهم ورثتهم ونبه على أن أولهم في وزن آدم عليه السلام بقوله في يوم حجة الوداع: [«إن الزمان اليوم قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»][2].

وأشار إلى أن صاحب المائة الثانية من يومئذ على قلب نوح بقوله: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على [وجه] الأرض اليوم أحد»[3] يعني: أن استعداد أهل ذلك اليوم لا يبقون أكثر من مائة سنة، وبعده يأتي الاستعداد لما يأتي به وارث نوح عليه السلام من الأقطاب،وهكذا مائة بعد مائة إلى ثامن مائة يكون القطب المحمدي خاتم الأولياء، ومع كل واحد من الأقطاب من الأولياء عدد ما كان مع موروثه من النقباء، والعرفاء، والأنبياء والحكماء.

وكان الأستاذ أبو الحسن الشاذلي قطب الزمان السابع، وتنزل الناطق الأعظم الوفائي بختم الولايات في الزمن الثامن، فالكل في زمانه[4] وجملة أعلامه، ومعاني كلماتهم في ضمن كلامه؛ فافهم، والزم تغنم، والمرء مع من أحب ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35].

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

«إن ربك بينك وبين القبلة» أي: الظاهر في اعتقادك بمعتقدك الرباني أقرب إليك من القبلة المنفصلة عنك جسماً بل والمتصلة بك فهماً؛ لأنه سبب استقبالك إياها الذي هي به قبلة فاجعله شغل شهودك عما سواه تكن مناجياً مشاهداً له في صلاتك التي أنت فيها موجهاً وجهك ﴿لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:79]، مسلماً ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:79]، إن لم تر غيره حتى، ولا المصلي، ولا القبلة، ولا المناجي كما جاء في حديث الإسراء: «قف فإن ربك يصلي».

ومن ثم أتت الصلاة، وفرضت على العبد، وهو بالحقيقة للرب ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب:43]، وبذلك قسم الصلاة بينه وبين عبده حيث أشهد الأمر الذي كله لله

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه البخاري (3/ 1168)، ومسلم (3/ 1305)، وما بين المعكوفتين زيد من المطبوع.

(3) سبق تخريجه.

(4) زيد في المطبوع: [نظامه].

بين رب وعبد، وعامل الفروض معاملة المحقق فهو حق في المعاملة فيقول على لسان عبده: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]، ثم يجيبه عنه بـ«حمدني عبدي»[1] وما هو إلا حمده لنفسه؛ فإنه كلامه المتلو امتثالاً في مشهد الامتثال.

وقال الله على لسان عبده: «سمع الله لمن حمده»[2] أي: أجاب دعاءه ولبى نداءه: «ولعبدي ما سأل»[3]، ومن حمده؟ واللسان لسانه والكلام كلامه فافهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:90]، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فالعدل أن تعبده [الله]، وأنت تراه فالعدالة نظام الشهادة، وقبولها وترتب الأحكام الحقية عليها ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [النحل:90]، وهي مقابل الإحسان؛ لأنها أكثف الحجاب؛ فلا تشهده ولا كأنك تشهده ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل:90]، مقابل العدل، وهذا هو الترتيب في كل مقام بحسبه؛ فافهم.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:45]، فمهما وجدته من الأمور الانفعالية حاجزاً لك عن الفحشاء والمنكر بوجد العدل والإحسان فهو الصلاة في كل مقام بحسبه «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[4].

فهو السر الفعال في كل مرتبة صلاتية، والصلاة صلة بين العبد وربه ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45]، وهو شهود أنه وحده ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:163]، «ولم يكن شيء غيره»[5] فهو الشاهد والمشهود كما قال إنا: ﴿كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس:61]، فهو الشهود ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:3]، فافهم.

المصلي تابع المتجلي الذي ليس بينه وبينه واسطة في كل مقام بحسبه فافهم.

جاء في الحديث «حُبب إليَّ من دنياكم ثلاث النساء»[6]، أي: المراتب الفعلية للصورة المقول فيها: «خلق الله آدم على صورته»[7].

منها بها التابعة اختصاصاً للفاعل فيها؛ لأن النساء اسم لبنات آدم ﷺ وهن منه قوابل بصورته لصورته فكن على المقصود الرباني أتم دليل «والطيب» كلمة معنوية وعينية، وأخص

---

(1) رواه مسلم (1/ 296)، وابن حبان (3/ 54).

(2) سبق تخريجه.

(3) رواه مسلم (1/ 296)، وأبو داوود (1/ 216).

(4) رواه أحمد (3/ 285).

(5) سبق تخريجه.

(6) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (1/ 405).

(7) رواه البخاري (5/ 2299)، وابن حبان (14/ 33).

المقصود بمناسبة هذا المقام الأمور القدسية الباعثة عن حصول فعل الفاعل الحق، وقبول القابل الصدق لأن الطيب الطهارة المنعشة للروح الباعثة على مجامعة الفاعل، والقابل والمنشعلة [له] في كل مقام بحسبه «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

وهي التبعية الحقية ألا ترى أن المصلي يناجي ربه بكلامه وقوله: «حُبّب» بالإفراد تشعر بأن الواو في قوله: «والطيب» واو الجمع والمحبب شيء واحد هو المجموع فهو مثل مضروب لهم من أنفسهم حبه إلى مينه المحبوب المقصود بيانه فافهم.

قال الجنيد: «لون الماء لون إنائه» وذلك على قسمين أحدهما أن الماء على لون إنائه لا لون له كالأواني الشفافة الساذجة من الصبغ فيكون الإناء مشهوداً على لون مائه، والثاني عكسه فيكون الماء مشهوداً على لون إنائه[2]، وفي الأول المشهود هو الماء، والوهم في نسبته على الإناء، وفي الثاني عكسه فليس التحقيق إلا في إفراد كل حقيقة بنفسها في كل مقام بحسبه، هو اسم الوجود الذات مطلقاً فافهم[3].

آية كل شيء شخصه، وعينه الظاهر هو بها في كل مقام بحسبه فافهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:53]، المتعين بالأعيان كلها هم وسواهم ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [فصلت:53]، الحق المبين الرحمن المتعين بك كاشفاً مبيناً لسائر الأعيان، فهو المحيط بها كشفاً وبياناً ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]، يظهر ذلك الشيء بظهوره فافهم.

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، كإحاطته فيما هو البحر بأمواجه معنى وصورة فهو حقيقة كل شيء، وهو ذات كل شيء ولك شيء عينه وصفته فافهم.

العارفون يظهرون مواجيدهم للناظرين في مرايا الأدلة المقبولة عندهم، والنظار

(1) سبق تخريجه.

(2) زيد في المطبوع: [والثاني عكسه فيكون الماء مشهوداً على لون إنائه].

(3) اعلم أن لكل مرتبة تجلٍ معنوي، وهو كالحسي في التأثير «لون الماء لون إنائه» لجملة من أحكام الوجوب والإمكان، وللأولى تأثير الفاعلية، وللأخرى تأثير القابلية، وقد اجتمعا في كل مرتبة متوزعة تلك الأحكام الوجوبية عن الأسماء الذاتية التي لا تدل على معاني زائدة على الذات أصلاً، كالاسم هو والله والوجود والقديم والعلام والظاهر، وأمهات الأسماء الألوهية وهي التي جعلناها الأسماء الذاتية فيما تقدم بدليل أنه نص وصفها بأنها مفاتيح الغيب، وسيأتي منه التصريح بذلك ومتفرعة تلك الأحكام الإمكانية عن الأسماء التالية، كالخالق والرازق والمصور، فبواسطة أحكام تلك الأسماء أثرت، فالمؤثر بالحقيقة تلك الأسماء بل الذات الموصوفة بها، فافهم.

يأخذون مواجيدهم من تلك الأدلة فافهم.

من وجد ثم بحث فإن بحثه عبث في كل مقام بحسبه فافهم.

متى جردت الحقائق عن اللواحق والنسب، وأفردت عما به تمايز الرتب لم تكن إلا ذاتاً فقط، فإن رمت حقيقة التحقيق فمن ثم ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:145]، فافهم.

وربما شهد شاهد أن أمهات المؤمنين التسع عنوان لأرواح الأفلاك التسع التي هي مستوى الروح الرحماني فهو القيوم عليها فافهم.

إذا تجلى الوجود بمرتبة صبغ معانيه كلها بحكمها عند قيامه به.

ألا ترى المنتقم كيف يرى أنه بانتقامه عليم، حكيم، رحمان، رحيم، لطيف، كريم، ولو في حق ما انتقم له، وقس على هذا، أعوذ بالله له ومنه في مظاهر الشامت والحاسد «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا إله إلا أنت سبحانك لك العتبى حتى ترضى»[1] يا لطيف، يا لطيف، يا ألطف من كل لطيف آمين آمين؛ فافهم، التغاير أم الحجب والتكاثر فافهم.

من لم يشهد إلا هو واحد ليس عنده زائد، ومن لم يشهد إلا حقاً فاعلاً في خلق قابل ليس عنده باطل، ومن لم يشهد إلا أمر الرحمان ليس عنده أمر الشيطان، وقس على هذا فكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [مريم:58]، ثم داروا فكانوا ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ [مريم:58]، ثم داروا فكانوا ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [مريم:58]، ثم داروا فكانوا ممن هداهم الحق بناطقه الجامع المحمدي، واجتباهم لكشفه وبيانه كما قال: «علماء أمتي كأنبياء سائر الأمم»[2].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء:69]، الآية فافهم.

قال هود ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:56]، قال متكلم محمد ﷺ لسمعية: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزخرف:43]، وصراط كل سالك الذي هو عليه مسلكه من حيث هو عليه فلا يكون عليه إلا هو فإن سلك سواه على ذلك المسلك فليس من حيث هو عليه، ولكن من بين يديه، أو من خلفه، وليس هو بهذا الاعتبار صراطه الذي هو عليه حقيقته، إنما هو ذلك حقيقة من حيث هو ليس عليه سواه فافهم.

---

(1) رواه مسلم (1/ 352)، وابن حبان (5/ 259).

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 83)، بنحوه.

من علم ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:19]، لم يبق لأحد عنده ذنب سيما لمن يعترف بذلك ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد :19]، الآية أي: بلا إله إلا الله «من قال: لا إله إلا الله غفرت ذنوبه ودخل الجنة»[1].

وقال الله: «علم عبدي أن له ربًّا يأخذ بالذنب، ويغفر الذنب، يا عبدي قد غفرت لك، فافعل ما شئت»[2].

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر:56] فالإشاءة والفعل بالحقيقة له ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:96] ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:7]، فما ثم قبيح من هذا الوجه الفرقي فكيف بما هو به محيط فافهم.

قال قائل: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:23]، هل هذا سؤال عن ماهية الله تعالى كما يقال ؟ وهل موسى عليه السلام عدل عن الجواب المطابق كما زعموا تنبيهاً على غلط السائل في سؤاله عن المجرد الحقيقي بما التي تطلب حقيقة ما له جنس وفصل يجاب بهما عنها؟

قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه، هذا سؤال عن ماهية صفة من صفات الله لا عن ماهية الله، والجواب مطابق رسمي؛ لأنه أجاب بالخاصة المعلومة عند السائل، ويمكن أن يكون جعل الجواب تفسيراً للفظ تنبيهاً على المسمى معروف بوضوح أدلته معرفة ضرورية لكل عاقل فلا يسأل عنه إلا متعنت، أو من لا يعقل.

ولذلك قال في الثالثة: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:28]، قال: فهل فيه سر؟ قلت :أسرار منها أن رب العالمين هو القائم على كائن بتربيته حتى يقوى ذلك الكائن، ويقوى من توجهت قواه لتربيته فهو وجود الكل، والأمر له جميعاً، ومن ثم توجه قول فرعون: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا...الآية﴾ [الشعراء:29]، وحفظ له موسى عليه السلام حرمة مشهده فلم يجبه بأكثر من قوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:30]، فجاء بعصا ظهرت ثعباناً، وهو وجودها المتعين بها فما جاء بمجيئها إلا هو، فهو متصرف بذاته في حجب تعيناته، ومظاهر تجلياته فجاء بالحق المبين حيث جاء ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:43]، فكان فرعون شاهداً بلا أدب وموسى عليه السلام شاهد حق، وأين قول فرعون له: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾

---

(1) رواه الترمذي (9/ 231)، بنحوه.

(2) رواه أحمد (2/ 296).

[الإسراء:11]، من قوله له: [﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ﴾ [الإسراء:12]، أي:][1] لقد علمت المسحور، والمسجون، المستور المحجب ولا يعلم ذلك إلا مشاهد عارف بأن مشهوده مستور عن سواه، وهكذا حين قال السحرة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء:47، 48]، فآمنوا على ستر تغطية استعدادهم في كل مقام بحسبه، فكانوا سحرة وطلبوا المغفرة فقال لهم فرعون: ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ [البقرة:137]، فانظر كشفه وتحقيقه هنا لو سلم من الميل إلى التلبيس الذي هو شأن مرتبه الإبليسية فأضله الله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف:52]، ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [طه:56]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14] ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:12]، أي: وجودي الحق المبين، ولكن لكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

الصمد في اللغة معنيان السيد المصمود إليه في الحوائج، وما لا جوف له يجمعهما قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام:14]، فهو المحل الذي يتوجه إليه في مراده كل مستمد ولا يطعم فلا يمده سواه في كل مقام بحسبه، ومن ثم لا يسود في قوم إلا من آثرهم، ولا يشاركهم فيما يستأثرون به فافهم.

كنية الشيطان أبو مرة، تدري من هي المرة الذي هذا أبوها ؟ هي النفس الجسمانية ذات الشئون المنكرة، شهوة بهيمية فلا هي حرة، وغضب كلبي سبعي فلا هي برة، تدري لم سميت مرة ؟ ؛ لأنها ما دخلت في [شيء] أمر إلا أفسدته كما يفسد الحنظل اللبن فافهم.

ما هو إلا وجودك الذي هو ذاتك، وذات كل موجود متعين بما حكم به في كل مقام بحسبه ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:39]، فما ثم إلا عالم حاكم متعين بمعلوماته، منكشف عند نفسه بمحكوماته يرتبها ويسميها كما يحققها ويبديها فالكل منه وبه وإليه وهو وإن تكثرت وتغايرت فافهم.

جاء في الحديث: «فإذا أحببته كنته»[2]، فإذا كان هذا الضمير عائدا للجملة الوجودية والموجودية فهو ظواهره وبواطنه، وهذا أشمل من قوله: «كنت سمعه وبصره»[3].

ومتضمن أن يكون المحبوب سمع محبة وبصره وعكسه؛ لأنه من حيث هو وجوده يكون هو موجوده ومن حيث هو موجوده يكون هو وجوده، ومن حيث الإحاطة هو وجوده وموجوده، فهو هو وإنما الضمير للهوية الوجودية فقوله: «كنت سمعه وبصره» أبلغ؛

(1) زيادة من المطبوع. (2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

لأنه ما كان ظاهره الموجودية، وهو الوجود حتى كان باطنه إذ لا موجود إلا بالوجود، ولا يكون الوجود للموجود الذي كأنه[1] كما أن الناطق المفارق لا يكون هذا الشخص الكائن حتى يصدق عليه إما بالتعلق التدبيري أو التمثيلي أو مهما قلت.

وعلى كل تقدير فاعلم أن قوله: «كنته» أو «كنت سمعه وبصره» ليس بمعنى الحدوث في نفس الأمر فإنه كذلك بالذات وإنما ذلك لكون الشهود في المدارك الخاصة التي أنكشف فيها بذلك انكشافاً مترتباً على ذلك الشرط فمن حيث الترتيب الشهودي جاء الحدوث لا من حيث التقرير الوجودي فافهم.

من جعله ما ثبت للوجود بنفسه ترتيب أمر على أمر، وكلاهما ثابتان له به فهما واجبان، وترتيبهما واجب لهما، وكون المرتب حادثاً بما ترتب عليه أيضاً واجب فما انكشف قط إلا واجب على أي صورة انكشف فافهم.

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:156]، فهو الظاهر فله جميع القوى الظاهرة والباطنة فهو الظواهر التي لها القوى الظاهرة، وهو البواطن التي لها القوى الباطنة «ولا حول ولا قوة إلا بالله» فانظر ما تعطيه هذه الباء فهو ذلك ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:156]، ومن جملة معانيها أن تكون زائدة فهو القوى جميعاً فإن النكرة في سياق النفي تعم، والاستثناء منه إثبات كما تقرر في موضعه، وقد ثبت كون الاستثناء كذلك في بعض المدارك الحقية، ويكفيك ذلك فإنه لا بدّ من اعتبار كل ما أمر الحق باعتباره، وقد أمر سبحانه وبحمده باعتبار ما ظهر به في مدارك العلماء في كل مقام بحسبه فلا بدّ من ذلك قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]، ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:83] فنص على علمهم، فالكل على علم محقق لا ريب فيه، وهذا هو الذي يعبر عنه بأن كل مجتهد مصيب ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:78]، وأما قوله: أنت فوق فجاء إشارة الخصوصية الكامل من ذلك بفضله فافهم.

لا تهجر أخاك، ولكن اهجر ما تلبس به مما لا يرضاه ربكما الحق فإذا تجرد عنه بتوبة فهو أخوك فافهم.

لا تعب أخاك بما أصابه من مصائب دنياك فإنه في ذلك إما مظلوم لينصرنه الله، أو مذنب عوقب فطهره الله، أو مبتلى قد وقع أجره على الله فافهم.

من الرعونة أن تفتخر بما لا تأمن سلبه، أو تعير بما لا يستحيل في حقك، وأنت تعلم

---

(1) زيد في المطبوع: [إلا وهو صادق أنه الموجود الذي كان].

أن ما جاز لمثلك جاز لك وعكسه فافهم .

جاء في الحديث: «الخير في يديك»[1] أي: في عرفانك وفرقانك ومراتب هاتين اليدين اليمينين المباركتين هي ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الطلاق:1] في الدائرة الربانية من تعداها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:1]، ومن وقف عندها حيي ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:97]، فافهم.

جاء في الخبر: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[2] فلما كان ظاهر هذا هو الموت الطبيعي استصعبه الغافلون واستبعده المشتاقون فخفف عن الطائفتين بتوجيهه إلى الموت المعنوي فقال: «موتوا قبل أن تموتوا» ثم بين على لسان عمر ﷺ الذي مثله في الأنبياء موسى ﷺ القائل لأمته اقتلوا: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ [الإسراء:7] الآية، بقوله في البقول: «لا تأكلوا هذه الأشجار الخبيثة»؛ فإن النبي ﷺ كان يكره ريحها، ويخرج آكلها من المساجد «فإن كنتم لا بدَّ آكليها فأميتوها طبخاً»[3] يعني: اطبخوها حتى يذهب خبثها فبين أن قتل النفس في المعنى تجريدها عن أمورها الذميمة وأحوالها الخبيثة فافهم.

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:7]، لم يصف بالأحسنية الخلقية إلا تقويم الإنسان، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، فهو كل شيء أحسن خلقه الذي خلقه لاهوت الجمع فأحسنه.

ألا ترى تسميته بالإنسان لإحاطته بكل شيء كإحاطة إنسان العين بكل مرئي ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:11]، والله حقه والحق هو الوجود الثابت على مرتبته في كل مقام بحسبه فإحاطته بإحاطة الله، وجمعه بجمعه فالخلق قابل حقه فاعله «خلق الله آدم على صورته»[4] فافهم.

نفسك الجسمانية حجاب إن أزاله عنك ربك تمتعت بالأحباب، نفسك رقيب إن غيبه الله عنك تمتعت بالحبيب فافهم .

الشيطان نار، وحضرة الرب نور، والنور يطفئ النار فلا تجاهده بأن تبعد معه عن حضرة ربك الحق لكن جاهده بأن تواجهه بنور ربك فإن كان له نصيب في السعادة انطفأت ناريته، وعاد نوراً مسلماً لا يأمرك إلا بخير، وإلا أطفأه نور ربك وأحرقته شهبه فعاد رماداً فافهم.

---

(1) رواه البيهقي في «الاعتقاد» (ص145).

(2) سبق تخريجه.

(3) رواه ابن عدي في «الكامل» (3/ 20).

(4) سبق تخريجه.

جاء في الخبر تسمية الجسم تابوتاً حيث قال الراوي وذكر سبعاً في التابوت فقال: «اجعل في شعري نوراً، وفي بشري نوراً، وفي عصبي نوراً»[1] الحديث فما دمت في بدنك فأنت التابوت فلا تعمل إلا على شاكلة الأموات؛ لأنه حكم ذلك المقام الميت قد جاءه من ربه اليقين فشهده، وكان الحق أقرب إليه من كل شيء فلزم المثول بين يديه لا يتصرف لنفسه في شهوة ولا غضب، ولا يرى سوى ربه كيفما انقلب.

قال السيد الكامل لعبد الله بن عمر: «عد نفسك من أصحاب القبور»[2].

يعني: كن بحيث ييأس منك كل كفور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فافهم.

ربما لطف الحق الرحيم بنفس فأجرى لها أنواراً من الطاعات الشاقة عليها في صورة بعض المعاصي السهلة عليها فتكون معصيته سيئة فيما يبدو للناس، وهي طاعة حسنة عندما يبدل الله بالكشف عن المعاني سيئات قوم حسنات قوم فافهم.

﴿ أَقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ ﴾ [طه:39]، فمن كان في حالة الموت تولاه الحي الذي لا يموت ﴿ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ [طه:39]، فإنه مراد المقام التقديس ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾[طه:39]، والساحل فعل السحل، وهو الطهارة والنقاء والإحكام، وهو في البحر اسم في الأصل للماء الذي يسحل البحر ثم سمي بـه البحر المسحول بالماء أي: المطهر المنقى فهو فاعل بمعنى مفعول ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ [طه:39]، مقام التقديس في مرتبة الجمع بين القبول العبداني والظهور الرباني ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ [طه:39]، فسمي فرعون عدواً؛ لأن موسى إنسان الوقت، وفرعون شيطان الزمان، وقد كان استقر في نفسه عدوانه الذي تزول دولته على يده، وهو موسى ﷺ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:39]، تحبني بها، ويحبك بها كل شيء من حيث يشهدك فلم يشهد منه فرعون إلا ما شهده إبليس من آدم ﷺ، ولم يشهد إلا حجابه البدني؛ لأنه ليس فيه ما يمكنه التعلق به إلا من قبله فقال: ﴿لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾ [الحجر:33]، الآية فأحب صورته البدنية، وهو منطوي على عداوة صورته المعنوية من حيث أنه المزيل لدولة فرعون؛ ولذلك أدركته بركة محبته لبدنه، وإنقاذه من الغرق في زعمه فنجاه الله من اليم ببدنه ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:26]، فافهم .

ولكن السيد الكامل كان أبو طالب يحوطه، ويخدمه فنقلته بركته وشفاعته من الدرك الأسفل من جهنم إلى ضحضاح من نار فكأنها عليه ماء؛ فافهم.

---

(1) رواه البخاري (5/ 2327)، ومسلم(1/ 525).

(2) لم أقف عليه.

آياته ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:248]، التابوت جسمه، وسكينته الربانية هي البسيطة التي أوتيها في علمه وجسمه فافهم.

سبيل الله طريقه من مات فيها فهو شهيد فالمؤمنين كلهم شهداء في سبيل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ...الآية﴾ [آل عمران:169]؛ فافهم.

الهوية المرسلة: هي المطلقة، والهوية السارية: هي الحاصلة في قوابلهم فافهم.

يا من خلقه الله على صورته انظر كيف إذا قابلتك الأجرام الصقيلة بصفائها ظهرت فيها فألبستها أحسن صورة ترى متحركة بحركتك فيها فأنت تحرك الجماد إذا قابلك بصفائه، فكيف بقلبك إذا واجه ربك بصفائه، وعامله الله بوفائه فافهم .

لسان المحبة لا ينطق إلا بالحقائق فإن ظهرت المحبة في قبول حقي نطق بالحقائق تصريحاً، وإن ظهرت في قبول خلقي نطق بالحقائق في حجاب ما غلب على ذلك القبول بحكمه تلويحاً في كل مقام بحسبه فافهم .

إذا جاء في خطاب من له مراتب وتوابع نون الجمع فمراده نفسه من حيث هو جامع تلك الأمور وقيومها فانظر إلى قوله: ﴿ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ [الحجر:26]، فالمراد أن صورة الإنسان ظهرت في عين هذا الجمع منه؛ فافهم.

قال السيد الكامل: «وأنا حبيب الله»[1] فعيل بجميع معانيه فلا يحالك إلا حبيب، ولا حبيب إلا ويناجي وينجي، ويصطفي[2] واتخذ روحاً وذكراً فالمحبة كما قال الأستاذ أبو الحسن الشاذلي -قدس الله سره- العزيز: المحبة قطب والخيرات كلها دائرة عليها فافهم.

جاء في الحديث: «إني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي»[3]؛ فخاتم الأولياء دعوته كما هو بها، وخاتم الأنبياء دعوة إبراهيم ﷺ فافهم.

شفاعة الواحد حكم صورته القيومية في قبول ما انفرد له في كل مقام بحسبه؛ فافهم.

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:44]، فهو الظاهر بكل مظهر فافهم.

الفعل الاختياري ينسب لمختاره فإذا كان [الاختيار] لما صدر في دائرة العبودية من المرتبة العبدانية، فالعبد قد فعل بربه، وإذا كان الاختيار من المرتبة الربانية، فالرب قد فعل بعبده ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة:14] «اللهم بك أحاول...الحديث»[4]، والامتثالات والعبادات كلها أفعال الرب بعبده، وأفعال الهمة كلها أفعال العبد بربه.

---

(1) سبق تخريجه. (2) في المطبوعة: [ويصفي].

(3) رواه أبو يعلى (4/ 215). (4) رواه النسائي (5/ 188)، وأحمد (4/ 332).

ومن ثم سمع أبو يزيد -قدس الله سره- العزيز قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12]، فقال: «بطش بي، وبطشت به فكان بطشي به أشد من بطشه بي»[1]، وأما على قاعدة أصحاب المظاهر فبطش الحق على حسب استعداد المظهر بطش الرب بعبده، وبطش المظهر على قدر وجوده الحق، وهذا بطش العبد بربه، وهو أشد وأنت ترى كيف الأحوال[2] الطبيعية أشد الأفعال لكن في العالم الطبيعي، وكذلك فرق؛ فافهم.

الوحي تنزيل العلوم في الرسوم، وإظهار المعاني في الأعيان في كل مقام بحسبه، ومن ثم سميت الكتابة وحياً، والوحي على قسمين: بياني، وكياني.

كما قال الحق تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، فالتكوين وحي كياني، والتبيين وحي بياني، ولما كان ذلك بالوجود الآني الدهري المفصل إجماله في المظهر الزماني كان فورياً.

كما أشار إليه قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، وسميت العجلة وحيًا، وكل ما في نظام الوحي بقسمية كلمات الله ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:27]، بياناً وكياناً فالموجودات كلها كلمات الله، وتنزيلها وحي الكلمات تنقسم إلى اسم من حضرة الأسماء، وفعل من حضرة الأفعال، وحرف من حضرة الصفات، والاسم إما اسم ذات، أو اسم صفة.

واعلم أن كلمة الله في البيان هي العليا ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1]، وصورة المخصوص الأكبر هي الكلمة العليا في الكيان ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [طه:68]، فكلمة الله في

---

(1) [الأفعال].

(2) أما ترى أبا يزيد قُدِّس سره لما سمع القارئ يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12]، فقال: «بطشي أشد»؛ لأنَّ بطشه غير مخلوط بالرحمة، فالضار يكون نافعاً في ضرره، والمانع معط في منعه.

ويُشير إلى ذلك المقام سيِّدنا سيِّد العارفين علي بن أبي طالب ﷺ في بعض مناجاته: اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته، ذكره في نهج البلاغة.

ووجهه الشيخ ابن عربي بقوله: إن بطش العبد معرى عن الرحمة، فليس عنده حال بطشه من الرحمة شيء، وبطش الحق وجه فيه رحمة بالمبطوش به فهو الرحيم له في بطشه.

وقال الشيخ الشعراني: اعلم أن بطش الحق ووعيده مطلق ولكن مشوب برحمته ولطفه، ولولا ذلك لتلاشى العالم، ولم يبق له وجود، وأما بطش المخلوق فهو محض نقمة لا يشوبه شيء من الرحمة؛ وسبب ذلك ضيق المخلوق، فهو يبطش بغيره ليستريح من الحرج والضيق الذي يجده في نفسه، فيطلب الرحمة بنفسه، ولو كان في ذلك هلاك غيره، بخلاف بطش الحق فإنه لسبق العلم بأخذ هذا المبطوش به للسبب الموجب له لا غيره وللمنتقم لغيره ما هو كالمنتقم لنفسه، والله أعلم.

البيان مثال كلمة صورة المخصوص في الكيان.

والمعنى المتنزل المتمثل بهما واحد، وتنزلها وحي ثم الوحي الذي لاسم الذات وحي ذاته في كيانه وبيانه كما قال: ﴿ إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا ﴾ [طه:14]، ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [النمل:9]، والوحي الإلهي الجسمي يضعف عن حملة عنصر الكون ما لم يثبته بحكم وجوبه؛ فلذلك جاء ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:143]، هذا في الوحي الكياني، وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر:21]، هذا في الوحي البياني، وإذا كان الأمر هكذا فاعلم أن أعظم الكليات وأكبرها وأعلاها كلمة رب الوجود الأحدية المحمدي المتنزل بختم دائرة الولاية الأحدي؛ لأن هذا معناها: وهي الكلمة الوفائية التي لما أوحيت إلى الأرض بالوضع المولدي، وحياً كيانيًا في سحر يوم الخميس ثالث ذي الحجة عام اثنين وسبعمائة من الهجرة المحمدية تزلزلت الأرض كلها عند مثل وقت صلاة العيد في ذلك اليوم، كما أنبأ الحق بذلك في السورة التي سماها السيد الكامل المبشرة ذات الآية الفاذة الجامعة، وجعلها كنصف القرآن كما مثل نفسه بلبنة البيت النبوي فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1]، السورة بتمامها وإذا عددها بالجمل إذ والحمد لله رب العالمين فافهم.

العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال، والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:11]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي وهو مولاي، وحسبي ليس إلا هو.

قال ابن عبد السلام -رحمة الله علينا وعليه- في قواعده: تحمل الصائم مشقة رائحة الخلوف فضلها الشافعي ﷺ على إزالة الخلوف بالسواك مستدلاً بأن ثواب رائحته أطيب من ثواب رائحة المسك.

قال: ولم نوافق الشافعي على ذلك إذ لا يلزم من ذكر ثواب العمل أن يكون أفضل من غيره؛ لأنه لا يلزم من ذكر الفضيلة حصول الرجحان بالأفضلية.

ألا ترى أن الوتر عند الشافعي في قوله الجديد أفضل من ركعتي الفجر مع قوله ﷺ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا، وما فيها»[1]، وكم من عبادة أثنى الشرع عليها وذكر فضلها مع أن غيرها أفضل منها.

---

(1) رواه مسلم (1/ 501)، والنسائي في «المجتبى» (3/ 252).

قال: وهذا من باب تزاحم [بين] المصلحتين التي لا يمكن الجمع بينهما فإن السواك تعظيم بنوع من التطهير المشروع[1] لأجل الرب؛ لأن مخاطبة العظماء مع طهارة الأفواه تعظيم لا شك فيه؛ ولأجله شرع السواك، وليس في الخلوف تعظيم ولا إجلال.

فكيف يقال إن فضيلة الخلوف تربى على فضيلة السواك، وهو تعظيم لذي الجلال والإكرام بتطيب الأفواه.

قال: ويدل على أن مصلحة السواك أعظم من مشقة تحمل الخلوف قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[2] فلولا أن مصلحته أتم من مصلحة تحمل مشقة الخلوف لما أسقطت مشقته إيجابه، وهذا يدل على أن مصلحته انتهت إلى رتبة الإيجاب، وقد نص على اعتباره بقوله: «لولا أن أشق»، قال: والذي ذكره الشافعي تخصيص للعام بمجرد الاستدلال المذكور المعارض بما ذكرناه.

قال: ولا يصح قياسه على دم الشهيد؛ لأن المستاك مناج لربه فشرع له تطهير فيه، وجسد الميت صار جيفة غير مناجيه فلا يصح مع ذلك الإلحاق انتهى.

قلت: كلام الإمام الشافعي قوي؛ لأن خلوف الصائم لم يجعل الله ثوابه أطيب من ريح المسك إلا وهو مرضاة الرب، وما يرضاه الرب لا يتقرب بإزالته بل يتقرب بإبقائه، والسواك إنما شرع لإزالة ما نكرهه نحن من الوسخ الذي نرجو في زواله رضوان ربنا كما جاء: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[3]، والمطهرة لا تكون إلا من محبته والخلوف مطيبة عند الرب فلا يكون السواك مطيبة منه، والمرضاة لا تزيل إلا مسخطة والخلوف مرضي للرب فلا يكون السواك المزيل له مرضاة للرب، وإذا ظهر هذا فنقول: حينئذ أما اعتراض المعترض على الشافعي، واستدلاله المذكور بأن ذكر فضيلة الشيء لا تقتضي رجحانه على غيره فهو؛ لأن إزالة الخلوف المذكور بالسواك عنده لا فضل فيها أصلاً.

فقوله: أفضل بمعنى أنه الفاضل دونه مستدلاً على ذلك ترتيب الثواب المذكور على الخلوف فلا تكون إزالته قربة فلا ثواب فيها أصلاً.

هب أن يكون في إزالته فضل إلا أن المسك أطيب الطيب فلا يخبر عن ثوابه بأنه أطيب من ريح المسك إلا وهو أعظم ثواباً من السواك، وإنما الجزاء من نسبة العمل فهنا الخلوف

(1) زيد في المطبوع: [لا شك فيه].

(2) رواه مسلم (2/ 59)، وأبو داود (1/ 69).

(3) رواه البخاري (2/ 682)، وابن حبان (3/ 384).

عند الرب مرضي رضا يعبر عنه بأنه أطيب من ريح المسك لو لطخ المكلف فمه به تقرباً وتطيباً للعبادة، والسواك لا يوجد في الفم كرائحة المسك فضلاً عما هو أطيب منه فالخلوف الموجد لذلك عند الرب أفضل من السواك.

وأما قول المعترض: أن السواك شرع تعظيماً للمناجي بتطهير المناجي فمه بين يدي مناجاته، فمحض نظر إلى ظواهر العوائد والتحقيق أن ذلك التعظيم إنما حصل بإزالة ما يكرهه المناجي من رائحة فم المناجي لا بإزالة ما يحبه ويرضاه.

وأما قول المعترض: أن السواك أشق من تحمل رائحة الخلوف على الصائم مستدلاً بالحديث ففيه نظر؛ لأن المشقة في الحديث ليست مرتبطة بمجرد السواك، ولكن بتكراره مع كل صلاة، والذي ادعاه الشافعي رضي الله عنا وعنه لا ينافي في هذا فافهم.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، والعلم نور يقذفه الله في قلب عبده، فكل علم تحقق في قلبك فسلكت به سبيلاً مستقيماً إلى ربك فهو علم لدني، سواء يسر بيانه بلسانك، أو لم يسر وسواء علمته على مصطلح رسم من رسوم علوم الناس أم لا فافهم.

لا يظهر إمام هدى لمأموميه من الأفعال إلا بما فيه كمالهم، فإن قلت: فالخصوصيات الحكمية، قلت: فائدتها أن يعلم المأمومون أن لإمامهم خصوصيات باطنة ليست لغيره في وقته مثلها فيقوي به إيمانهم، ويعلمون أنهم ليس لهم منه بدل؛ لأن الظاهر عنوان الباطن فما فائدة هذه الخصوصيات عائدة بالكمال إلا عليهم فافهم.

إذا وجدت من يدعو إلى الله فأجبه، ولا يصدنك كونه من الطائفة التي انتميت إلى غيرها فيمثل ذلك صد الأشقياء قبلك.

فقال اليهود: لو جاء محمد ﷺ منا لاتبعناه لكن جاء من العرب فلا نتبعه، وندع أمر بني إسرائيل ؛ فكان الجن أعقل وأفقه منهم حيث قالوا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: 31]، الآيات.

واعلم أن الحقيقة الداعية إلى الله في كل دور هو صاحب وقته ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 108]، وكل الدعاة في زمنه إنما هم رقائقه، وألسنته أنا ومن اتبعني، وعلامته اندراج بياناتهم وكشوفاتهم في كشفه وبيانه واختصاصه عنهم بما لا سبيل لهم إليه إلا بإمداده وفيضه فافهم.

ألق حيلك وأسبابك، وكل ما اعتمدت عليه من معلوماتك ومعمولاتك بين يدي الداعي إلى الله حتى يلتقمها حكمه وحكمته فلا يبقى لك عمدة إلا على حقه، ولا توصلاً إلا بصدقه ليسري بك إلى ربك في حالة محو نفسك ليلاً ويخرجك من مواطن تحكم العدو إلى

مقامات حكم المولى؛ فهناك لا تزلزلك الزلازل، وإن اشتدت هولاً كما ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:61 ، 62]، فكان من حكمة ربه لقومه الذين أسري بهم ما كان فافهم.

كما خرج موسى من مدينة فرعون ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:18]، مستغرقاً في مقامات ربه فأفضى أمره إلى مقام المناجاة، جرت تلك السنة على أتباعه فأسرى بعباد الله من أرض فرعون خائفين يترقبون مستغرقين في نور إمامهم فأفضى أمرهم به إلى مقام النجاة؛ فافهم.

إنما خرق الخضر السفينة بركابها لحكم منها ليبين لهم أن السفينة لو كانت هي الحاملة لهم بألواحها ودسرها لغرقوا عند خرقها، ولكن مكرمهم هو حاملهم في البر والبحر فسواء وجودها وعدمها، ومن قوي هذه اليقين عنده وصح له صدق مشهده مشى على الماء وفي الهواء.

جاء في الحديث: «كان عيسى عليه السلام يمشي على الماء»[1]، ولو ازداد يقيناً لمشي في الهواء فافهم.

إذا رأيت أن الخضر قسمت له الحياة إلى إدراك الزمن المحمدي فما طلب موسى بفتاه السبيل إليه إلا من باب معنى قول القائل: لعلي أراهم ، أو أرى من يراهم فافهم.

إنما لقي موسى الخضر بفتاه ليجمع لفتاه بين بحر الرسالة من نبوته، وبحر الولاية من خصوصية خضر، والسر في ذلك أن حكم الولي مع حكم الرسول الذي تلزمه شريعته كحكم النجم مع حكم الشمس اندرجت أحكام النجوم كلها في حكم الشمس، وذلك كما أن النص إذا وجد اندرجت أحكام النجوم كلها في حكم الشمس، وذلك كما أن النص إذا وجد اندرجت أحكام الاجتهادات كلها تحته وكان الحكم حكم النص وإذا غاب النص رجع كل مجتهد إلى حكمه[2]، فكما أن حكم كل مجتهد في حياة رسول الله ﷺ مندرج في حكمه ﷺ إن أثبته ثبت لإثباته وإن نفاه انتفى[3]، وأما في زمن أبي بكر ومن بعده من الخلفاء فكل مجتهد حكمه لا يلزمه اجتهاد غيره، فهكذا كان أولياء بني إسرائيل في حياة موسى مندرجي الحكم في حكمه، فلما دنت وفاته، وتوارت شمس رسالته بحجاب خليفته الذي يستخلفه بعده،

---

(1) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (2/ 357)، والحكيم في «نوادر الأصول» (3/ 170).

(2) زيد في المطبوع: [فكما أن حكم النص وإذا غاب النص رجع كل مجتهد إلى حكمه].

(3) زيد في المطبوع: [كذلك حكم ولي مع رسول].

وكان الخليفة هو فتاه الذي قصد به الخضر علم أن أحكام أهل الولاية ستظهر في زمن ذلك الفتى فأراه كيف يكون معاملته لهم إذا ظهروا في زمن خلافته، وجمع له بين أمري الرسالة والولاية فقال: ﴿لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ﴾ [الكهف:60]، أي: لا أموت ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف:60] أي: فيك ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف:60] ،أو أعيش إلى أن يحصل ذلك، ولو عشت حقباً ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا﴾ [الكهف:61]، أي: نسي الفتى ﴿حُوتَهُمَا﴾ [الكهف:61]، ثم كان من الأمر ما سمعتم في الكتاب فعلمه أن يسلم للأولياء باطناً، وإن اقتضى الشرع إنكار شيء من أمرهم أنكره ظاهراً على جهة الاستعلام كي لا يتشبه بأحكامهم من ليس في مقامهم.

وإلا فما لموسى عليه السلام كف عن الخضر بتلك المعاني التي أبداها الخضر عليه السلام، ومثلها لا تسقط عنه المطالبة في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير إذنهم، وقال: خرقتها لئلا لا تغضب لم تسقط عنه المطالبة بذلك ظاهراً، ومن قتل صبياً، وقال: خشيت أن يرهق أبويه ﴿طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف:80]، لم تسقط عنه المطالبة بذلك في ظاهر الشرع.

وقول الولي: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف:82]، ليس مسوغاً لمثل هذه الأعمال في الحكم الظاهر، وإن تحققت ولايته.

فما كان الإنكار من موسى أولاً إلا حفظاً لنظام الشرع الظاهر ثم كف آخراً حفظاً لرعاية أمر الله تعالى في أوليائه وذكرى ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق:37]، فافهم.

الجبال أمثال الرجال فكما أن الجبال لا يزيلها عن بقائها على الأرض إلا الشرك فكذلك الولي لا يزيل همته عن قلب من آوى إليه إلا شرك موضع خالص المحبة من قلبه بغير وليه وربه ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم:46]، فلا يفلت الولي قلب مريده من يد ولايته لشيء سوى ذلك لا تقصير ولا غيره، فافهم.

من كان معه ربه لم يصبه إلا ما يرضاه قلبه ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 50]، ولم يقل علينا؛ لأنه رضي بكل ما أصابه في مرضات ربه ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾ [التوبة:50]، ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾ [التوبة:52]، فشهد القتل في مرضاة ربه حسنى، ومن ثم قال الذين هددهم فرعون بالقتل على الإيمان: ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:50]، فإن قلت فما لنا نرى العبد القائم بين يدي ربه يصيبه ما يكره لا يحس بكراهته ذلك، قلت: إنما يزلزله ذلك عن مقام رضوانه التفاته عن ربه بدليل قول الحق تعالى لعبده ومظهره لوط عليه السلام أسر: ﴿بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [هود: 81]، فما أصيبت إلا من التفاتها عن ربها إلى أعدائه.

ألا ترى عثمان بن مظعون لما ضرب على عينه فطارت، وغير بذلك كيف لم يلتفت، وإنما قال: ما أحوج عيني الصحيحة أن يصيبها ما أصاب أختها في ذات الله، وأنشد شعره المشهور في ذلك.

وخبيب بن عدي الأنصاري لما بضعوه وصلبوه لم يلتفت، وإنما قال له قائل: أتحب أن تخلص لتكون في أهلك، ومالك سالماً، وأن محمداً ﷺ يكون مكانك نفعل به ما نفعل بك؟ فقال: هيهات والله ما أحب أن أكون سالماً في أهلي، ومالي، وأن محمداً تصيبه شوكة، وهو في مكانه الذي هو فيه، وأنشد شعره المشهور فهذا شأن من يلتفت[1].

وأما الملتفت إن أصابته مصيبة ذات طعم صورتها، وحرم طعم صريرتها فتضعضع أمره وانقلب على وجهه ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الحج: 11] و﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]، فافهم .

روح الإلهام الولائي يبنى الأحكام على حقائق العواقب، وإن خرقت العادات، وبطنت عن المعهود، وروح الوحي الرسلي منشئ للأحكام على ما ظهر في كل مقام بحسبه؛ ولذلك وجب قبول الثاني لموافقته إدراك الجمهور دون الأول.

وجبرائيل عبارة عن روح الوحي الرسلي، وخضر عبارة عن روح الإلهام الولائي[2]، والروح الناطق مجمع البحرين ونظام الجوهرين بما له في الدائرة الإدراكية في المرتبتين، فأيما إنسان أتاه الخضر في عين محسوس أحسه، وكان له منه نصيب ظاهر بين التعريف فهو ولي تمثل فيه خضر من قوته إلى فعله.

وكذلك القول في جبرائيل: فلا يرى خضر من حيث يعرفه إنه الخضر إلا ولي، ولا يرى جبرائيل فلا يرى خضر من حيث يعرفه إنه الخضر إلا ولي، ولا يرى جبرائيل من حيث يعرف أنه جبرائيل إلا نبي.

وجبرائيل الكلي: هو روح القدس الكلي، ويعبر الفيلسوف عن مرتبته الخيالية بالقوة القدسية، وهو لا يكون بهذا الحكم الكلي إلا لصاحب جمع الدائرة التي هي جبريله فيها، وأما

---

(1) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (3/ 378).

(2) قال سيدي محمد وفا في «المقامات السنية»: الإلهام هو وحيٌ يلقيه خاطر الحق لكل قلبٍ ألقى السمع وهو شهيدٌ وحقيقته: خطابٌ يُخاطب به صاحب الذوق الصحيح، وغايته: لسانٌ يتكلَّم بالكلام الذي لا يجوز على مثله الكذب.

لمن دونه في وقته وزمانه فلا يكون إلا بالأحكام الجزئية، وكذلك القول في الخضر.

لكلِّ وليٍّ في الورَى خِضرٌ كما لكلِّ رسُولٍ جبرائيلُ بنسبةٍ

له يتجلَّى من قسُواه لفعله نواميسُ حقٍّ تُرابُ برؤيته

فافهم.

ما كان خضر موسى إلا منه وإليه لذلك سماه ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف:65]، ولم يقل منا؛ فافهم.

قال خضر لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:82]، وما هنا موصولة وأمره شأنه؛ لأن تلك الأفعال كانت من أحكام روح الإلهام الولائي؛ فافهم.

الخضر مظهر عرفاني رأى فيه موسى عليه السلام من وجوده ما سأل في مقامه الفرقاني أن يراه في شهوده، وذلك المظهر كان منه وإليه؛ فافهم.

إذا ظهر أن الخضر المتمثل رقيقة من رقائق حقائق موساه، وظهر أن سعي موسى للقياه بالنسبة إلى أنه حقيقة من وجود موسى من باب معنى قول القائل:

خليليَّ هل أبصرتُما أو سمعتُما بأكرمِ مِنْ مولى يمشي إلى العَبْدِ

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف:82]، فافهم.

كم حفظ حدود عبوديته لله في شهوده ومعاملاته فهو الفقير إلى الله الغني الحميد، وإن ملك الدارين يتصرف فيهما كيف شاء فهو مظهر الغنى على قدر فقره فافهم.

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ [يوسف:93]، القميص فعيل من القمص، وهو الارتفاع والظهور إما بمعنى مرفوع على جسد لابسه، أو بمعنى رافع لقدر لابسه.

قال الجوهري في الصحاح: قمص الفرس وغيره إذا رفع يديه وطرحهما معاً، قال: ويقال ما بالعير من قماص يضرب مثلاً لمن ذل بعد عز، انتهى.

والعير الحمار، والقماص الرفعة كأنه قال ما بالحمار من قوة يرفع بها نفسه فيا به رفعه، هذا بعض ما يتعلق بلفظ قميص من اللغة.

وجاء في الصحيح: «رأيت الناس يعرضون، وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ورأيت عمر وعليه قميص يجره قيل: يا رسول الله ما أولت ذلك، قال: الدين»[1].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لعثمان بن عفان -رضي الله عنهم أجمعين: «إن الله

(1) رواه البخاري (6/ 2571)، ومسلم (4/ 1859).

سيقمصك قميصاً تحسد عليه، فإن راودوك على خلعه فلا تخلعه»[1].

فسر ذلك بالخلافة التي أفضت إليه فطوقها، ثم راودوه على خلعها حسداً وبغياً فلذلك امتنع من خلعها حتى قتل شهيداً فالقميص في الولاية، وإن كان المراد بظاهره الثوب الذي كان يلبس على جسده، وهو وثوب إبراهيم ﷺ الذي جاءه به جبريل من الجنة مبشراً له بالخلة فكأنه خلعة الخلة، وخلعها فلا يبعد أن يكون تأويله عند يعقوب ﷺ[2] في آلة فلذلك قال ﷺ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف:94]، أي: ملكه وقوته وأمره ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [يوسف:96]، فألقي الثوب على وجه يعقوب ﷺ، وألقي خبر حال يوسف ﷺ في تأويل القميص على وجهه ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف:96]، من الفرح بعدما ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف:84]، وارتد إلى يوسف ﷺ بصيراً بأمره، وما ظهر فيه من نعمة الحق ورحمته فافهم.

قال قائل: ما الروح، وما النفخ في قول الحق تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29].

قلت: الروح ما به الإدراك في كل مقام بحسبه، والنفخ إظهار ما به تنكشف المعاني الكلامية، وتبين من الغيب العلمي إلى شهادة الإدراك العيني؛ لأن النفخ في الحيوان إظهار النفس الذي إذا مر بمخارج الحروف ومقاطعاتها تعين بالأعيان الحرفية، وشخص بالأشخاص الكلامية اللسانية، فالروح المنفوخ: هو الحقيقة الناطقة ذات الكشف، والبيان ظهرت بحكمها في آلتها، ومظهرها الحيواني من غيب الحقيقة الوجودية.

وبهذا الروح المنفوخ في آدم ﷺ علم الأسماء كلها؛ لأن دائرة الكلام كلها أسماء، وهي أعيان الحقائق العلمية؛ فافهم[3].

العالم جسد وإمام الهدي الناطق بالحق المبين هو قلبه، والقلب بيت الرب الذي فيه ترفع ستائره، ويظهر سرائره ويجعل فيه خصوصياته وذخائره، وقد جعل الحق في أعالي البيت الحرام ميزاباً ينصب منه ما يتحصل في سطح البيت من الغيث على حجر إسماعيل ﷺ لا يصب في سواه، وذلك إشارة لمعان منها أن لسان الهادي ميزاب غيث أسرار هدايته وأنوار

---

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (4/ 115).

(2) زيد في المطبوع: [أنه ورفعة بالدين الإبراهيمي].

(3) قال المصنف في «المسامع»: من رجع بصره من الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، كشف أن حقيقته مبدؤهما في كل مقام بحسبه ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ [الملك: 4].

إرشاده المتنزلة في مداركه فلا يفيض ذلك كشفاً وبياناً إلا على حجر إسماعيل عليه السلام أعني: عقل يقضي لصاحبه بالرضا، ولو بالذبح في مرضاة ربه الحق لا يجد حرجاً، كما نظر إسماعيل عليه السلام بعقلة فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات:102]، فهذا هو حجر إسماعيل عليه السلام حيث وجد، وهو لا يجاوز أبداً فلا يركن ويلتصق إلا بالقلب بيت الرب فافهم.

ما من كامل في مرتبة إلا وهو جامع لكمالات ما دونها، وفقير لكمالات ما فوقها فافهم.

إلى أن ينتهي الأمر إلى من له المنتهى، وليس وراءه مرمى، والله أعلى وأعلم.

العبد موجود لربه، والحر موجود لذاته فإن تحققت بربك الحق فحققت أنه حقيقة ذاتك فأنت العبد الحر، وعلامة ذلك ألا يظهر عليك ولا منك ولا فيك ما ليس مطابقاً له؛ لأنه إذا كان ذلك لم تكن صفات إلا صفاته، ولا أفعال إلا أفعاله، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

النفس ما له الإدراك، والروح ما به الإدراك في كل مقام بحسبه ومن هنا سمي القرآن روحاً، وعيسى عليه السلام روحاً وجبريل عليه السلام روح الوحي النبوي الرسلي في المعاني الجلالية، وميكائيل روح هذا الوحي في المراتب الجمالية، والخضر عليه السلام روح الإلهام الولائي في المعاني الجمالية، وإلياس روح هذا الإلهام في المراتب الجلالية؛ ولذلك يقال: إن الخضر عليه السلام سمي خضراً؛ لأنه جلس على أرض يابسة ميتة فحييت واخضرت، وأن إلياس كانت آيته النار تسير معه حيث سار، وتستقر حيث أستقر، وحيث جمع لموسى عليه السلام بين النار والشجرة في تجليه، وتم له ذلك ظهر له عين الأمرين في إلياس عليه السلام قومه وخضرهم فإلياس عليه السلام للأولياء كجبرائيل عليه السلام للأنبياء، وذلك أكثر ما يراه أصحاب المجاهدات، والخضر عليه السلام لهم كميكائيل عليه السلام، وأكثر ما يراه أصحاب المشاهدات، ولا يظهر أن لأحد إلا متمثلان من غيبه إلى شهادته؛ ولذلك يراهما كل أحد بحسب حاله ومقامه، ويراهما في الآن الواحد جماعات متفرقين في أماكن متباعدة على هيئات مختلفة، ولا يظهران معاً إلا لمن له روح كمال ذات جلال وجمال فافهم.

قال الحق تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح:4]، فانظر كيف أخبر أن السبب موهبة منه تعالى ونكر ﴿إِيمَٰنٗا﴾ تعظيماً له ليفهم أنه إيمان لا يكتسب كنهه بواسطة هيئة معروفة من القوى بالقوى المدركة البشرية، ولم يسنده إليهم كما أسند إليهم الإيمان الثاني ليعلم أنه مزيد على جهة الوهب لا الكسب ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:190]، الرب الجواد المحسان ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ﴾ [المؤمنون:

116] العظيم﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:116]، المكون بالخلافة ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، أي: يقوم العالم بحسن النظر، ولطف التدبير، وحكمة الأمر أحسن تقويم.

فمن كان هذا فهو الذي حصل في المرتبة الإنسانية المخلوقة ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، وإن كان جرمه مقعداً، أو أحدب، ومن لم يكن هكذا فلا يغرينه انتصاب قامته واعتدال هيئته الجرمية فكم على هذه الشاكلة في البر والبحر من حيوان بهيم.

وما المخصوص بالتكريم إلا مظهر العليم الحكيم، ولما كان هذا القرآن يهدي لهذه الأقومية بما أشتمل عليه من الكشوفات العلمية، والبيانات الحكيمة، والأمور الحميدة الكريمة حق له أن يقال فيه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ﴾ [الإسراء:9]، فمن اتبع قرآنه صحح له إنسانه، وسلام على من خلقه القرآن فافهم.

جاء في الحديث أن النبي ﷺ صلى خلف عبد الرحمن بن عوف وقال: «ما من نبي يمت حتى يؤمه رجل صالح من أمته»[1] فيه إشارات من جملتها أن المتبوع في المعنى قد يكون تابعاً في الصورة كفاية الشيء له في المرآة، وكما صلى النبي ﷺ خلف أبي بكر ﷺ في صورة مأموم فكان أبو بكر ﷺ يأتم به في باطن الأمر فلا يلزم من الأتباع الظاهر فضيلة المتبوع على التابع في الباطن، وقد كان السيد الكامل يتعبد أولاً بالشرائع المتقدمة، [وأوحى]، وجاء فيما أنزل عليه: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:125]، مع أنه القائل: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[2] يرغب إلى الخلائق كلهم حتى إبراهيم ﷺ يقول: «اجعلني اليوم من أمتك»[3] فافهم.

قال الحق تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 54]، وجاء في هذا الملك العظيم أنه الخصوصيات الربانية، ومن هذه الخصوصيات أو هو لازمها أن يؤتى العبد خلقاً يسع به من جعله الحق فيهم إمام هدى ووليا مرشداً، أو أن يؤتى علماً ربانياً يبين لهم منه ما يصلح به حال معاشهم ومعادهم.

كما أشار الحق إلى ذلك بقوله في قصة طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:247]، فختم بهذين الأسمين العظيمين؛ ليبين أن سر الملك الموهوب فيهما فالخصوصيات الربانية ملك.

وجاء أن عمر أمير المؤمنين مر مع الصحابة بمزبلة فوقف بهم عندها حتى أضجرهم

---

(1) رواه أحمد (1/ 13)، والدارقطني (1/ 282).

(2) رواه البخاري (4/ 1745)، ومسلم (1/ 184).

(3) سبق تخريجه.

ريحها فقالوا له: ما حسبنا(1) هاهنا ؟ قال لهم: ما لكم هذه دنياكم التي تتنافسون عليها.

فالحظوظ الدنيوية زبالة فمن أظهر للناس ما عنده من الخصوصيات الربانية؛ ليتوصل بذلك إلى تحصيل حظوظه الدنيوية منهم فقد يرطل بالمملكة على أن يصير زبالاً [المزبلة]، وما أمره إذاً برشيد، وإنما حق من أوتي هذا الملك، وجعله الحق خليفة فيمن جعل إمامهم أن يحكم في محل ولايته بالحق، ولا يتبع الهوى، ولا يشطط عن سبيل الهدى، وليكن بالحق ابتهاجه وغناه عما في الآخرة والدنيا فإن الله لمخصوصة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:73]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:36]، ومن وجد الله وجد كل ما يحبه ويرضاه، وحصل على كل ما هو من السعادات يتمنى فافهم والله أعلى وأعلم.

قال الحق تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:1،2]، إلى ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:11]، والخشوع حال القلب ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:16] والقلب يعرف ربه ويراه، والفردوس هي دار المشاهدة الربانية، فالقلب الشاهد لربه يزل فيها، وإنما النفس المدركة تدرك الأشياء على مقتضى الحكم الغالب عليها، فإن غلب عليها حكم الكثافة البشرية لم تر إلا كثائف، ولم تدرك شيئاً من اللطائف حتى إن المستغرق النفسي في حكم الكثافة كالبهيم لا يدرك شيئاً معنوياً، ولا يدرك إلا جسماً كثيفاً فقط، وإن غلب عليها حكم اللطافة الروحانية النورانية لا تدرك الأشياء كلها إلا نورانية روحانية كحالة المسلمين كالملائكة لا يرون في ملكيتهم وهياكلهم النورانية إلا ملأً نورانياً مفارقاً للمواد الكثيفة بحسب عالمهم.

وإذا غلبت جهة الكثافة على جهة الكشف الصوري منها، وهي التي تسمى بالحس الجثماني في عموم البشر الآن فإنها لا تدرك به إلا جسماً كثيفاً، وإذا غلبت اللطافة على جهة الكشف المعنوي منها، وهي التي تسمى بالعقل الهيولاني في عموم الآدميين الآن فإنها لا تدرك به إلا روحانياً لطيفاً كالمعقولات، والمتخيلات، وسائر الصور الذهنية.

وهذه الجهة هي التي تسمى من ذي الجهتين قلباً فهو يرى ربه بقلبه هنا لا بحسه الذي هو في حكم الكثافة التي خلص منها قلبه حتى رأى بها، فإذا كان العبد بعد الموت تجرد حسه عن حكم الكثافة، وقام في هيكل مركب لا يغلب عليه فيه إلا الحكم الغالب على قلبه فيرى ربه بحسه، كما كان يراه بقلبه، وقد صار كله قلباً، وهذا هو الذي يعبر عنه بالمعنى الروحاني في الجثماني، وهو أن حكم الروح يغلب على أمر الجسم الحاصل، فالذين يرثون الفردوس

(1) في المطبوعة: [ما لك].

بإحساسهم هم لم يزالوا فيها بقلوبهم وهذه القلوب من حيث استعدادتها النورانية هي القناديل المعلقة بالعقل الفعال المشرق فيها وهو المعبر عنه بالعرش عرش الرحمن الذي استوى عليه ربه.

والاستواء: هو تمام التجلي، والتجلي التام بمعاني الجلال والإكرام، وهذا العرش هو سماء الفردوس، وحقيقة الفردوس، هي الناطقة بالكشف الشهودي الرحماني فافهم.

ومن النفوس المدركة من تجلى فيها العقل الفعال بما يريد أن يحكم، ويحكم عليها إما مطلقاً في سائر المراتب، وإما في دائرة أو مرتبة مخصوصة فينزل لطيفها إلى كثيفها، وترقى كثيفها إلى لطيفها من غير أن يتغير كشفها عن تحقيق الأشياء على مراتبها الحكمية في الدائرة التي ينكشف لها فيها، وعلامة هذا وضع المعارف النورانية، والحكم الربانية في صور الألفاظ والقرائن المحسوسة بالحس المقيد، وفتح البصيرة بالكشف والبيان لشهود الأرواح والأنوار متمثلة في صورة لا يحس منها إلا كثائف الأكوان كقوله: «هذا جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم»[1].

الأول من التنزيل، والثاني من الترقي بالأبصار من النظر مع الحجاب إلى النظر مع الكشف فافهم والله أعلى وأعلم .

قال الحق تعالى: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:7]، ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:102]، وكل شيء حسن في الحقيقة ينكشف حسنه لمن رآه من حيث خالقه الحق ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14]، فيشهد في مظهريته كمال ربوبيته وتفرد إلوهيته، ومن ثم قال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النساء:79]، أي: هي على أصلها وحقيقتها ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء:79]، أي: من قبل توهم الشيء على ما ليس به، ولا تكون السيئة إلا مع الحجاب عن شهود تفرد ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14] بالخلق فكل المشهودات المضافة الإيجاد لغيره إذاً سيئات، ومن ثم قيل: فيمن استحسن ما هو محجوب عن شهود نسبة إيجاده لأحسن الخالقين ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:104]، فافهم.

وأشهد وجه الحق في كل موجود تكن في عالم الحسن فتنعم، واعلم ألا موجود حقيقة إلا خيراً حسناً، وأما ضد ذلك فمتوهم، ولا معصية ولا ظلم مع شهود الحق في مشاهد الخلق، وليس هناك إلا العدل والإحسان المحكم والله أعلى وأعلم .

---

(1) رواه النسائي (1/ 466).

وجود العقل النظري السليم هو الرب الديان الحكيم، ونور كشف هذا العقل وبيانه هو يوم الفرقان بين الحق[1] والعقل والطغيان، وهو [الذي] يوم يلتقي فيه من الأحكام المتقابلة الجمعات، وهو يوم الدين الذي فيه ﴿ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: 6] ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:25]، وتوضع له الموازين فيؤتى كل ذي فضل فضله ويجزي كل ذي فعل فعله، ولا تظلم نفس شيئاً عند الحكيم، وفيه يمشي الناس على الصراط المستقيم فمن انتهى مستقياً دخل بصورة الحسن الذي أثبته له تحسينه في جناب النعيم، ومن زاغ فانتكس صار بصورة القبح التي أثبتها له تقبيحه في سواء الجحيم، ولا تكون نفس في مرتبة إلا فيما أثبته فيها لها ديانها مالك يوم الدين، العزيز، الرحيم.

ومن هنا قال عيسى ﷺ: أنا يوم القيامة، وذلك لما جاء لميت يريد أن يحييه فقالت له أخت الميت: يا سيدي أنا أومن أنه يبعث يوم القيامة، فقال لها أنا يوم القيامة، ودخل عليه فناداه فقام الميت حياً، فهذا هو الأمر الذي من وجده وجد يوم القيامة وإلا فلا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم:56]، فافهم.

قال الحق تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:1، 2].[2]

لما كان الضلال والغواية إنما تتأتى من قبل الشيطان ذكر النجم إذا هوى وهي الشهب التي يرجم بها الشياطين حفظاً للسماء منهم تنبيهاً على أنه أخذ ما أنزل عليه وأتى به من الأمر من الموطن المحفوظ من مصادر الضلال، والغواية، والهوى، ومواردها، ثم أردف ذلك التنبيه بما يرشد إلى الحكمة فيه؛ فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:2]، وسماه صاحبهم تنبيهاً على أنهم يعرفونه من حيث هم لا من حيث هو وسماه فؤاداً فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ [النجم:11]،تنبيهاً على أنه من جملة العالم بمنزلة الفؤاد من جملة الآدمي.

وقال أوحى: ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:10]،تنبيهاً على أنه آخذ من ثم ما جاءهم به، وأن الروح العلمي الذي ألقى ثم إلى روح القدس الفكري جبريل ﷺ ما نزل به جبريل ﷺ إلى روحه البشري بعد ذلك، فكان جبريل ﷺ يأتيه في الأرض مفصلاً بما تلقاه منه في ذلك المقام الرفيع مجملاً.

(1) زيد في المطبوع: [والبهتان والعدل].

(2) من أشهده الله نفي مماثلته لشيء في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فشاهده بديعاً في ذاته وصفاته لعدم المثل، وكذا في أفعاله؛ لأنه ابتدع الأشياء من غير مثال سابق عليها، وصاحب هذا التجلي يعصمه الله في أقواله وأفعاله، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: 2]. قال ﷺ: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجُّوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت» (اللطائف ص236).

وتبه بقوله: ﴿دنى﴾ [النجم: 8] على دنوه العلمي وهو قربة وتنزله العلمي إلى جبريل وبقوله: ﴿فتدلى﴾ [النجم: 8] إلى التنزل الجبرائيلي إلى المقام الآدمي البشري منه فدنا الروح العلمي إلى الروح الفكري، بما تدلى به الروح الجبرائيلي إلى الروح البشري فافهم والله أعلم.

التأثيرات التي آثارها كونية جثمانية هي عمالات نفوس عملية إذا وردت على نفس آدمية فقامت بها، وتحققت فيها كانت صورة لموردها، وظهرت فيه عمليتها، وصدرت عنه عمالاتها، وفرحت فيه بظهور سلطانها فظهر ذلك الفرح فيه حتى أبتهج، واستسهل المستهولات في وجه ذلك، ولا يزال يؤثر تلك الآثار ما دامت النفس العملية المؤثرة لها متحققة به على قدر تحققها به حتى تفارقه، فإذا فارقته فقد ذلك التأثير مع فقد ذلك المؤثر، كما يفقد ضوء الشمس مع غروبها، وإن بقيت منه عنده بقايا فلبقية تعلق من تلك النفس العلمية به، كما يبقى بعد غروب قرص الشمس ضوء بقدر بقايا أشعتها في الأفق.

ويقال: إن بعض الحواريين دعي إلى مجنون؛ ليبرئه فلم يستطع فجيء به إلى عيسى عليه السلام فأبرأه فسأله الحواريون عن سبب عجزهم عنه، فقال لهم: إن هذا النوع لا يستطاع للناس إلا بالصلاة والصيام يعني: وأما لمثله فيستطاع بالأمر الذي تمكن به ،وهذا من عيسى عليه السلام إشارة لما ذكرناه.

فهذا هو حقيقة أمر أصحاب التأثيرات الكونية الجثمانية كلهم، وعلامتهم الفرح لوجود تلك القوة على التأثيرات ولزوم عمل شاق والحزن عند فقد تلك القوة بترك ذلك العمل والإخلال فيه.

أما أصحاب المكنة الوجودية فإن تصرفهم لا يقصر عن الجثمانيات، وليس لهم تقيد بصورة عملية، وأمر محدد أصلاً إلا ما يلتزمون به من النظام الشرعي إتباعاً وامتثالاً، سواء حصل منهم تأثير كوني أو لم يحصل، وهم قد يطلعون على حقائق أمورهم ومبادئ مكنتهم ولا يتغير سلطانهم.

وأما أصحاب تلك النفوس فإن أحدهم متى كشف له عن حقيقة أمره بطل تأثيره بتلك النفوس، التي تحقق ورودها [تأثيرها] عليه، وظهور شأنها فيه؛ لأن سر تأثيرها به إنما هو ثمرة تحققها به[1]، إنما هو بالإذعان لأفضليتها عليه فمتى كشف له عنها حتى علم أنها ذرة من ذرات عوالمه التي هو سلطانها، ووجودها، وقيومها بطل، وهم أفضليتها عليه عنده فلم يحصل له بها تحقق يقتضي تصرفها به تصرف الفاعل بآلته فلم يحصل عنه أثر من آثارها.

---

(1) زيد في المطبوع: [وذلك التأثير].

ولهذا أصحاب الأحوال الكونية إذا خدموا العارفين فتحوا بصائرهم بأنوار كشفهم، وبيانهم توارت عنهم تلك الأحوال، وفقدوا ما كانوا يجدون منها؛ لأنهم قد قذف بحق العرفان على باطل وهمهم فزهق.

ومن علم هذا السر علم أن فقد أصحاب هذه الأحوال أحوالهم بخدمتهم للعارفين، إنما هو كمال في حقهم؛ لأنهم لا يتحققون بعد موتهم إلا بما كبر في صدورهم، ومن جهل هذا السر جال به جهله في مجال ظنون السوء بأرواح القدس وبفهم ما حققناه لك هنا تعلم أيضاً قلة تأثير العارفين للآثار الكونية الجثمانية الخارقة للعادات؛ لأنهم يؤثرونها تأثيراً إلهياً وجودياً على قدر وفق الحكمة الإلهية لا كيف اتفق كما قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم:11]، فافهم.

فالعادة التي اقتضتها الحكمة الإلهية في موطن خرق عادته فتحصل منهم آثار خارقة لتلك العادة.

ثم وذلك ليس مما يكثر في العالم الجرماني فمن ثم قلت تأثيراتهم الخارقة فيه، وفي ذلك عز الظفر بهم والفوز بمعرفتهم إلا بعناية إلهية؛ فلذلك ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف:22] ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:17]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ﴾ [النساء:64]، لا بالشهوة والكسب ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس:100]، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ﴾[البقرة:15]، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ﴾ [الفتح:29]، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي، وربي وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

جاء في الصحيح: «إن الله يفرح بتوبة عبده إذا تاب»[1]، وفرح الله تعالى عبارة عن تجليه بأسماء الكرامة، وفيضه آثار معاني جماله فمن هنا قال السيد نوح عليه السلام: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم﴾ [نوح:10، 11]، الآيات، وما في معناها فالتوبة والإصلاح كلما يرضى به الرب، ويتوصل به إلى ظهور آثار معاني الجمال فإنه يتنزل به الرحمة والبركات، وكل ما أرضى العارف بالله أرضى معروفه، وكل ما غضب غضب [معروفه].

(1) رواه السمرقندي في «الفوائد المنتقاة» (ص21).

جاء في الحديث: « إن الحق ليغضب لغضب عمر، ويرضى لرضاه »[1] وجاء في مثل ذلك في حق فاطمة وعلي ﷺ وسلمان ﷺ وخبيب ﷺ وبلال ﷺ فاعملوا [أيها المريدون] على أن يرضى [عنكم] العارفون، وينبسطوا إن أردتم رضا ربكم وبسط نعمه عليكم، واحذروا فإن العكس في العكس من ذلك، واسألوا الحق توفيقكم لحقه، وإمدادكم من فضله اللهم إنا نسألك من فضلك؛ فافهم والله أعلى وأعلم.

التكليف والاختيار من الحق قرين الاختيار، ودعوى الاقتدار من الخلق فمن عجز وسلم لم يكلف، ولم يختبر فافهم .

صَلاةٌ تُنتِجُ الدَّعوَى رعونة ونومٌ ينتجُ التقوى معونة

فافهم.

من تلاشت في بصيرته أمور الكافرين وجد الله عنده فوفاه بمشاهد الناظرين فافهم.

لسان الكسب يقول: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾ [النحل:96]، ولسان الوهب يتلو: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:96] ولسان الوجود يقرأ ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[فاطر: 2]، فافهم.

قال سيدي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام:123] مفهومه وجعلنا مستضعفين صالحيها، ولكن من كبر بإجرامه رد [أمره] إلى صغار.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ [الأنعام:123]، ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ ﴾ [الأنعام:124] الآية، ومن استضعف لإيمانه فعاقبته التمكين وعلو شأنه ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:5] الآية فافهم .

السر ما لا يشهده إلا واجده فمن شهد سره فاعلم أنك أنت هو من حيث حصل لك ذلك الشهود، وهل المستفيد من حيث تحققه بها استفاده إلا صورة شيء مقيدة فإنا كلها من المستفيد إلى المفيد إنها في الحقيقة من المفيد لنفسه، إن العبد من مولاه عبد قوي من أنفسهم وما من الله إلا إليه فافهم، وليس يفهم عني غير إياي، والله أعلى وأعلم .

الروح فرد والجسم مثنى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد:8] مثنى للنظر ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد:9] مثنى للتلفظ، وأذنين مثنى للسمع، ومنخرين مثنى للشم، وسطح اللسان واللهاة مثنى للذوق، وكذلك باقي الأعضاء الآلية إلا القلب لاختصاصه بالروح على

---

(1) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 94).

أن الرأس مثناة في الإدراك ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النبأ: 8] فمن قام لله بروحانيته وجثمانيته فقد قام لله مثنى وفرادى واتعظ بالواحدة أي: واحدة فافهم.

الحقيقة المدركة لم يكمل أمرها إلا في الصورة الأدمية الإنسانية فلذلك كانت هذه الصورة مجمع شمل الموجودات كلها، وكانت هي الدليل الكامل على كل موجود، وعلى الوجود مجملاً ومفصلاً دلالة عيان وبيان، فإن صورة المراتب كلها متعينة في هذه الصورة، ولها البيان عن الكل فالأدمي الإنسان نسخة الوجود المطلق من موجوداته في المعاني والأعيان فافهم.

لما كان الواحد المجموعي المقصود تحققه علة غائية لأجزائه السابقة عليه سبق المفرد على المركب، وكان هو السابق عليها سبق المقصود من الشيء على ذلك الشيء، وكان الأدمي الإنساني هو الواحد المجموعي من مراتب الموجودات أجمع كان هو غايتها؛ لأنه المقصود بجمعها في صورته ليدل على الوجود المحيط بها جملة وتفصيلاً.

كما دلت تلك الأفراد الموجودة على أفراد معاني الوجود لا على جهة دلالة مجملة بل مفصلة، وغاية الشيء أصله وجوداً وفرعه شهوداً فالإنسان الأدمي هو غاية ما دونه من الموجودات، والله الرحمن الرحيم هو غاية الإنسان الأدمي؛ لأنه المقصود شهوده به كما أنه حقيقة وجوده «خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي»[1]، وهذا معنى قول الأصل لفرعه: «أنت مني» أي: أنت مني وجوداً «وأنا منك» أي: وأنا منك شهوداً، ومن حقق هذه الكلمة شهد الوحدة المكرمة بعين العلو والعظمة فافهم[2].

المرتبة الناطقة المجردة المعبر عنها بالعقل الحقيقي الممد لما دونه، وهو الذي روح الإدراك معنى تأثيره، وإمداده المعبر عنه بالأمر هذه هي المرتبة التي وجودها الذي هو ذاتها هو مسمى الحق المبين ذات الترتيب والأسماء.

وأيما عبد ظهر فيه الحق المبين بإحاطته هذه المرتبة، ولو من جهة من الجهات فهو الإنسان الكامل من حيثية إمكانية، والحق الشامل من حيثية وجوبه من تلك الجهة، وهو المتجلي بمرتبة الإلهية، وبمرتبة الرحمانية، وبمرتبة الرحيمية، وسائر مراتب الوجوب لمتنزل بأحكامها في مراتب الإمكان فيسمى في إمكانياته بأسماء الكمالات الإمكانية كرسول، ونبي،

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 466).

(2) قال المصنف في المسامع: «أنت مني وأنا منك» اتحاد في القبول والمقبول بوحدة الروح وصاحبها، ومعناه من حيث الإرادة والسيادة: أنت مني وجوداً وأنا منك شهوداً.

وولي وملك، وعقل، وروح، وما أشبه هذا، وفي واجبياته يتسمى بأسماء الكمالات الواجبية الله المشتق من الألوهية الرحمن الرحيم ونظائرها، وهو بإمكانه قيوم العبودية؛ فلذلك يتسمى بعبد، وهو بوجوبه قيوم الربوبية؛ فلذلك يتسمى برب ويقول: ربي بمعنى وجودي الواجب المتنزل في حيثي الممكن بحكم الربوبية ويقول: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم:30] أي: إني بإمكاني قائم بحكم العبودية لوجودي الواجب، وعلامة هذه التجليات التنزلات الرحيمية بالأمور الحكمية في كل مقام بحسبه فالرحمة عبارة عن مبدأ الحكمة، والحكمة عبارة عما به، وفيه صلاح النظام، وكمال القوام؛ فمن تجلى وجوبه بما هو لك رحمة وتنزل بما هو لك حكمة فهو ربك بواجبيته، ومربيك بإمكانيته فإن كان منه ذلك لدائرة نفسك فهو لك رب، حق، رحيم وولي مرشد بحكم رسلي، وإن كان منه ذلك لدائرة روحك، وما دونها فهو لك رب، حق، رحيم، رحمن، وولي، هاد بحكم نبوي رسلي، وإن كان منه ذلك لدائرة عقلك الناطق فما دونه فهو لك رب حق رحيم رحمن إله مسمى بالله المشتق من الألوهية، وولي مصرف بحكم ولائي نبوي رسلي، وذلك كله بالنسبة إليك وإلى أمثالك، ورب أصل هو فرع لأصل أكمل منه؛ فاعرف، والزم، واعرف كيف تكون بين يدي وليك وكيف تقوم بحق ربك تغنم، واعلم أن بالمحبة يتحقق المحب بالمحبوب فافهم.

من أحب صورة فهو فيها، وإن لم تظهر عليه، ومن كره صورة فهو معرى عنها، وإن تلبس بها ظاهره؛ لأن الباطن لا يتصور إلا بمحبوب، والعبرة بالباطن الحقيقة لا بالظاهر المجاز فافهم.

المدد من حيث القصد يأتي من قصد فافهم.

جاء في الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي»[1]، فمهما شهدته عليه من المشاهد أمدك من أفقه فهو لك حيث تشهد ومنزلك حيث أنزلته من نفسك فاشهد ما تحب، واعبدوا ما شئتم فافهم.

من أطلق تسمية وهو يشهد مدلولها حقاً فقد سمي باسم المسمى ومن لا فلا، فمن قال زيداً وأراد به عمراً متوهماً أن عمراً هو زيد، فهذا قال: زيداً لا زيد ولم يقل: زيداً زيداً؛ لأنه قال: زيداً عمراً بالقول الحقيقي المعبر عنه باللفظ فإذا قال: زيد وهو يعرف زيداً فأراد بزيد زيداً فقد قال: زيداً زيداً حقاً فمن هنا؛ فافهم.

---

(1) رواه أحمد (34/ 341)، وابن حبان (3/ 267).

ما جاء في الحديث المحمدي: «لا تقوم القيامة على أحد»[1].

وفي رواية: «وفي الأرض أحد يقول الله الله» أي: عارف «الله الله» حقًّا فوجود العارف بالحق بين الخلق أمان لهم من قيام القيامة ذات الأهوال عليهم فافهم.

ولي الله هو الذي هم له إلا الله؛ فلذلك لا خوف عليه؛ لأن الله لا يدركه خوف ولا يحزن؛ لأن الله لا يتعذر عليه مراد، ومن له هم ليس له هم سواه لا يخاف إلا من خوف يدرك همه، ولا يحزن إلا؛ لأن يفوت همه مراده، ألم تسمع كيف عقب قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:62] الآية بقوله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ أي: يا من ليس له هم إلا الله ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:139] أي: وإن قالوا ما قالوا، ومن اختص بالعزيز عز، ومن انقطع عمن له العزة جميعاً فلا معز له فافهم.

مهما انفردت به اتسع عليك فإنك تتصرف فيه كيف شئت لا ترقب في ذلك سواك؛ وما لا فلا، فهو ضيق حرج فافهم.

﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ ﴾ أي: نفس عبده الولي ﴿ وَٰسِعَةٌ ﴾ [الزمر:10] ليس لها تعلق بغير الله فلم يجعل الله فيها حكماً لغيره، فكلما طاف روحه في أركانها، وشاع نوره في مداركها وقال: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ لم يكن فيها سواه؛ فأجاب نفسه بتوحيده ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[غافر:16] فحسبك بهذه أرضاً قدسها ربها فهي له أرضي فافهم.

الرضا سر النعيم، وضده يضده فافهم.

كلمة كل مرتبة عينها، وتبديلها تغييرها بحيث لا تدل على معناها بل تدل على خلافه لغلبة حكم عارض بذلك الخلاف عليها و﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:34] فكن ولياً لله تكن عيناً من أعينه فلا تبدل فافهم.

انظر في القول المحمدي: «الله هو السيد»[2]، ثم في قوله «أنا سيد الناس يوم القيامة يوم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد»[3] يعني: نظام الختم الأعظم تعرف أن العارف المحب المرتبة كان كونه الظاهر في سواها، إنما يتحقق بعد تجرده عنها ظاهراً عياناً بالمرتبة التي كان متحققاً بها باطنه حباً وعرفاناً فيكون تأويل أوله تنزيل آخره.

---

(1) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (1/ 343).

(2) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (1/ 109)، بنحوه.

(3) رواه البخاري (3/ 1215)، ومسلم (1/ 184).

ومن هنا يظهر أن صاحب كل وقت ظاهره باطن صاحب الوقت الذي قبله؛ لأن الكل حقيقة واحدة ظهرت في كل وقت بالمعنى الذي في نظامه كمالات استعدادات ذلك الوقت من معانيها، وكل حاصل معد لواصل ذلك الحاصل في ضمنه فالحق المبين يتعين في كل وقت تعين متنزل بما فيه كمالات ذلك الوقت، وفي الذي بعده بما فيه كمالات الذي بعده وتكون تلك الكمالات الأولى بدايات، في الثانية فصاحب كل وقت متحقق بالحق المتعين به من حيث المعنى المحيط النظام بنظام ذلك المعنى الأول كما أن نظام الكلام أوسع من نظام القدرة، ونظام الإرادة أوسع من نظام الكلام ونظام العلم أوسع من نظام الإرادة، ونظام الرحمانية أوسع من نظام العلم ؛ لأنه عين جمع المعاني فلا يزال الأمر كما تقدم إلى أن يحصل التجلي في العين الخاتم الأعظم بالذات.

والتنزل بحكم ذلك فيظهر عين جمع الجمع مجملاً، ومفصلاً فهذا العين الوفوي هو بظاهره باطن سر البواطن من الكل، وهو غيب، وكما ظهرت حقائق الأعيان، والمعاني كلها في عين الختم المحمدي بالختم الرحيمي، وصرفهم هو بالحكم الرحماني كذلك تظهر الحقيقة المحمدية في العين الوفوي بالختم الرحماني، ويصرفها بالحكم الذاتي؛ فافهم.

التعين المعبر عنه بالوجود الزائد حكمه يرفع عن محله حكم الكثرة، ويصدق عليه بالوحدة فتصير الأشياء قبله شيئاً واحداً فانظر كيف الوجود وهو سر الوحدة فافهم.

إذا كان معبودك وجودك فلست تعبده إلا من حيث تراه مفارقاً لك بوصف ربوبيته فهو غيب عنك في حجاب شهود المفارقة، وإن كان هو وجودك حقًّا فمن ثم قال بعض العارفين: «ما عبد الله أحد إلا على غيبة».

لكن فتح لك الشرع الذوقي في الذوق الشرعي المحمدي باباً إلى الجمع بأن تشهد كل شيء من معبودك حتى عبوديتك فتراه هو الذي يجري تلك الأحكام عليك، ويقيمها فيك بقيوميته فتصير عند شهودك هذا تعبده، وكأنك تراه لأنك لو رأيته رأيته وجودك القائم بجميع صفاتك، وسمي اللسان المحمدي هذا الشهود مقام الإحسان، وليس بعده إلا مقام الإيقان وهو العيان فافهم، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ والله أعلى وأعلم .

قال قائل: متى يحل لي أن أمكن الخلق من تقبيل يدي ورجلي، أو ليس لي أن أمنع ذلك من أراد به الخير؟

قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه إذا صحبك من الحق ما صرت به كالحجر الأسود حافظاً لعهد الحق في الخلق لا تقصد إلا الله مطهراً من لوث تحكم الوهم البهيمي، فلا شهوة مفعلة، ولا حظوظ مسفلة، ولا رعونات مضللة، وتحمل خطاياهم لا تبالي أن

تسود، وتذكرهم بربهم فتيفض قلوبهم فأنت "يمين الرحمن" لهم في الأرض ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح:10] فافهم.

لكل موجود في الفرقان له معنى يتميز به عما سواه فهو صورته التي ليس كمثله فيها شيء، وآيته التي تدل على أنه واحد فافهم .

ألق نفسك بين يدي ربك حتي يؤدك من روح التقوى بعقله الفرقاني الذي هو القائم على كل نفس بما كسبت خذها ﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:42] فقد ملكها، وأمنك شرها، فقال لك: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه:21] إنما ظاهر روح نافخها لا منفوخة فيه فقل: شكراً ﴿ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ﴾ [المائدة:25] حيث اصطنعتني لنفسك وألقيت علي محبة منك، وصنعتني على عينك، وأرتقب ظهور وجودك بأوليته الإيمانية فافهم.

رُوِي أن السيد الكامل كان إذا لبس ثوباً طويلاً طالب قامته الشريفة حتى كافأت طول ذلك الثوب، وإذا لبس ثوباً قصيراً طال الثوب حتى التحق بطول قامته الشريفة .

فهذا إشارة إلى أنه لا يدخل في مقام محقق الكمال إلا كان كفواً له، وزيادة ولا يدخل حكمه مقام محتاج إلى الكمال إلا كمله وألحقه، ولا يكون هكذا إلا من هو كما جاء الوصف الحق :

ممكنٌ لكونٍ واجبٍ جامعُ العلمِ والحكمِ

لكل زمان واحد لا مثل له في علمه، وحكمته من أهل زمانه، ولا ممن هو في زمان سابق على زمانه إن سبقه زمان آخر، فلا طريق إلى وجده إلا الاستفادة منه، والأخذ بحسن القبول عنه، على صدق المحبة مع بلوغ الجهد في خدمته وتعظيم حرمته، فما من واحد زمان إلا وحاله قائل لتلامذته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110]؛ لأنهم أخذوا عن إمام لم يتقدمه مثله، ولم يعاصره نظيره، فإنما للمأموم حكم إمامه.

فإن قال لهم ذلك بلسانه فذلك منه حق وصدق، ومن قال ذلك لأتباعه غيره في زمانه فقد نازع الأمر أهلــه وادعي ما ليس له، وكذبه الحال فيما قال: ﴿ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾ فافهم.

وجه كل واحد زمان غيب عمن حصل في زمان تقدمه، وعمن عاصره إلا أشهدهم ذلك بكشفه وبيانه، [ومن ثم] فيما يقول لسان حال كل واحد زمان: لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل وجهي ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:88] ويقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران:179] الذي أطلعني عليه إلا أن يطلع من يشاء منكم على ما شاء منه بكشفي وبياني فافهم .

للنفس المدركة مددان من محسوسها الظاهر، ومدد من قدوسها الباطن، فورود المحسوس عليها تحت اختيارها لا أن اختيارها تحته إن اختارت أحسنه فقبلته فوصل إليها وإلا فلا، وورود المدد الباطن فوق اختيارها فإذا ورد لا تستطيع رده، وإذا امتنع لا تستطيع كسبه، وليس في هذا المدد الباطن إلا كمال وصف محض، إذ هو علمي محض، وأما الوهم والخيال التابع له فمن محل الحس متولدان، وهما به قائمان، ومن قبلهما يأتي النقص والكدر؛ فافهم .

من هو من الحق بحيث يقول عنه: «كنت سمعه الذي يسمع به»[1] .

فهو بحيث إذا سمع شيئاً قال الحق عن نفسه: إنه هو الذي سمع ذلك الشيء كما قال لحبيبه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ ﴾ [المجادلة:1].

وقال إذ سمع محبة أبو بكر الصديق ﷺ قول كفرة اليهود: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران:181]، ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: 181] فافهم.

الموانع عن مطالعة الغيوب هي أقفال القلوب ؛ مفتاحها مزينها بما هو لها حق؛ فالله تعالى يفتح أقفال القلوب بالحق الناطق الروح المبين علماً، وحكمه للطرائق والحقائق.

هذا هو الذي يجمع البين، ويقر بالفتح المبين العين ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ:26] فافهم .

جاء في الصحيح عن الحق تعالى أنه قال: « الكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قصمته»[2]، الرداء عند القوم عبارة عن الظهور بصفات الحق فعلى هذا يكون الكبرياء الظهور بصفات الحق؛ لأن الكبرياء في هذا الخبر مفسر بالرداء، ويكون المعنى على هذا من ظهر بصفاتي من العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، وباقي الصفات ثم نازع توحيدي فيه لا يرد ذلك بالحقيقة إليّ، ولا يقبل أمري المدلول عليه بشواهد قصمته.

وفي الحقيقة أن الكبرياء عبارة عن حكم التنزيه المقيد فمن نازع الحق في حكم التنزيه فادعاه لمرتبته العلمية أعني القابلة للعدم قصمه الحق، وخصمه بظهور شواهد بطلان دعواه عليه، وأن حكم التنزيه ليحجب المنزه عن عرفان من نزهه إذا أتاه فيما نزهه عنه ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (1/ 129).

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر:2]، فيقولون: «نعوذ بالله منك ما أنت ربنا» على أنه هو وما استعاذوا منه إلا به، ولكنهم محجوبون عنه بحجاب التنزيه لهم عما أتاهم فيه من مراتب التجلي، وهذا معنى قوله: «وما بين أهل الجنة، وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1].

لأنها دار المنزهين هذا التنزيه المقيد، أما التنزيه المطلق: وهو تجريد التوحيد من شرك يقابله، أو يشوبه الشهود الأحد أحداً لا شريك له مطلقاً، فهذا هو سر العيان الذي يستحيل معه الحجاب فافهم.

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 115]، والله أعلى وأعلم.

إنْ كنتَ تنظرُ في المراتـبِ صورتـي	فأنـا الـذي لي في شـهودكَ شـاهـدُ
وإذَا شـهـدتُ عـلىَ الحقيقـةِ ذاتـنَا	فأنَـا وأنـتَ هـناكَ شـيءٌ واحـدُ

فافهم.

قال الحق المحمدي: «القلب بيت الرب»[2].

وقال: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران: 96]، فاعرف بيت الرب من بيت الناس وتوجه إلى كل منهما بشرط وقم له بحقه واستقبله، واسلك إليه وطف حوله، وأدخله بما يناسبه منك فالجسم بالجسم، والقلب بالقلب، والروح بالروح، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

قال قائل: ما تقول في مريد ادعى أنه شهد في أستاذه ما يليق بكماله ثم أراد السفر عن حضرته لزيارة مكة لكونها البلد الحرام، أو لزيارة المدينة لكونها المشرفة بالبقعة التي فيها أعضاء بدن سيد الخلق أجمعين، أو لزيارة الأرض المقدسة لكونها أرض المحشر، وأثر أبدان أنبياء بني إسرائيل، فإذا قيل له في ذلك استدل على صحته بسفر عمر بن الخطاب ﷺ عن حضرة السيد الكامل إلى مكة لوفاء نذره؟ انتهى.

قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه، أول ما يشهد المريد الصادق في أستاذه الكامل الناطق من مشاهد كماله أنه حضرة الحق التي بها أرواح أئمة الهدى أجمعين بالنسبة إليه فكيف مع هذا يفارق تلك الحضرة لما دونها؟ كيف يشتغل عن بيت وضعه الحق لنفسه بيت

---

(1) رواه البخاري (4/ 1849)، ومسلم (1/ 163).

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 129).

وضعه للناس، أو عن مجالسة مظهر أرواح الأنبياء، والتلقي عنها مواجهة مشافهة بآثار أبدانهم وأفعالهم؟ أو كيف يخرج عن حضرة الحق سبحانه، ويحمده إلى أرض المحشر؟ وهل يدخل الناس أرض المحشر إلا كرهاً، وهل جلي لهم ذلك، وسهله إلا المرور منها إلى الجنة التي هي طريق الحضرة أو بابها.

وأما سفر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فإنما كان امتثالاً لأمر سيده عموماً حيث يقول: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ [الإنسان:7]، ثم لأمره له خصوصاً حيث قال: يا رسول إني نذرت في الجاهلية أن اعتكف في المسجد الحرام، قال: «أوف بنذرك» وحسبك إشارة إلى أنه لو كان يوم نذر يعرف السيد الكامل لم ينذر ما نذره قوله: إني نذرت في الجاهلية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ [النور:62]، فانظر مع الاستئذان والإذن في ذهابهم عن حضرته لبعض شأنهم، وهم الذين احتاجوا إليه كيف احتاجوا إلى الاستغفار لهم، ولم يكف فيه استغفارهم لأنفسهم، وأي مريد صادق لا يشهد أستاذه وارث الأنبياء فيعامله كما يعامل النبيين على أن «العلماء ورثة الأنبياء»[1] وأن كل ولي على قلب نبي، وأن الأستاذ عالم ولي، هيهات.

ليس لمريد صادق أن يفارق حضرة إمام هديته بالحق المبين، ولا أن يتصرف إلا حيث صرفه، ولا يقوم في شأن إلا بروح أمره، ونور ذكره خالصاً من شوائب تحكمات غيره، ومهما كان فيه فأمره، ونوره، وتصريفه، فإنما هو بين يديه، وفي حضرته حيث كان وكيف كان.

اللهم عافنا من كل علة، وطهرنا من كل دنس، وخلصنا واستخلصنا، وخذنا من كل شيء إليك، واجمعنا بك عليك وامح صفاتنا بأنوار صفاتك، ثم جردنا عن الكل بذاتك يا سيدي ومولاي آمين، يا وافي يا محيط، يا أحد يا شافي يا كافي وحسبك يا علي، وأما السائل عما تقدم فقد سمع الجواب فليفهم، والله أعلى وأعلم .

حمى الله محارمه اعلم أنه ليس لأحد أن يتعاطى شيئاً بلا إذن فيما حجره عليه غيره فلا يتعاطاه إلا ما ملكه الذي لا حجر عليه فيه فهو يحكم فيه ولا يحكم عليه.

فمن تصرف في شيء من المخلوقات بغير إذن ربه ومولاه الحق فهو عبد حجر بلسان حاله ربوبية ربه، وادعى الاستقلال بملك ذلك الشيء دون ربه، وكفى بذلك ظلماً وجهلاً، ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:13]، فمن كانت محارمه حماه تعالى الذي لا يدخل فيه إلا بإذنه إن أحل شيئاً بعد ما حرمه حل الدخول فيه وإلا فلا.

---

(1) رواه أبو داود (3/ 317)، والترمذي (5/ 48).

فإذن الله تعالى في الشيء لأئمة الهدى الآخذين عنه بلا واسطة هو إظهار وجه الحكمة لهم في ذلك الشيء فعلاً كان أو تركاً، وإذن الله تعالى في الشيء لمن يلزمه الائتمام بهؤلاء الأئمة هو رضاهما، ولا للأئمة بذلك الإذن إلا رضا الله ليس إلا فمهما رضوا به فقد أذن الله تعالى فيه للمأمومين وما لا فلا.

ومهما أظهر الله فيه وجه الحكمة للأئمة فقد أذن لهم فيه وما لا فلا فافهم، واعرف والزم تسلم وتغنم والله أعلى وأعلم.

جاء في الحديث: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[1] وإبراهيم ﷺ له دعوات كلها يمكن أن يكون المراد بها السيد الكامل: منها قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا﴾ [إبراهيم: 40]، فإنه سيد الناس كلهم، ومنها قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:100]، فإنه قال له ليلة الإسراء: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ومنها قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:129]، وهذا جلي.

ومنها قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء:84]، وقد قال له: أبلغ أمتك عني السلام، ومنها قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [البقرة:124] أي: أجعله للناس إماماً. ومن ثم ما جعل للناس كلهم إماما إلا للقول له: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:28]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:158]، يا أيها الناس إني إمامكم فلا تختلفوا عليَّ فافهم.

الموهوب ما لا يشترط إيجاده ولا حصوله الأسباب، وإن طلب كما قال الحق: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء:89، 90] الآية فانظر كيف هو موهوب مع أنه مطلوب هكذا قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:100، 101]، ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:112] كان إسحاق هو المطلوب؛ لأنه طلب موهوباً فصرح في إسحاق بأنه من الصالحين إيماء إلى أنه المطلوب ومع ذلك فهو موهوب قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنبياء:72]، وقوله بعد في حق إسماعيل ﷺ إنه قال لإبراهيم ﷺ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:12] دليل على أنه وجده مرة أخرى فهو موجود أولاً بالبشرى عند النداء وموجود ثانياً بتصديق الرؤيا عند الفداء فافهم.

من سأل الله مظهراً من مظاهره لم يسأله في الحقيقة غيره فافهم.

---

(1) رواه الطبري في تفسيره (1/ 556)، والطبراني في مسند الشاميين (2/ 340).

دعْ مَا عَداهُ وعدْ إليهِ وعلَيهِ ويكْشفُه مِنْ حالةِ المتوهمِ

فيه لف، ونشر مرتب إذا جعلنا الضمير في «إليه» عائداً إلى الموصول في قوله: «ما عداه» أي: ودع الذي عداه وعد إلى ذلك الذي عداه به، وعد بكشفه عن حاله المتوهم.

فعلى هذا يكون قد أمر بالرجوع بالمقصود إلى ما دونه بعد العروج إليه عما دونه مستعيذاً في رجوعه ذلك بكشف المقصود من حالة المتوهم.

كما قال الذي رجع إلى قومه بعد أن فر منهم إلى المقصود فظفر به: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر:27]، وقيل للفاتح الخاتم: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:56] فافهم.

العدم عبارة عن التجرد عن الحكم الإثباتي، والعدم المحض عبارة عن التجرد عن الحكم مطلقاً، والوجود عبارة عن الذات حال الحكم عليها، والحق المبين للكل وهو الوجود، وهو ذات العلم الذي لا يزيد على عالمه ولا معلومة فهو عالم بنفسه، وبما له من صفات لا تتناهى، وأفعاله كذلك وعلمه فعلي أعني يحقق معلومه، وليس هو متأخر التحقيق عن معلومه فهو وجود علمه ومعلوماته، فهو وجود نفسه وصفاته وأفعاله، وصورة معلومة من نفسه في علمه التفصيلي الذي هو صورة علمه في علمه الذاتي هو الوجود باعتبار ما هو ذات هذه الصورة مسمى الله، وصورة علمه بعلمه هو العقل الأول، ويسمى الوجود باعتبار ما هو ذات هذا العقل الرحمن، وصورة علمه بإرادته هو الروح الكلي، ويسمى الوجود باعتبار ما هو ذاته حياً، وصورة علمه بقدرته هو النفس الناطقة، ويسمى الوجود باعتبار ما هو ذاتها رحيماً، وصورة علمه بكلامه هو الطبيعة، ويسمى الوجود باعتبار ما هو ذاته قيوماً، وهذه الأصول هي التي عليها مدار الصفات كلها.

وصورة علمه بفعله هو الهيولي الكلي الذي باعتباره يسمى الذات الوجود بأسماء صفاته، ووجوده المضاف إلى حكم إمكانه وحدوثه فالوهم شأنها[1] وقضى الوجود من حيث هو ذاتها، وفيها يقع التغاير الذاتي حكماً لا ذاتاً إذ ليس بالذات إلا ذات واحد أحد فافهم.

ثم العقل شأنه العلم والعرفان، والروح شأنه الكشف والبيان، والنفس شأنها التمييز والخيال، والطبيعة شأنها الحس والحركة أعني: التشخيص والتنقل في الأطوار، وهذا نظام الوجود في كل موجود فما من موجود إلا وهو لوجوده الذي هو ذاته عقل عالم عارف، وروح كاشف مبين، ونفس مميز متخيل، وطبيعة حساسة متحركة في كل مرتبة بحسبها، والتعقل أم

---

(1) زيد في المطبوع: [قضايا الوجود].

كتاب ذلك كله، والكشف كتاب مبين، والخيال لوح محفوظ، والحس كتاب مسطور، والهيولي رق منشور ومكتوبات كل كتاب متعلقاته التي هي تجليات وجوده في شأنه الذي هو له علم ذاتي في مرتبته، وإن كان هو علم تفصيلي للوجود من حيث هو مسمى الله؛ فافهم.

فما من موجود إلا وهو ناظر في أم الكتاب، وكتابه المبين، ولوحه المحفوظ، وكتابه المسطور أبداً لكن الفرق بين الرجل النافذ وغيره أن الرجل النافذ يرى، وهو يعلم ما يرى فما يكذب فؤاده ما يرى، وغير الرجل النافذ يرى وهو لا يدري ما يرى فيكذب به أنه هو وهو يراه بعينه كما أنك ترى السلطان متنكراً فيعرفه خاصته حال تنكره، فيستوي شهودهم له في تعرفه، وفي تنكره ويقرون به له ولا ينكرونه، وأما غيرهم فإنه ينكره، وربما تجاهى عليه بالسلطان فاستكبر عليه به، وهو لا يشعر.

كما جاء في الصحيح: «فيأتيهم الله في صورته فيقولون: نعوذ بالله منك ما أنت ربنا فيتحول لهم في صورة يعرفونه بها فيقولون: أنت ربنا»[1] فافهم.

فإذا فهمت أن كل موجود متخيل ناظر بتمييزه في عالم خياله علمت أن كل موجود ناظر في اللوح ولكن ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:43]، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:35] قد غلب عليه حكم الرحمن فلم يشغله شأن عن شأن فافهم.

واعلم أن من غلب عليه شأن مرتبة من هذه المراتب حتى قامت باقي مراتبه بحكمها فسائر مراتبه حينئذ إنما هي مظاهر تلك المرتبة الغالبة وتمثلاتها وصور تحولاتها.

ومن هنا يقال في عيسى عليه السلام إنه صورة العلم المسمى بالابن في مصطلح النصارى؛ لأن حكم المرتبة العلمية كان غالباً عندهم على باقي مراتبه.

ولعمري إن العلم كان غالب الحكم عليه لكن في دائرة الحياة لا في دائرة العلم؛ ولذلك كان شأنه كله إرادياً، وهذا هو الكشف المحمدي لأمره حيث يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:171]، فجمع له بين الكلمة العلمية والروح الإرادية، وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: 17]، فالروح هو الذي غلب بحكمه العلمي على النسمة الكائنة من مريم فكان بها متمثلاً.

ولذلك قال: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾[النساء:157]؛ لأن الغالب عليه المتمثل به صورة الحياة فالقتل عليه محال، وإن وقع على النسمة المتمثل بها حكم من الأحكام اللائقة بعللها فذلك لا يؤثر في المتمثل بها تغيراً أصلاً؛ لأن ما بالذات لا يزول بالعرض حقيقة، وإنما توارى بحكم

(1) رواه البخاري (5/ 2403)، ومسلم (1/ 164).

آخر يخالفه فذلك بالنسبة إلى من لا يدرك منه إلا ذلك الحكم الذي توارى به.

وربما يقول هذا: فكيف صح أن موسى فقأ عين ملك الموت فرجع إلى ربه فردها عليه؟ قلت: هذا الملك روح طبيعي تمثل في صورة طبيعية فلم يبعد عنه ذلك؛ لأنه من عالمه ولو لم يكن طبيعيًا لكان الفقأ لم يقع إلا في المثال فقط ثم تمثل بمثال آخر، وأبدل مكان العين المفقوءة عيناً سليمة كما أنشأ التمثل بلى العين أولاً، وما ذلك بغريب عند عارفه. واعلم أن كشف محمد ﷺ لحقائق من تقدمه، وما كانوا عليه ناطق بأنه سيد الكل وتمثله المحيط بهم ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [آل عمران:60]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ● فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الواقعة:95، 96]، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التغابن:11]، ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت: 54]، وهوهو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو .

الحق عبارة عن الوجود الثابت على مرتبته فوجود العقل، والروح، والنفس، والطبيعة، والهيولي حق؛ لأنه ثابت في كل مراتبه هذه على حكمها لا يتبدل ولا ينقطع، وإنما هو بالعقل عالم عارف أبداً، وبالروح كاشف مبين أبداً، وبالنفس مميز متخيل أبداً، وبالطبيعة حساس متحرك أبداً، وبالهيولي قالب متحكم أبداً فما ثم إلا الحق بالحقيقة، وإن حصل البطلان فبالنسبة إلى بطون حكم مرتبة عن إدراك مرتبة بظهورها في ضمن حكم مرتبة أخرى بحيث لا ينكشف في ذلك الإدراك من تلك المرتبة إلا الحكم الذي ظهرت به فيه، فحجب عنه حكمها هي لذاتها فصارت بذلك باطنة عنه.

وكذلك إذا انكشفت بحكمها هي في إدراكه بعد ما احتجبت عنه بغيرها، فظهرت له بعد ما بطنت عنه، ويكون بهذه النسبة الاعتبارية بطلاناً اعتبارياً من حيث إنه ظهر بعد أن كان باطناً، وبطن بعد أن كان ظاهراً فلم يثبت وجوده على مرتبة بالنسبة إلى ما بطن عنه فظهر له متعاقباً، وأما من حيث ذاته فهو الحق؛ لأن ذلك البطون والظهور المتعاقب حكمه في مرتبة التي هي الطبيعة فهو به قائم بحكم مرتبته ثابت عليها في قوابل حكمها لا متغير ولا متبدل فافهم.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الحج: 62] بحسب الحكم الإمكاني الهيولاني ﴿ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [الحج: 62] ظهوراً وبطوناً بحكم المرتبة الطبيعية ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ في جميع مراتبه على الإطلاق﴿ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:62]، فهو الوجود الذات وجميع المراتب به موجودات ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[التغابن:11]، ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت: 54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو .

قال لي قائل: ما معنى قول هؤلاء الصوفية أن الحق ذات كل شيء، وأن المحدثات

أسماؤه ؟ فأتى البيان على لساني بحسب ما علمه الحق أدل به، فقلت له: معنى قولهم: «الحق ذات كل شيء أن كل شيء» لا يقيمه، ويوجده، ويحققه إلا الحق؛ لأن الذات هي المقومة المحققة للعرض.

ولما كان الحق من المحدثات بهذه المنزلة هو قيومها الذي لا قيام لها دونه أطلقوا عليه ذاتها، وإما أنها أسماؤه؛ فلأنها دالة عليه دلالة لازمة ذاتية لها كما هو دلالة المفعول على فاعله والأثر على مؤثره، والاسم ما دل بذاته على ما وضع له فمن ثم سموا المحدثات أسماءً لقيومها الذي أوجدها.

ففهم ذلك ورجع به عن فحش إنكاره فعلمت أن الحق أقامه تحت حكم مرتبة الغيرة، وجعل الغالب عليه حكم إمكانه، وأراد به خيراً في عالمه حيث يسر له على لساني ما نقله به من ظلمة الإعراض عما هو أعلى من عالمه إلى نور الإقبال عليه، ولو بالإمساك عن الحكم ببطلان معناه فإنه لا يرجع بعد قبول ما قلته ينكر أن أنكر الإطلاق هذا اللفظ[1] ويسامح في جوازه مع اعترافه بصحة معناه، وهذا قريب فافهم.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، وهو حكم صورته الروحانية المجردة ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ ﴾ بالتعلق ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين:5]، وهي غلبات صورته الكائنة الفاسدة فافهم.

«خلقت كل شيء من أجلك» مصداقه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:13].

«وخلقتك من أجلي»[2] مصداقه: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه:41]، وكل شيء هو بذاته يطلب غايته التي وجد لأجلها فالعالم كله بذاته يطلب الإنسان الذي هو إنسان مخلوق على صورة الرحمن، وهذا الإنسان بذاته يطلب الله الرحمن فإذا أردت أن ينقاد لك العالم بلا كلفة فكن إنساناً، وعلامة كونك إنساناً.

ألا تجد لك طلباً ذاتيًّا إلا الله الرحمن، وأثر هذا فيك تعلق همتك بأسباب تحققك به على قدر مقامك، وتجرد همتك عن التعلق بموانع ذلك والعوائق عنه، والتحقق تارة يكون في المعاملة وهو ألا تعمل إلا ما أمرك به، وتستطيع ذلك بألا تعمل مباحاً إلا عند الضرورة إليه،

---

(1) زيد في المطبوع: [عليه، ولو بالإمساك عن الحكم ببطلان معناه فإنه لا يرجع بعد قبول ما قلته له ينكر إن أنكر إلا إطلاق هذا اللفظ].

(2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 466).

ولا تأخذ منه إلا قدر الكفاية فإنه حينئذٍ يكون مأموراً به، وبأن تنوي بكل ما تتعاطاه النشاط، والقوة على الطاعة والعمل برخصة ربك قبولاً لصدقته وامتثالاً لإباحته ففي كل هذه المواطن تكون عاملاً ما أمرت به متحققاً بربك في المعاملة، وهذه مواطن المأمومين، ومقام آخر في المعاملة، وهو مقام الأئمة، وهو إتباع حكمة الحق في الخلق، وتارة يكون التحقق في الشهود بأن تشهد في كل أثر مؤثرة من حيث المعنى الذي هو مصدر ذلك الأثر فتشهد في الأكل، والشرب، والكفاية، والمأوى توحيد المطعم الشافي الكافي المؤوي.

كما نبه عليه السيد الكامل بقوله: «الحمد لله الذي أطعمني، وسقاني، وكفاني، وآواني، وكم ممن لا كافي له، ولا مؤوي له»[1] أي: كم من عمي عن ذلك فلا يشهده، وحجب عنه فلا يدركه، وهكذا يشهد في لذة الجماع سر التوحيد المؤلف المحبب الخالق المصور المكون، وأمثال ذلك بحسب ما يفتح على بصيرته، والتحقق تارة يكون في الوجود، وهو مقام المتجردين عن غلبات الحجب، وقيود المراتب كل بحسب مقامه، فتارة يرى ذلك من حيث التوحيد الفعلي، وهو أن لا فاعل سوى ربه ولا موجد غيره، وأن تأثير الوسائط وهم لا حقيقة له.

وتارة يرى ذلك من حيث التوحيد الوصفي، وهو أن صفات الخلق ظلال مستعارة من صفات الحق ورقائق وهمية من تلك الحقائق العلمية، وتارة يرى ذلك من حيث التوحيد الوجودي الذاتي فيستحيل عليه القسمة في الوجود، والتعدد في الذوات، وهذا غاية التحققات إذا تم وهو لا يتم إلا حيث أوجب حفظ المراتب على أحكامها، والقيومية بما فيه صلاح نظامها فيؤتي كل ذي فضل فضله الذي يقتضيه له الوجود من حيث هو الوجود الفرقاني، ويؤتي من هذه الحيثية كل ذي حق حقه، وما يقتضيه الوجود لموجوده، ولا يتوقف إلا على ما اقتضى توقفه عليه فافهم.

واعرف والزم وقف عند ما حد لك ربك فلم يظهر فيك حملاً لأكثر منه فهو أسلم، واعمل على شاكلة إدراكك الرباني فهو أحكم، واصدق في محبة من شئت فإنك به تتحقق وفي صورته ترسم، واجعل حبك للأحد الذاتي، وتحقق به على قدر صدقك من حيث أحببته فتغنم كل مغنم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[التغابن: 11]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴾ [النساء: 126]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

رأيت في المنام يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة سنة ثمانية وتسعين وسبعمائة أنني بين نسوة فأرادت إحداهن أن تواخيني، كما يفعل المتفقرون الذي يؤاخون النساء بالعهد على

---

(1) رواه الترمذي (5/ 470)، وأحمد (3/ 153).

زعمهم، فأبيت ذلك فألحت عليّ، وأنا أشد الامتناع من ذلك، فقالت لها أخرى: «امشي إنني عاهدني فلان الرفاعي حتى تجيء يوم القيامة مع الرفاعية»، وجعلت تريد أن تميل قلبها عن محبة بيت سيدي إلى محبة الرفاعية، وهي لا تلتفت إلى كلامها فلما رأيتها ثابتة على التوجه لا تلوي على لائمتها أردت أن تزيد ثباتاً على الحق، فقلت لتلك اللائمة: اسمعي الحق أقول لو رضيت أن أُخيها، وأعاهدها لأتت يوم القيامة مع الذين معي، ويدي هذه في يد محمد رسول الله خاتم النبيين حتى تدخل في حضرة الله على الله بلا حجاب، ولا واسطة وليس هذا لأحد من الأولياء غيري، ولا لأحد من أصحاب الأولياء سوى أصحابي فصارت تلك المرأة التي سألتني المعاهدة رجلاً، وأقبلت عليها أربيها بالقال المصحوب بالحال، فقلت لها: رؤية العار غنيمة الحياة، ودخل عارف مع قوم ناسكين فيهم مريد طالب على أناس عكوفاً على ما قدر عليهم، فجعل كل من الناسكين يبدي وجهاً من وجوه قبح ما أولئك الناس فيهم، والعارف ساكت فقال المريد للعارف: ما ترى في حال هؤلاء الناس يا سيدي؟ فقال العارف: أراهم قد شغلهم نظرهم إلى حسن معاملة الحق لهم عن رؤية قبح معاملتهم لنفوسهم، فقال المريد للعارف: لا أفارقك فإنك مرادي الذي كنت أطلبه، وقد فتح الله بكلمتك هذه قفل قلبي.

ثم قلت: بيان الحق من أهله هو من جليل نعمة الله على عباده فمن جحده وأضاعه فهو كافر، ومن قبله وأذاعه بالعلم بمقتضاه فهو مؤمن شاكر، والله أعلى وأعلم.

سألت سيدي: لو سكت الناس عن الخوض فيما غيب عن إدراكهم حقيقته أما كان أولى بهم؟

قال سيدي: حركت دعاويهم للخوض في ذلك قصد أن يظهر لهم علم، فظهر أنهم لا يعلمون شهادة، ويثبتون قول الحق ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النور:19]، فاستشهدهم على صدق خبره بصدقهم لضده، وذلك هو الإتيان لمراده طوعاً بالاختيار وكرهاً بشهادته على ضد مقصودهم الذي اختاروه فافهم والله أعلى وأعلم.

الحروف: هي معاني النفس الناطقة تتمثل بصورة الأنفاس، والأصوات الحاصلة في مقاطع الحروف، وتنفصل بالتلفظ تارة، وبالكتابة أخرى فتصل من أبواب الحس الذي ترد عليه إلى منتهى تلك الأبواب، ثم تتروحن تلك الصور وتتلطف بخاصية ذلك المنتهى، وتنفذ إلى محل النظر والتمييز من نفس ذلك الحس فتملي في ذلك المحل ما يناسبه من متعلقاتها، فتارة يكمل موردها أعني: النفس المدركة التي وردت عليها بكمال مصدرها أعني: النفس الناطقة التي هي معانيها، وتارة تتكمل هي بكمال موردها إذا كان أكمل من مصدرها حكماً، وأحيط علماً فما الحروف اللفظية، والخطية إلا تمثلات معاني روحانية، وملكات ملكية مثلى

أي اثنين في اثنين، وثلاث أي: ثلاثاً في ثلاث، ورباع أي: أربعة في أربعة تلك تسعة وعشرون حرفاً، ومن كشف عالم النفس الناطقة شهد هذه الأنوار قائمة بهذه الحروف، وأظهرت له بمشاهدتها ما فيه استعداد لشهوده مما انطوت عليه من المتعلقات فعلم من كل ما عبر عنه، أو يعبر عنه ما شهده، فإن هذه الأنوار هي أمهات كتب المعاني التي يعبر عنها.

ولتعلم أنه لا يعبر إلا عما أحاط به الخيال فقط، لا يمكن للعبارة أن تؤدي ما فوق ذلك فافهم، وإنما يعبر عن سائر المعلومات من حيث مثالاتها الخيالية ليس إلا؛ ولهذا لا يمكن الإفصاح العباري عما لا يقيده الخيال أيضاً إلا من حيث قيده الخيال فانظر كيف إذا وصلت العبارة إلى مثل هذا لزم من إثبات معناها نعته، ومن نعته ثبوته إعلاماً بأن العبارة لا تسع إلا مثالاً خيالياً فلا تطلب منها تحقيق مجرد في تجريده فاعرف والزم تغنم والله أعلى وأعلم.

شأن الذات الإطلاق لذاتها، وتساوي النسب لصفاتها فمن ثم لا يشعر موجود بإطلاق إلا كان بذاته أحن إليه من التقييد حتى إن النفس الناطقة لا تريد أن تكون مقاطع كلماتها كلها إلا مطلقة، وهي إلى ذلك أميل منها إلى الوقوف على نون التنوين بالجزم؛ وذلك لأن الإطلاق شأن ذاتي، فكل ذي ذات يحن بذاته إليه في كل مرتبة بحسبها، ويذكره الوقوف على الإطلاق بأن مقام الإطلاق وقفته ومنتهاه، فيبتهج لذلك وانظر كيف الألف المطلق الذي هو ذات سائر الحروف إنما هو نفس مطلق، الإطلاق ذاتي له فيظهر به مع المد حيث وقع فمن ختم به كان أوله آخره.

وأما المناسبات فلا توجد في شيء إلا صبا إليها مدركها لما تقدم، ومن ثم كان الكلام المؤلف ألذ للنفس من الحروف المقطعة، والمنظوم ألذ من المنثور، والمقفى ألذ من غيره، والموزون ألذ من غيره، والملحن ألذ من غيره، والملحن بألحان موزونة متناسبة ألذ من غيره، والمقول على المزمار ملحناً ألذ من غيره لما فيه من التناسب، والإطلاق الذي في المزمار. ولهذا إذا وصل المقول إلى هذا الحد اشتد ذكر النفس المدركة له لأوليتها من شأنها الذاتي الإطلاقي، وتساوي نسبها الصفاتية حيث لا غير بغير، ولا وهم ينفر، ولا حكم لصفاء الكمال يكدر فتهم النفس بالفرار بجسمها من أقطار السماوات والأرض لتفارق حكم عالم الكثافة، والغير إلى حكم عالم اللطافة، ومحض الخير ويمنعها الخير، ويمنعها حكم كونها الترابي [الجسمي]، فيحصل الرقص والتردد، وربما صحبه حسرة على عدم الخلو من العوائق عن ذلك فيثور هناك عويل، ولطم، وبكاء، وعنف في الحركة، وتمزيق أثواب وجلد، وربما قوي حال النفس عليها ففارقت بدنها المعاق، وحصل الموت، وربما غاب العقل في معنى ما فهمه من تلك

المناسبات ففارق النفس فحصل شبه الجنوب في التدبير البدني لغيبة العقل المدبر عن النفس المتعلقة بالبدن.

وهكذا يحصل الميل إلى تناسب جميع الأوضاع، وكلما كانت النفس عند إدراكها للإطلاقات والتناسبات ألطف مادة بدنية وأصفى مزاجاً، وأنفذ فهماً، وذوقاً، وأفرغ من العلائق الكثيفة بالاً، وكذلك العقل عند إدراكه كانت لذلك أشد انفعالاً، وأسرع طرباً، وأعظم تأثراً.

وهذه الكورة من عالم الخيال تسمى دائرة التناسب، والعالم الموزون فيها مدينة تناسب الأعضاء، ومنها تنزل أرواح حسن التخطيط في المواد، ومدينة تناسب الأقوال، ومنها تنزل أرواح تحسين اللفظ، وعلم المعاني، والبيان، والبديع كل من هذه المدينة، ومدينة تناسب الأصوات، ومنها تتنزل أرواح حسن الأصوات المسماة بالألحان، وعلم الموسيقات روى من هذه المدينة، ومدينة تناسب الحركات، ومنها تتنزل أرواح تحسن الحركات وأوزان الأذواق، وعلم الفيض كله من هذه المدينة، ومدينة تناسب المقادير، ومنه تتنزل أرواح حسن المقادير، ومن هذه المدينة علم الميزان، وكذلك علم الحساب والهندسة من هذه المدينة.

وبالجملة فكل مدينة تناسب خاص في هذه الدائرة خطة تخصها، إذا اجتمع أهلها مع أهل الخطة القريبة إليها عظم تأثيرها.

ألا ترى أن الصوت الحسن مؤثر في الجملة فإذا اجتمع مع القول الحسن قوي تأثيره فإذا كان مع ذلك من الشكل الحسن صار تأثيره أقوى، فإذا كان ذلك من تناسب حالي بين القائل والسامع كان التأثير أعظم؛ ولذلك آثر الصوفية أن يكون حاديهم منهم، وكرهوا أن يسمعوا حديث الحب إلا من محب، والشوق إلا من مشتاق، وترى أسامع ممن يحبه ويألفه أعظم انفعالاً لما يسمع منه من سمعه له ممن لا يحبه ولا يألفه مثله، وما ذاك كله إلا لما ذكرناه من تعاون عوالم التناسبات على ما النفس تحن إليه بالذات من تساوي نسب الصفات.

وهذا الإطلاق الذاتي والتساوي الصفاتي من شأن الحكم الهيولاني في عالم الكون والفساد أن يمنع النفس المقيدة بحكم ذلك الكون من تحققه لإشغال ذلك الحكم لها عن كشف حقيقتها فلا تشعر نفس ناطقة مدركه متعلقة بهذا الكون بذلك الإطلاق والتساوي إلا في حال أخذه عن ذلك التعلق.

ولذلك لا تشعر به إلا ويظهر في نظام الجسم تغير لغيبة النفس المديرة له وشغلها عنه، ومهما أطربك من المقولات المنثورة يفهمك شيئاً من معناه كطربك عند إدراك المتناسبات، وأنت مستكمل شرائط انفعالك لها فاعلم أن ذلك الذي طربت له من المعاني العلية الأولية

التي شأن مراتب الكون والفساد أن تحجبه عن المدارك المقيدة بها فافهم.

وكنّا لحناً في البيان بلحننا   فأعجم عنّا الآنَ مَا عنهُ أعربنا

وقال بعضهم أعني بعض الفلاسفة المتألهين: الغناء فضيلة في المنطق أشكلت على النفس فقصرت عن تبيينها فأبرزتها لحوناً، وأثارت بها شجوناً، وأضمرت في غضونها فتوناً وفتوناً.

وقال أيضاً: الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما أن لذة الأكل والشرب شيء يخص الجسم دون النفس، فانظر إلى هذا الحكيم الفيلسوف كيف شعر بمقدمات ما أشرنا إليه فيما تقدم، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، ومن اطلع على سر ما ذكرناه علم نطق الطير وغيره من المصوتات، ولم يتقيد طربه بشيء دون شيء من المتناسبات فإن نفذ لم ير إلا متناسبات فالكل عنده مطربات بل مبهجات؛ لتجرده بالحقيقة، والتحقيق عن الأحكام العارضات، وتحققه في كشف وإدراكه بما هو عليه من الكمالات بالوجود والذات، فاعرف والزم تغنم كل مغتنم والله أعلى وأعلم.

فلَا أبصرتْ عينٌ سوَى حسنِ وجههَا
ولَا اسمعتْ مِنْ غيرِ ألفاظهَا أذنَا

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[التغابن:11] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ بنفوس متوجهة ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ بأن أفاض على كل قائل صدق مقول حق ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ [البقرة:124] تفسير للسر فيما سبق، وهو إمامته في المقول لهم ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة:125] تجرده للحق ﴿حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:67]، ﴿مُصَلّٗى﴾ [البقرة:125] مقام صلة بين العبودية والربوبية ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ [الحج:77] ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الحج: 78]،﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ﴾[البقرة:125]. لقلب بيت الرب والإمام الهادي شأنه تطهير قلوب المريدين ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة:125] على مظاهر الحق ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ﴾ [الطور:24] ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة:125] أي: بالقسط ﴿وَيُقۡسِمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:224] ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:125] بالاقتراب الإيماني ﴿وَ﴾ الحسي وذلك ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:125] أي: قلب ترد عليه الخواطر والواردات الفرقية، وكان ما صنعه الإمامان أن جعل تطهير بيت مكه ضربه مثل من تطهير فعلها في

القلب، وانظر كيف احتاج بيت الرب الكوني والمعنوي إلى أئمة الهدي أن يرفعوا القواعد منه، وأن يطهروه ويودعوه آياته التي بها يشرف ويستقبل عند التوجه إلى ربه ويكون ﴿حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص:57]، فهو رزق لدني لأهله وأهل كل ولي من جاءه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:84] من الحظوظ والشهوات البهيمية.

ألا ترى أن أهل العروس ليس إلا من لا ينظرون إليها بشهوة بهيمية، إما والد، أو أخ، أو عم لا يتأتى منهم النظر إليها بشهوة بهيمية، وأما الزوج فإنما ينظر إليها بإرادة أمرية لا بشهوة بهيمية، وقد نهيت النساء عن إظهار وجوههن وظهورهن بحيث يعلم ما يخفين من زينتهن إلا لقرابة أو ﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ أي: الشهوة البهيمية ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ وفي معناه الطفل ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور:31] وهم أمثال الضعفاء العقول المقلدين بالتصميم لأهل النظر القاصر عن إدراك الحقائق.

فهكذا أيما مريد جاء إلى حضرة أستاذه بالصدق لله الحق الذي ليس له منتهى، ولا وراءه مرمى لمن رمى فذلك المريد أهل ذلك الأستاذ، وعليه ينكشف أستاذه، وتتجلى أسراره وأنواره، وعلامة صدقه في ذلك ألا يتغير عن صدق إرادته بفقده ما سوى الله مولاه الحق؛ لأنه ليس وراءه له مرمى يرومه فيتغير لفقده، ولا وجد ما عسى أن يجد من الحق[1]؛ لأنه ليس له منتهى فتنقطع عنه إرادته فمن جاء لإمام هدى هذا المجيء فهو أهل بيته كما قال ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»[2].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ القلبي ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ من نجس الشرك في المحبة بطهور إخلاصها لمولى واحد ﴿تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:33]، ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة:126]، فعين أهل البيت ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:34] فافهم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، فهو قريب من قربهما ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:127] هكذا لما تقربت امرأة عمران بخادمة الرب التي هي أهل بيت محمدي قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: 35]، فجعلت قربتها واجبة بالنذر «وما تقرب إلى الرب متقرب بأحب إليه مما افترض عليه»[3]، ﴿يُوفُونَ

---

(1) زيد في المطبوع: [لأنه ليس وراءه له مرمى يرومه فيتغير لفقده، ولا يوجد ما عسى أن يجد من الحق].

(2) رواه الطبري في تفسيره (21/ 133)، والطبراني في «الكبير» (6/ 212).

(3) سبق تخريجه.

بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:7] ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35].

وقد كان نذرها ولدها لربها من مشكاة قربان إبراهيم ﷺ ولده الحليم، وصارت كلمته باقية في عقبة المحسنين ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ [الصافات:113] يعبد ربه على المشاهدة والإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه»[1].

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات:104، 105]، فكان التسليم هو حقيقة الذبح المعنوي المشار إليه بقوله: «موتوا قبل أن تموتوا، إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[2] وبه صدقت رؤية الذبح.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:121] الشهداء المأخوذون من أحكام النفوس، وحجابياتها قد رفع عنهم التمحيص حجب وجه التخصيص، وسلمت لهم حقائقهم من تحقيقاتها العلمية بخلاف عبيد الوهم البهيم، فإن نور الكشف العلمي يمحق وجودهم الوهمي ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:141]، ومن فني في الله كان بقاؤه بالله ومن بذل نفسه لله كان خلفه على الله.

ولذلك قال: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:121] أي: كذلك الوهب الإبراهيمي والسليلي المراد الإسماعيلي نجزي المحسنين، كما قال: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»[3].

وانظر كيف لما كانت مريم عرشاً محمديًا جرت عليها هذه السنة بنذرها فنذرتها أمها، وتقبلها ربها، وجردها عن رؤية غيره، وقصر نظرها على وجهة الرحماني، فقال لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:26]، وفي هذا أيضاً سر وهو أن المريد الصادق إذا علم أن أستاذه حق رحماني أحدي ناطق يجرده عن حجب المغايرة إلى شهود الأحدية، فرآه أحداً معرفاً للأحد موجوداً الوجود الأحدي في حجاب بشري كان من كمال إرادته أن يشهد ذلك الأستاذ من حيث وجهة لا من حيث حجابه، فإذا كلمه يعلم أنه حينئذٍ كليم الرحمان، لا كليم البشر، وإذا عامله فليعمل على تلك الشاكلة، فهذه حقيقة الرحمان لا كليم البشر، وإذا عامله فليعمل على تلك الشاكلة، فهذه حقيقة ما

(1) رواه البخاري (1/ 27)، ومسلم (1/ 37).

(2) سبق تخريجه.

(3) رواه البخاري (5/ 2215)، ومسلم (2/ 807).

أمرت به المقبولة المتقبلة بقبول حسن أنها لا تعمل كفيلها كأحد من البشر والروح المتمثل ﴿ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم:17]، فإنه أخذ من البشر والكون المحمدي الذي حضرة من حضرة خدمته في مظهرية عائشة وخديجة؛ لأن ما لأحد من البشر إلا معاملة العبد ربه الرحمن ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾، فتشهدين وجه الأحدية في مظاهر الكثرة فاصملي على شاكلة شهودك هذا وقولي: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ صاحب أحدية الجمع، وجمع أحدية الكثرة ﴿ صَوْمًا ﴾ إمساكاً « والصوم لي وأنا أجزي به »[1].

فنذرت ذلك ثم قالت: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم:26]، فلم يخل ذلك بنذرها؛ لأنها لم تكلم إلا الرحمن في شهودها. ومن هنا قال بعض القوم: « لي ثلاثون عاماً أكلم الحق، والناس يحسبون أني أكلمهم » فافهم.

اطلب من نفسك الصدق في معرفة وجوه خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنل منهم ما تريد، ولا تطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك، وتهمل أنت أمر نفسك فإن ذلك تعرض لتأثير الغيرة الإلهية مع قلة الجدوى، وانظر كيف قد ورد أن الممحصين بالعذاب يوم القيامة إذا أريد خلاصهم ألهم كل منهم أن يقول: «وامحمداً» فما نادى كل منهم إلا الصورة المحمدية الإيمانية التي كتب الله في قلبه ما جاءه الخلاص والمدد إلا مما لديه فافهم.

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ [آل عمران:97]، فرض حج البيت سنة ست من الهجرة على الصحيح، وعدد أحرف هذه الآية بالجمل الكبيرة 83 وهي: اثنان وعشرون حرفاً هكذا (و ل ل ه ع ل ي ا ل ن ا س ح ج ا ل ب ي ت)، وإذا ضممت الست السنين المتقدمة على نزول فرض الحج من الهجرة إلى هذا العدد كان ثمانمائة وتسعة أعوام من الهجرة، وفي سنة تسع وثمانمائة يحج المهدي أول حجة بالناس البيت، ويكون حجاً لله عظيم الموقع إن شاء الله تعالى فافهم.

﴿ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت:48] اليمين القوة الخط رسم العلوم أي: ولا ترسمه في المدارك بقوتك أي: لا تقل لهم إنه كلام وجودك المتكلم به؛ لأنك لو قلت لهم ذلك دللتهم على حقيقة الهدى ﴿ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف:57] فافهم.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ [الأعراف:187] أي: عن روح بيان بواطن الظواهر الذي هو ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾[الطارق:9]، ﴿ أَيَّانَ ﴾ متى ﴿ مُرْسَاهَا ﴾ [الأعراف:187] مستقرها أي: متى يظهر مستقر هذا الروح، وهو خاتم المهديين ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾، أي: الرحمن ﴿ لَا

---

(1) رواه البخاري (5/ 2215)، ومسلم (2/ 807).

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: صارت السماوات والأرض بهادة الصورة التي يظهر بها هذا المبشر به مثقلة كالحامل المثقل التي يقال: تلد اليوم، تلد غداً ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:187]، كما قال عن المهدي: «إن الله تعالى يصلح له الشأن في ليلة واحدة؛ فلا يظهر إلا بغتة»[1].

وفيه أيضاً إشارة إلى أنه يحصل بالقرب من ظهوره تغيرات، وفتن وصرخات سماوية، وأرضية كالذي يحصل للحامل عند الولادة من الاضطرابات، وأمر المخاض ثم إذا ظهر يأتي البشر والفرح، وينعم الناس بل العالم كله نعمة ما نعم مثلها قط، وتنزل السماء بركاتها، وتخرج الأرض مياهها وخيراتها، وتنزع الشحناء، والبغضاء من النفوس، وينزع الغل والحقد من الصدور، ويكون الناس على قلب واحد فالعلم يومئذٍ دار سلام لا يقبل من أحد فيه إلا الإسلام لربه الذي أشرقه بنوره فافهم.

جاء في الحديث: «إن الله خلق الأجسام في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل»[2] معنى كون الأجسام ظلمة أنها مراتب إبهام وإيهام فشأنها من حيث جرمانيتها الوهم البهيم، والنور المرشوش عليها هو الروح الناطق العليم، الحكيم من تجلي الوجود الرحمن، الرحيم، فالأجسام على هذه الأرواح المرشوشة على استعداداتها كنقاب الرحيم[3]، كنقاب أسود أغبر على وجه مبهج أقمر فمن لم ير من ذلك الوجه إلا نقابه فلم يبتهج، ولم يجد السرور كمن لا يرى من أولياء الله إلا أجسامهم فلم يذكروا الله لشهود نور المذكور، ومن كشف المستور ابتهج بالسرور عند مشاهدة المقصود.

ولهذا جاء في الحديث: «أولياء الله هم الذين إذا رأوا ذكر الله»[4] وكم من يرى أجسامهم، ولم تزده تلك الرؤية إلا غفلة واستغراقاً في ظنون السوء وقلة الأدب، وما ذاك إلا؛ لأنه حجب برؤية الحجاب عن رؤية الأحباب فلو كشف له ذلك الحجاب لوجد من الله نعيم الرؤية والخطاب، وإنما يصح هذا لمن تجردت همة نفسه عن علائق، وهمه البشري، وعوائق شهوته وحظه البهيمي ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:51] أي: من وراء حجاب بشريته بتجريده عنه إلى جهة روحانيته حتى تكون

---

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 170).

(3) زيد في المطبوع: [فالأجسام على هذه الأرواح المرشوشة على استعداداتها].

(4) سبق تخريجه.

البشرية حجاباً بينه وبين الخلق، لا بينه وبين الحق فهو هناك بشر مقيد عند الخلق.

وروح مجرد عند الحق فإذا جرده من بشريته، ونفخ فيه روح حبه حتى كان له سمعاً، وبصراً خاطبه بألسنة أوليائه الناطقين به شفاهاً، ورآه الناطقين به بعين معانيهم وجاهاً.

ألا ترى كيف قال الحق عن طائفة أنها قالت: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة:18]، فرد عليهم ذلك بقوله: ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ ﴾ [المائدة:18] فكان الأعمى في حجابية ظلمته البشرية لا يجتمع معه هذا المقام المدعى فافهم.

جاء في الخبر: «أن أبا الدرداء دعا سلمان الفارسي إلى تأويل [سكنى إيليا فقال له: يا أخي هلم إلى الأرض المقدسة فقال له سلمان: إن هذه الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسان عمله»][1]، انتهى.

هذا أشار به سلمان إلى حقيقة تأويل قول موسى لقومه: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة:21].

وإن المراد من ذلك ما قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:145، 146]، فهذا الصرف هو دار الفاسقين الذي سأل موسى أن يفرق بينه وبينهم؛ ليتحقق لهم سكنى تلك الدار كما أن الإسلام دار المؤمنين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [البقرة: 208]، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر: 9]، فلو أخذوا بأحسن ما كتب الله لهم في الألواح كما أمروا لدخلوا الأرض المقدسة، ونجوا من دار الفاسقين وتيههم، ولكنهم أبوا ذلك فدخلوا دار الفاسقين، ووقعوا في تيههم بصرفهم عن آيات الله، وكانوا كمثل الحمار يحمل أسفاراً فافهم، واحذر عسى تسلم، واعرف والزم تغنم والله أعلى وأعلم.

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾ [يوسف:53] أي: من قالت عبودته بعد ظهور براءته، وما أبرئ نفسي ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ [يوسف:54] الآية فافهم.

من استخلصه مولاه الحق لنفسه مكنه وحمله ﴿ عَلَىٰ خَزَآئِنِ ﴾ [يوسف:55] أرضه خليفة له يحكم بحكمه، ويقيم الأمر بقيوميته كما قال عن آدم عليه السلام: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:30]، وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة:124]، وعن آله

---

(1) رواه مالك في «الموطأ» (2/ 769)، وما بين المعكوفتين من المطبوع.

﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 54]، و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران: 33]، فافهم.

يا ابن الخليفة الرباني، والملك العظيم آدم ﷺ، وإبراهيم ﷺ، اعلم أنك حصلت في قلعة نفسك البشرية وصورتك الجسمية، وحولها خندق الموانع عن الوصول إلى المدينة العلمية والحضرة الرحيمية، ولا جسر لك تجوز عليها الخندق عليه إلا نفسك البهيمية، فإن أنت شلتها ورفعتها على الرؤوس سدت بابك، وحرمتك من تلك المدينة والحضرة طلابك، وإن أنت وضعتها تحت الأقدام انفتح لك الباب، ووجدت لك طريقاً إلى الأحباب ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل: 19]، فافهم .

الأمور الناشئة عن الأسباب الكسبية تلك الأسباب لها كالماء للزرع متى انقطع عنه مات، فكذلك المتفكرون إذا تركوا التفكر عطلت معتقداتهم النظرية، والمتقشفون متى تركوا تقشفاتهم بطلت تأثيراتهم الكونيه، ومكاشفاتهم الصورية فافهم.

وما كان وهباً من الله فهو باق، ولسان الوهب الإلهي المراد، ولفظه يتلو على نتائجه.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: 54]، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: 2]، والله أعلى وأعلم.

من كتم سره ملك أمره، ولم يكتم شيئاً من أظهر من الأحوال ما يدل عليه فمن أخبر من لا يتمكن من كتم سره بما يفسده عليه إظهاره له من أمره فقد تسبب في إفساد أمره عليه، ومن لم يخبره به فقد تسبب في إتمامه ؛ ومن ثم قال يعقوب ﷺ ليوسف ﷺ: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: 5]، فافهم.

وقس على هذا أمثالهم إن وجدت هؤلاء الإخوة ولن تجدهم، فقس على شاكلة قومك ما في إظهارك التخصيص بأمر دون من يرى لنفسه مساواة لك في استحقاقه أو زيادة عليك، أو يكره تخصيصك به حسداً، أو لتوهمه حصول ضرر في ذلك فهو لا يدع جهداً في صرف ذلك الأمر عنك إذا شعر بحصولك عليه، ما يثبت لك عنده من عداوة الحسد، وخوف عاقبة حياتك سواء نلت ذلك، أو لم تنله فلا يرضيه بعد شعوره بذلك إلا تلفك، وتلك آفة إظهارك مع ما ينبغي كتمه، والله أعلى وأعلم.

قولهم: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف: 91] إشعار بأن الذي حصل لك ليس باستحقاق لم يكن لهم، ولكنه بتخصيص لا بعلل، وكان الخطأ في تصور حصوله بكسب تصويري إلى تعليله ولو فطن؛ لأنه تخصيص من الفعال لما يريد لم يكن في دفعه مطمع، ولربما كان الحذر سبباً لإنفاذ القدر فافهم.

فإن كل ما يقع من أئمة الهدى من مثل هذه الأشياء والأحوال، فإنما وقعت منهم بقصد التبيين للمأمومين مراشدهم [بالعقل] بالفعل كالعوام المجيد يدخل لجة البحر فيعوم، والماء لا يصل إلى حلقومه، ولا إلى مناكبه فيتوهم من لم يدر ذلك أنه ماشٍ على رجليه فيهم بالدخول خلفه، ويكون ممن لا يجزم إلا بما رأى فيشفق عليه العوام من أن يدخل فيغرق فيسيب نفسه حتى يغيب، وينغمر في الماء حتى يتحقق ذلك المتوهم أن تلك اللجة مهلكة أمثاله، ثم يتحامل العوام بالقوة التي أيد بها حتى يصعد كما كان سالماً، فكان انغماره في اللجة لإصلاح ذلك لا لخلل فيه.

فإن قلت: هذا باختياره، قلت: الأخيار لا اختيار لهم إلا اختيار ربهم، فاختيار ربهم لهم فيما يورده عليهم، ويصدره عنهم قائم منهم مقام اختيارهم، وإن لم يتعمدوا إلا ما شكر في ألسنتهم التشريعية فافهم.

وهذا معنى حمى الله محارمه، والحمى ما حجره السلطان إلا عن عين رعيته الخاصة فكأنهم إذا وقعوا في ذلك كان بإذنه فكان حراماً على غيرهم سائغاً لهم، وبسبب ذلك لا يجوز العمل بما خصوا به مما حظر على غيرهم، وعتابهم وتعاطيهم أسباب المتاب كله هداية للمؤمنين إذا وقعوا في أمر كيف يتخلصون منه، فللأئمة في ذلك فضل التحذير من المساوئ، وتعريف كيفية التخلص منها ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ [يوسف:111] بالشهوة والعزم على المعصية ﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [يوسف:111] مما أخبر به الصادقون ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:111]، وليس عليهم فيما وقع لهم ثلب ذلك فإنهم هم، على كل حال أئمة الهدى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل:59]، والله أعلى وأعلم.

بما كان الحذر سبباً لإنفاذ القدر، والله أعلى وأعلم.

قال داود ﷺ: رب متى أبلغ شكرك، والشكر نعمة منك عليّ، قال له ربه: الآن قد شكرتني.

لما شهد شكره لربه إنما هو من ربه فكأنه قال: لا يشكرك إلا أنت، قال له: هذا هو حقيقة شكري أن تشهد شكري لي مني ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ [لقمان:12]، فافهم والله أعلى وأعلم.

من نظر في شئونك فرأى حسن أمورك، وعرف عواقبها، وبين لك ما يشينها عليك، ويزيدها حسناً، ورأى قبيح أحوالك، وعرف مآلها، وأخبرك بما يمحوها عنك، وبما يزيدها قبحاً فقد عرضت عليه صحيفتك فقرأها، وما رأى فيها صالحاً شكر ربك عنك، وما رأى

فيها خلاف ذلك استغفر ربك لك فاسمع له، وأطع تكن سعيداً من الفائزين السعداء. وإن أوتيت أنت بصيرة تعرف بها ذلك، فقد أوتيت كتابك تقرأه فإن عملت بها فيه مما يصلح فقد أوتيته بيمينك، وإن عملت بيا فيه مما لا يصلح فقد أوتيته بشمالك، وإن أغفلت النظر فيه فقد أوتيته وراء ظهرك، وحيث جاءك البيان، وضربت لك الأمثال، وزال الالتباس فاقرأ كتابك وحرر حسابك ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:14]، فافهم، والله أعلى وأعلم.

إنزال المفارقات إلى العالم المادي: هو جعلها في صورة مثالية بحيث يمكن أن تدرك أوضح إدراك كالإدراك بالسمع والبصر، ومن ثم قيل في الكلام النفساني: ﴿ أَنزَلَ ﴾ [الإسراء: 102] إذا وضع بالدلالة للمعنى من اللفظ في صورة العبارة.

ومن العبارة المفهمة له فهماً جلياً فكان برؤية العبارة، وسمعها كأنه مسموع مبصور بل هو مسموع مبصور؛ لأن حقيقة السمع والبصر منا للإدراك الحاصل لنا بهاتين الآلتين فإذا سمعنا اللفظ، ورأينا الشخص فأدركنا بذلك المعنى فقد سمعنا المعنى ورأيناه وبذلك أيضاً قيل: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [طه:53] حيث أبرز من القوة إلى الفعل وكذلك ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر:6] حيث أبرز من القوة الجنسية إلى الفعل الشخصي.

وإذا كان النزول هو هذا، وأنت تعلم أن نزل المعنى باللفظ كما تقدم لا يستلزم منه حلول، ولا تحيز، ولا تقيد للمعنى في اللفظ فلا تستبعد أن يكون معنى تنزل الحق إلى عباده تجليه لهم بصورة يظهر حسهم يوجب عند رؤيتها معرفته لمعرفة المعنى عند رؤية الشخص، ويوجد عند سماعها معرفته، ومعرفة مراده لمعرفة المعنى عند سماع اللفظ فيكون رؤيتها وسماعها رؤية الحق، وسماعه له حقيقة كما جاء الوعد الحق، وهذه الصورة هي ناطقة الرجل العارف الذي هو بالعلم والحكمة خليفة الرب في البشر يعلم كل قوم حقيقة مشربهم، وينبئهم بأسمائهم عند الملأ الأعلى ﴿ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [ص:45]، وإذا وجد من يسوع وهو لتوهمه أنه محسن يحسب أن اسمه في صحيفة أعماله محسن أخبره بالجلية من إساءته، وأنبأه بأن اسمه مسيء، وإنما هو غلطان في أمره، وقال له: إنما المحسن كذا وكذا فإن قمت به صار اسمك محسناً فبذلك يمكنه من تبديل سيء الأسماء بحسنها.

ولما كان محمد خاتم النبيين سيد الأئمة الخلفاء الفرقانيين كان يكره سيء الأسماء، ويغيره باسم حسن وذلك التغيير من الظاهر مثل أن قال له شخص: أسمي عبد العزى فقال: بل أنت عبد الله، وفي الباطن مثل أن وجد أعرابياً ضالاً بفكره وهو يحسب أنه مهتد فقال له الأعرابي: لا آمنت لك حتى يؤمن بك هذا الضب فلطف به، واستنطق له ضبه بما أراد حتى بين له أن الهدى ضد ما كان الأعرابي يحسبه هدى فاهتدى وآمن فبدل اسمه ضالاً باسمه

مهتد فافهم.

وكما كان على الملائكة أن يسجدوا لآدم ﷺ كذلك على كل أمة أن تخضع طاعة، وتعظيماً، وإيماناً، وتسليماً لمن نفخ فيهم من روح ربهم ما ينبئهم به بحقائق أسمائهم، وقد أقيم فيهم مقام الإمامة، والخلافة يحكم فيهم بالحق فقوله فيهم هو قول الحق، وفعله هو فعل الحق ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد:2] حتى كان أبو بكر ﷺ إذا سمع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:19-21] يقول: إني سمعت الله يقول.

وقال أبو موسى الأشعري: قال الله على لسان نبيه: سمع الله لمن حمده.

وقال الحق: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:18]، وقال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:17]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:10]، وقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:80]، وقال: ﴿ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:46]، وجعل الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله كفاراً، والذين لم يفرقوا بين أحد منهم مؤمنون وقال: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:41]، ومجيئه تعالى تجليه العرفاني لعباده القائم مقام العيان، وبصور خصوصياته الناطقية تجلي هذا التجلي، وعبر عنه بإتيانه في ظلل الغمام فكل ظلة هي صورة إمام ينزل منه بالكشف، والبيان، والعيان ما فيه ﴿ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:52]، فافهم هديت إلى سواء الطريق ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾ [الأنبياء:112]، ومنه الهداية، وبه التوفيق، والله أعلى وأعلم.

قال الصديق: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»[1] أي: لو كشف الغطاء للناس كشفاً عاماً ما ازددت يقيناً؛ لأني كشف لي الغطاء كشفاً خاصاً.

كما جاء في الحديث: «إن الله يتجلى للناس عامة، ويتجلى لأبي بكر خاصة»[2] فإنه كان يرى معلمه ربه، ويشهد أنه هو الذي ينهاه، ويأمره فالغيب في شهوده عين فافهم والله أعلى وأعلم.

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾[ق:19]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا

---

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (10/ 203).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (3/ 83).

بِالْحَقِّ﴾ [الحجر:85]، وما خلقناهما باطلاً، وسائر الكائنـــات الجثمانية أمثال فلكل مثال فيه خير وشر فهو ما أظهره الحق ليضل به كثيراً ﴿وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:26] كالخمر مثلاً فيه ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [البقرة:219] من جملة منافعه أن ينظر المؤمن في السكر كيف هو حقيقة زوال ما كان مانعاً من ظهور للأسرار حتى أن السكران يظهر له عند سكره ما لا كان يظهر له حال صحوه فسكرة الموت هي رفع الحجاب عما كان مستوراً في الدنيا عن أعين الناس من أمور الآخرة، وقلوب الرجال المؤمنين هي كرم الروح التي مددها يوجد هذه السكرة الكشفية سكرة الحق كما قرأ الصديق: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق:19]، وسميت الفردوس: فردوساً؛ لأنها حضرة المشاهد سقفها عرش الرحمن، وهذه هي دار محمد ﷺ صاحب الرؤية فحضرته في الدنيا فردوس إيمانية، وفي الآخرة فردوس عيانية.

وإنما ترى الحق في الآخرة عين العيان بالنور الذي رأيته به في الدنيا بعين الإيمان، والعرفان.

ومن ثم قال: اليوم أريكم وجهي كما أسمعتكم كلامي، ورؤيته هناك على قدر الفهم عنه «اقرأ وارق» في درجات المشاهدة و«منزلتك عند آخر آية تقرؤها» فقال على الدوام: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114] كي لا تحجب عن عزه الذي لا يضاهى وتجلياته التي لا تتناهى.

واعلم أنه من شهد الله مولاه الحق شهده به محيطاً فهو في حضرة لا يقابل حقها باطل، ولا هداها ضلال، ولا نعيمها عذاب؛ ولذلك كانت الجنان السبعة في مقابلة الإدراك السبعة، والجنة الثامنة لا مقابل لها وهم لها سبعة أبواب مذكورة في قول الحق: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:14] الآية.

والجنة لها ثمانية أبواب والثامن لا مقابل له، وهو باب شهود إحاطة قيومية الحق، وصراط هذه الحضرة هو الذي يحتني بها الشيطان للصد عنها فإذا دخلها الداخل لم يجد فيها إلا رحماناً رحيماً فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:95]، ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:41] تجلى باسمه الصادق في حضرة أتباع الصديقين فاتبع الصديقين تكن من الصادقين فافهم، والله أعلى وأعلم.

جاء في الحديث: «أنه قرأ يوماً قول إبراهيم»(1) ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ

(1) لم أقف عليه.

﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:36]، وقول عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:118]، فبكى فأوحى الله إليه: ما يبكيك قال: أمتي فأوحى الله إليه: إنا لا نخزيك في أمتك بالخاء والياء من الخزي، ولا نحزنك بالحاء والنون من الحزن الثاني أعلى من الأول، والخزي رد السؤال، والشفاعة، وعدم قبول الشفاعة.

والشفاعة إنما تحصل غالباً أو قد تحصل عند الروعة، وحصول المشفوع فيه في حالة يرق له منها الشافع، ويحزن عليه من أجلها فإذا لم يحزن فيه لم يجدوا روعة، ولا يروا ما يرهبهم أصلاً وهذا أعلى فافهم.

وفي هذا الحديث بيان أن أئمة الهدى في أمان الله، وإنما يبكون، ويتضرعون، ويتخوفون لأجل اتباعهم إما ليعلموهم كيف يعملون، وإما أنها شفاعة غيبية فيهم، ولا شك أن التعليم أيضاً شفاعة لكن غيبية فمن تعلم واتبع فقد قبلت فيه الشفاعة فانتفع ومن لا فلا ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر:48]، ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدثر:49]، فبإعراضهم عن التذكرة لم تقبل فيهم الشفاعة ولم تنفعهم، ولو قبلوها فنفعتهم لكانت شفاعة مقبولة فيهم؛ لأن قبولهم للتذكرة ملازم لقبول الشفاعة فيهم ملازمة لا تنفك؛ لأنهما إما واحد ذو وجهتين أو علة ومعلول فافهم، والله أعلى وأعلم .

﴿إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ [مريم:41] ﴿ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ [مريم:51]، ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ [مريم:54]، الأول إمام الصديقين، الثاني إمام المخلصين، الثالث إمام الصادقين.

ولما قيل لأبي بكر: «مثلك في الأنبياء مثل إبراهيم»[1]، وقيل عن علي: «إنه شبه إبراهيم» كان كل منهما هو الصديق الأكبر في هذه الأمة، وصرح بذلك علي عن نفسه.

واعلم أن الممثل به أقعد في المعنى الممثل فيه من المثل؛ فلذلك جعل أبا بكر ﷺ، وعلياً ﷺ مثل إبراهيم ﷺ، وقال: «رأيت إبراهيم وهو أشبه الناس بي»[2] فله هو الكمال الذي إبراهيم ﷺ مثل من مثالاته؛ ولذلك كان أبو بكر ﷺ، وعلي ﷺ مثلان منه في العلم والحلم فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ [ق:22] نسب الغطاء للعبد، ونسب الكشف لجناب الرب

---

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (10/ 143).

(2) رواه أبو نعيم في «الحلية» (6/ 124).

فالكشف من ربك العلي العليم الحكيم، والغطاء من وهمك البهيم فافهم.

ولا تستعن على الكشف بوهمك البهيم فإنه لا يوجدك إلا غطاء، ولا تخش من ربك منعاً عند صدق توجهك بجود وجهه فإنه لا يوجدك إلا عطاء فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [المجادلة:11] الذي آمنوا هم الذين علموا الحق والصواب، والذين أوتوا العلم هم الذين آمنوا، ومكنوا من إفادة أنوار إيمانهم لمن اقتبسها منهم من الطلاب فكأنهم ملكوا العلم حتى صار لهم أن يهبوا منه، ويتصدقوا على المستحقين فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:113]، ﴿ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء:113] أي: مالا يكتسب ولا في قوة الحادثات التخيل في حصوله المجتلب، ولكن الله بتخصيصه، وفتحه يجود به لمن شاء ويهب، وهذا العلم الموهوب هو الاطلاع على سر الحق في العالم المحجوب وبنور هذا العلم ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل: 25]، وينكشف ﴿ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل:25]، وهو أيضاً علم «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهذا هو المعبر عنه بالروح التي هي مبدأ كشفه وبيانه، والمعبر عنه بفضل الله وبكل شيء في قول سليمان: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل:16] مبدأ البيان ﴿ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا ﴾ [النمل:15]، وروح محمد ﷺ هي أم هذه الأرواح فهي الفضل الإلهي العظيم، والرحمة مبدأ الحكمة والحكمة بيان ما فيه، وبه صلاح نظام الأجسام، والنفوس، والأحلام، وهذه الرحمات هي النفوس الناطقة بالحكم، وأمها الناطقة المحمدية فهو يقول في العلم والحكمة: ﴿ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس:58]، وقد سمى فضل الله في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: 2]، ثم ذكر فيضه للعلم والحكمة ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المبعوث فيهم ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة:4]، فالناطقة والروح المحمدي مضافان لله بلا واسطة فافهم.

وحيثما جاء ذكر فضل الله فالإشارة إلى هذه الأرواح العلمية بل حيثما جاء ذكر الله بفضل كفضلنا، وأكبر تفضيلاً وفضلت وقوله:وَنُفَضِّلُ ﴿ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ [الرعد:4] إشارة بوجه أيضاً إلى تفاوت الأذواق الروحانية فإنه جاء مجيء المثل والله أعلى وأعلم.

العقل الفطري المطلع على عواقب الأمور، وحقائقها الفرقية هو عين الحق فيما تعين فيه من مراتب الخلق، ونوره «الذي أشرقت به الظلمات الوهمية»، «وصلح عليه أمر الدنيا

والآخرة» فيه يتجلى الحق بمعاني ربانيته، وبه تظهر أحكام حكمته في عباده فهو لسان أمره ونهيه، وميزان خفضه، ورفعه، وبه نهى آدم ﷺ عن تحكيم أسباب الضروريات الجثمانية، والوهمية على نفسه، وهذا التحكيم هو المعبر عنه بالأكل من شجرة النهي، والحصول[1] الضرورات البشرية وتوابعها في الدارين ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ • إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ﴾ [طه:117، 118] الآية فإن الشهوة لا تتوجه إلى ما لا يحمد العقل عاقبته، وتستعمل النفس في مقتضاها إلا عند تحجب نور العقل عن أفق النفس فافهم.

وقد جاء أن آدم ﷺ لما رأى الملائكة تأتي تجاه وجهة فتشخص إلى عجيب تصويره، وحسن تقويمه اشتهى أن يرى نفسه في مثال منفصل عنه على صورته، ووضعه فتكونت عند تلك الشهوة الصورة المسماة حواء فكانت حواء صورة شهوة صورية عن آدم ﷺ.

فلذلك لا ترى المرأة إلا شهوة جسمية فقط لا تدري ما فوق ذلك، ولا تتوجه همتها إلى أعلى منهو لأتنظر في حقيقة شيء ولا في عاقبته، وإنما تسرع إلى ما حرك الوهم البهيمي إليه شهوتها فتحركت كأنها هي قوة طبيعية، وضاعة بغير شعور حسبما يتفق، ولهذا لا يجدي الإصلاح لأمرها حتى تدخل تحت حكم رجل عاقل، فكل من كان هذا مبلغ همته ووجهة توجهه فهو أنثى النفس، ولو كان بدنه على صورة تركيب أبدان الرجال، ومن كان الحكم فيه للعقل الذي هو عين الحق فيه لا للشهوة ووهمها البهيم فهو رجل النفس، وإن كان بدنه مركباً تركيب أبدان الإناث، ورجليه نفوس أشكال الرجال أكثر من رجليه نفوس أشكال الإناث، ومن ثم قيل: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع»[2] فافهم.

واعلم أن هذا العقل الرباني ما دام مشرق النور في النفس فهي مطمئنة للحق راضية بأمره مرضية عنده فهو مدبرها وكفيلها، ومؤيدها، وحفيظها، وهو لها بعناية وجوده، وهي له بجنس قبلوها وإقبالها فاستعذ بالحق من حجبة نوره، فبنور الحق تنشأ الحياة الروحانية الدائمة فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ ﴾ [الجمعة:10] أي: وفيت فهي إشارة إلى الحضرة الولايية، الختامية، الوفائية، التمامية فافهم، والله أعلى وأعلم .

---

(1) زيد في المطبوع: [أي الضرورات هو الهبوط من الجنة إلى دار المشقة، وإنما نهى عن ذلك لاطلاعه على ما في عاقبته من الشقاء بمعاناة].

(2) رواه البخاري (3/ 1253)، مسلم (4/ 1418).

جاء في الحديث معنى: «سبحان الله تنزيه الله عن السوء»[1]، وكم يجب تنزيه الله تعالى عن أمر هو كمال للمخلوق ولذلك قيل: «يسبني ابن آدم يدعي لي ولداً»[2] وذلك في الخلق محمدة فهذا يدل سمعاً على أن كمالات مقام قد تكون نقايض في مقام آخر ومن قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[3] فافهم، والله أعلى وأعلم.

يقولون: لولا الزواج فمن أين كان يحصل النتاج قل لهم: كان يحصل البشر في العالم من حيث حصل فيه آدم ﷺ ولكن محض النظر، والتفويض للأسباب هو أكلة النهي الموجبة لتسليط ما في الضرورات من العقاب، فافهم وتب إلى الفعال لما يريد يذهب عنك الحزن بفرحه «بتوبة عبده إذا تاب»[4] والله أعلى وأعلم.

---

(1) رواه الطبري في تفسيره (11/ 90)، والبزار (3/ 164).

(2) رواه الدارقطني في «العلل» (8/ 81)، والجرجاني في «الكامل» (6/ 54).

(3) ذكره القاري في المصنوع (111)، وفي الموضوعات الكبرى (ص186)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (733)، وفي كتابنا أحاديث مشهورة لكنها لا تصح، وعزوه لأبي سعيد الخراز، كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وأورده المندروسي في الكشف الإلهي (351)، وعزاه للزهري.

قلت: وحُكي أيضاً عن ذي النون المصري، وقد عزاه الزركشي للجنيد، والقرطبي في التفسير (1/ 309)، وانظر: كشف الخفاء (1/ 428).

فائدة: قال الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني: واختلفوا في الصغائر في حقّ الأنبياء والكُمَّل والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائزٍ عليهم، وصار بعضهم إلى تجويزها، ولا أصل لهذه المقالة.

وقال بعض المتأخرين عن ذهب إلى القول الأول الذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوبٍ من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم، وتنصلوا منها، وأشفقوا منها، وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرةٍ لا يقبل التأويل جملتها، وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على وجه الندور، وعلى وجه الخطأ والنسيان، أو تأويلٍ دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسناتٌ، وفي حقهم سيئاتٌ بالنسبة إلى مناصبهم وعلوّ أقدارهم؛ إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة.

ثم قال: وهذا هو الحق، ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ فهم صلوات الله وسلامه عليهم وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوبٍ منهم فلم يُخِلّ ذلك بمناصبهم، ولا قدح في رتبهم، بل قد تلافاهم، واجتباهم، وهداهم ومدحهم، وزكّاهم، واختارهم، واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه. وانظر: تفسير القرطبي (1/ 309).

(4) رواه السمرقندي في «الفوائد المنتقاة» (ص21).

انظر إلى اتفاق آيات القرآن في الدلالة على مراداته كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس:69] مع قوله: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم ﴾ [الأعراف:89]، فبيّن أن كل من عاد في ملة الكفر كان مفترياً على الله الكذب فهو لا يفلح.

ثم قال: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف:20]؛ لأنه جعل العود في ملتهم افتراء على الله يستلزم عدم الفلاح فصارت قال: ﴿ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [الصف:7] ناب مناب قوله: ﴿ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [الصف:7] لموضع الملازمة، وتمكن الإتيان بالخطاب المنوع مع اتفاق المعاني.

وهذا وأمثاله من مواقع الإعجاز ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:82]، فكيف يكون من عند غير الله، ولا اختلاف فيه أصلاً بل كله متفق على المراد ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قيماً ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف:1]، فافهم، والله أعلى وأعلم.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن:18]،﴿وَٱذْكُر ﴾ ﴿ رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ [الأعراف:205]، ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ ﴾ [النور:36]، فكل نفس أشرقت بنور ذكر الله وتجلى فيها تسبيح اسم الحق فهي مسجد من المساجد التي لله، وهي التي تضيء لأهل السماوات كما تضيء النجوم أهل الأرض؛ لأنها نفس هادية إلى الدرجات الرفيعة، والمراتب العالية عند الحق، وهذه هي المسجد الذي أمر الحق بأخذ ما هو عنده زينة ؛ وليس الزينة عندها إلا المحامد والمكارم والفضائل.

فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف:31] أي: تحلوا بما هو عند هذه النفوس الهادية بالأنوار الربانية زينة لنفوسكم الآدمية، ولا تلتهوا عن ذلك بزين البهائم فافهم.

فالمراد بكل مسجد كل هاد للحق بنوره، ومرشد إلى حسن العبودية بين يدي كمال ربوبيته فالمراد بقوله: ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف:31] أي: يكون ذلك الشيء المتجلي به، والمفاض فيه زينة روحانية إيمانية في شهود هؤلاء الهداة بحيث يشكرون عليها ويأمرون بها، ويحضون عليها، ويدعون إليها حتى يدخلوا في الأمر الرباني دخولاً يتهيأ لهم به من اللباس الذي هو من آيات الله ما يقيهم البأس، [واجتناب] والمكاره كلها، ويكمل لهم الزينة التي أمروا باتخاذها عند كل مسجد وهي الجمال والمحاب كلها فافهم، والله أعلم وأعلم.

كيف يجد العقل النظري طريقاً إلى إدراك الجامع بين المتماثلات والمتقابلات، وليس له طريق إلى إدراك شيء إلا نفي مقابل ذلك الشيء وملزوماته عنه فيثبته بما خالف إثبات ما نفاه

كنفي الجمع بينهما أيضاً فانظر ما أمنع إدراك العقل النظري لنفسه فكيف بما علاه من المراتب فافهم .

غاية العقل النظري الحيرة والاعتراف بالعجز فإن نفذ إلى التحقيق بتحققه بمرتبة غلبت عليه بالذات من حيث لا يدري فيكون هو لتلك المرتبة كالنفس للعقل المستفاد فهناك يأتي بما ليس في قوى مرتبته الإتيان بمثله فيقول: من لم يجد وجده، ما جاء إلا بأمره النظري، وليس كذلك وإنما عقل نظري يتصرف به، وسر ليس للعقول النظرية سلم ولا طريق لمستقره فافهم.

﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: 8] كياناً، وفي أي: صورة ما شئت كان ذلك بياناً «أنا عند ظن عبدي بي»[1] فافهم

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام:30] الوقفة لمعاينة عين اليقين فافهم.

كل ما جمعه نظام ناطقك من الحقائق والأرواح، وتمكن من كشفه وبيانه فهو مقيد في قوتك، فإذا أنزلته كشفاً وبياناً، وحتى يتحقق به من تلقاه عياناً، وإيماناً فتلك إرساله بمعنى إطلاقه، ولما كانت الأرواح الرسلية، والأنوار النبوية كلها في نظام ناطق خاتمهم، وكان ينزلهم كشفاً، وبياناً، حكيماً، ديانا كما تقدم قال: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: ننزلهم كشفاً وبياناً ﴿ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ [الأنعام:48] إلا في صورة مبشرة منذرة فالآيات المبشرة المنذرة تمثلات تلك المعاني الفعالة لهذه الأفاعيل في نفوس القابلين فافهم.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [الأنعام:50]، فنفى أن يقول لهم المسكوت عنه إلا أن يقول لمن هو أهل ثم قال: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ أي: من لا شهود له، ولا معاينة، وهو متحير متردد في القول إن شاء صدق توهماً، وإن شاء كذب تحكماً ﴿ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ [الأنعام:50] الذي هو بضد ذلك فنبه بهذا على حكمة قوله: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾ [الأنعام:50]، فافهم.

انظر كيف لما كان بين من حقيقته غيب عنهم في حجاب الصورة الخلقية التي تحول لهم فيها قال لهم: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى ﴾ [الأنعام:50] أي بضمير المتكلم ولكن أقوال لكم ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ [الأنعام:59] بضمير الغيبة والكل في الحقيقة واحد فافهم.

القابل كماله الوجودي في مقبوله، والمقبول كماله الشهودي في قابله، وكل ماهية تحب كمالها حباً ذاتياً، والحب سبب تحقق المحب بالمحبوب فافهم .

---

(1) رواه أحمد (34/ 341)، وابن حبان (3/ 267).

المحبة جالب صفات الحق والخلق[1] لما تعلقت به فيصير البخيل كريماً لمحبوبه، والعاصي مطيعاً لمحبوبه، والعجول حليماً لمحبوبه، والضعيف قويًّا لمحبوبه، والجبان نصيراً لمحبوبه، وقس على هذا فافهم.

القلب سمي قلباً؛ لأنه في العلم الأزلي حق بطن في قوته خلقه فانقلب في العلم الأبدي فصار خلقاً بطن فيه حقه فهذا الحق في الأزل بيت عبده، وهذا الخلق في الأبد بيت ربه، وكما ظهر الخلق بالحق أزلاً كذلك يظهر الحق بخلقه أبداً وكما كان الخلق قوي الحق أزلاً كذلك صار الحق قوي الخلق أبداً، وكما كان الحق بالخلق يخلق أزلاً فينتقل من معاني القدم والوجوب إلى معاني الحدوث والإمكان، كذلك صار هذا الخلق بالحق يحقق أبداً فينتقل من معاني الحدوث والإمكان إلى معاني القدم والوجوب، فالمراتب الوجوبية والمعاني العدمية إيجاد العبد بربه، والمراتب الحدوثية والمعاني الإمكانية صبغة الرب بعبده من الحق مبدأ الخلق للخلق بالخلق، ومن معاد الخلق للحق بالحق فافهم.

والحقية والخلقية صفتان حكميتان حققهما الوجود الذات بعلمه الفعلي، وتعين بهما في علمه الانفعال فكان كذلك ثم رتبهما بين بطون وظهور كما تقدم فكان ما سمعت فافهم[2].

القلب مفطور على صورة الحق فهي حياته وشبابه فإذا أهرمته عوارض الحجب والغفلات، صار سمندل نار المحبة ألقي به فيها فلم تؤثر فيه فكيف يرجع إليه شبابه فافهم.

مهما تجلى فيك وجودك الحقي به أعطى حكمة فتوسم ما بطن بما ظهر فافهم.

متى ظهر فيك الحق بمعنى رضوانه لم تدر إلا مرضياً، وليس لنعيمك بكل ما أدركته حينئذٍ فيك ضد يزاحمه والأول هو الذي أشار إليه بقوله لأهل الجنة: «أحل عليكم رضواني»[3] فيرضون برضوانه كل ما يرضاه ،وهو يرضي كل ما يخلقه ؛ ولذلك حسن عنده فقال: ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [السجدة:7]، فيصير كل مخلوق عند من أحل عليه رضوانه

---

(1) زيد في المطبوع: [المحب لمحبوبه].

(2) قال المصنف: اسمع: موجود الوجود الذات هو المحيط من حيث هو وجود جميع الموجودات، وهو الإله من حيث هو موصوف الصفات المحيطة بالتعلقات الحكمية، اسمه الله جلالة غير مشتق من شيءٍ أصلاً، من حيث هو المحيط، واسمه (الله) جلالة مشتقة من الإلهية من حيث هو الإله، وقد أشار الحق المبين بلسانه المحمدي إلى الأمرين بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1] له هذه جلالة الإحاطة.

(3) رواه البخاري (5/ 2398)، ومسلم (4/ 2176).

حسناً مرضياً له كما هو حسن مرضي عند خالقه.

والثاني أشار إليه بقوله: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[طه:81]؛ لأنه معكوس منكوس عدل عن حال الأول، ومن ظهر فيه بالمعنيين فهو تارة، ويسخط شيئاً، ويرضى شيئاً ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة:60]، فافهم.

إذا كان للحق بعبده عناية جعل أسباب شقاء الأشقياء من أسباب سعادته يذنب فينكسر، ويستحي، ويتذلل ويذوق [طعم] الحجاب والبعد فيعرف قدر الكشف، والقرب فيزداد شكراً، فيزداد فضلاً، والمعكوس منكوس [عدلاً] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:1]، فافهم.

الوجود ذات واحد مهما ظهر به أظهره، وعينه فما من الله إلا وإليه فافهم.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ أي: بما ظهر فيه فإنه لا يظهر في موجوده إلا بمعنى، وتابع وجودي، والمعاني والتوابع الوجودية كلها كمال، فكلها خير، فكلها حمد:

﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ ﴾ أنه الظاهر بذلك فلا تفقهون ﴿ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:44]، ومن أجرى الحق تعالى نظره مجرى إرادته فذلك كامل فافهم.

العالم كله آيات الحق لكن لكل عين آية لما يظهر بها من الحق، وما ثم عين يظهر بها جميع معاني الحق إلا الكامل من نوع الإنسان الآدمي فأولئك هم عيون الله، وآيات جمعه التي يقول عنها: ﴿ ءَايَٰتِنَا ﴾ [الكهف:9]، و﴿ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الكهف:18]، فيضيفها للاسم الجامع لنظام كلها أو لنون الجمع العظيم فافهم.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ [الأنعام:68] أي: في مظاهرنا الكُمَّل الدالين علينا الهادين إلينا على الكمال: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام:68] أي: لأن أولئك هم ذكرنا، ومن خاض فيهم بما لا يليق بحقهم فقد أعرض عنهم ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم:29].

ألا ترى تفسير ذكر الله في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:28] بأنه محمد وأصحابه فافهم.

ويعد فإني طيب أي :خالص من المغايرة كل طيب يطيب يطيب عند طيب طية أي: لأن كمال حقيقته المحمدية في هذا النظام المحيط الرحماني المشهود بهذا المشهد الذي شاهده حقيقة الحقائق المحمدية فافهم.

الاستعداد في حكم دائرة الفرق على قسمين: لازم وهو الاستعداد لأصل الوجود وغير لازم؛ لأنه مشروط بأمور منفصلة، وهو الاستعدادات للمعاني الزائدة على ماهية

الوجود، فالقسم الأول غير مجعول، ولا متجدد بخلاف الثاني فافهم.

أعيان الوجود مسميات ، وأعيان المعاني أسماؤها فافهم.

العقول أسماء الله الإله، والأرواح أسماء الرحمن، والنفوس أسماء الرحيم، والطبائع أسماء المكون فافهم.

جاء في الخبر المحمدي أنه قال وقوله الحق ﴿ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب:4] «من أحبني فليعد للفقر تجفافاً»[1] أي للتجرد عن المسألة إلى الغير فهذا هو حقيقة الفقر «ومن أحب الله فليعد للبلاء تجفافاً»[2] أي: للتخلص والتجرد عن الغير، فالبلاء بمعنى: التخليص من الأغيار، وبمعنى النقمة، وبمعنى الاختبار: وهو من الأول.

قال: «فإن الفقر أسرع إلى من أحبني من الماء إلى قراره، وإن البلاء أسرع إلى من أحب الله من السيل إلى أسفل الوادي»[3].

فانظر ما فيه من المعارف والحكم فإذا أحببته من حيث حقيته فأعدّ للبلاء: وهو التمحيص ثم التخليص ثم التخصيص، جلباً وإن أحببته من حيث خلقيته، وأنت شاهد كماله الحق فأعد للفقر جلباباً، وبكل حال فلا تجتمع محبة الحق، ومحبة ما دونه، ولا يحب الحق من أتخذه وسيلة لما دونه؛ لأن المتوسل بشيء إلى شيء محب لمقصده بالذات، وللوسيلة بالعرض؛ لأجل ذلك المقصد فمتى حصل به مقصوده تركه فهو راغب عنه في صورة راغب فيه كما هو كائن من الجن في صورة ملك فأبت الحقيقة المرتبية إلا أن تغلب بحكمها على أحكام عوارضها فافهم .

الخلافة وكالة لكن لما كان في لفظ الخلافة تعظيم لمحلها كان من أخذت عنه، وهو المستخلف أحق بالتعظيم فأطلق على العبد أنه خليفة ربه؛ لذلك سمي الرب خليفة لعبده، لما في الخلافة من القيام الكافي عن قيام الكل، ولما كانت الوكالة مشعرة بعجز الموكل فيما فوضه إلى وكيله[4]، وقدرة الوكيل عليه لو بوجه ما إذ لا بدّ من مانع له من مباشرة ما وكل فيه سمي الرب وكيلاً لعبده، ولم يسم العبد وكيلاً لربه فافهم.

---

(1) رواه الترمذي (4/ 576)، والحاكم في «المستدرك» (4/ 367).

(2) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (2/ 174).

(3) رواه الترمذي (4/ 576)،والبيهقي في «السنن» (6/ 119)، بنحوهما.

(4) زيد في المطبوع: [وقدرة الوكيل عليه ولو بوجه ما إذ لا بدّ من مانع فيما فوضه إلى وكيله].

فائدة

قال قائل: هل لمريد الحق أن يتعاطى ما يشغله عن مراده ؟ قلت لا، قال: فما الحكمة في إذن الشارع لأمته في التزويج، وفيه من الشغل ما لا يخفى ؟ قلت: لأنه لما رأى النفوس البشرية مجبولة على المغلوبية لعوارضها المزاجية أذن لها فيما يكف عنها غلبة تلك العوارض عليها كي لا تشغلها عنه، وشرط عليها مساس الحاجة قبل التعاطي، وإرادة التقرب إليه، وحصول مراده لذلك التعاطي؛ ليكون الشغل في ذلك به لا عنه.

ألا ترى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء:3] أي: أدنى ألا تميلوا عن مولاكم إلى ما دونه.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ ﴾ [النساء:25]، وقوله: «تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم»[1] فما أذن لكم في التناكح إلا لإرادة توسع دائرة ظهور سيادته بكثرة عبيده، فمن يتعاطى التزويج بهذه الشروط فذلك العابد لربه بتزوجه، وإلا فلا؛ لأن الأول قائم بأمر إرادي لربه في ضمنه عصمة له من الشغل عن ربه بتعدي حدوده المحددة في لوازم ذلك وما به، والثاني مشغول بشهوة نفسه وران كسبه فافهم.

الحواس آلات لصدور ما يصدر عن النفس، وورود ما يرد عليها فإن ورد عليها ما هي آلة فيه لا بتوسطها فذلك هو المراد منها، وقد استغنى فيه عنها فإذا حصل المراد من الأذن، والمقلة، واللسان، واليد، والشم، وقس على هذا فقد حصل السمع، والبصر، والكلام، والذوق، والتصرف، واللمس، والشم، ونحو هذا مع الغنى عن الآلات، وكذلك الحال مع الآلات الباطنات ففي الذات غنى عن الآلات فافهم.

الأب مصدر الحقائق، والأم مصدر اللواحق في كل مقام بحسبه فافهم.

السماوات العلى الذي ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ [الملك:15] الأب عُلا والأم ذلول في كل مقام بحسبه فافهم.

المبادي الفاعلات سماوات، والمبادي القابلة أراضيها في كل مقام بحسبه فافهم.

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:15] الآية ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:6]، ﴿ مِن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[الشعراء:5]، ﴿ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾[الأنبياء:2].

والكلام صفة المتكلم، والنور، والهداية صفة موصوفها، والصفة لا يتأتى بها إلا موصوفها.

ولا تأتي إلا بإتيان هو موصوفها فما أتت هذه إلا والذي أتى بها هو موصوفها فهو

(1) ذكره القرطبي في تفسيره (5/ 391).

يتحققه الحق رب رؤوف رحيم وبحجابه الخلقي رسول كريم.

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة:40]، ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب:4]، فافهم.

المرتبة الوجودية التي نزه الله نفسه عنها في مراتبه الفرقانية حتى سمي فيها ممكناً خلقاً فبطن بما هو له من الحقية والوجوب فيها هي اسمه الباطن لموضع هذا البطون، ومقابلها هي اسمه الظاهر لموضع الظهور المقابل لذلك البطون.

ومن حيث أنه جعل مرتبته الأولى أعني الخلقية دليلاً يظهر به عرفان مرتبته الحقية، ونزه نفسه في مرتبته الحقية عن أن تدركه الأبصار، أو تقف المدارك على كنهه صارت المرتبة الخلقية اسمه الظاهر، والحقية اسمه الباطن فكل من المرتبتين باطن ظاهر(1).

وكذلك جعل مرتبته الحقية مبدأ مرتبته الخلقية، وجوداً كونيًّا(2)، فهو في كل منهما أول، آخر، ظاهر، باطن، وكل ذلك في دائرته الفرقية الفرقانية كما تقدم.

وأما بحكم مرتبته الإحاطية فليس إلا هو الذات الوجود المقتضي لذاته القضاء الذي يحقق به مقتضيه، وسمي ذلك القضاء علماً فعليًّا، ويتعين فيه بما حققه فيسمى ذلك القضاء علماً انفعاليًّا، والذي حققه وتعين به هو موجوده فما ثم إلا هو(3)، ولكن له في ترتيبه وفرقة أحكام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة:1]، و﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد41] إذ لا حكم إلا له حيث لا حاكم إلا هو، ومن ثم كان حكم موجود منه، وإليــه، وبه ليس إلا ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا

(1) قال المصنف في «المسامع»: كما إذا جردتَ نفسُك لنفسك بأن محبوبك لم يغب عنك قط، فيقوم في خيالك مشهوداً لنفسك بأنك عين قائم شاهد لذلك المحبوب أبداً، ثم تجرَّد مع ذلك نفسك لنفسك بأن ذلك المحبوب عزَّ عنك، أو لمحتك حبه عن التفرغ لشهوده حتى كأنك لم تشهده أبداً، فيقوم في خيالك مشهوداً لنفسك بأنك عين قائم لم تشهد ذلك المحبوب أبداً، وتعامل نفسك في كل من ذهنك للعينين على شاكلته في محل ثبوتهما منك، وأنت في ذلك لا باعتبار تعينك بواحدٍ منهما محيط بهما، ولك شأنٌ لا يكثّر عليه بشأنك من حيث تعينك بهما، هذا وهما مع قيامهما وتعينك بهما وتعددك باعتبارهما في محل انكشافهما لك منك ليسا في الحقيقة الوجودية سواك ولا زائد عليك، فما ثَم إلا أنت وجوداً وإن تعددت وتغايرت شهوداً.

(2) زيد في المطبوع: [ومرتبته الخلقية مبدأ مرتبته الحقية، وجوداً بيانياً].

(3) زيد في المطبوع: [تحقق بعلمه الفعلي ما يتعين به بجميع الموجودات فكلها تعيناته، وهو ذات الكل وما قضى إلا بنفسه إذ ليس ثم في الحقيقة إلا ذات لأن الذي يقول إنه موجود إذا محضت النظر إليه بلا نسبة أصلاً فالذي تراه منه هو ذاته وما ثم ذات إلا الذات الوجود فهو الوجود والموجود بالحقيقة ليس إلا هو].

تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:39]، فافهم.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر:74] إذا وصف اسم الجلالة، أو اسم آخر فقد خصص الموصوف بكنه الصفة فالمراد هنا الله الذي وعدهم ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور:55] أي: ليقيمنهم في الصورة الأرضية بحكم العبودية، ويحكم هو في إيجاد تلك الأحكام التي بها يوجدون في الجنة، ويتصرفون فيها كيف شاؤوا، ولو لم يحملوا في الصورة الأرضية، وبقوا على تمحض وجودهم المفارق لم يتأت لهم ذلك، ولم يكن لهم بهذه الجنة الجثمانية نعيم إذ النعيم تابع للذة، واللذة تابعة للمناسبة، ولا يناسب الجثماني إلا جثماني إلا جثماني، فنعيم المفارق بالمفارقات ولو حيل بينه وبينها بالجثمانيات لحيل بينها وبين نعيمه(1) فتألم ونعيم الجثماني بالجثماني مت حيل بينه وبينه فقد نعيمه فافهم.

التراب صورة العز ألا ترى أن الوجود فيها لا يعرف قدره سيما حيث ظهر بتنزيهه عنه السر العظيم ما ظهر به فيه وهل ظهرت الأسرار إلا في هذه الأطوار.

ولذلك يقول: الحريص على العزة حتى إنه تعبد للمحجوبين عن العزة الحقيقية يبتغي عندهم العزة، وقد أخطأ الصواب، وطلب الضد من الضد، إنما العز في التحقيق بالمرتبة الإلهية التي ظهرت في المظاهر البشرية بأعيانها الناطقة وأرسلت هويتها للقابلين كشفاً وبياناً فتكبر عليهم من ليس له في حقيقة العزة الإلهية نصيب باطن، إنما حظه من ذلك عزة ظاهرة هو فيها(2)﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص:2] فهو فيها محكوم، محصور، مفروق، فصار تراباً بين أيديهم، وما سبقت له الحسنى بذلك فانجذبت عزهم لما في باطن ذله لهم من العز جذب الشيء إلى حقيقته ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[النساء:139]، ﴿ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:8].

فإذا انقلبت الظواهر فأبليت السرائر وتقلبت القلوب والأبصار، فأدركت الأبصار هناك ما لا يدركه هنا إلا البصائر ظهر بالعزة من كان للحق تراباً، وأصاب الذين كانوا ﴿ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص:2] ﴿ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:124]، فهناك ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ [النبأ:40]؛ لأنه عرف أن التراب صورة معناها العزة فلما قلبت فصار معناه عينها ظهرت بالعزة فكانت أرضاً مقدسة يطوف الرحمن فيها على عرش ملكه لها بلا حجاب منازع وقد تجلى فيها بالواحد القهار، وتكفاها بيمينه فجعلها نزلاً للذين كانوا فيها تراباً، وأما الذين

(1) زيد في المطبوع: [فقد نعيمه].

(2) زيد في المطبوع: [محكوم محصور، مفروق].

ظهروا فيها بحكم باطنهم محصورون فلم يظهروا إلا بما رشح من باطنها على ظواهرهم حتى فرغت بواطنها من ذلك المعنى، وصارت عليهم ذلاً صرفاً فمن كان تراباً ذليلاً كان هناك ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: 48]، وما تبدل غير الأرض إلا بأن تصير غير أرض فهي تصير عزة سمائية فيصير من انقلبت ترابيته عزيزاً بالعز الباطن في ذله الترابي ومن لا فلا[1].

واعلم أن هذا حكم المنشئون من تراب، وأما مظاهر الله فهم في هذه الصور التي دون المرتبة الإلهية كلها بطريق التحول فعزهم لذاتهم الإلهية في كل عالم فافهم.

سمي علي أبو تراب؛ لتعلم أن العلوي ترابي فافهم.

لولا التراب ما ظهر سر عز السحاب فافهم.

إنما السحاب أبخرة، وأدخنة أرضية فهو من الأرض بدءاً، وإليه يعود بما يعلن فيه منها فافهم.

كن تراباً تكن منشأ السحاب، وغذومه، ومآله فافهم.

مهما حققته وكشفته فمنك بدؤه، وإليك يعود بلا شك فاجتهد في تحقيق معارفك النزيهة العظمى فإنك تتحقق بها بعد الموت عياناً، وحكماً، كما تحققت بها قبله حياً، وعلماً، وذلك هو عود ما بدأ منك إليك ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران: 30]، وكل إلى بدئه عائد فافهم.

من قضى وخرج عن بشريته على طريق العبودية، رجع إلى عوالم حقيقته على طريق الربوبية، ومن عكس انتكس وإليه أشير بالذهاب إلى مصلى العيد على طريق والرجوع على طريق فافهم.

إنما الهيمنة والاقتدار في دائرة الفعل بالاختيار، وإلا فالأمر اللازم لا يستند لفاعل ولا قابل فافهم.

الضدان متلازمان متقابلان ما ظهر أحدهما بحكمه إلا بطن الآخر بحكمه في ظهوره، ولا ضد إلا في مركب ،وأما البسيط الحقيقي فلا ضد فيه بالنسبة إليه، وإن كان له معنى لو

(1) قال المصنف في «المسامع»: اسمع: مَن دخل في دائرة دخول التقيد انصبغ بخاصيتها، ومن ثَمَّ صحّ الإسراء الجسماني من فلك التراب إلى فلك الهواء، فتلطف الترابي هوائيًا، ثم إلى فلك الأثير فتلطف الهوائي أثيريًا، ثم إلى فلك الهباء فتلطف الأثيري هبائيًا، ثم إلى فلك الشعاع فتلطّف الهبائي شعاعيًا، فنفذ من ثَمّ نفوذ المصباح من الزجاجة بلا خرق انفطاري فيها، وقس على هذا العروج إلى الحرم الأقصى بالتلطف، والرجوع منه إلى التراب بالتكاثف.

حصل في المركب كان ضداً بالنسبة إلى المركب؛ لأن البسيط الحقيقي جهة واحدة باطنة ظاهرة، وظاهره باطنه بالنسبة إليه فلو كان فيه ضد لاجتمع بضده وإلا فأين كان ينفرد عن ضده فيه، وليس له إلا جهة واحدة فافهم.

السماء ظاهرها عز رباني، وباطنها ذل عبداني، والأرض عكسها؛ ولذلك كان باطن السماء صور أنواع العبادات المسماة بالملائكة؛ لأن الملائكة قائمون بالتسخير، والتصرف التكويني، وقضاء الحاجات الإنسانية الآدمية، والأرض باطنها الأقوات التي لخدمتها ينزل جواهر السماء، فيفعل ذلك المقدور المجمل في صور كونية عبدانية تناسب باطن السماء فإذا انقلب العالم بانقلاب الإدراك الظاهر باطناً، والباطن ظاهراً كانت السماء أرضاً، وملائكتها ملوكاً، والأرض سماءً والعباد الصالحون منها أرباباً فافهم.

مبدأ حقيقتك الروحانية أحق بك من مبدأ لاحقتك الجثمانية؛ ولذلك كان أبوك أحق بك شرعاً من أمك و«أنت ومالك لأبيك»[1]؛ لأنك مركب من ماء هو منه لا من الأم فيلزمه إمدادك بمصالحك بلا عوض منك، ولا منها بخلافها، وإنما لم يكن له إنتزاعك منها بغير رضاها في الصغر الذي لا يظهر عليك فيه آثار ما هو مبدؤك؛ لأنك ظاهر حينئذ ظهوراً غالباً بحكم ما هي مبدؤك، وانضم إلى ذلك كونه سلمك لها راضياً بتوصفات من مستقرك منه في مستودعك منها، فكان كالمتصدق عليها بك فلم يبق لها رجوع إلا بإسقاطها حقها منك، وقد نبه الشرع على ذلك بتعليل رد موسى عليه السلام على أمه: ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [طه:40]، فيكف أمرك مع ربك الذي هو مبدأ أول حقيقة، وقال عنك: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [ص:72]، فعليه رزق جملتك، ولاحق فيك بالحقيقة إلا له، وأنت وكل تابع لك هو لربك، وأبوك منه وأمك منه؛ لأن صورتك العقلية والطبيعية منه؛ فلذلك هو أحق، وأرحم، وأفرح بك من أمك وأبيك، ومن كل ما دونه «صاحب الشيء أحق بشيئه» فافهم .

الذي هو بخليقته مرشدك ومربيك هو بحقيقته ربك وهاديك فاعرف يا مريد من هو مرادك، ويا تلميذ من هو أستاذك والزم تغنم فافهم.

كل الخيرات الربانية في نظام الروح الإيمانية فمن تحقق بروح الإيمان إلى يوم ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ [الحج:2] ظهر له ما في باطن إيمانه من الخيرات أعياناً ظاهرة محسوسة له على قدر تحققه بتلك الروح محبة، وعرفاناً، وإخلاصاً فافهم .

---

(1) رواه أحمد (2/ 204)، والبزار (1/ 420).

من وضع ﴿ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ [الحج: 2] أن يظهر من كل شيء باطنه، ومعناه، ويتكون عنه ما في قوته بالفعل فافهم.

صورة العارف حقيقة مع يوم الجمع والفرقان قد تجلى الرحمن على عرش عقله بعلمه، وعلى كرسي إدراكه بحكمته، وكشف بناطقه عن ساق الأمر كله فوضعت بين يدي كشفه وبيانه كل ذات حمل حملها فلا تخفى منهم خافية على بصيرتهم الصافية، واستقر بتمييزه كل نبأ في مستقره فـ ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: 7]، وقوم ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: 55]، فافهم.

علماء السوء أضر على الناس من إبليس؛ لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: 15]، فإن أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى فأخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه، وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل ويزينون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيغهم وجدالهم فمن أطاعهم ضل سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً واعتقد أن الفحشاء والمنكر الذي يزينونه له من أمر ربه، وأن ذلك الظلم والعدوان الذي يرخصون له فيه حكم ربه وكفى بذلك هلاكاً، وفساداً فاستعذ بالله منهم واجتنبهم ما استطعت، وكن مع المتقين الصادقين فإن علماء السوء يجعلون للحق عليك سلطاناً مبيناً وحجة بالغة، والأولياء المتقون يجعلون لك من الحق سلطاناً نصيراً وحجة بالغة فافهم"(1).

﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: 185] الناس أجسام وأرواح فالهدى لهم ما به يصلح، ويحسن نظام أجسامهم ونظام أرواحهم، الأول: علم فقهاء الظواهر وأحكامها، وهو الذي يسميه الجمهور شريعة.

والثاني: علم عارفين البواطن وأحكامها وهو الذي يسميه الجمهور حقيقة، والعلماء في نظام ما هو الهدى للناس وهذه هي النعمة الربانية المسبغة ظاهراً على العباد وباطناً فافهم.

﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 124]، ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: 89]، والمهاجر من هجر ما حرمه الله، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا ولاية لمن لم يهجر ما حرمه الله عليه ولو بقلبه ولا تجب طاعته؛ لأنه ليس من أولي الأمر منا فافهم.

من المتفقهين تستفيد دعوى العلم بأحكام الدين، ومن الأتقياء العاملين تستفيد حسن

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: إنما ذلك حين قطعه المعرضون عن ذكر الله وأساءوا إليه، فرأى بعين اليقين أنهم إنما أضروا أنفسهم حيث انقطعوا عن الله بالملك.

العمل بأحكام الدين فانظر أي الفائدتين أقرب قربى عند رب العالمين، واستمسك بها والزم فافهم.

وإذا قال لك المتفقهون: ماذا استفدت من الصوفية الصادقين، فقل لهم: استفدت منهم حسن العمل بما استفدت منكم قوله من أحكام الدين والله أعلى وأعلم.

يقال: إن الإمام الشافعي ﷺ أنشد:

رضينا قسمة الرحمن فينا لنا علمٌ وللجُهّالِ مالُ

وهذا مأخذه من قول الحق للقائلين ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة: 247]، ونظائر هذا فافهم.

نية القربات تصير العادات عبادات فمهما أريد به الحق من المباحات فهو بذلك القصد حسنة من الحسنات ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى: 23]، وسر هذا الحسن المعنوي ربما يظهر على ظاهر ذلك الأمر، كما يظهر على قول من أراد الحق بقوله العادي حلاوة وطلاوة يتميز بها عن أمثاله، ويظهر على ملبوس من أراد الحق بلبسه جمالاً وضياءاً يتميز به عن غيره حتى أنك لترى الصوف والكتان على المخلصين أبهج وأجمل من خالص الحرير الملمع بالذهب على غيرهم.

وهذا ونظائره إنما هو من سر ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى: 23]، فافهم.

بينك وبين ألا تدرك أن تولي حب الدنيا ظهرك فافهم.

التصديق: هو الحكم وأكثر ما يستعمل في الحكم الموافق لنظر أو خبر، والتحقيق: هو الحكم الذي يوافق يقيناً أولياً لا عن أعمال نظر في المحسوسات، ولا الذهنيات كإيمان أبي بكر ﷺ، وعمر ﷺ من غير احتياج إلى خارق عادة، ولا بحث.

إنما قال خاتم النبيين لأبي بكر ﷺ: «إني رسول الله»[1] فوجد اليقين بذلك فأقر به، وسمع عمر ﷺ قول الحق تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: 6] الآيات فوجد بذلك يقيناً فأقر به فهذا تصديق التحقيق لا التصديق الاستدلالي، وهذا التحقيق لم يكن لأحد من أتباع الأنبياء إلا خاصة خاتم النبيين، وهكذا لا يكون لأتباع الأنبياء إلا لخاصة خاتم النبيين، وهكذا لا يكون الأتباع أحد من الأولياء إلا لأتباع خاتم

(1) رواه البخاري (4/ 1832)، ومسلم (3/ 1411).

الأولياء؛ لأنه على قلب خاتم الأنبياء، وخاصته على قلوب خاصته فأصحاب خاتم النبيين للتحقيق، وكذلك أصحاب الأنبياء المختومين كلهم للتصديق، وأصحاب خاتم الأولياء للتحقيق فافهم.

وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «ما من نبي إلا وقد أوتي الآيات ما آمن على مثله البشر، وكان الذي أوتيته وحياً فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1] أي: أعظمهم إتباعاً، ويدل على ذلك رواية: «أكبرهم تابعاً»[2] فهي أكثرية مقامية معنوية.

ولقد قيل لي في عام خمسة وسبعين وسبعمائة: يا علي أصحاب الأولياء كلهم للتصديق، وأصحابك أنت للتحقيق والله أعلم.

الإلهية: هي استحقاق حقائق الأسماء الحسنى لتحقق حقائق، وما تحمله من الصفات العلى.

وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:8] مع نظير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: 22] الآيات ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:255]، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ [النساء: 87]، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:102]، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف:158]، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[طه:98]، ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [فاطر:3]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:62]، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[المائدة:73]، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:102]، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[ص:65].

فذكر الإلهية في مقام بيان تفرد الله تعالى بها، وعرفها أولاً بإسناد الأسماء الحسنى إليه تعالى بها، وثانياً بإسناد الصفات العلى إليه تعالى فدل على أن معنى الإلهية ما تقدم فافهم.

من له مولى فهو به أولى حيثما تولى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [محمد:11] فلا يبرحون يبين يديه أينما تولوا، والذين فسقوا عن دين الله ﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [آل عمران:151] هي مولاهم فهي بهم محيطة في سائر أحوالهم ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: 49]، فكن عبداً للحق تغنم.

---

(1) رواه ابن منده في «الإيمان» (1/ 487).

(2) لم أقف عليه.

خاتم الأولياء كلهم على قلب خاتم الأنبياء فعلامته أن يحقق مواجيد الأولياء كلهم، ويختص عنهم بوجده كما حق خاتم الأنبياء مواجيد الأنبياء كلهم، واختص عنهم بخصوصيته فافهم.

الحجر الياقوت في الحجرية كالأحجار، وأما خاصيته التي تمنع تأثير النار فيه فهو حجر لا كالأحجار، وهكذا بشرية المخصوص كالأبشار، وأما خصوصيته الخارقة للحجب والأستار فهو بشر لا كالأبشار فافهم.

القطبانية ظل القيومية الوجودية في كل دائرة بحسبها، والصديقية شهود غيب القيومية الوجودية في عين ظلها والبدلية قطبانية النظام الرباني الدياني، والخلافة تصريف أحكام القطبانية، والإمامة تصريف أحكام البدلية فافهم.

ربما كان الواحد صديقاً قطباً من جهتين باعتبارات، ولا شك أن الصديقية في ضمن نظام القطبانية؛ لأنها من مراتب دائرتها فافهم.

إبراهيم ﷺ صديق في الدائرة الرحمانية ﷺ فإنه قطبها وإمام رباني لبدليته الرحمانية لكنه قطب في الدائرة الربانية الآدمية فافهم[1].

القطب مظهر نور الحق على الكمال الممكن لنوع الإنسان بحسب زمانه ودائرته، والصديق مظهر نور القطب على الكمال الممكن لمثله، والنور ما به الكشف والبيان، وتحقيق المعاني في الأعيان فافهم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [الشورى: 29].

الخلق يراد به: التقدير والصنع، والتقدير تارة: يراد به التصوير العلمي، وتارة يراد به إعطاء المقدار، أعني: جعل الشيء ذا مقدار خارجي، وعلى كل تقدير فهذا الخلق أمر اعتباري يحتاج إدراكه إلى آية تدل عليه، والخلق أيضاً يراد به المخلوق إذ ليس في الخارج منه إلا المخلوق، والخارجي مدرك بنفسه فهو آية ظاهرة سيما المحسوسات الجثمانية، وهذه الآية الكريمة أتت في بيان ظهور شواهد وحدانيته تعالى فحمل الخلق على إرادة المخلوق فيها أولى من حمله على التقدير والصنع لوضوح المخلوق، وخفاء التقدير والصنع بالنسبة إليه كما تقدم، والمراد هنا بالدابة: المتحرك بالإرادة، وإذا تبين هذا ظهر أن الآية ناطقة بأن من آياته سائر المتحركات بالاختيار، ولا شك أن أفضل هؤلاء، أو من أفضلهم النوع الإنساني.

---

(1) قال المصنف: اسمع: بوصول إبراهيم إلى النار التي لا تؤثر فيه، بل تصير بسر حلمه برداً وسلاماً، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، كما يُقال للنار بصبِّ الماء عليها: انطفئي.

وأفضل نوع الإنسان أهل الولاية والعرفان، فالأولياء العارفون من أكبر آيات الحق وأعظمها، ولقد عين الحق تعالى جماعة بأنهم آيات فقال تعالى: ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ [البقرة:259]، ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾[البقرة:259] أي: كيف نحييه، ونركبه أو كيف حفظنا وجوده في المدة التي لا تحيا الدواب مثلها عادة، سيما من غير طعام ولا شراب.

ويكون قوله: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ ﴾ [البقرة:259] أي: عظام كانت غير عظام هذا الحمار، وهذا أبلغ وأوسع علماً وفائدة ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة:259] أي: بهذا النظر الإيماني الرباني الذي هو مدد من إشهاد خلق السماوات، والأرض، وخلق النفوس الذي من منحه، وشهد ذلك اتخذه الحق هادياً إليه عضداً أي: نصيراً لأمره مؤيداً لدينه كما أفهمه قوله تعالى في الأباعد المحجوبين عن هذا الشهود بعين الإيمان فضلاً عن العيان ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: 51]، فمفهومه أن من أشهده الحق خلق السماوات والأرض، وخلق نفسه بعين العيان، والإيمان رؤية تشهد شاهدها أن الأمر، والحكم، والخلق كله لله الرحمن الرحيم جعله الحق هادياً [إليه] واتخذه عضداً أي: نصيراً لأمره مؤيداً لدينه.

وقال تعالى تبييناً وتقديراً: ﴿ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: 9] أي: كانوا من عجيب آياتنا، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [مريم:21]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون:50]، ونظائر هذه تشهد بأن الأولياء من آيات الحق تعالى، ولا ينكر ذلك إلا ذاهلٌ جاهل فافهم.

جاء في الحديث: «طوبى لمن رآني أو رأى من رآني»[1]، وهذا إذا كان قول من لا ينطق عن الهوى كان ممن ﴿ وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: 4] أوحي إليه ﷺ فمن سمعه يفهمه السليم فكأنما سمعه يقول بلسانه وألسنة مظاهره.

مَـــا فَـــاتَ نَاظِـــرٌ وجهِـــي حُـــسنٌ طلعتِـــهُ
وَلَا ســـــميعُ خطابِـــــي لـــــذةَ الطَّـــــربِ

يفهم هذا أيضاً من قوله: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا»[2] ويحمل الطرب على

---

(1) رواه أحمد (3/ 71)، وابن حبان (16/ 213).

(2) رواه البخاري (6/ 2737)، وأحمد (1/ 172).

التغني بمعنى: الشوق والطيران الروحي إلى الدرجات العلى فحقيقة السمع المعتبر هو الفهم السليم.

كما ذكر الجارية التذكرة ثم قال: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:12]، فأراد بالأذن الواعية الفهم السليم؛ لأن الجارية ليست مما تسمع بالأذن الواعية، والضمير في تعيها عائد عليها لا على ذكرها [الحروف] والحذف خلاف الأصل، والتذكرة أيضاً مصدر تذكر فهي معنى، وحملها على القول خلاف الظاهر لا لفائدة، وحقيقة الرؤية الخلقية لرتسام رقائق معاني المدرك في جوهر المدرك في كل مقام بحسبه فرؤية أوجه أهل الكمال الحقيقي من حيث هم به كمل من أكبر مغنم، وعلامته ارتسام رقيقة الكمال المشهود في جوهر نفس الشاهد بحسبه، وحسب شهوده فافهم.

ومن شهد فعالاً غالباً على أمره حكمت فيه رقيقة مشهودة وظهرت عليه علامة ذلك بظهور مقتضياته عنه فاعرف والزم فطوبى لمن رأى حبيباً للحق فصار به حبيباً للحق، ثم طوبى لمن رآه هو أيضاً فصار به حبيباً للحق، وهكذا يتصل المدد ما قام شاهد، ومشهود بذلك كما تقدم والله أعلى وأعلم.

مجالس الأولياء العارفين محاضرات روحانية لا يعبأون فيها من الفصاحة إلا بفصاحة اللسان الروحاني، وهو تحقيق المعاني ذوقاً، وحسن تلقيها حقاً، وصدقاً فإذا صحت لهم هذه الفصاحة فلا عليهم إن كلت ألسنتهم الجثمانية، أو فصحت لحنت أو أعربت فإن الله لا ينظر إلا إلى القلوب، فاللازم إصلاح حضرة مشاهد المحبوب فافهم"[1].

لما كان بتاريخ آخر يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة عام ثمانمائة قال شخص لسيدي وسيدي ماشي بشاطئ نيل مصر يا سيدي ما المراد بقول أبي الحسن الشاذلي في حزب النور: «أعوذ بك من السبعين والثمانية»؟ فوجده سيدي غير متأهل الجواب فأنظره إلى حين، ثم قال سيدي لحاضريه على قدر أفهام المبتدئين منهم: السبعين إشارة إلى ﴿سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة:32]، والثمانية إشارة إلى ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة:7]، فمن فهم سر هذه السلسلة، وأنها كل أمر متسلسل أي: منقسم إلى ما انقسم إليه التفرق في الدين فرقاً غير

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: اسمع: القلب الذي قواه ربانية ملكية تكشف وتبين الأحكام الحكمية الروحانية هو بيت الله المعمور في السماء، والمرتبة السيادية، والنفس البشرية التي في مداركها تظهر أعيان معاني تلك الأحكام، وبقواها تصور أكوان صورها، هي الكعبة التي على حيال البيت المعمور في الأرض التبعية.

ناجيه، وفهم معنى الأيام الحاسمة بريحها أي: القاطعة عن الحق بشوكتها، الماحقة لرسوم المنافع بغلبتها فقد فهم معنى ما فسر به سيدي المراد هنا بالسبعين والثمانية المستعاذ بالحق منها وإن كانت الرواية: أعوذ بك من السبعة والثمانية فهي إشارة إلى سبع ليال، وثمانية أيام فالليل عبارة عن القبول الذي فيه يجمل ما يفصله اليوم الفاعل فلكل يوم ليل من سبته، وإذا فهم هذا فهم أن هذه السبع ليال هي أبواب جهنم، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال.

ومن هنا يفهم بالمقابلة معنى السبعة الأوامر، وأولي العزم السبعة، والثمانية حملة العرش الرباني المحمدي فوق الملك الذي على أرجاء صورة العالم، وتعرف أبواب الجنة الثمانية فافهم.

في صحيح مسلم في أحاديث الرؤيا المتعلقة بأبي بكر ﷺ، وعمر ﷺ قوله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون»[1].

وعند البخاري: «يعرضون عليَّ، وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومر عمر بن الخطاب ﷺ وعليه قميص يجره قالوا: ما أولت يا رسول الله، قال: الدين»[2].

فمن هنا يفهم أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ [سبأ:10] أن هذه الأمور التي فضل بها مجمل الفضل المذكور وإن كانت قد وقعت في الصور الحسية آية، ومعجزة لداود ﷺ فإنها في الحقيقة أمثلة فسرها قوله: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ﴾ [سبأ:11]، فالسابغات هي صورة الأعمال الدينية.

كما أشار إليه الحديث، وعملها بيانها بلسان الحكمة، وفصل الخطاب وتقديرها في السرد بيانها، وتفهيمها والتنزل بها على قدر الأفهام، ووسع أذهان السامعين عند سردها عليهم كشفاً، وبياناً، والجبال مثل الراسخين في العلم والطير مثل المريدين بصدق والإلانة الحديد مثل جذب القلوب، وتصويغ النفوس لأمره حالاً وقالاً فافهم.

وفي هذه الأحاديث أيضاً قوله ﷺ: «رأيت قدحاً أوتيت به فيه لبن فشربت منه حتى أني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب ﷺ قالوا: فما أولت ذلك يا

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه البخاري (6/ 2571).

رسول الله، قال: العلم»[1] فانظر بيان هذا الفضل لما قبله.

والأظفار ما به تظفر الأصابع بالشيء وتستقر فيه وتتمكن منه، والأصابع عبارة عن الآثار الجميلة كما يقال للراعي على رعيته إصبع أي: أثر حسن فالأظفار هنا هم الهداة المعلمون للهدايات المحمدية التي هي آثار محمد ﷺ رحمة الله التي يحيى بها الأرض النفسانية الظلمانية بعد موتها بغفلتها فيكشفهم الصحيح، وبيانهم الصريح وإعطائهم كل طالب من طلبه ما يطيقه من حيث تكمل به طريقه يحصل عمل الأظفار في نفوس الأخيار، وأرواح الأحرار فافهم.

وفي هذه الأحاديث أيضاً قوله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيت أني أنزع على حوض» وفي رواية الحموي: «على حوضي» بالإضافة «أسقي الناس فجاء أبو بكر ﷺ وأخذ الدلو من يدي؛ ليريحني فنزع دلوين وفية نزعه ضعف، والله يغفر له فجاء عمر بن الخطاب ﷺ فأخذ منه فلم أر نزع رجل قط أقوى منه حتى تولى الناس والحوض ملآن يتفجر»[2].

أما ضعف أبي بكر ﷺ فإشارة إلى علو مقامه، وقلة قابلية ما لديه من الأمور لغموضها عن الجمهور، وضعف إدراكهم عن مكاشفة ذلك النور إلا أهل الصديقية الكبرى ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص:27]، وما سوى هذا في هذا الخبر أن منزلة عمر ﷺ في هذا أرقى من أبي بكر ﷺ كمنزلة أبي بكر ﷺ من رسول الله ﷺ فأبو بكر ﷺ أستاذ عمر ﷺ والواسطة بينه، وبين السيد الكامل، والسيد الكامل أستاذ أبي بكر ﷺ وموصوله لله وصلته به، وفيه أن أبا بكر ﷺ وعمر ﷺ سقاة حوضه.

وكذلك أمثالها في إمامه الهدى، وفيه أن أبا بكر ﷺ يسقي شراب المحبة، والعمل لذات السيد لا لما منه؛ لأنه قال: «فأخذ أبو بكر ﷺ من الدلو ليريحني»[3].

وأما عمر ﷺ فأخذ ليسقي؛ ولأن عمر ﷺ على قلب موسى ﷺ القوي الأمين الساقي من ماء مدين القائل لمقيم الجدار بلا أجرة ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف:77]، وقد فسر العلماء هذا السقي الذي في الحديث، والنزع بتعليم أمور الدين، وتقرير فوائده وقواعده، وإجراء أحكامه مجاريها من المكلفين، فظهر بهذا أن حوضه وهو الكوثر عبارة عن العلم

(1) رواه مسلم (4/ 1859)، والنسائي (4/ 387).

(2) رواه البخاري (6/ 2576).

(3) رواه البخاري (6/ 2576).

اللدني والعمل به.

وقوله في الرؤيا الأخرى: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»[1] أي: سيداً يفضل فضله فافهم.

وفي أحاديث الرؤيا أيضاً: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأني في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة»[2] فجعل أمر الآخرة ابناً ينتجه أمر الدنيا فالابن على صورة معنى أبيه، وهذا يناسب كون الدنيا مناماً، والآخرة تفسيره فاجعل دنياك مثل ما تحب أن تكون أخراك فافهم.

وكم في هذه المرائي من هذه الفوائد جماً غفيراً والله أعلى وأعلم.

من أول الله له صورة نفسه من دائرة القبح إلى دائرة الحسن صار حسن تأويلها روحاً يبدل الله به السيئات حسنات ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: 18]، فافهم.

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾ [الكهف:28] الآية هذا خطاب لمن يسمع بفهم رشيد أن يصبر نفسه مع أولياء الله المخصوصين بخالصة الولي الحميد فنعم الحظ هؤلاء في الدنيا والآخرة.

وهكذا قوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الكهف: 29] هو خطاب لمن يسمع أي: يا من يسمع قولوا الحق الذي عندكم من ربكم لا تخشوا فيه لومه لائم ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:29] لا نريد بقول الحق إلا الله فافهم.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف:18] أي: حال كونهم رقوداً تحسبهم أيقاظاً لعدم غفلة قلوبهم عن ربهم فمن هو في نومه يقظان فكيف به في يقظته.

وأيضاً فهم مع كونهم أيقاظ الأحلام إنما هم بحسب جريان الأحكام الربانية كالنيام من السكون بروح حقيقة الإسلام من نور السلام فافهم.

﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا ﴾ [الكهف:64، 65] الآية هذا العبد من آثارهما التي ارتدّا عليها هكذا لكل ولي خضر هو تمثل روح ولايته كما لكل نبي صورة جبريل ﷺ هي تمثل روح نبوته تظهر لحسة من قوة نفسه فافهم.

جاء في الصحيح أنه قال لعمر ﷺ: «والذي نفسي بيده ما سلكت فجّا قط إلا سلك

---

(1) رواه البخاري (3/ 1329)، ومسلم (4/ 1862).

(2) رواه أبو داوود (4/ 306).

الشيطان فجًا غير فجك»[1].

فإن قيل فكيف يغويه في الجاهلية ؟ قلت: المراد بذلك صورته الروحانية التي هو بها ذلك المخاطب حين خوطب فافهم، والله أعلى وأعلم يا سيدي، يا مولاي، يا عزيز يا ودود[2].

الناطق قيوم نظام الحقائق فإن تجرد لخاصة مرتبته فهو الحق الحي القيوم المتعين بكل شيء وإن تقيد بخاصة مرتبة دون مرتبته كما كان بحكم ذلك الشيء وتردده بين الرتب هو تقييده بما غلب فافهم.

جاء في الخبر المحمدي: «أنه قيل له متى وجبت لك النبوة قال: إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»[3] أي: مقيد بمرتبته الطينية بقيد الاحتجاب الخلقي.

وقيل له: «متى كنت نبيًا، قال: وآدم بين الروح والجسد»[4] أي: متردد بين هاتين

---

(1) رواه البخاري (3/ 1199)، ومسلم (4/ 1863).

(2) زيد في المطبوع: [قال قائل: أنتم يا وفائية شاذلية فلم لا تقرءون حزب الأستاذ أبي الحسن الشاذلي وظيفة؟ قلت: لأن الألفاظ وسائل ومعانيها مقاصد، وإذا حصلت المقاصد فلا حاجة إلى الوسائل، ولما وجدنا جميع معاني أحزاب السادات مجموعة في حزب الفتح الذي شرفنا أستاذنا بجعله وظيفة نتلوها في الأوقات المعروفة أغنانا الله عن قراءة ألفاظ حزب آخر وجعلنا بتلاوتنا لهذا الحزب الشريف تالين لسائر الأحزاب المعتبرة فنحن كما إذا قرأنا القرآن، فقد قرأنا كل كتاب هدى كذلك إذا تلونا هذا الحزب الشريف، فقد تلونا كل حزب هدى فافهم ذلك.

قال: فلو قرأتم تلك الأحزاب أغنتكم عن هذا الحزب قلت: لا؛ لأنه جمعهم وأختص عنهم بخصوصية كما اختص القرآن بما ليس في كتاب هدى سواه.

وأيضاً: فالحكم للوقت، ولا تصح صلاة واحد ائتم المصلي فيها بإمامين يتبع كل منهما، ولو اتفقا واستويا، وفي الحقيقة أستاذنا صاحب الختم الأعظم فالشاذلي وجميع الأولياء من جنود مملكته ومأمومي إمامته، وليس هو في زمرة ذي حكم؛ لأن أستاذنا يحكم ولا يحكم عليه في سائر الدوائر؛ لأنه سر خاتم النبيين، ووارث كماله فكما أن كلاً من الأنبياء الخاتمين تابع ومأموم، وإن تعبد برهة بشرائعهم أو شرعة واحدة منهم فهو في الحقيقة إمام صاحب تلك الشرعة لا مأمومه كذلك كل من الأولياء خاتمهم تابع ومأموم، وإن عمل بطريقة أحدهم حيناً.

ويكفيك قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [النساء:125] مع قوله: «أقوم مقاماً يرغب فيه إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ يقول: «اجعلني من أمتك» والعلماء بالله ورثة أنبيائهم فخاتمهم وارث خاتمهم، والحكم واحد فافهم، والله أعلى وأعلم].

(3) رواه الحاكم في «المستدرك» (2/ 453).

(4) رواه الترمذي (5/ 585)، وأحمد (4/ 66).

المرتبتين فليس هو هما بالحقيقة، وإنما هو إمكانيتها فله وجوب له إمكان ومن شهده من حيثيته ثبوته له لا عن إمكانيتها فله وجوب وله إمكان ومن شهده من حيثيته منهما وعامله على شاكلة ذلك أتاه من مشهده بروح مدده؛ فافهم.

يتنزل الناطق بين الروح والجسد أظهر قضايا الفرق وأحكام الفرقان بين حق وخلق في كل مقام بحسبه، وانظر إشارة عزة قول من هو سيدي ومولاي:

وذاكَ الَّــذِي قَــدْ كَــانَ فِي الأرضِ كائنــاً

بــتكــوينِ كونــي كــانَ منــزلُ نزلتــي

وتدري بها الآيــات فافهم.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران:96] هو الكون الآدمي سيما في ظهوره المحمــدي وهو ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران: 96، 97]، وهذا الهدى هو كون الظهور المحمدي، وهو [أول] بيت للنفوس اللاهوتية كما [آدم] أول بيت للنفوس الناسوتية ،والتبارك شأن الكون الآدمي، والهدى، والأمن شأن الكون المحمدي هذا حقيقة الأمر، وبنية الكعبة مثال مضروب للقاصرين، وضع ليذكرهم المعنى عند رؤية مثاله، وبقعة هذا البيت هو مدفن جسد آدم ﷺ فافهم.

الصور المعظمة في نفسك بتعظيم مشروعها قبلة وكعبة هي روحانية هذه البنية، وهي القبلة حقيقة من حيث تعتقد أنها بيت ربك، وما هي إلا بدلاً من قلبك فلا توجه قلبك إليها؛ ولكن وجه إلى قلبك لربك، وإذا عرفت هذا عرفت أن القبلة تجاه كل مصل مستحضر ما أمر بالتوجه الجثماني إليه بمثل ذلك فيكفيك أن تستحضر هذه القبلة عند توجهك استحضار من يرى أنه يراها؛ لأن حقيقتها الروحانية عندك وهي التي أمرت بالتوجه إليها؛ لأنها المصاحبة لك حيثما كنت و﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [الطلاق:7]، فاجتهد في أن تصحح حضورك، وصل على وجهــك ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة:115]، ولست مستقبلاً حينئذٍ إلا العين فافهم.

﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص:75] الغذاء شبيه بالمتغذي في كل مقام بحسبه فالجسم غذاء الجسم، والروح غذاء الروح، والنفس غذاء النفس، والعقل غذاء العقل، والعلم غذاء العلم، والحق للحق، والخلق للخلق فافهم.

أستاذك علم مكنون فلا يتغذى به إلا عالمك ،ولا غذاء لعالمك إلا به ولا بقاء لحي إلا بغذائه فافهم.

كل من كان أفقه إدراكاً منك فإنه يسمع ما لا تسمع، ويرى ما لا ترى، وأنت وهو في

مجلس واحد بلا مراء في كل مقام بحسبه فافهم.

الخنق في اللغة: التضييق والخانق الطريق الضيق، ومنه سميت الزاوية التي يسكنها صوفية الرسوم «الخانقاه» لتضييقهم على أنفسهم بالشروط التي يستلزمونها في ملازمتها.

وقد حضرت يوماً في الحضرة الرحمانية وحولي جماعة فأفيضت عليهم خلع رحمانية فذكروا بعض إخوانهم الذين غابوا عن تلك الليلة، فقال شخص منهم: من غاب غاب نصيبه فقلت له: الذكر حضور فما غاب من ذكر فقيل لي: قل له من غاب غاب نصيبه عند أهل التضييق لا عند أهل التحقيق[1].

وفهمت أن المراد تنبيههم على حقائق الأمور،لأن من غاب غاب نصيبه، وإنما يتداولها أهل الحق وهي مضايق كما تقدم «سبحان من رحمته وسعت كل شيء وبحمده» فافهم.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:154]، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام:57]، فمتى ظهر أمر ولاح حكم في مظهر، فإنما هو مظهر الله عند أهل فلذلك لا يقابلونه من حيث هو هكذا إلا بأدبهم بين يدي الله، وإن أحسوا منه بحابية مغايرة في نفسه شهدوها غيرة من الله وأخلصوا معاملة كل شيء بالله متجردين عن مشاهدة غير الله، فإن ظهر منهم لشيء إعراض، أو إقبال فإنما هو من الله وإلى الله، وهذه هي الطبقة العليا، وهؤلاء هم أهل الرعيل الأول العلماء بالله، وما أعز خلوص هذا المشرب.

ودون هؤلاء من يرى الأمر كله، والحكم جميعه لله إلا الحجابية عن ذلك؛ فإنها شأن الغير فيتوجهون لله بأنوارهم ويعاملون الغير بمغايرتهم، وهؤلاء حكماء تفاوتت عندهم الموازين، واختلفت لديهم القوانين فعاملوا كل أحد بميزانه وخاطبوه بلسانهم فافهم.

الأدب شهود الحق في بريته، والكون بين يديه بما يختار في كل مقام بحسبه فافهم.

لا تخرق حرمة من يجب أن يحترم إلا وفيك بقية من حكم مغايرتك للحق تحكم عليك بأنك قليل الأدب حكم عادل؛ لأنه ما حب أن يحترم في ذلك المظهر بالحقيقة إلا الحق، وأما إذا لم يكن فيك بقية من حكم الغير فالأمر منك إنما هو من الحق لنفسه:

﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: 102]، ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة:14، 15]، فافهم.

الحق في مراتب الخلافة قائم بأن يدفع خلافه فكذلك لا يغني عن دعوى مشاركته في

---

(1) قال المصنف: اسمع: الرحم قابل مثال الصورة الرحمانية؛ لقوله: «خلق الله آدم على صورة الرحمن»، والرحم قابل تولده في دائرة التولد، فهو قابله في كل مقام بحسبه.

تلك السيادة بقال ولا بحال في كل مقام بحسبه.

طلب الظهور في مرتبة التحجب يوجب المنازعة، ويوجد المماكرة، والمخادعة في كل مقام بحسبه فافهم.

الروح الحكيم مرتبة كشف وتقديس، وهو المتمثل بكون كل إمام، هدى، رحيم.

والوهم البهيم ضده فطلب الظهور الرباني في الأول باعث سعادة توجب الإفادة، وفي الثاني باعث منازعة توجب المخادعة، ومن ثم سمى الرحمن الحبيب الهادي ستاراً غفاراً، وسمى الشيطان العدو المضل مكاراً كفاراً فافهم.

قال الهادي: إني ﴿ جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:30]، ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:29]، فنازعه المضل بمخادعته فستر طلب ربوبيته بدعوى عبوديته فقال: ﴿ لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ ﴾ [الحجر:33] قولاً باطنه ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [ص:76]، فستر معنى تنزيه نفسه بصورة تنزيهه لربه، وذلك ستر بمزقه هبوب ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:30]، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص:68]، فالربُّ حقه الاختيار والعبد شأنه الائتمار فإن عمل على غير شاكلة حدة فقد طغى، ولا تخرج له من قيده، وقس على هذا فافهم.

الوالد متى قدر على الكسب وصلح له سقطت مؤنته عن أبيه، والعبد أمره لا يخرج عن سيده بسبب فالزم العبودية لمن هو كاف عبده تغنم وكفى بالله فافهم"[1].

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ ﴾ [الصافات:102] الآية: المراتب السيادية لها كرم ذاتي بإفادة السيادة، وغير لازمة من المشاركة فيها فلا تخلص من هذه الشبكة، ولا نجاء من هذه الهلكة إلا التجرد عن مغايرة العبد لسيده من حيث إدراكه، والفناء القاضي بسلب حكم الشكرة.

اللهم إنا نسألك من فضلك يا سيدي ومولاي أنت اللطيف الخبير بهذا العبد الفقير، ما من مولى إلا وقد أثبت لنفسه مغايرة، وإنما يغار على أن يكون بحيث يقضي، وهم بأي غيره توحيداً مجرداً عن المغايرة من كل وجه وجهة قال: هو سيدي ومولاي.

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: فالوارث هو المرشد إليه، والدال بروحه الحكيم عليه وإن فهمت من (المولود له) واضع نطفته من صلبه بالنكاح البشري المباح في رحم أمه أمانة، فالوارث في الظاهر أقرب أهله إليه من الأحياء، وفي الباطن هو خليفة ربه الهادي الحكيم في إرشاده وهدايته فعليه من رزقه وكسوته الباطنة النورانية، مثل ما على أبيه الذي ولده من صلبه من رزقه وكسوته الظاهرة الجرمانية. جاء في الحديث: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»، فهو أمرٌ تمثيليٌّ.

أغـــارُ علـــيها مِـــنْ تـــوهـــمِ غـــيرهـــا
وغـــيري عـــلى الأغـــيارِ صـــاحـــبِ غـــيرة

فافهم.

رأيت ليلة الخميس خامس عشرين شهر شوال عام 805 هـ رؤيا اقتضت أني عزمت حين انتبهت على ألا أجتمع بقوم يعظموني من حيث يتوهموني غير سيدي ومولاي في مجلس يقدر عندهم ذلك، أو يستدعيه منهم فحسب العبد ومولاه فالعبد لمولاه ما يعرف إلا هو فافهم.

كيف تتحقق بمن «لا شيء معه، ولم يكن شيء غيره»[1] وأنت عندك شيء غيره كائن معه فإن وجد الأول مشروط بفقد الثاني أو ملازمه فافهم.

مرتبة المعبود أحب مراتب الفرق إلى الوجود فافهم.

المعبود، العليم، الحكيم: هو الحق السبوح القدوس فتوسم وأعرفه إذا ظهر بعلامته العلامة فافهم.

إذا وجدت الناطق بالحق المبين عندك فأعلم أنه عين مرتبة معبودية وجودك فالزم عبادته بعابديتك حتى يأتيك اليقين برفع حكم المغايرة بينهما تغنم منك كل مغنم فافهم.

يا أصحابنا الربانيين السلام علينا وعليكم ورحمة الله وبركاته لي مولى أنا ولده في مدارك أهل الولادة، وأنا عبده في مدارك أهل السيادة، وأنا هو وهو إياي في المدارك المجردة عن حكم الزيادة المطلقة من قيود المراتب، والعادة فمن شهدني مولاي فأنا له نور، ومن احتجب بي عن مولاي فأنا له ظلمة، وقد نصحت وبينت ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح:28] أيها المتنصح فافهم.

تولدت حواء عن آدمها، وتزوجها، والزوج سيد زوجته كما قال: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف: 25]، وهو هاديها ومعلمها، وتلك سيادة أخرى، العلماء سادة فكان آدم عليه السلام والد حواء في دائرة الولادة، وسيدها في دائرة السيادة، وتولد عيسى عليه السلام عن مريم فكان ولدها في دائرة الولادة، وهداها وعلمها فكان سيدها في دائرة السيادة، وتولدت فاطمة عن سيد الناس يوم القيامة فهي ولده في دائرة الولادة، وعبده في دائرة السيادة، وقس على هذا فافهم.

قال الصديق أبو بكر رضي الله عنه: «ارقبوا محمد ﷺ في عترته» أي: اشهدوه بهم فإن وجدتم منهم

(1) سبق تخريجه.

ما يشق عليكم فسلموا وأرضوا به كما لو جاءكم ذلك منه مواجهة لكم ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:65]، وإن وجدتم منهم ما يعجبكم فاشهدوه منه فيهم كي لا تحجبون بهم عنه وتحبونهم دونه، وتنسونه بذكرهم فما هم في الحقيقة منه إلا كالبشر السوي من أثر الروح المتمثل به، وهل الفرع في الحقيقة غير أصله أو ثمراته إلا منه فافهم.

عند مباشرة الحاسة السليمة لجسم تدرك النفس المدركة معناه باللزوم فما جعلت [الأجسام] الآخرة إلا لمعرفة المعاني ولموضع هذا اللزوم يقال على ذلك المحسوس: أنه ذلك المعنى حتى تقول: رأيت الإنسان، ولم تر إلا الجسم الذي هو آلة الإنسان وحجابه، بل وتعينه في الدائرة الجثمانية.

ولذلك تسمع الصوت فتقول: سمعت كذا وتذكر المعنى فقس على هذا، وإلى هذا أشار الحق ببعض ألسنته الربانية حيث يقول: «كنت كنزاً لا أعرف» يعني :مرتبة التجرد أي: «فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً»[1] أي: قدرت أعياناً تقديرية «وتعرفت إليهم» أي: ودللت على في كل منها بكل منها «فبي عرفوني» أي: لأني أنا الكل هذا حقيقة هذا الكلام في التحقيق، وله في الفرقان معان أخرى، وكل من عند الله فافهم.

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات:13] انظر كيف جعل الأمر الجثماني للتعارف ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56].

﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف:32]، وانظر هذا الأمر الآخر:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف:11]، فما كان السجود إلا بعد تصوير المخاطبين بمهلة ففيه إشارة إلى أن العالم الروحاني ثابت، وإن تغيرت ظهوراته الزمانية وفيه تحقيق أن هذا السجود وجب لآدم ﷺ في الدائرة المحمدية، وفيه إشارة إلى أن في كل صورة آدمية آدم ﷺ وأملاكه له ساجدون، وهكذا حقائق الأئمة كل منها كلي أم بالنسبة إلى أتباعه: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [إبراهيم:36]، فهو هم مجملاً وهم هو مفصلاً ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل:120] مجملاً أي: وهو الآن أمة مفصلة ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج:78] «أنا من الله والمؤمنون مني»[2] «أنت مني وأنا منك»[3] الأول بالوجود والثاني

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 173).

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (1/ 237).

(3) رواه البخاري (2/ 960).

بالشهود الأمي الذي هو حقيقته المرتبية أم أي: أصل فهو إمام ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ [الجمعة:2] أي: الأئمة فهذا الأمي إمام الأئمة قال: هو سيدي ومولاي وحقيقتي ومعناي.

أميــــةٌ أمـــــةٌ أمـــتْ بأمـــتهَا فأمّهــا كــلُّ أمــيٍّ مِــنَ الأمــمِ

فافهم.

الشمس خزانة الحياة ومبدؤها في قوابلها، والقمر خزانة بسط أثر الشمس في محله، واتساع ظهور حكمــه و«إنكم لترون ربكم» في حضرة الجمع كما ترون الشمس وفي حضرة الفرق «كما ترون القمر»[1] وانظر كيف حياة الإيمان بالحق ثابتة في الفطرة بالفيض الشمسي، العيني، الوضعي ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:30]، ولا يظهرها من القوة إلى الفعل إلا النور الناطق الهادي، القمري، الشرعي ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:15]، فانظر قمرية هذه المرتبة، ولو كشف غطاء الفرق بين ظاهر بنفسه، وظاهر بمقابله لكان الشمس والقمر اسمين لمسمى واحد ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:17]، فنور الشمس يمد، ويقدر، ويؤثر، ونور القمر يشفع في الظهور فيوسع ويظهر فافهم.

أنت أيها المريد غصن، ونور أستاذك شمس يحييك، وقمر يربيك، وانظر ما قال هو سيدي ومولاي:

أيــا بــدرٌ عــلى غـصنٍ رطــيبٍ المــــــشهدُ بــــــتمامِهِ

فافهم.

متى فتحت مسد مداركك، وانكشف حجبها أدركت بكل منها ما يدركه كل منها فلا تسمع شيئاً إلا رأيته، وقس على هذا في كل مقام بحسبه فافهم.

لما يظهر خاتم الدائرة لم يبق لشيء منها ظهور إلا بحكمه، وإلا فمتى ظهر بعده غيره لم يكن هو خاتم.

ومن ثم قال خاتم الدائرة الفرقانية: لو ﴿ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:88] يعني: وإنما يأتون إن أتوا به أوبما هو منه، وهكذا قال القائل له: يعني [طلع] أقبل البدر علينا من ثنيات الوداع، يعني من مشارق الختم، وجب الشكر علينا، ما دعا لله داع يعني: فإن كل داع لله بعد هذا الخاتم في دائرته إنما هو هو أو منه ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:108]، ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ [إبراهيم:36]، فافهم.

---

(1) رواه البخاري (529)، ومسلم (633).

إن لم تر إلا الله فعلى من تتكبر فافهم.

مريد فعيل من الإرادة فبدايته بمعنى: طالب ونهايته: بمعنى مطلوب، ووسطه الجامع بمعنى: طالب ومطلوب وخير الأمور أوسطها فلا يزال طالبه يتوجه إلى مطلوبه بمحب[1]، وهو الحبيب بجميع معانيه، ما أطيب هذا العيش هذا عيش الحق المبين حيث يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص:54]، فافهم[2].

﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران:165] أما في الحقيقة فما منك إلا وإليك، ولا إليك إلا ومنك، وأما في الذوق الرباني فيد السيادة إذا أقتلعت القلب، أو حاولت اقتلاعه بمكنة الولاية الربانية من أيدي النفس البشرية نادت بقواها للمدافعة، فإن لم تستطع المقابلة في ذلك إلا بالآت يدنها التي أسلمت فيه ظاهراً لصاحب تلك اليد التبست بالنفوس المستعدة؛ لذلك واستعملت بها قوى أبدانها في تلك المدافعة فأولئك هم المواجهون؛ لذلك السيد بالمنازعة والمحاربة، والمستعمل لهم في ذلك بالحقيقة إنما هي تلك النفوس التي أسلمت ظاهراً، ومعها بقايا نزاعها، وكذلك أوجب عليهم أن يحاربوا من حاربه، وما أوجب عليهم في الحقيقة أن يحاربوا إلا أنفسهم المنازعة له في استخلاص قلوبهم لتخصيصاته الربانية فإذا سلمت النفس بحكم القلب لم يبق لها نزاع، ولم يبق لها مظهر في محاربة ربها ووليها، وإلا فلها من ذلك بقدر بقية نزاعها، وكلما كان التمكن من القلب قوياً كانت منازعة النفس أكثر واضعف، ولم يحصل مثل شج الجبين وكسر الثنية إلا من النفوس المنافقة.

ولذلك قال: «كيف تفلح أمة فعلت هذا بنبيها»[3] وهو يدعوها إلى الله، وأما ما دون ذلك من التشويشات التي لا تبلغ هذا المبلـــغ فمن نفوس بعض المسلمين، وهم الذين قال عنهم: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[4] ولهذا شهد عمر ذلك حيث قال: أبيت أن تقول إلا خيراً، ولو دعوت علينا لهلكنا عن آخرنا فافهم.

ما ثم والله إلا الله فكل من عند الله و﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:3]، ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل:88]، فلكل مقام منه مقال، ولكل مجال منه رجال فافهم.

---

(1) زيد في المطبوع: [ولا يزال مطلوبه يواجه طالبه بمحبوب].

(2) قال المصنف: لمسمع: استغناء المريد بأستاذه عما سواه عنوان فوزه بمعنى.

(3) رواه الترمذي (5/ 227)، وأحمد (3/ 201).

(4) رواه البخاري (3/ 1282)، وأحمد (1/ 453).

العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال، والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما به تحقق ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:50]، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:11]، ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: 54]، وهو هو يا هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو.

أقوى ما أستدل به من ظواهر الأدلة السمعية على أن إبليس من الملائكة ظاهر قول الحق: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف:12]، وهو استدلال ضعيف؛ لأن قول الحق: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا ﴾ [الإسراء:61] لا يدل على أنه لم يقل لغيرهم من الجن فيكون إبليس جان مأمور لا ملك، وأما الاستثناء فمنقطع بدليل أن إبليس من نار، والملائكة من نور.

وقول الحق: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الكهف:50] مع قول الملائكة إذ قيل لهم: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ [سبأ:40، 41].

ظاهر قوي في أن إبليس ليس من الملائكة، وتأويل كونه منهم على أنه عمل بعملهم، أو شابههم في الوصف خلاف الظاهر فلا يصار إليه بلا دليل فافهم، والله أعلى وأعلم.

واعلم أنه قبل الكلام في عصمة الملائكة ينبغي أن يعرف المراد بلفظ الملائكة ما هو لينظر فيمن يدعي [كونه] حظوة [منهم] هل يصدق عليه تعريفهم فيكون منهم أولا فإن عرفوا بأنهم عباد مخلوقون من نور لم يدخل الشيطان فيهم؛ لأنه من نار، وكذلك إن عرفوا بعباد يأتون بالوحي الحق من الله للأنبياء من البشر لم يدخل الشيطان فيهم؛ لأن الوحي المحمدي ما تنزلت به الشياطين ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [الشعراء:211] إنهم عن سمع جميع الوحي لمعزولون فلو كان الشيطان ملكاً لكان يصح منه أن ينزل بالوحي، وإن حالت اللعنة بينه وبين وقوع الإنزال به، لم تحل بينه وبين الصحة التي هي من لوازم مفهوم الملك لو كان ملكاً؛ لأنه إذا كان ملكاً حال بينه وبين ما يصح منه، ولكن ما ينبغي لهم نفي الصحة، وليس لفظ إبليس والشيطان مطلق عليه باعتبار حال اللعنة؛ لأنه قبل لعنته قيل له: ﴿ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ ﴾ [ص:75]، واسم الشيطان قد يطلق على القرين الجاني، وإن أسلم كما ثبت في صحيح الخبر، وإن الحق قد سلب صحة التنزيل بالوحي المحمدي عن جميع الشياطين فدخل إبليس فيهم؛ لأن اللفظ يشمله فليس هو بملك على هذا التعريف؛ وإن عرفوا بأنهم أشخاص روحانية مجردة عن المادة لم يدخل إبليس؛ لأنه يجري مجرى الدم، ولا هاروت، ولا

ماروت، بل ولا من يحس متجسماً بجسم مادي، وهكذا فاعتبر ما به يعرفون، واعتبر ذلك التعريف هل هو موجود فيكون منهم أم لا فافهم، والله أعلى وأعلم.

سكتات العالم حيث تعين الكلام عليه ككلام الجاهل حيث تعين السكوت عليه فافهم، والله أعلى وأعلم"[1].

واعلم أن قصة الخضر وموسى عليهما السلام نص على أن للحق من أقامه في عباده لتبيان المكتسبات، ومنهم من أقامه لبيان الموهوبات ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر، ولا يشاركه فيما أقيم فيه وإن كان أحدهما نبياً، والآخر ولياً فافهم، والله أعلى وأعلم.

قال الحق المبين في ناطقة المحمدي بكليمه الواجب لسميه الممكن: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشورى:24][2] على قلبك القائم بختم الأنبياء في رحيمية فرقان فرقه في دائرة بعث كل ولي على قلب نبي ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: إلى الله من حيث يعرفون أنه الله عيناً: ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يظهر لهم من حيث يعرفونه: ﴿ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ هي كون صاحب الختم الإلهي القائم بحجة بياناته المقبولة بقبول السلام المؤمن من أهله والملائكة هي صور أحكامه الربانية الحكيمة ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي: انتهى.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة:210] في هذا الختم الوفائي الإحاطي.

قال هو سيدي ومولاي:

أزلتُ بمعنى العلمش صُورةَ عقلــو وأطلقتُ عقيلي مِنْ عوائــقِ نقلــو

وأبديتُ سرَّ الله سرًّا لأهلــو أناجي نجياً مِنْ لجاجــةِ جهلــو

بتأصيــلِ تفــصيلي لتوصيــلِ وصــلتي

وأيضاً ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينظرون رؤية غير الله ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة:210]، وهي حجب كياناته، وبياناته الفرقانية، وأما إذا أتاهم في عيونه الجمعية فإنهم ينظرونه، ولو فتح نور الوحدة بصائر المتنظرين لنظروا ما هم ينتظرونه حاصلاً عياناً.

قال هو سيدي ومولاي:

فإنْ ضمَّ عنكَ البدرُ دونَ غمامــةٍ فكيفَ إذا ما ظلَّ في ظلِّ ظُلمــةٍ

الله هو وجودك بمعنى: ذاتك وأنت وجوده بمعنى عينه أيها الكامل عين الشيء هو

(1) قال المصنف: اسمع: من إذا تكلّم كانت سكتاته عن منطوقاته من جملة كلماته، فإنه لا يزال متكلماً لمبدأ.

(2) زيد في المطبوع: [أي: إن يشأ وجودك الإلهي يظهر متعيناً بحكم ختم الأولياء المستوى برحمانية جمعه].

وصفه من حيث نعته له، واسمه من حيث تبيينه الذاتي به، والله المحيط هو الوجود الذات المتعين بكل موجود،فالكل صفاته وأسمائه ويحكم مرتبته الإلهية يصلح نظام الموجود ويكمل قوامه في كل مقام بحسبه[1].

فهو الله الإله في كل اسم من أسماء إحاطته قال: هو سيدي ومولاي في كل اسم لله الله قائم بوجوده أي: عينه أو بمعناه أي: بمفهوم عين هولا يستحق اسم الجلالة الإلهية إلا في أكمل مظاهره لكمال ظهوره بمعانيه الإلهية فيه فهو وجوده بمعنى عينه الأكمل، وهو وجوده بمعنى ذاته الأحيط الأشمل فهذا الظهور حقيقة ظهوراته في باقي المراتب، وتلك الظهورات رقائقها ففي كل اسم لله الله قائم بوجوده الأكمل أو بمعناه الذي هو رقيقته:

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا ﴾ [الفرقان:46] أي: ضممناه إلينا ودرجناه فينا، فمن ظهر فيك بحكمه فغلب به على حكم مرتبتك حتى استغرقه فقد قبضك منك إليه فإن كان [القبض] أبسط منك ففي قبضك إليه بسطك بل هو هو قال: هو سيدي ومولاي، وقبضهم بسط وكسرهم جبر.

---

(1) قال الأستاذ العارف الكامل سيدي علي بن وفا -نفعنا الله تعالى به، ورضي عنه- آمين:

ذواتُنا وجودهُ وعينُنا شهودهُ

اعلم أن كل ما سوى الله تعالى من جواهر وأعراض لا تحقق له إلا بالوجود ضرورة إنه قبل وجوده عدم، والحق أن الوجود الشيء هو نفس ذاته كما هو مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، وليس بزائد عليها كما هو مذهب الإمام الرازي، فأشار العارف بالله تعالى نفعنا الله به إلى ذلك بقوله: «ذواتنا وجوده» ولما كان لا قيام للذواتنا إلا بوجوده تعالى أطلق عليها أنها وجوده بهذا الاعتبار، فالمعنى: أنه تعالى وجود ذواتنا فهي موجودة به تعالى إذا هي عدم، والعدم لا قيام له بنفسه، ومعنى كون وجودها أنه تعالى مفيض عليها الوجود الذي لا قيام لها بدونه، فالذوات لها جهتان: جهة خلق، وجهة حق فهي من حين وجودها الخارجي الكوني الحد ثاني خلق محض، ومن حيث وجودها القائم بها حق محض، فمن كشف لله تعالى الغطاء عن بصر بصيرته، ورفع الحجب عنها بعد تطهير سريرته نظر إليها من الجهة الثانية، فكانت له عن شهود غيرها ثانية.

فعند ذلك يسمع نداء الحق من واجهته المقدسة عن التعلق بالأغيار: اخلع نعليك فها أنا معك، وبه بك فليس للمقصود الدار، وما حب الديار شغفن قلبي، ولكن حب من سكن الديار ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: 14] من حيث حقك، فاعبدني من حيث خلقك ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[طه: 14] قياماً بواجب شكري، فحينئذٍ تستغرق في شهود الجمال المطلق ويغيب عن داره ثنوية الفرق، ويقول لسان حاله، وينشد فصيح مقاله تفرد معنى الحسن فيه فلا أرى ثنوية؛ فالأول أشهده معي وليس معي في الملك شيء سواه، والمعية لم تخطر على المعنية إذ المعية تشعرنا بالاثنينية.

قهارك من صورك فيا لا يمكنك التحول عنه بحيلة في كل مقام بحسبه فمتى تهرك قهارك الإلهي بصورة كمال لاهوتك فقد صرت به لاهوتاً لا مانع لظهورك بحكمه ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:32] أي: بمن ظهر بوجوبه في مثاليته الإمكانية فاتخذه له كنون الوقاية فهذا هو وقاية الله المتعين به، وبالتأهل الحاصل بينهما هو أهل التقوى فأهل القرآن أي: الجمع الإلهي «هم أهل الله وخاصته»[1].

عرش الوجود هي المرتبة العينية التي يظهر بها بحكم تمام الظهور ظهوراً علمياً، وفروعه في كل مقام بحسبه فهو مرتبة استواء، والاستواء هو الظهور التام في كل مقام بحسبه ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود:7] هذا العرش هو الناطق الذي استوى عليه وجوده بالكشف والبيان حتى عن معاني ألوهيته الإلهية حال ظهور تكونه البشري المسماة مادته ماء منياً سواء كان عن بشر مثله أو لا وهو أيضاً كرسيه الذي وسع السماوات والأرض ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة:255] الأول بإدراكه العقلي، والوهمي، والثاني: بإدراكه الخيالي، والحسي، والتخيلي، والإحساس[2].

الناطق الرباني في مظهره البشري عرش على ماء تنزيهه، وتمجيده.

اسمع: لما تجلى وجود الناطق المحمدي فيه بحكم أحديته الإلهية قال واجبه لممكنه: ﴿ قُلْ هُوَ ﴾ أي: وجوده الأحدي الإلهي ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:1]، فوجوده من هذه الحيثية: هو مسمى هذا الاسم وموصوف هذه الصفة في وقته وأوانه.

كما أن مكة ينزل بها المطر ليلاً فتصبح أرضها به مخضرة كذلك الفيض المحمدي يحيي قابله، ويظهر فيه أثره لوقته ولذلك نبه الناظر بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج:63].

لما نظر الناظر المحمدي فلم يجد الوجود الإلهي الفرقاني ظهر الظهور التام في دائرة الإمكان إلا في نفسه المحمدية قال: «إن الله خلق آدم على صورته»[3] يعني: في زمانه المحمدي بظهور وجوده الإلهي في صورته الآدمية بحكمه وصورته الإلهية تمام الظهور بل أتم ظهور يحصل في دائرة الإمكان، ولما نظر الصورة الإلهية ظاهرة من فاعله الإلهي في قابله على هذا

(1) سبق تخريجه.

(2) قال المصنف في «المسامع»: اسمع: موجودك عرش وجودك من حيث ظهوره به تمام الظهور في كل مقام جمعيٌّ بحسبه.

(3) رواه البخاري (5/ 2299)، ومسلم (4/ 2183).

الكمال قال: ﴿ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ [الزخرف:81]، ثم أراد بيان أن هذه الولدية إنما تحصل قبله فقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص:3] أي: فيما تقدم، ثم بين أن هذه الولدية إنما هي في دائرة التولد، وأما في تحقيق الأحدية الوجودية فهي منفية إذ هو الوجود الواحد يظهر في كل مقام بحسبه، كما أنه في مرتبته الإلهية الوجوبية الفرقانية قدوس نزيه عن التولد الجثماني على الطريقة البشرية فقال: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد:3]، وما هذه نافية فانظر ماذا أثبت، وماذا نفى والمراد وجوده الإلهي، وإن كان قد قيل سوى هذا و ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [النساء:78]، ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾[الأنفال:44].

اسمع: كل ما أنبأ به واحد بحقه المبين فإنما أنبأ به عن وجده في زمانه، وإنما أخبر به ماضياً أو مستقبلاً.

كما قال: ﴿ وَوَالِدٍ ﴾ أي: في الحال ﴿ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد:3] فيما تقدم أنه رأى ذلك له في زمانه، ولم يره لأحد تقدمه كما قال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران:179] أي: ولكن في زماني بلساني أطلعكم على الغيب «كان الله ولا شيء معه»[1] أي: بتوحيدي الذي لم يأت به أحد قبلي.

وقال عارف وجد ذلك: «وهو الآن على ما عليه كان» يعني في وجده وزمانه، وقس على هذا!.

الرب: هو الوجود المصلح في كل مقام بحسبه، واللاهوت :هو الوجود المدبر في كل مقام بحسبه والله الإله :هو الوجود المتصف بالمعاني المحيطة بالتعلقات الحكمية في كل مقام بحسبه[2]، والظلام ضده والنار المرتبة المشتركة بين المرتبتين، واليوم عين النور في الدائرة الزمانية في كل مقام بحسبه فالعقول العلمية، الحكمية، المتنزلة في الدائرة الزمانية أيام الله العليم الحكيم المعنوية فيها كما أن أزمنة ظهورها بأحكامها أيام الله الزمانية في كل مقام بحسبه، فالحاضر منها هو: الوقت، والماضي منها أمس والمستقبل منها غد، ومبدأ البيان الجمعي منها يوم جمع، ومبدأ الفرقان منها يوم فرق، وقس على هذا، ومبدأ البيان التوحيدي الصابغ لواجده بصبغة الصورة الإلهية يقيناً هو اليوم الذي فيه يرجعون إلى الله، واليوم الجامع هو مبدأ بيان رد الكثرة إلى واحد في كل مقام بحسبه، واليوم المجموع له هو مبدأ بيان مراتب الكل بحيث يقدرهم فيها عياناً فهو يوم لا ريب فيه؛ لأن المتاني من حيث العيان لا يعارضه

---

(1) سبق تخريجه.

(2) زيد في المطبوع: [والنور مبدأ الكشف والبيان والتمييز في كل مقام بحسبه].

الشك، والبهتان في مدارك الأعيان، والليل عين قبول النور المستفاد من النور الفاعل اليومي في كل مقام بحسبه فافهم، وحيث تعين لكل فاعل قابل في دائرة الزمان تعين لكل يوم ليل.

جاء في الحديث: أن الموت يؤتى به «في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: خلود بلا موت»[1].

الكبش في اللغة اسم للحيوان المعروف من الضأن، واسم لكبير القوم وهو في المثال التخيلي هكذا، والذبح إزالة الفضلات الردية وزكاة المحل منها.

ومن ولي القضاء [فقد] يذبح بغير سكين فهو ذبح معنوي فمن أقيم للقضاء بإزالة رعوناته الوهمية فهو ولي أمر قاضٍ بالحق، ومن لا فهو متغلب قاضٍ جور، وما دامت صورة قبض الحياة عن محلها المسماة بالموت متغلبة على نفس مدركة بتحكمها[2] فإنها تذوق الموت، وتموت ضرورة فإذا تجرد تصورها عن تلك الصورة لم تمت بعد ذلك.

تدري بما ذلك؟ تذوق الموت إذا حجبني عن حكم مرتبتها الروحانية المفارقة، ويستحيل عليها إذا رجعت لحكم مرتبتها تلك ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات:107] هو صورة موته ظاهراً بالنسبة إلى إسماعيل ﷺ، وهو صورة خلافة إسماعيل ﷺ لإبراهيم ﷺ بالنسبة إلى إبراهيم ﷺ تحقيقاً لقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ [البقرة:124].

اسمع: الروح الحكيم مبدأ كل ما هو خير في قضاء الوجود الفرقاني، الرباني، الدياني، والوهم البهيم ضده، والخير وجودي، والشر عدمي لا ثبوت له فمن غلب عليه [أحكام] الروح الحكيم، وتحقق بصورته أوجب له وجدان كل ما ورد على إدراكه، أو صدر عنه خيراً، ومن غلب عليه ضده كان بضد ذلك، الأول يقول: ما رأيت شراً قط، والثاني ضده .

اسمع: دخول النفس المدركة في صورة رقيقة من رقائق الروح الحكيم دخول التقييد بحكمها هو انصباغها بصبغة الجنة، وتلك الرقيقة هي حقيقة[3] النار، والمراتب الوهمية لا ثبوت لها فلا تستحيل، ولا تتعذر مفارقتها بعد التصور بها فقد تفارق النفس صورة الرقيقة الوهمية فتخرج بذلك من جهنمها.

وأما الروح فللثبوت فلا تزايل نفساً تصورت بها كمال التصور، فلا تخرج منها فلا

---

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره (3/ 46)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/ 396).

(2) زيد في المطبوع: [الحياة عن محلها المسماة بالموت متغلبة على نفس مدركة بتحكمها].

(3) زيد في المطبوع: [الجنة، ودخولها في صورة الوهم البهيم دخول التقيد بحكمها هو انصباغها بصبغة النار، وتلك الرقيقة هي حقيقة].

تخرج من جنتها، وإن تصورت بمعانيها الذاتية فكانت في المراتب الذاتية أو معانيها الكمالية فكانت في المراتب الرحمانية، أو بمعانيها الفعلية فكانت في مراتبها الرحيمية.

اسمع: الصورة إذا وردت على قبول تام لها ظهرت فيه ظهوراً تاماً، وما لا فلا فصورة الآدمي المنقوشة في جماد ليست ظاهرة الحكم فيه كظهور الصورة الحاصلة في استعداد حيواني بحكمها فيها، هكذا صورة الكمال الرباني إذا أورده معرفة بالتعريف على إدراك المتعلم، فتارة يقبلها بقبول إيماني إيقاني تام هو قلب سليم هين لين فيتصور بها تصوراً تظهر فيه بحكمها ظهوراً تاماً بحسب تمام ذلك القبول، وما لا فلا فالقلوب القاسية: هي القابلة لهذه الصورة قبول الغفلة فهي كالصورة المدهونة في الجماد نفعها لمن يراها فيتذكر بها أو يتفكر فيها، وليس لتلك المنافع [لذلك الجماد] منها نفع إلا تعظيم عارفها له بتعظيمها[1].

شرف المنازل بالذي قد حلها، وعلامة الأول أن تظهر آثار الأخلاق الربانية، وأنوار معارفها الكمالية منه، وعلامة الثاني فقد تلك العلامة.

ومن ثم جاء في الحديث: «المؤمن هين لين»[2]، وجاء فيه: «تخلقوا بأخلاق ربكم»[3].

[اسمع:] جاء في الحديث: أن الحق سبحانه وتعالى وبحمده «قضى بين الجنة والنار فقال للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت غضبي»[4] فكل سبب للرحمة فهو باب الجنة، وكل سبب للغضب فهو باب النار، أليس العالم مبنى على أن من تعاطى ما يرضي قادراً عليه تعرض لنعمته، ومن تعاطى ما يغضبه تعرض لنقمته و « لا إله إلا الله » مفتاح أبواب الجنة ومغلاق أبواب النار؛ لأنك إذا علمت أن «لا إله إلا الله» وعملت على شاكلة ذلك تعاطيت أسباب رضوانه وتركت أسباب سخطه.

[اسمع]: إذا أتاك أحد بما إن لم تحذره[5] أوقعك في غضب ربك فاعلم أنه فتح لك باباً

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: اسمع: سماء الصورة المادية تجمع استعداداتها الإدراكية مكاناً، منها كالرأس من البدن الحيواني، ومكانة كالقلب منه، والصورة المادية لا إدراك لها من نفسها المادية، فهي ليلة ظلمانية أرضية؛ لأن الإدراك نور بكشفه وبيانه وتمييزه، وسماؤها مسكن الأنوار الإدراكية التي بها يرتفع حكم الظلمة عنها.

(2) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (6/ 272).

(3) سبق تخريجه.

(4) رواه البخاري (6/ 2711)، ومسلم (4/ 2186)، بنحوهما.

(5) زيد في المطبوع: [ووصفك بما تكره فاحذر مما وصفك به واتهم نفسك وقل لا إله إلا الله فإن لم تحذره ولم تتهم به نفسك وقابلته بما يناسب قوله].

جهنمياً فأغلقت أنت بلا إله إلا الله مثال ذلك أنه سبك تثور نفسك فتعمل في مقابلة ذلك ما يسخط ربك فقل أنت: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:96]، فيا نفس لا تسمعي هذا إلا من خلافه، واشهدي أنك بين يديه عز وجل وهو يقول لك: يا عبد السوء فعلت كذا، وأنت كذا فلا يسعك إلا طلب رضوانه بقولك: كل ذلك عندي ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:23]، ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:109]، فتفتح بلا إله إلا الله باب الجنة، ويغلق باب جنهم، وكأنما جزت بنار النمرود فقيل لها: ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ ﴾ [الأنبياء:69] هذا العبد السليم الآتي ربه ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:89]، واعلم أن معلمك ما دام يولد عندك المعلومات بالتعليم فهو أبوك فإذا تحققت روحك بنوره صار علمه يتجلى فيك بمعلوماته بديهة، وذلك هو الوحي، وإنما يوحي إليك ربك فاعرف والزم تغنم فافهم.

﴿ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ [فصلت:30، 31] الآية له معاني منها: أن المحبين لربهم يخافون أن تحجبهم الجنة عن ربهم فهم يخافون الحجاب كما يخاف المشغولون بنفوسهم عن ربهم من أليم العذاب فأراد ربهم أن يؤمنهم من الحجاب فقال لهم: ﴿ أَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ﴾ فإنها لا تحجبكم عنا، ولا تتولى بالشغل بها قلوبكم وإنما ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [فصلت:30، 31]، ففي الحقيقة الجنة هي التي تتنعم بهؤلاء الذين لا تزال عيونهم لربهم ناظرة، ومنها التعريف له بأن الذي كان وليهم المبشر لهم بالجنة في الدنيا هو الرب الذي تولاهم بإنجاز ذلك الوعد في الآخرة ومنها أن أحباب الله لا يشغلهم عنه شيء وإن عظم فافهم[1].

انظر لما ألقى على موسى محبة له منه، واصطنعه لنفسه على عينه كيف خاف أن يحجبه عنه شيء فقال إني ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء:14] أي: بالحجاب عنك يا روح حياتي فقيل له: ﴿ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:46]، ولو كان خوفه من غير الحجاب لقيل له: لا تخف من كذا فإني أحفظك منه وأدفعه عنك، وأمثال هذا إلا أنه لم يكن له هم إلا محبوبه فلم يخف سوى الحجاب عنه فجاءه الأمان من مخوفه؛ ذلك ليعلم أنه لا خوف له من

(1) قال المصنف في «المسامع»: ولما كانت حقيقة الجنة ملكة خيالية من الروح الحكيم، لحقت بها النفس المدركة، فانصبغ إدراكها بصبغتها انصباغاً مشبعاً، وحقيقة جهنم المضادة للجنة ملكة خيالية من الوهم البهيم، المحدث بها النفس الحاد الصورة بالهيولي، وانصبغ إدراكها بها انصباغاً مشبعاً، أمكن خروج أهل جهنم منها بالتجرد عن حقيقتها، والتخلص من قيود حكم حديثها، بخلاف أهل الجنة، ما دامت النفس من أسراء الفرق الفرقاني للمطرقين، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

سوى ذلك فقيل لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه:46]، وفي هذا التأمين الأمان من كل خوف فإن من لا يحتجب عن محبوبه، وقد أحاط به حبه لم ير إلا ما يحب قلبه فافهم .

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه:14] أي: لا لأرى، ولا لشيء غيري فهذه عبادة المحبين فافهم .

الجسم الآدمي مخلوق من صلصال أي: فخار مصوت صوتاً لا يبين معنى من حمأ مسنون أي: متغير الرائحة ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص:72] الآية فانظر إلى كونك كيف هو بطبعه البشري لا طيب، ولا مبين فإذا دخلك روح الحق المبين طاب بشرك، ونار سرك، وبان ذكرك فما منك طيب إلا الروح، وإذا غلب حكمها على حكم ظاهرك صرت بروحك طيباً، وبجسمك مطيباً بطيب روحك.

ومن هنا يفهم قوله: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»[1] أي: لا يقبل إلا الروح الذي هو على صورته الوصفية «خلق الله آدم على صورته»[2] فإذا توجهت لربك بروحك الغالب الحكم على حكم حكم جسمك فأنت طيب مقبول، وليس القبول لمن يتوجه بجسمه وقلبه معرض مشغول بالأغيار«إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أعمالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم»[3].

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج:37] «انظروا إلى عبدي جسمه بين يدي، وروحه عندي»[4] فافهم .

﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾ هو العقل الكلي ﴿هَالِكٌ﴾ بجهات إمكانه أنها وجهه الذي هو وجوده الواجب المتجلي في مرآة إمكانه فله البقاء؛ لأن العدم نقيضه و ﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾ من مشيئته المرتبية المفصلة كذلك ﴿هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:88]، فافهم .

التحقيق وجد الحقائق التي لا يدل عليها غيرها كالوجود الذي هو حقيقة كل موجود، وهو بديهي التصور، فلا يدل عليه غيره، والتصديق هو الحكم بالشيء، والعلم اللازم لذلك الحكم سواء دل على ذلك المحكوم عنه أو غيره فكل محقق مصدق، وليس كل

---

(1) رواه مسلم (2/ 703).

(2) رواه البخاري (5/ 2299)، وابن حبان (14/ 33).

(3) رواه مسلم (4/ 1987)، وأحمد (2/ 284).

(4) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (7/ 232)، والدارقطني في «العلل» (8/ 248).

مصدق محققاً، فمن وجد الحق بالحق فهو محقق مصدق، ومن وجده بأمر زائد فهو مصدق فقط فافهم.

الظاهر شاهد الباطن، والباطن مشهود الظاهر فاللفظ مثلاً شاهد معناه، ومعناه مشهوده، ولا يصدق اللفظ إلا معناه بمطابقته له، وبمعرفته منه على ما هو به، ولا يبين المعنى إلا اللفظ بانطباقه عليه، وتعريفه له بذاته هكذا كل شاهد ومشهود في التصديق والتحقيق.

واعلم من هنا أنك لا تصدق بسمعك إلا ما سرى معناه في قلبك فبالمعنى صدقت القول سراً، ثم بالقول ظهر لك المعنى جهراً ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر: 33]، فافهم.

الدائرة، الختامية، النهائية، الوفائية، المحمدية، الرحمانية هي: الفلك المحيط الأعظم الحاوي لجميع الحقائق الولائية التي هي الأفلاك، الربانية، الإلهية، النورانية، والروحانية، الاختصاصية فليس وراء ذلك الفلك الأعظم مرتبة تقصد، ولا خصوصية وجودية توجد فهو محدد جهات الكمالات، وكل نقطة من نقطة قطب [كل] دائرة، وسائر الدوائر في إحاطته إذ ليس وراءه ما يتحرك إليه شيء.

واعلم أن القطب له وصفان أحدهما كونه الذي به ثبتت مراتب نقط الدائرة، وعنده تتحد نهايات حركاتها، وهي الخطوط الممتدة منها إليه[1].

والثاني كونه أول نقط الدائرة عند ابتداء الاستدلال بها، وآخرها عند تمامها، ووسطها عند اعتباره بين أول نقطة[2] بدأت منه وآخر نقطة وصلت إليه فيقسم الدائرة قوسين قوس بدء، وقوس رجوع: وهو الوسيط الجامع لهما، وهو الأول، والآخر، الفاتح، الخاتم إذ تمام الدائرة أن يرجع أمرها إلى أول نقطها التي هي مبدأ حركات نقطها.

والوصف الأول: وصفه من حيث هو قطب الكرة المعبر عنها بالمركز.

والوصف الثاني: وصف من حيث هو قطب الدائرة فقطب كل دائرة قطب أقطاب ما

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: اسمع: القطب مبدأ أمور دائرته، وصاحب الزمان أصل جميع أمورها، فمتى انقبض من جهةٍ انقبضت، ومتى انبسط من جهةٍ انبسطت، ومن ثَمَّ كان على المتسبب في إدخال القبض على حضرته الشريفة أوزار كل من برّح به ذلك القبض، كما كان على من تسبّب في قبض الخاطر المحمّدي، حتى ابتلي الناس بسني كسني يوسف أوزار كل من كان لقبضه ذلك وزر، وعلى من تسبب في بسط حضرته الشريفة أجور كل من ظهر فيه أثر ذلك البسط، كما كان للصحابة أجور مَن بعدهم في تدينهم، وقسْ على هذا في كل مقام بحسبه.

(2) زيد في المطبوع: [الدائرة عند ابتداء استدارتها وآخرها عند تمامها ووسطها عند اعتباره بين أول نقطة].

في إحاطتها، وأما قطب المحيط الأعظم فهو قطب الأقطاب مطلقاً.

يا روحُ أفلاكِ العُلَا ومديرها   ومحركُ الحرمِ القصيِّ الأعظمِ

فافهم.

هذه الحقائق الناطقة: هي التحيات المباركات، والكلمات الزاكيات، والصلوات الطيبات لله فمهما جاء في الكون من بركة، وزكاة، وطيب عيناً، أو معنى فاعلم أن هذه الحقائق مبدأه، والوهم البهيمي الصلصالي الحمائي: هو الدابة التي تخرج من الأرض تكلم من وقع القول المعني بالعمل بمقتضاه في النظر الحكيم الرباني عليهم لا لهم، وهذا الوهم هو ضد الحقيقة الناطقة في الدائرة الفرقانية ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف:5] أي: مبين فعيل بمعنى فاعل فهذا الوهم البهيم يظهر إذا بطن الروح الناطق الحكيم، ويتمحق إذا تحقق هذا الروح، ويخفى إذا ظهر وكما هو ضد هذا الروح كذلك مقتضياته ضد مقتضياته فمن هذا الوهم من المثام والرذائل أضداد ما عن ذلك الروح من المحامد والفضائل، وهذا الروح هو الحق الذي قوم الله به السماوات والأرض أحسن تقويم ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات:23]، فافهم[1].

فياض العقول: هو محقق الحقائق التي هي الأولى [2] من حيث أنها مبدأ صورها المرتبية، وهي الأخرى من حيث رجوع تلك الصور إليه بما اكتسبته في ظهورها المادي ذهناً، وخارجاً ففياض العقول: هو محقق الأولى والأخرى، وفياض الصور: هو مكون الدنيا فالظهور أولاً لفياض العقول فيحقق الحقائق التي من جملتها فياض الصور فيتقابل حكماهما فإذا غلب ظهور أحدهما بحكمه بطن حكم الآخر فيه، فإذا ظهر فياض الصور بحكمه بطنت

(1) قال المصنف: اسمع: الحقيقة الكلية متميزة بنفسها، والحقيقة الجزئية متميزة بمشخِّصها الزائد على نفسها، والأولى متعلقة بالثانية، وهي حقيقتها لكن في مرتبة تشخصها، فالأولى للثانية كحرف (ع) لحرف (غ)، لا فرق بينهما إلا النقطة الزائدة، فإن تجرَّدت عنها كانت هي هي، والحقيقة المجردة عن التعليق مفردة لا كلية ولا جزئية، متميزة بنفسها، ولا تعلق لها بتميز بزائد، فهي كحرف (ال)، والحقائق المبهمة لا تتميز إلا بزائد فمتى فارقته تلاشت لو تناسخته، كحرف (ب) وحرف (ت)، الأولى صفات ذات، والثانية صفات فعل، والثالثة أعلام ونحوها، والرابعة فضلات.

قال المصنف في «المسامع»: اسمع: الآثار كلها ذكر لمؤثرها عند العقول النظرية؛ لأنها شواهد حتى أن النسيان ذكرٌ للمنسي، والغفلة عن الذكر ذكرٌ للذي أغفل، والضحك ذكرٌ للذي أضحك، والبكاء ذكرٌ للذي أبكى، وقس على هذا.

(2) زيد في المطبوعة: [والأخرى: هي الأولى].

الحقائق في غيابات الأكوان تتوارت الأولى والآخرة في حجاب الدنيا، ثم إذا ظهر فياض الحقائق بغالب حكمه بطنت الأكوان في أعيان الحقائق، وغابت الدنيا في شهادة الآخرة والأولى، وذلك في إدراك كل موجود من موجودات دائرة الفرق حاصل من وجوده واقع ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور:8]، فأول من يظهر به حكم فياض الصور من الناطقين في كل دور، وهو الخليفة الرباني في الأرض آدم ، وأول من يبطن[1] فيه به هو الروح المتمثل بشراً سويًّا عيسى وأول من يظهر به حكم فياض الحقائق هو خاتم النبيين محمد ، وأول من يتحق به حكم فياض الحقائق هو خاتم الأولياء الوفائي فالسيد الخاتم النبوي نبي القيامة، وبعيسى يظهر تمام أثر ذلك القيام فافهم.

قلب الناطق الهادي إلى الحق هو في شهود من لم يبلغ مقامه للحق الناطق كمرآة الهلال في يوم الثلاثين في شهوده وقت الزوال بالتوجه إليها يشهد الهلال حينئذٍ لا بالتوجه إليه في مرتبته الأفقية هكذا من توجه للناطق الهادي إلى الحق ليرى الحق فيه فقد توجه إلى حضرة مشاهدته ما دام حجاب العزة مسبلاً، ورداء الكبرياء مرخيًّا، ولا يفيده التوجه إلى غير ذلك في حصول هذه المشاهدة شيئاً فمن ظن أنه يرى بعين العرفان، اليقين، الحق، الباطن ما دام غيباً في سوى مظهره الهادي إليه فهو كمن نظر إلى الأفق وقت الزوال من يوم الثلاثين من الشهر ليرى الهلال والشمس ضاحية، فانظر هل يمكنه أن يراه إلا في مرآة فهكذا والله لا يرى الحق الناطق بعين اليقين إلا في مظهره الناطق المبين فافهم.

الوجود المطلق المحيط[2] هو ذو القوة، له القوة جميعاً فلاحول ولا قوة إلا به، وهذه الباء التي في «به» هنا محمولة على جميع معاني الباء؛ وذلك لأنه ذات كل موجود، وحقيقة كل أمر وجودي فافهم.

النفس الجمادية ذات الوهم البهيم العدو، المضل، المبين: هو أصل الجحيم الذي تخرج شجرته فيه من قوته إلى فعله شجرة المآثم المعبر عنها بشجرة الزقوم ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:64]، والنفس المدركة ذات الروح الحكيم رب الملائكة، ومن بأمره يتنزلون هي أصل جنات النعيم لا يظهر فيها لغو ولا تأثيم إنما يخرج فيها منها لها[3] طوبى للأذكار الأنوارية القدسية سلاماً علميًّا، فأهلها يأتيهم هذا السلام قولاً تصويريًّا، وتصديقيًّا، وبيانًّا من الروح الحكيم الرب الرحيم متنزلاً من البساطة إلى التشخيص مع الصور الباطنة في

---

(1) الذي في المطبوعة: [ينطق]. (2) في المطبوعة: [المجيد].

(3) زيد في المطبوعة: [شجرة].

مداركهم والأقوية القائمة بهم ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد:23] علمي وعملي ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد:24]، ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس:58]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:28] الآيات والنفس الناطقة ذات السر العليم ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [المعارج:4] هي: أصل حضرات الغيب القديم، وقيوم دائرتها بالذات، والأسماء، والصفات، والأفعال هو العلي، العظيم، الكبير، الحكيم فافهم[1].

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم:17]، فهو يحكم بمثاله ولا يحكم عليه مثاله، وهو هو في العيان وحجابه في الفرقان الرحيم، وجود الروح المتمثل بالبشر المحمدي خاتم الأنبياء والرحيم وجود الروح المتمثل بالبشر الوفوي خاتم الأولياء، من قابل فاعلاً بقبول حسن فهو من أمته، وإنما يقابل ما عرف من خلق أو حق فمن قابل خلق الأول، فهو من أمة محمد ﷺ، ومن قابل حقه فهو رحيم من أمة الرحيم، وإنما يكون رحيماً بما استفاده منه، كما يقال في القمر من الشمس[2]، وكما يقال في العقل وفي النفس: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:29]، ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:128]، ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:43]، ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب:44]، ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس:58].

هو ما ظهر به في قبولاتهم، ومن تصور أمراً توجه إليه، ومن توجه لأمر استفاد منه ما ناسب قبوله الذي توجه به إليه فصار في الحقيقة مثلها تمثل به مقبوله، فالمتوجه إلى المتمثل من أمته، والمتوجه إلى مثاله من أمته.

يا أمةَ الرَّحمنِ قوموا واسمعوا ... لبشارتي بمسامعَ الإيمانِ

مِنْ حبيبي أَوْ حبٌّ مِنْ قدْ حبَّني ... حقًا وصدقاً فهوَ مِنْ أعياني

من حقق حقيقة فهي نفسه بفتح الفاء ومن عين أمراً ما من هذه هو نفسه بفتح الفاء في كل مقام بحسبه، من حقق عندك الذات وعينها من غيبه فالذات نفسه بفتح الفاء فكيف

---

(1) قال المصنف: اسمع: كان آدم بأن تبدّت نفسه الجمادية بشخص طيني بوادي نعمانه وظهرت فيه نفسه النباتية بشخص نباتي على صورة تركيب أعضائه هذه التي الآدميون عليها اليوم، وظهرت فيه نفسه الحيوانية بشخص حيواني، وظهرت فيه هذه الناطقة بشخص عقلي، فانكشف له علمه العقلي بما فيه من قدسي وكماليه فكان في كشفه علياً حكيماً، مسجود الملأ الأعلى.

(2) زيد في المطبوعة: [ومن قابل حقا فهو من أمة الرحمن فيكون رحمانيا بما استفاد منه كما يقال في استفادة القمر من الشمس].

تعرفه فضلاً عن أن تحيط به علماً أو تنطق بما هو، وهل أنا وغيبي، وشهادتي، وجميع نظاماتي ورتبي إلا نفس بفتح الفاء من أنفاس تصدق بها جود سيدي، ومولاي، وما أنا أحقق عندك الذات، وأعينها من غيبي فاعرف والزم، ولا تتوهم تقييداً بما تقدم.

وهكذا المتنزل هو حجاب نوره الفرقاني لو كشفه عن وجهه الإحاطي لانمحى الفرق، وأظلم، وأحرقت سبحة أحديته مراتب التغاير فلا من يسمع، ولا من يتكلم إلا من يسمع ويتكلم ﴿ فَخُذْ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:144]، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم[1].

أنت غاية العالم وأنت نسخته، وشرحه يا آدم فأنت أوله بالحقيقة، وباطنه وآخره بالخليقة، وظاهره وأنت ولده الأصغر وأبوه الأكبر؛ لأن الغاية أول المبادي وآخر البوادي، إنما هو بالحقيقة حكم حقيقته تعينت به، وقومته أحسن تقويم بأحكامه في رتبته فهو منك وإليك ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:39]، فكن فيه عبداً بخليقتك، ورباً بحقيقتك فإنك الكل بحقيقتك ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت:40]، فلا يكون لكم إلا ما عملتم، فاعلم ما شئت فإنك كائن فيه، وأعمل ما شئت فإنك لاقيه.

قال وجود حقك لخلقك: «خلقت كل شيء من أجلك، وخلقتك من أجلي» فأنت المطلوب المحبوب « فلا تشتغل بما خلق من أجلك عما خلقت من أجله »[2] فلك العزة عن وصف منصوب، كمالك فيَّ وجوداً، وكمالي فيك شهوداً، والمتكلم والسامع معنيان لحقيقتي توحيداً فافهم.

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم:34] هو المتكلم بهذا الكلام، وعيسى ابن مريم منه بمنزلة القول اللساني من معناه، والنفساني من قائله روحاً، وبشراً.

كما قال بلسان لاهوتيته: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:171]، ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم:17]، واحمل هذه اللام على جميع معانيها ترى غرائب من الرغائب فافهم.

شكل الكرة شريف محفوظ من انحلال النظام، أقوى من سواه؛ لأنها لا تخرج عن

---

(1) قال المصنف: اسمع: الواحد في كل دائرة قيوم قيام مراتبها جميعاً، وواحد الآحاد قيوم دائرة الدوائر، ومراتب واحديته جميعاً.

(2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 466).

موضعها، ولا تتميز نقطة منها بوضع خلاف أوضاع سائر نقطها، فأيما طائفة تساووا، وتواسوا، ولم يحملوا على غير شاكلتهم، ولم يتميز أحد منهم بنفسه عنهم فهم كرة محفوظة النظام بقدر ما فيها من ذلك فافهم .

من تعدى حده فسد فافهم .

من لا غير له لا حد له فافهم .

نظامك جامع لكل شيء فمن وقف نظره منك على ما يجب ويحمد فلا توسع نظره فيك إلى خلافه لئلا يقع منك على ضد ذلك فيكون لك بضد ما كان وإن في الاقتصار بلغة فافهم.

لا يراك إلا أنت فمن لك بمن هو أنت حتى تتراءى له فيراك ؟ فافهم.

إنما كان أستاذك أعلم منك بك؛ لأنه هو حقيقتك وأنت ظله فافهم.

معرفتك بحقيقتك على قدر معرفتك بأستاذك فافهم.

ما لم يرتفع حكم المغايرة لأستاذك عندك فأنت بالحقيقة لا شك ضائع منك فارجع إلى ربك فاسأله فافهم.

جاء في الحديث: «إن الحق خير آدم عليه السلام بين يديه الكريمتين فاختار اليمين ففتحها الرب له فإذا فيها آدم عليه السلام وذريته فبين أن ذرية آدم عليه السلام المختارة عنده هم أهل اليمين»[1] فحيث جاء الخطاب الرباني بيا بني آدم عليه السلام يا ابن آدم عليه السلام ونحو هذا من ذكر النسبة إلى نبوة آدم عليه السلام فالمراد أهل اليمين.

واعلم أن الابن ملحق بأبيه، وآدم عليه السلام تنزل بحكم الخلافـــة الربانية ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:30]، والخليفة واسطة بين مستخلفه، وما استخلفه فيه فأبناء آدم عليه السلام في هذا الحدّ ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد:7].

﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور:55].

كآدم عليه السلام وداوود عليه السلام ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل:62]، فأهل اليمين في مرتبة الوسطية، وخلف حجاب الخلافة وحكم الخليفة منسوب إليه حتى يطابق حكم مستخلفه فإذا طابقه نسب إليه ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 129]، فأهل اليمين في هذا البساط، والمقربون فوقهم فهم في مقام المعاينة، ورفع حجاب الوسطية حيث لا أنساب ولا تساؤل، وإنما المقرب لما قام في كونه عبد الله ليس له نسبة إلا إلى

---

(1) رواه الترمذي (5/ 453)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (10/ 147).

الله، وهي نسبة اختصاص الله به عما سواه وهذا مقام التنزل المحمدي ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: 19]، ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن: 22]، ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين:28]،﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾[الإنسان:6]، ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان:21] خالصاً من شوائب المشاركة ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:26]، فالمقربون تحت لواء محمد ﷺ، وأهل اليمين تحت لواء آدم ﷺ وعلامة القرب ألا يرى عيناً، ولا أثراً إلا الله في كل مقام بحسبه فعمل المقرب عمل من ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ عند ظنه وعمل اليميني عمل من ﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:23] عند ظنه فمن ثم جاء في الخبر: «كل عمل ابن آدم له ...».

وابن آدم ﷺ هو اليميني كما تقدم فمفهوم هذا كل عمل المقرب لربه فعمله كله صوم لقوله: « إلا الصوم فإنه لي»[1].

واعلم أن هذا الخطاب فيه أمور منها: أن ترى يا ابن آدم فضل الصوم بنسبته إلى ربك على سائر عملك المنسوب إليك فإن تجردت في العمل كله عن شهود نسبتك بتحقيق نسبة ربك كان عملك كله صوماً، فإن لم تفعل فلا تغفل عن أن النسبة إليك مجازية لا حقيقية كيف وكل شيء ما خلا الله باطل.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج:6]، فإن لم تفهم هذا فأنت تفهم ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:96]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾ [غافر:60].

فنسبها بالحقيقة إليه، ووضع المجاز موضع الحقيقة إنما هو ليجوز فيه الفهم إلى المقصود لا ليراه هو الحقيقة فيقف معه فإن ذلك زور «من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة أن يترك طعامه وشرابه»[2]

أي: فليس حظه من الصوم إلا ترك الطعام والشراب، غذاء الباطن هو العلم والحكمة كما جاء: الحكمة غذاء القلوب.

وجاء: شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة:60] الآية فمن لم يدع قوله الزور والعمل به فحقه ترك الطعام والشراب باطناً، وظاهراً فلا يفوتك الطلب.

---

(1) رواه البخاري (5/ 2215)، ومسلم (2/ 807).

(2) رواه البخاري (2/ 673)، وأبو داوود (2/ 307).

واعلم أن المرء مع من أحب، ولا تقنع بما دون ذلك من الرتب، فإن لم تفعل فاعمل على أن يكون لك نصيب شبهي من مشرب المقرب بألا تعلل، فاعمل على أن يكون لك نصيب شبهي من مشرب المقرب بألا تعلل عملك بشهوة النفس وحظها، ولكن اطلب الرضا والمشاهدة، ونحو هذا من المطلب العلية يكون عملك لربك بمعنى القصد.

واحذر أن تنحط إلى تعليل عملك بما «لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[1]

فإن لم تفعل فاعلم أن الصوم مفسر في الحديث بترك الشهوة من أجل الرب حيث قال: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يفسق فإن قاتله أحد، أو شاتمه فليقل: إني صائم»[2] أي: فلا ينتصر لنفسه، فالصوم أن تترك إتباع شهوتك وغضبك لنفسك، فمهما تلبست بهذا الترك فأنت في صوم هو عمل لربك، ولو تعاطيت مما أحل لك ما تعاطيت.

فإن قلت: فما الحكمة في إضافة الخليفة إلا الأرض، وجعلها ظرفة.

فاعلم أن الأرض مرتبة القبول، والتمهد، والراحة، والحمل، والتواضع، والسير، وإعطاء الأقوات، وعلى مثل هذا يقوم أمر الخلافة فأضيف إلى الأرض ليعمل على شاكله ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: 8].

واعلم أن أهل المدارك الأرضية يرون الخليفة ومستخلفه عنهم غيب لا يرونه، وأهل المدارك السماوية يرون المستخلف ظاهراً في مظهرية هذا المسمى خليفة حتى يقول قائلهم عند سماع المبلغ: إني أسمع الله يقول كذا، ويقول للمحاكم بالحق: «حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات» ولم يقل بمثل حكم الله ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النور: 48]، ولم يقل: ليحكما ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50]، فما الخليفة إلا في الأرض، وأما في السماء فالمستخلف ظهر بمظهره؛ فلذلك جعلت الأرض ظرف الخليفة، ومن ثم تعلم أن آدم ﷺ وداود ﷺ لما الخلافة بين شهدا الخلافة ليقيما لهم أمرهم لا؛ لأن ذلك مقامهما لنفسهما فإنهما من المقربين وقس على هذا.

وإنما قال: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: 55]،

---

(1) رواه البخاري (3/ 1185)، ومسلم (4/ 2175).

(2) رواه البخاري (2/ 670)، ومسلم (2/ 806).

ومنهم آدم ﷺ، وداود ﷺ من حيث ما تنزلا به إلى أهل الخلافة من الأمر المناسب لشهودهم؛ ليفهم أن ثم منحة أخرى من مدد الذي هم في عصره وهو محمد ﷺ الآتي للمقربين بالأمر المناسب لشهودهم.

كما قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»[1]، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة:10، 11].

واعلم أن الصلاة صلة العبد بربه في كل مقام بحسبه، والمصلي من له الصلاة.

وقد جاء في الخبر أنه وصل ليلة الإسراء إلى المستوى «فسلم فقيل له: قف إن ربك يصلي، فقال: أو يصلي ربي فتلا عليه بصوت يشبه صوت أبي بكر ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: 43]»[2].

فانظر كيف جاء الإخبار بأن الصلاة للرب لا للعبد، وإنما العبد مظهر الذي ظهر ربه بها.

وإنما جاء عند التسليم فإنه قال: فسلمت، فقيل لي كذا، ولا يسمع ذلك إلا بلسان صدق على من نفس صديق مقرب كما قال بصوت يشبه صوت أبي بكر ﷺ إشارة إلى الصديقية.

ثم قال في بقية الحديث: «ففرض علي خمسين صلاة»[3]، فانظر كيف لم يفرض عليه إلا ما أشهده أنه هم القائم به ومن ثم قال: «ما تقرب إلى عبدي بأحب مما افترضت عليه»[4]، فإن المتقرب بالنوافل مقرب غاية مقامه «كنت سمعه وبصره»[5]، فالمتقرب بالفرائض غاية مقامه «كنته».

وإنما أخر إلى غاية بقوله: «حتى أحبه»؛ لأن التقرب تكسب، وتلك بقية لا يفنيها إلا المحبة ﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ [الهمزة:7]، وتم تحقيق مقصود الغاية أيها المقرب إذا كان أمرك لربك فهو المتقرب إلى نفسه، وليس للعبد هناك عين، ولا أثر.

أيها البار أين أنت وغايتك الوصال، وهو ملزوم الانفصال إنما التواصل بين الأمثال.

واعلم أن المصلي على قسمين: منفرد، وإمام، فالمنفرد صلاته لنفسه، والإمام صلاته

---

(1) رواه البخاري (1/ 299)، ومسلم (2/ 586). (2) لم أقف عليه.

(3) رواه مسلم (1/ 146). (4) رواه البخاري (5/ 2384).

(5) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (3/ 81).

لأتباعه، وهي تفضل على صلاته لنفسه سبعاً وعشرين درجة؛ لأنه يوحد كثرتهم، ويجمع فرقهم في صلاة الرجل في الجماعة فهو وحده في كل واحد منهم إذ كل منهم يصلي بصلاته فهي صلاته ظهر بها في كل واحد منهم، وفي جملتهم فهو الواحد الكثير فله ما للمنفرد وزيادة، والإنفراد في مقام التقرب بالنوافل فالإمامة للتقرب بالفرائض.

واعلم أن الإمامة على قسمين: إمامة أصالة وهي التي لا يقطعها حضور غير موصوفها، وإمامة خلافة: وهي التي قطعها حضور المستخلف فالأولى سماوية: وهي إمامة محمدية في حضرة إسرائية حيث كان مؤذنه الملك، وأنتم به المقربون ولذلك هو لا ينسخ[1].

أو آه متى تخلص حريرة الإيمان من شوك السعدان، بل آه متى تخلص بكر الإيقان من أسر الفرقان، والله ما ثم إلا الله.

ولكن الله يفعل ما يريد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة:1] قل لمن شمر الساق لغير أرباب الأذواق دع عنك هذا التشمير ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [النمل:44]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [لقمان:30]، ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ [يونس:32]، و﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾، فاكشفوا الحقائق من جلبابها ﴿ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ولا تقنعوا من التحقيق بها باقترابها ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ عن شهود سواه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:189] تحققاً بإياه فافهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة:1]، فأكمل الخلفاء من أقر الأمور على مراد مستخلفه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:50]، ومن ثم ترى الواصل لا يختار خلاف الحاصل: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون:14]، ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [السجدة: 7]، ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر:62]، فافهم.

بالتمييز ظهر الذليل والعزيز، وبالشهوة ظهر الكريه واللذيذ، وباللحظ ظهر الحسن والقبيح، ومن حكم على المبادئ لم يحكم على آثارها، وأي فضل كأن تحكم ولا يحكم عليك ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [الحديد:21]، ﴿ وَسْـَٔلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء:32]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:32]، فافهم حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق فعيل بمعنى: مفعول من حققك أي: أوجد وجوداً لا يتبدد فالتقدير ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

---

(1) قال المصنف: اسمع: الكل لصاحب الوقت، فمن أعرض من العباد عنه، وشخص إلى غيره، أدركته الغيرة بحكم المقام والحال، وربما ظهرت له من نفسه بواعث تلك الغيرة إلى الانتقام والمنازعة، وهو في مقام الإمامة بحكم للمأمومين، فظن بحكمته الإمامية أنها فتنته.

[الأعراف:104]، موجوداً وجوداً لا يتبدل على إني لا أقول على الله إلا الحق.

فلا يمكن أن يأتي مني خلاف ذلك، ويين ذلك بأنه رسول من رب العالمين فهذه هي العصمة الواجبة للرسل ومثاله قول إبراهيم : ﴿ فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 56] أي: فطرهن وفطرني على ذلكم من الشاهدين فكلانا مفطرون على ذلك فكما أنهن لا يصح جحدهن لذلك حالاً فأنا لا يصح جحدي لذلك حالاً.

ولا قال: فطرة الله التي فطرنا عليها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:30].

وقد صرح يوسف عليه السلام فقال: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف:38]، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس حيث عصم أئمة هداهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، من كل ما يخل بإمامتهم هذه عصمة فطرة وجودية لا يصح تبدلها لصاحبها أبداً خلاف مقتضاها فافهم. والنبيون من ربهم فليطاعوا ويصدقوا ويعزوا بعز ربهم وتصديق ربهم وطاعة ربهم فافهم[1].

قال الله تعالى في المؤمنين والمؤمنات: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:51]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:136]، فبهذا يصح معنى لا يروى عن النبي ﷺ وعلى آله تسليماً إنه قال: « أنا من الله والمؤمنون مني»[2].

وقد صح أنه قال لعلي: « أنت مني وأنا منك»[3].

وقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[4] فمفهومه من رغب في سنتي فهو مني ونحو هذا فافهم.

إذ نظر الوجود المحيط من حيث كثرة أعيانه تكثر تكثراً نسبياً، فحيث قرر ذلك بحيث قضى بالتغاير المرتب عليه، ورتب تلك المتغايرات مراتب متفاوتات، متماثلات، ومتقابلات متلازمات، وغير متلازمات فتلك دائرة الفرق التي احتوى نظامها على الأحكام والتحكيات، والحجب والكشوفات، والإبهامات والبيانات، وتقررت فيها الوجوبات

---

(1) قال المصنف: اسمع: الرب هو وجود الروح الحق الرباني الإلهي، وهو يكون في كل مظهر بحسبه، فربُّ يوسف كان ظاهراً بيوسف وإخوته، ولما أراد يعقوب ظهوره بحكمه الإلهي فيهم ظهوراً تاماً إلى نيوتهم قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83].

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (1/ 237).

(3) رواه البخاري (2/ 960).

(4) رواه الطبري (8/ 163).

والإمكانات، ومراتب العبودات ومراتب السيادات وجميع المراتب المفروقات، وحيث حكمه المحيط بذلك تعين به كذلك هنالك تعيناً لا معقب له؛ لأنه الحاكم به ولا حكم إلا له، كما أنه حيث حكم بالوحدة الحقيقية تعين بذلك هنالك ولم يعقب ذلك، وإن حكم بالأمرين تعين بذلك هنالك بلا معقب ثم لذلك كما تقدم فلكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم .

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾[المطففين: 22، 23] الأدلة أرائك المدارك النظرية، والرفارف منها هي الأمور الشعرية، والخطابية، وسائر الأدلة الخيالية فإن الخيال عالم الخضرة بين البياض العقلي، والسواد الحسي الوهمي ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ [الكهف: 31] الآية ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: 76]، وعليها يعرجون إلى حومة العرش كما جاء في حديث الإسراء فافهم .

قال بعض العارفين فيما جرى له: كنت قريب عهد بسقيط الرفرف ابن ساقط العرش في بيت من بيوت الله يعني: بسقيط الرفرف مدلول الدليل الخيالي، ويعني بسقيط العرش: ما نزل إلى التخيل من المعقولات بالتعقل، ويعني بكون هذا السقيط: ابن هذا الساقط، إن هذا الساقط هو الذي بعث على الاستدلال المنتج لذلك السقط، ويعني بالبيت من بيوت الله القلب، فكأنه قال: وكنت قريب العهد من فكر واستدلال خيالي ظفرت منه بمدلول استنتجته منه، ويعني على هذا معنى عقلي، وقع في قلبي المعبر عنه بالروع والبال؛ ولذلك استصحبه هذا الحال حتى شوش عليه فيما أتاه بعده من كشفه في واقعته التي جرت له بما شابه به من الجدال على طريق النظر والاستدلال فافهم[1] .

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: 76]، فالمستوي على المدارك العالمة كلها بحقيقة العلم واحد يملي بكل منها ما ظهر عنها فكل حق من عنده لا اعتراض بأمر على أمر فافهم.

﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: 3]، وإنما الحركة في النسب والإضافات، والتعلقات ليس

---

(1) قال المصنف: اسمع: العُروض والتأصل من أحكام دائرة الإحساس والتخييل، فإذا ظهر فيك وجودك بمرتبة حدية قيَّدك بها، فتلك إذاً هي مرتبتك الأصلية، وذلك التقيد هو التأصُّل فيها، وإن ظهر فيك بمرتبة حدية ظهر فيك حكمها ولم يقيدك بها، فتلك المرتبة عارضة لك، وذلك الظهور بلا تقيد بها هو العروض، وذلك في كل مقام بحسبه، وعلامة المرتبة الأصلية ظهور حكمها فيك خالصاً إذا خلا من منازعة الأحكام العرضية، وعلامة المراتب العرضية أنها لا تظهر أحكامها فيك إلا مشوبة بحكم مرتبتك الأصلية، ومن ثَمَّ ترى من مرتبته الأصلية الاعتقادية إيمانية بالحق، لا يرى الحق إلا من حيث آمن به إيماناً خالصاً ولو وقتاً ما، ولا ينكره إلا إنكاراً مشوباً بخوف أو ترديد ونحو هذا، ومن كان بالعكس كان معكوساً، يا مسلم سلم.

إلا فالمتجدد في الإدراك مثلاً إنما هو تعلقه بما يدركه لا بالإدراك، ولا المدرك، ولا بالمدرك فافهم.

قال قائل: أي الرجلين أصحاب القائل إن الحق لا يتجلى بتجلٍّ واحد مرتين، فلا يتجلى به لاثنين، أو القائل: إن المشهود في زمان ومقام واحد، قلت: وما توفيق العبد إلا بمولاه، كلاهما أصاب فالأول أراد أن التجلي مع أنه الآن مثلاً له مفهوم مغاير لمفهوم أنه مع آن آخر.

وكذلك المكان، والمقام، والإدراك .

والثاني: أراد نفس المتجلي به واحد مع كل مفهوم من هذه المفاهيم فكلاهما أصاب من حيث أراد فافهم.

هذا الكلام الذي مضى إنما هو في دائرة الزمان، وأما دائرة الزمان فلا آن فيها، ولا تقدم، ولا تأخر فليس فيها إلا نسبة المقارنة وإن كانت دائرة سرمد، وإلا فلا نسبة مقارنة أيضاً فهو الوجود يتعين في علمه الانفعالي بلا ابتداء، ولا انتهاء في الحقيقة، وإن حصل ذلك لتلك التعينات في دائرة التعاقب والتقارن كما حصل في دائرة الفرق للواجد بالحقيقة كثرة وتغاير فافهم.

استدل على الواحد المتكثر بأنه مع كل فرد من أفراد الكثرة واحد لا ينقسم، وبقي ستر وحدته الرافعة للكثرة إثبات المماثلة، وهي لا تصح في الوحدة الحقيقية إنما المماثلة مع أكثر من جهة واحدة وهل للوجود مثل فافهم.

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت:12]، فلذلك لم يستقر لها قرار ،ولو استمر أمرها للحق على الأصل بلا نسبة إلى مرتبة مغايرة لما مسها من حركة ولا لغوب كالعارف فافهم.

الجلالة التي هي: اسم الذات الوجود المطلق المحيط الذي لا ذات ولا وجود إلا هو هي جلالة ليست بمشتقة من الألوهية ولا من سواها؛ لأن نسبة مسماها إلى الموجودات كلها نسبة واحدة [1].

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: واسمه الجلالة، فالجلالة لاهوت الهو من حيث اعتباره متعيناً بها، فالجلالة هوية مرسلة للهو، وهو لها هوية سارية، فالهو والجلالة ذات في وحدة مطلقة غيباً وشهادةً والرحمن تعين الجلالة بمبادئ معلوماته ومدركاته وأحكامه، فهو للجلالة هوية مرسلة، والرحيم تعين الرحمن بتمايز متعلقات معانيه تمايز الاستقلال الأول شأنه امتناع إثبات النفي والإثبات، والثاني إثباته

=

وأما الجلالة المشتقة من الألوهية فهي اسم الله المحيط من حيث هو وجود مرتبة الألوهية، وهي الاتصاف بالمعاني المحيطة التعلقات الحكمية فجميع ما يتكلم فيه ألسنة الفرق والفرقان من تشبيه وتنزيه، وما يسمونه وحياً وعرفاناً، وذوقاً ونظراً، وسائر مراتب الملل والنحل إنما هو راجع إلى مرتبة الألوهية ومسمى الجلالة المشتقة منها، والحيرة والعجز عن الإدراك الذي انتهت إليها أذواق كمل دائرة الفرق والفرقان، إنما نشأ من امتزاج النظر إلى ذات هذا المسمى بالنظر إلى مرتبته، ومزج النظر بالنظر إلى ذاته ولو تنزل فيهم كما تنزل فينا بتحقيق المرتبتين، ومسمى الاسمين لم تحكم على شهودهم حيرة ولا عجز، وقد ظهر وجودنا فينا بذلك وبما وراءه فافهم[1].

الحجاب والقيد والعقل ونظائرها من الألفاظ المفهمة لأمر يقتضي المنع كلها أسماء للمانع باعتبارات فمن منعه الحصول في حكم الحصول في سواه فهو مقيد به ومن لا فافهم.

من علامة الرحماني أنه لا يتقيد بحكم فإن كان ولا بدّ لم يتقيد إلا بحكم الوقت، ولا يتقيد في وقت بحكم وقت آخر ألم تسمع في سورة الرحمن ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: 29]، فافهم.

آدم ﷺ اسم من ثلاثة أحرف منفصلة مسماة سر عليم، وروح حكيم، ووهم بهيم الأول مبدأ المدد الإحاطي، وفي الثاني والثالث يتقسم ويفترق فافهم.

الروح الحكيم مبد كل خلق كريم، وأمر حميد والوهم البهيم ضده فافهم.

النور حقيقة التمييز والظلمة حقيقة الإبهام فافهم.

أيما ناطق ظهر بنور روحه الحكيم فاروقاً، فرقاناً، ربانياً، ديانياً فمظهره آدم ﷺ زمانه وخليفة الرب في أكوانه وعلامته علم الأسماء، وتعليمها على ما يقتضيه الحكم بزيفها، أو تقويمها فكم من خاشع، عامل، ناصب بوهمه واسمه عند الحكيم العليم بالأسماء متكبر غافل ساقط يأتي كل قاصد من جهة قصده، ويخاطبه بلغة قومه، ويلبسه ثوب سريرته ويتنزل إليه من أفق إدراكه.

جاء في الصحيح أن رجلاً قال: لا يدخل الجنة فلان، فقال السيد الكامل: «كذب من

=

فالرحيم للرحمن والجلالة للهو.

(1) قال المصنف في «المسامع»: اسمع: الجلالة إحاطة، والرحمانية قرآنية، والإنسانية ذكرية، والآدمية لوحية.

قاله بل لا يدخل النار أحد ممن شهد بدراً فقد قال لهم الرب: اعملوا ما شئتم»[1]

وجاء أنهم قالوا: ما رأينا بعدك خير من فلان فلما رآه قال: إني أرى في وجهه سفعة شيطان هذا أول قرن طلع من قرون الشيطان.

وجاء: « أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة » فيما يبدو للناس وأنه لمن أهل النار وأنه « ليعمل بعمل أهل النار»[2]، وأنه فيما يبدو للناس وأنه لمن أهل الجنة.

وجاء: أن مع الدجال نار وجنة فجنته نار، وناره جنة هذا حكمه في أسماء مراتب العبودية، وأما حكمه في أسماء مراتب الربوبية فيظهر كل اسم قدوس من غيب أثره المعقول أو المحسوس فلا يلتبس عليه الله باللات ولا العزيز بالعزى ولا عبد الرحمن بعبد القهار، ولا عبد الممكن بعبد الكريم، ولا يطلع على الحقيقة من ذلك كله في النظام الرباني الدياني بالفرقان من غير كسب إلا خليفة الرب في الأكوان المنفوخ فيه الروح الحكيم بالأسماء فافهم.

لا يستخلف القادر موسوماً بمغايرته إلا فيما تنزه القادر عن مباشرته؛ ولذلك لما صدق الحكم الإلهي على الناطق المحمدي فوض الحكم الدياني لإبراهيم ﷺ كما فوضه فيما سبق إلى آدم ﷺ وداود فقال: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: على ﴿ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران:95] كما قال عما كان: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30] الآيات ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ [ص:26] فالمحقق عين والخليفة أثر فافهم.

مادة اسم ودود محفوظة في داوود فمعناه في معناه كما معناه في معنى آدم ﷺ أودم بينهما أي: حبب وألف وودد وانظر كيف وافق داود ﷺ آدم ﷺ في تفاصيل حروف اسمه فليس منها حرف يتصل في الخط بآخر كما وافقه في معناه فلذلك كانت الخلافة في آدم ﷺ غيباً موعوداً ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، وهو في المعنى حال موجود، وهي في داوود غيباً منوناً ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص:26]، وهي في المعنى حال مشهود فالحكم بالودود سر الخلافة في الجنود فافهم.

الحق يكون الأسماء ليتقنها وخليفته يسفك الدماء ليحقنها فافهم.

التوحيد يجمع والخلافة تفرق فافهم.

ليس في الأسماء حروف تسميته مفصولة لا تقبل الاتصال في الخط إلا ودود، وأما أول

---

(1) رواه أحمد (6/ 362) بنحوه.

(2) رواه البخاري (4/ 1541)، وأحمد (1/ 414).

فاللام تتصل بالواو إذا تقدمتها، ووارث الثاء يتصل بالراء، والواو إذا تقدمتها ورؤوف الفاء تتقدم على الواو فتتصل بها ونظائر هذا، ومن هذا الصنف اسم آدم ﷺ فإن الميم تتصل بالألف والدال إذا تقدمتها، ومن نور الودود داوود ﷺ مادة وصورة ومعنى فلذلك كان فيه أمره أتم حتى أسند جعله خليفة إلى ضمير الجمع العظمي فقيل: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِيفَةً ﴾ [ص: 26]، فافهم.

رؤوف لمحمد ﷺ وجوب آدمي وقس على هذا فافهم.

الإنسان الكامل هو حقيقة الذي تسميه عند التنزيه الفرقاني واحد الوجود بما تصورته بالعقل الفرقاني منه مجرداً منزهاً عما تصورته منه كائناً ممكناً وهو بما تصورته منه ممكناً كاملاً قد ظهرت فيه معاني الواجب غاية الظهور الممكن عندك للممكنات هو المثل الأعلى للواجب في السماوات بما تصورته منه بسيطاً سمائيًّا، وفي الأرض بما تصورته منه كائناً أرضيًّا وهو المثل الذي كهو شيء عند من يثبته، وهو الجسم الذي لا كالأجسام عند القائل به، وبالجملة هو الذي وقعت عليه المعارف الذوقية والنظرية جميعاً حيث ظهر لكل مدرك في وسع إدراكه سراً أو علناً فافهم.

ما أكمل الناطق المحمدي وأحيطه بكمالات كل ذي مقام معلوم في بصيرة من وسع ما لديه فافهم.

ما في من خبر عنه لسان وجد، أو نظر، أو نقل ممن تقدم زمن ظهور هذه النشأة المحمدية من عرف حقيقة ناطقة معرفة الإلهية إلا محمد ﷺ وخبر الحال ﴿ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [غافر: 59]، و﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: 43]، فافهم.

والعلم[1] الانفعالي هو حقيقة كل مرتبة قابلية، والذات الوجود هو العالم المقتضي بذاته علمه لنفسه، وأحكامه هي موجوداته تحققاً بعلمه الفعلي يتعين بها في علمه الانفعالي ويعلم نفسه في كل مرتبة بعلمه المجرد فله الوحدة، والعدد والاستمداد والمدد ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت: 54]، فافهم.

ما من موجود إلا ولوجوده جميع المراتب، ولكنه يظهر ويبطن من حيثية كل الموجودة تارة بما يظهر به ويبطن من حيثية موجود آخر، وتارة بخلاف ذلك ولا يخرج موجود عن إحاطته، وإن عزب عن جهة موجودية من جهاته فافهم.

كل حكم فإنه من حيث ينعت الظاهر به يسمى عيناً، ومن حيث يحكم بأنه مبدأ أثر

(1) العلم: هو حقيقة كل مرتبة فاعلية.

صادق عن المتعين به يسمى معنى فالعين والمعنى واحد ذو جهتين فافهم[1].

الوجود المحيط هو الإله من حيث تعينه بجميع العيون التي هي معانٍ حكيمة الآثار، وهو مسمى الله المشتق من الألوهية بهذا الاعتبار وفي هذه المرتبة فافهم.

ما من موجود إلا وللوجود به آثار حكيمة، فلكل موجود نصيب من الإلهية بل كل موجود هو معنى إلهي من حيثيته، والإله هو الوجود المحيط بهذه المعاني جميعاً فلا إله إلا هو الله الإله الرحمن الرحيم فافهم.

ما عبد ناظر معبوداً إلا من حيث رأى له وجهاً إلهيًا، ولكن الكامل يدعو ناطقه النواطق إلى الإنطلاق من قيد وجه إلهي محجوب بمرتبة ألوهية سيما وألوهيته منكورة في النظر الآدمي بفطرته الألوهية إلا فيه، ولا يتجلى هذا الوجه تجلياً مطلقاً ذاتيًا، ولا تجلياً معنويًا في دائرة ما أو مقام ما إلا بعينه الناطق المفيد لحكمه كشفاً وبياناً إفادة يجد بها مألوهه سبيلاً عرفانيًا حبياً إلى التحقق به؛ فلذلك عيب على من عبد ما لا يتنزل بكشف مثله وبيانه، ولا يرسل مدده إليه بلسانه ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف:148] هذا مع ما سماه إلهه الذي ظل عليه عاكفاً هل يشرب الإنسان بعروق قدمه، أو بشعر رأسه كما تشرب الشجر ولكن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ [الحج:67] الآية فافهم.

هدايات كل إمام هدى وإرشاداته، وحكمه وتراتبية المتنزلة من علمه وحكمه في صور كشوفاته وبياناته إنما هي أرواح ينفخها بالإفادة من روحه الحكيم في مقابلة إيمان المستفيد، فمن تمكنت فيه امتزج النور بقواه وهداها بلحمه ودمه، وسرت فيه سريان ماء الورد فيه، فألهم الخيرات كما يلهم النفس، وتحرك في صورها كما يتحرك إصره الصحيح لرية، وهل عليه في ذلك من كلفة، أو له في ذلك كثير تعمل هكذا هذا ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم:12]، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم.

---

(1) قال المصنف: اسمع: التعين بما هو الحاصل في الإدراك من المتعين به يُسمّى وجوداً زائداً، وبما هو ناعت له في التصور يُسمّى صورة وماهية، وبما ناعت له في التعقل يُسمّى صفة، وبما هو ناعت له في التصديق يُسمّى اسماً، وبما هو ناعت له في التخيل يُسمّى مثالاً، وبما هو ناعت له في التوهُّم يُسمّى ظلاً، وبما هو ناعت له في الحس يُسمّى شخصاً، وبما هو مبدأ أثر يُسمّى معنًى، فإن كان ذلك الأثر صورة حدية لنفسه فهو معنى ذاتي، وإن لم يكن فإما أن يكون أثراً في باطن الإدراك فيُسمّى معنى كماليًا، أو في ظاهره يُسمّى معنًى فعليًا.

كل مرتبة من مراتب العلم والإدراك لها خاصية فلا يظهر متعلق مرتبة فيها إلا بحكم خاصيتها، ولا يدركه أو يعلمه المقيد بتلك المرتبة إلا على صورة ذلك الحكم فمتى نزهت الحق عن المحسوسية التي أنت مقيد بمرتبة إحساسها تنزيهاً جازماً، وظهر لك فيها أدركته محسوساً، وأنكرته لموضع جزمك بنزاهته عما أدركته عليه فكان حينئذٍ معروفاً منكوراً منكشفاً مستوراً، قد أحسسته حقيقة، وما أحسسته من حيث تقضي بأنه ليس هو، وهكذا إذا نزهته عن الخيالية التي أنت مقيد بمرتبة تخيلها، وظهر لك في صورة تخيلية فإنك يكون أمرك وأمره كالأول، وقس الحال في كل مرتبة على ما تقدم وانظر من أين تجاب بلسان الحال ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: 143]، وأنت تنظرني فافهم[1].

الفعل الإبداعي عن غير تقدم مثال كالتقدير الأول، والفعل الإيجادي على مثال كالتصوير على مثال التقدير، وقد مثل بعض الناس الأول بلعب النرد لكون الرامي للفص لا يضعه في الموضع الذي تصور تأديته إلى المقصود فهو يرمي اعتماداً على البخت، ومثل الثاني بلعب الشطرنج لكونه وضعاً للمثال حيث تصور تأديته إلى المراد فافهم.

انظر إلى مراتب التقابل كيف كل منها محتاج في ظهوره إلى الآخر الذي يقابله، وبضدها تتبين الأشياء فلولا الواجب ما ظهر الممكن ممكناً، ولولا الممكن ما ظهر الواجب واجباً، فلكل واحد في الآخر أثر هكذا العلة والمعلول والفعل والمفعول ، والعالم والمعلوم، وكل متضايفين فإن ظهور كل واحد منهما متوقف على معنى الآخر ففي كل خلاق لمخلوقه خلق[2].

وانظر كيف العبد يثبت به ربوبية الرب، والرب يثبت به عبودية العبد فأي الأثرين أعظم، وكيف لا تكون رابطة المحبة بينهما ذاتية ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ﴾ أي: يظهر ويتعين ﴿ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ

---

(1) قال المصنف: وصور الأحكام الحكمية الربَّانية التي هي مبادئ حركة الأجسام، ونفوسها العبدانية في المعاملات هي ملكة نورانية ربَّانية، وإنما هي من نور البيان الفرقاني، وجميع الصور الخيالية والتعلقية والتوهمية التي هي مبادئ الحركات الجسمانية المحسوسة، وأنفسها ملائكة، فلكيات تلك الأجسام والنفوس في كل مقام بحسبه، حتى الصور الحرفية الفلكية في المواد الهوائية النفسية، تحركها في المراتب المنطقية، لتنزل بتلك الحركات على مدارك السامعين لما في ضمائر الناطقين هي أملاكٌ في أفلاكٍ.

(2) قال المصنف: لمسمع: نظام جميع مراتب التقابل والتماثل هو المُسمَّى بدائرة الفرق.

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:54]، فافهم.

هو معك بما منه إليك وأنت معه بما منك إليه، وليس من القابل للفاعل إلا القبول، وليس من الفاعل للقابل إلا المقبول لكن قبول القابل ليس إلا مع نفسه، وفعل الفاعل ليس إلا مع نفسه، والقابل ليس إلا مع قبوله، والفاعل ليس إلا مع فعله فما كل منهما في الحقيقة إلا مع نفسه فافهم.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج:32] الشعائر: جمع شعيرة وهي مقتضى الشعور؛ ولذلك فسرت بالعلامة؛ لأنها مبدأ شعور بما هي علامة عليه، وهي مشتقة من العلم الذي تقتضيه كالشعيرة من الشعور، وإضافة الشعائر إلى الله تعالى على وجه الفاعلية، وعلى وجه القابلية فالله تعالى شعيرة الإنسان على كمالاته، والإنسان شعيرة الله عند الإنسان على كمالاته؛ لأنه الآية الكبرى والبرهان الكامل فالعالم كله شعائر الله؛ لأنه آياته وشواهده، وشهاداته وما شرعه الرب لعباده شعيرة له من حيثية ما هي من العالم، ومن حيث ما شرعها ذاكراً له سبحانه وبحمده، ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال فافهم.

قال قائل: ما تقول في قولهم إن الإمكان ذاتي للممكن، وإنه ثابت له في حال عدمه وحال وجوده هل النظر يساعد هنا أم ماذا حاله عند إمكان النظر ؟ قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه، حيث لا وجود أصلاً بوجه من الوجوه لا ذات ولا ذاتي سيما والوجود حقيقة هو الذات فإن أرادوا بأن إمكان الممكن ذاتي بانت له عدماً ووجوداً أن ذلك شأن ذاته حال وجوده الذهني أو الخارجي.

ثم يستمر معه حال عدمه الذي هو بطون مسمى سلب الوجود الذي هو التعين فهذا صحيح؛ لأنه حال هذا السلب موجود بأنه الذي كان متعيناً، ثم سلب تعينه كما هو حال التعين المسمى بالوجود الزائد ممكن بمعنى أنه لا يمتنع سلب ذلك التعين عنه هذا في صناعة النظر الرسمي.

وأما في حقيقة النظر فإما ذات أو لا وإن كانت ذات فإما مجردة عن النقيضين، أو متلبسة بأحدهما امتنع تلبسها بالآخر لامتناع اجتماع النقيضين فلا إمكان أصلاً، وإنما التقابل حكم من تقيد به تصورت فيه آثاره في ما يجب دائرته فمتى أحرقته سبحة التحقيق عند كشف وجه الوجود المحيط اضمحل ذلك كله فافهم.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة:112] عبر بالطاعة عن الإجابة، وفعل المطلوب كما جاء: أطع الله يطعك، وأتى منه بالاستفعال فقال: يستطيع فافهم.

جاء في الحديث: «أن الدجال يقدمه سبع سنين غوال قيل: يا رسول الله فمم يعيش المؤمن فيها قال: مما تعيش منه الملائكة»[1]. يعني من التقوى والتوكل الصادق على المولى، وهكذا قبل كل ظهور عظيم أنكال في العالم لتقل ما ينزل فيه وهذه السنين في الحقيقة ليست لظهور الدجال على أثر ذهابه أو الإمام الذي بقتله للدجال والأول أظهر؛ لأن حصر عيسى ﷺ وقومه في الجبل حتى يكون رأس الثور خير لأحدهم من مائة دينار هو مقدمة ظهور دولته التي يكون الزمان فيها تكفي ألفية.

وهذا كما قال السيد الكامل: «اللهم اجعلها على قريش كسني يوسف»[2]. فأجدبوا سبعاً، وأفرج عنهم في المقام الثامن غوثاً بالظهور المحمدي كما غيث أهل الدولة اليوسفية بعام اجتماعه بأهله، ولقد بدأ غلاء غريب الأمر من سنة أربع وثمانمائة فبلغ سعر كل شيء إلى ثلاثة أمثاله وأكثر، وقل حتى لبن مرضعات الأطفال حتى أن المرأة تأكل أكثر وأطيب مما كانت تأكل ولا تجد في ثديها لبناً يكفي طفلها، ومع تلك النفوس ساكنة سموحة في بيعها وشرائها بها كان لا يكاد أحد أن يقال له: بدرهم إلا قال: بدرهم وإن كانت قيمته قبل ذلك سدس درهم، وما ذلك إلا مقدمة ظهور عظيم يترقب في عام أحد عشر وثمانمائة فإنه عام الغوث بعد سبع شداد لكن اللطف جار في الأمور ببركة الشفعاء، وأسباب الرحمة فسبحان ربنا وله الحمد فافهم.

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ [النحل:7] الشق: المشقة، والشق: الجانب، والنفس لها جانبان جانب يدرك منه المفارقات واللطائف الروحانيات، وهو الذي لا يحتاج فيه إلى البدن، وهذا على جانبيها، وجانب لا تدرك منه إلا بواسطة القوى والآلات البدنية، فهذا جانبها الأسفل المقيد بدائرة التعاند والتضادد، ومنه تأتي آلامها حتى ألم الاحتجابات، فإن الحجب الظلمانية منه تنشأ، فمن أخذت يد كشفه، وبيانه، وعلمه، وحكمته بجانبها الأعلى فجذبته لما هو أسنى وأعلى خلص الجانب الآخر من قيد وهدته السفلى وصيره إلى مرتبة الأعلى فصار يدرك بجهته البدنية ما كان يدركه بجهته المفارقة، وما

---

(1) لم أقف عليه. (2) رواه أبو عوانة في مسنده (2/ 284).

ظلك بمدركاته من جهته المفارقة حيثئذٍ لكن هذا التخليص إخراج عن مألوفه، وهو موت معنوي؛ لأنه مفارقة النفس حكم البدن مع بقاء علاقتها به فيحتاج إلى صبر ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:35]، فجانبها الأسفل: هو الشق الذي تأتي من قبله المشقة فإن البشرية في صورة سور للعالم الكوني(1). ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:13]، فافهم.

﴿رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 56]، فمقارنة فطرها لكونه من الشاهدين تدلك على أن شهادته غير مكتسبة من دلالاتها، وإنما هي فطرته قبل كونها كما قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء:51]، فافهم.

الشواهد حضرات المشهود ومفاتيحها بيد المبينين؛ لأن مفتاحها بيانها، وهذا المفتاح هو أمانة العليم الفتاح الذي عرضها بالتجلي على سائر الأكوان فأبينها لعدم استعدادهن لها، واستعد لها وحملها الإنسان فهو الإمام المبين الذي أحصى فيه كل شيء، وصار العالم بل الموجودات كلها بما لها عنده من الصور زوجين، وبهذا الناطق الذي هو الخلق الآخر الذي كمثله خلق ظهرت أنوار التجليات القدسية في مراتبها، ومن غيب شواهدها ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:14]، فافهم(2).

إنما تفتح أرواح العقول النظرية في النفوس البشرية لينظروا فلو أتتهم الحقائق جهراً بحيث لا يحتاج إدراكها إلى شواهد، أو أتت الشواهد مبينة لا تحتاج إلى نظر لم يبق لتلك

---

(1) قال المصنف: اسمع: والسفر إلى الله مفارقات ما دونه، فكيف لا يشق على النفس البشرية مفارقة حظوظها وشهواتها وملاذ طبعها ووهمها، فترى ذلك بلاء، ولا يسهل عليها السلوك في ذلك إلا بعد فتح باب الفهم بحسن عواقبه عليها، وذلك الفتح هو مرافقة ربها لها بمناجاته الحاملة لها في طريقها على أجنحة اللطف المزيل عنها كل تلك المشقة، ومن ثمّ قال السيد الكامل ﷺ في بعض أسفاره: «أقم الصلاة وأرحنا بها يا بلال»؛ لأن المصلي يناجي ربه، ألم تسمع وتر أن المحادثة في الطريق تذهب مشقة السلوك فيها، وأن ذلك يكون بحسب لذة تلك المناجاة، حتى إن الحادي يناجي الركائب فتقطع المهامه، كمن طويت له طي السجل للكتاب بقدر حسن حدوه ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: 28].

(2) قال المصنف: اسمع: المشهود بواسطة إنما يظهر لشاهده على قدر الواسطة في شهوده، ومن ثمّ تتفاوت المرائي بواسطة المرايا بحسب تفاوتها عند رائيه، وهو في نفسه على ما هو به، فافهم.

العقول فائدة، وأبطلت حكمة نفختها، وحاشا الحكيم من ذلك فافهم.

﴿حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31]، فشهدوا رباً متحولاً في صورة ظاهرة بحكم ملكي كما رأت كبيرتهم الحق قد ظهر في تحوله ذلك بحكمه فقالت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف:51] الآية فافهم.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:90]، ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:23] أي: أجمع كل ما لنبيهم فأتي بهدى الله الممد لهم أجمعين كما أن الله هاد لكل شيء بياناً فهنا هو اقتداؤه بهدى الله الذي جاء كل إمام هدى بوجه من وجوهه فافهم.

إذا قال: ولي بلسان الضراعة إظهار لعظمة الربوبية ما هو من قبيل قول المعصوم: ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:41]، فاعلم أنه فتح بذلك باباً يدخل منه المضطرون إلى أرحم الراحمين فيكشف ما بهم مع كونه على رفعة مقامه فافهم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم﴾ [ص:43] أي: مريدين فأقل حال المريد مع أستاذه في حياته أن يكون لأستاذه فيها كالأم لواحدها يؤثره بالراحات، ويحمله عند المشقات ويحبه على جميع أحواله، وهكذا يكون الأستاذ لمريده في معنوياته فافهم .

جاء في الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»[1] أي: مهما تصورتني به من الصور كنت معه من أفق تلك الصورة بحكمها فافهم.

كلما أتاك به إمام هدايتك فهو ذكر من ربك ورحمانك محدث الإتيان إليك، والظهور عن ذلك الإمام من حيث كونه فأما من حيث وجوده الحق المبين المتجلي في عينه الناطق بمرتبة الربوبية والرحمانية فلم يزل قديماً؛ لأن الحق المذكور من المرتبة المذكورة لم يزل متكلماً إذ هي له ذاتية، وإنما الحدوث في جهة التعلق الظهوري من حيث الحكم بالحدوث فافهم .

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ ﴾[مريم:17] إلى قوله: ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [مريم:21] أي: روحاً، حكيماً، متمثلاً، ملكياً، قدسيًّا كما قال: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:171]، فهو من نوع الأرواح الربانية التي يقال عليها أنها من الرب فافهم.

﴿ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء:105]، فبعد سنة تسع وثمانمائة ارتقب ظهور القوم العباد

(1) رواه البخاري (6/ 2694).

الصالحين ورثة الأرض فإن هذا ميقاتهم وعلامتهم ذكر يشتهرون به قبل ظهورهم بحكم الإرث حكاماً في الأرض، وهو ذكر لعظمته فشكر فافهم.

لا تكون النفس البشرية بعد الموت من الصور إلا فيما هو أحب إليها وأكبر في صدرها قبل الموت، وماتت وهو عندها كذلك، ولا يكون منها ذلك إلا لما جزمت بكماله، وأن غاية كمالها في التحقق به فلذلك لا ينفعها عبادة من لا تجزم بكماله الذي يستحق به عندها أن تعبده كالذي لو سئل عن معبوده ما هو لقال: حجراً، أو بشراً، أو كوكباً، أو ملكاً، أو سمي اسماً من أسماء ما هي عنده ممكنات.

ولذلك قال لمن هذا شأنه: ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾[الرعد: 33].

وقال: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ ﴾ [البقرة:166]، وقال أيضاً: ﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ [الحج:13] الآية ونظائر هذا، وأما من عبد معبوداً من حيث يشهد وجهه الإلهي فهو يعبد على حضور وصحة شهود وعلم يقين من لو سئل عن اسمه لقال: إلهي، ونحو هذا فيما هو عنده من أسماء الواجب فهذا هو الذي مولاه له ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج:78]، ولذلك قال عمن هذا شأنه من جميع الفرق: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: بي ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ ﴾ أي: من هو لا ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [البقرة:62]، وليس ذلك إلا لمن شهده لمعبوده في يهوديته سواء كان المسمى بعزيز، أو سواه، أو في نصرانية كالمتسمي بعيسى، أو سواه، أو في صبوته كالمسمى بملك أو سواه شهود إلهي بحيث أنه لا يكون اسمه حقيقة عنده شيئاً من أسماء الممكنات، وإنما اسم حقيقة عنده اسم الإله الواجب فهؤلاء هم وأمثالهم الذين ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 274]، ومن لا فلا وليست مرتبة الإلهية إلا للوجود الحق، وإن ظهر ظهر بها في أي مظهر ظهر فلا إله إلا الله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:62]، فمن شهده كذلك حق اليقين، وعين اليقين[1] فهو الذي عليه فافهم.

---

(1) عين اليقين: هو ما يحصل عن مشاهدة وكشف، واعلم أن اليقين في مطلق العرف ما لا يدخله ريبه وعلم اليقين ما كان كذلك، لكن بشرط الاستناد إلى الدليل والبرهان، وعين اليقين ما حصل عن المشاهدة، فإن كان حصوله على وجه لا يمكن أتم منه، فهو حق اليقين. (لطائف الإعلام ص (330).

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13] من أظلم ممن شهد الأمر كله لمعبود ثم ادعاه لسواه الذي يراه غير إله تبعاً للمشرك لا معبود له إلا وهو عند باطل لو كان يشعر؛ لأنه يثبته ثم ينفيه بإثبات ما هو عنده غيره فلا يصلح له حال ولا مال فموطنه فلك الإحالة، والإفساد يدور فيه ما دام مشركاً ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:13] مستحيل لم يرسخ له قدم في وجود ولا عدم فحسبه النار هي مولاه؛ لأنها مبدأ التلبيس، بيان مبهم، نور مظلم تمييز بخلاف ضلال وحبة ما لا يوجد وطلب ما لا يحصل ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18]، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ؛ لأنه علامة عبادة الرب الحق الحكيم ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:110]، فافهم.

يا مولاي، يا واحد، يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم .

فوائد من فيض الحق سبحانه ويحمده على عبده من عنده: القدرة الحادثة لا يقع بها إلا النسب ، والإضافة فقط مثال ذلك من ملكك شيئاً فإنه لم يحدث بقدرته في ذلك الشيء إلا نسبته إليك فقط، ولا في التمليك إلا نسبته إليه، ومن هنا يظهر لك أن الحقائق لا توجد إلا بالقدرة الواجبة للوجود فافهم.

مهما عينته في جهة معينة فقد احتسبته وبالا فلا، فمن حجب بنفسه عن ربه فاعتمد على حول نفسه وقوتها تلك ومتى جاءه شيء من وراء حول نفسه وقوتها لم يرزقه فلم يقبله، ومن حجب بربه عن نفسه فوقاه ربه به من اعتماده إلا عليه رزقه ربه من حيث لا يحتسب ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الطلاق:2] الآية.

فمهما جاء من وراء حول النفوس المقيدة وقوتها آمن به وقبله؛ لأنه رزقه ومن ثم جاء القرآن فعالاً في الروحانيات معجزات روحانية من قلب الأعيان، وإخراج الحي من الموات، وتفجير الجامدات الجسمانيات معجزات جسمانية فرآها من رزق من حيث لا يحتسب حتى اكتفى بالقرآن عن كل آية كونية، ولم يرزقها من لا يرزق إلا من حيث يحتسب فعموا عنها، ولم يقبلوها إذا قصت عليهم بل قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:5]، فكأنهم قالوا: آتنا من حيث نحتسب، وكما أتاهم من حيث لم يحتسبوا فأورثهم الإنكار أتاهم من حيث لم يحتسبوا فقذف في قلوبهم الرعب فافهم.

من عرف شيئاً فجزم به وهماً كان أو حقاً اقتضى له ذلك وجد أثر مرتبته الخاصة به في

النفوس المدركة لكن الوهمي يزول، والحق لا يحول مثال هذا أن ترى شبحاً على هيئة الجائم فتتوهمه أسداً، وتجزم بذلك فإنك تجد في نفسك منه روعة حتى إذ انكشف لك أنه ليس بأسد زالت تلك الروعة، فإذا تحققت أنه أسد لم تزل تلك الروعة بل تتأكد فمعرفة الموهوب تقتضي هيبته عند عارفه لا يمكن سوى ذلك[1].

ولذلك لا يعرف ذا الجلال والإكرام عبد إلا هابه وأحبه على قدر معرفته، ولا يعلمه عبد إلا خشيه على قدر علمه واعلم أن أهل الإدلال على ربهم من عارفيه لم يقوموا بذلك الإدلال في مقام إلا لعلمهم أنه مراد ربهم منهم في ذلك المقام فهم هائبون مجلون بنفس إدلالهم إذ لم يقوموا به إلا عبودية وقياماً بمراد الربوبية، ومن حجبه أثر الإكرام عن القيام بحق الجلال أو العكس فهو عن مقام العرفان في عكس، وعارف الكمال قائم في كل حال بحكم الجلال والجمال تارة على التساوي في ظهوره، وتارة على التفاوت فافهم.

العارف لا نسبة له إلا إلى معروفه، والمحب لا نسبة له إلا إلى محبوبه، والعابد لا نسبة له إلا إلى معبوده، وكل شيء لا نسبة له بالحقيقة إلا إلى من تمكن من جمته، ونسبته إلى سوى ذلك مجاز.

وعلامة هذا التمكن ألا يوجد من المنسوب كمال توجه إلا إلى المنسوب إليه، ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال فافهم.

جاء في الحديث: «إني لتنام عيني، ولا ينام قلبي»[2] النوم غيبة الإدراك البدني أعني: الذي لا يظهر أثره إلا بآلة بدنية ومنه الباطن، وهو ما يتعلق بالمشاعر الباطنة، ومنه الظاهر: وهو ما يتعلق بالمشاعر الظاهرة من البدن فنوم العين عبارة عن غيبة الإدراك الظاهر إلا بحضوره، فمن نام قلبه غاب تمييزه فتعطل حسه فسقط تكليفه، ومن لم ينم قلبه لم يغب تمييزه فأموره معتبرة، وهو قائم التكليف إلا أن يتسامح فالمؤمن الذي لا ينام قلبه لا يزال في عمل معتبر حال نوم عينه ويقظتها فأجوره وخيوره مستمرة دائمة على وتيرة واحدة، وأمره في ذلك

---

(1) قال المصنف: اسمع: شأن النفوس المدركة التشكل بما تخيلت وتوهمت، والتصور فيما تصورت وتعلقت، فأيما حاكم قبلت أحكامه صوّرها فيه، وخلّقها في علائقها، وحققها بحقائقها التي هي مبلغ كشفه وتصرفه، ومن ثَمَّ تفرّقت الأمم، و﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: 213].

(2) رواه البخاري (3/ 1308)، ومسلم (1/ 509).

قدر مقامه، ومن هنا قال ﷺ: «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب يقظتي»[1]

وقال الرجل الصالح عبد الله بن عمر كذلك، وأما الكافر الذي لا ينام قلبه فإنه مستمر الأوزار والشرور في يقظة عينه ونومها بحسب حاله.

وقد جاء في الحديث عن الترمذي من حديث أبي بكر واستغربه ذكر الدجال، وفيه أن الدجال تنام عيناه ولا ينام قلبه، وجاء أن الشيطان تنام عينه، ولا ينام قلبه يعني شيطان الإنس و ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:84]، فيقظة القلب وإن نامت العين فضيلة في الفاضل، ووبال على ضده.

وقد جاء أن للقلب قرينين ملك وشيطان يلمان به فكلما التقم أحدهما أذن القلب فأصغى له تركه الآخر، والتقام الأذن عبارة عن المحادثة بإقبال، وإيماء، واهتمام، وذلك هو من الملك دعاء إلى الخير وبيان لأسبابه، وهو من الشيطان ضد ذلك، والإصغاء: الميل والقبول بإقبال واهتمام، ووعي، فالقلب مادام يقظاً فإن لم يزل محادثاً لقرينه إن كان ذا قرين، وإلا لم يزل ملهماً، أو مكلماً من الاسم أو الوصف الإلهي الغالب عليه بحكمه مثال هذا النبي تارة يحادث الملك، وتارة يناجي الهادي الحق سبحانه وبحمده؛ لأنه مظهر اسم الهادي فليس لقلبه مفاتحة مع ما دون هذين المنزلين؛ لأنه معصوم فقلبه أبداً في هدايات إلهية، ومصالح ملكية لا يبرح هكذا في نوم عينه ولا في يقظتها، وهذا شأن أئمة الهدى.

وأما مأمومهم الذين لم يبلغوا مقام هذه الإمامة فلا منازلة لقلوبهم إلا من قرنائهم الملكية أن يحفظوا من قرنائهم الشيطانية بإسلام أو غلبة قاموا بأمر هداته على أمرهم فإن لم يحصل ذلك، وإلا فهم بين قرينيهم تارة، وتارة فمن استيقظ منهم قلبه حال نوم عينه كان له عمله مستمراً، وإلا فليس له إلا ما حضره قلبه هكذا فمن لم ينم قلبه من أهل الهدى أفضل ممن ينام قلبه منهم.

وأما الشيطان ومظاهر أئمة الضلالة فلم تزل قلوبهم تستمد من صفة الإضلال الذي هم مظاهر حكمها، ومن كان منهم له قرين شيطان فقلبه تارة يستمد من هذه الصفة بلا واسطة، وهو أشد إضلالاً ، وتارة بواسطة قرينه وهو أضعف من ذاك إضلالاً، وأما

---

(1) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (1/ 295)، بنحوه.

المأمومون لهؤلاء الأئمة الضالين المضلين فلا يتولاهم إلا قرناؤهم الشيطانية فمن لم ينم قلبه من هذا النوع لم يزل في ضلالات ومفاسد شيطانية [1] ولكن من نام قلبه من هؤلاء كان أقل شراً ممن لا ينام قلبه منهم فافهم[2].

جاء في الصحيح: أن الناس يوم القيامة يرغبون إلى أولي العزم واحداً واحداً في الشفاعة العظمى التي هي الشفاعة في تعجيل الحساب فيردهم كل منهم إلى الذي بعث بعده حتى ينتهي الأمر من آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ فيرد الأمر إلى صاحب الأمر سيد الناس يوم القيامة محمد ﷺ خاتم النبيين فيقول: « أنا لها »[3] ويقوم فيشفع فيشفع، وإنما لم يشفع المتشفعون أولاً لأمور منها أن يظهر أنه وسيلة الكل، وأن الرسل وأممهم كلهم راجعون إليه في أمر هذه الشفاعة.

ومنها أن تعرف الأمم خصوصيته بهذه الشفاعة، وأنه أفضل من الأئمة كلهم بها، ومنها أن تظهر أن دعوة الرسل كلهم أممهم إليه أولاً بدلالتهم أممهم عليه آخراً.

ومنها أن يظهر أن أئمة الهدى كلهم في الدرجات العلى والمهمات العظمى وسائل إلى الجناب المحمدي، وسيد الناس وسيلة فيها إلى الجناب الإلهي.

ومنها أن هذه الأمة المحمدية مؤمنون بكل الرسل فيأتون إلى كل منهم مستشفعون به ليكون لكل منهم نور حتى يردون على سيدهم، وسيد الناس أجمعين تلك الأنوار فتتم بنوره

---

(1) زيد في المطبوعة: [فمن لم ينم قلبه من هذا النوع لم يزل في ضلالات ومفاسد شيطانية].

(2) قال المصنف: اسمع: النفس المدركة لها جهة لا تخلو عن التصور بصورة مخصوصة عندها، فالصورة المستعدة لظهورها فيها بالإدراك الكامل ظهوراً سالماً من أسباب التغير عما هي عليه بأصلها الوجودي، هي أكمل الصور بالنسبة إليها، والصورة التي تظهر فيها بالعلم والحكمة هي فيها ربه والتي تظهر فيها بالوعظ والتنزيه وحسن العمل التعبدي هي فيها ملك، والتي تظهر فيها بنقيض ذلك هي فيها شيطان، والتي تظهر فيها بالأكل والشرب والجماع والزينة، والخط بين المرتبة الملكية والمرتبة الشيطانية، فأيها اتصبغت بحكمها كانت من أهلها هي فيها جان، والصورة التي ليس في استعدادها أن تظهر هذه النفس المدركة فيها إلا وإدراكها الحسي غالب لإدراكها التخيلي، وقاضٍ عليه بحكم بحيث أنها مهما أحست فيها تخيلته بلا عكس هي دنياها.

(3) رواه البخاري (6/ 2727)، ومسلم (1/ 183).

فيعلم أنه متمم الأنوار كما علم أنه متمم مكارم الأخلاق ومنها أنهم ألهموا ذلك ليكون استشفاعهم به بإذن المرسلين، ودلالتهم أسرع لقبول استشفاعهم، وأعظم عند الله تعالى في سرعة الإذن لصاحب هذه الشفاعة في إجابة للمستشفعين إليه في قيامه بها؛ لأنهم صاروا كالمستشفعين بأولي العزم إلى الله تعالى في أن يأذن لسيد الناس في الشفاعة المختصة به التي سألوه إياها، ومستشفعين إليه ﷺ بمن دلهم عليه من أولي العزم في أن يبدأهم بالإجابة مع سؤالهم فافهم.

وفيه أسرار أيضاً من هذا القبيل وأعلى من هذا وأعظم والله أعلى وأعلم.

مفاتيح الأشياء ما يظهرها من الغيب إلى الشهادة وأسباب إزالة موانعها، ومن هذا فتح المصر بالقتال المزيل لموانع التصرف فيها، وكذلك الصلح والذكر والهيللة مفتاح الجنة أي: مزيلة موانع دخولها ومفتاح كل أمر سبب زوال مانعه وأسباب حصول الأشياء أبوابها فالباب سبب الحصول، والمفتاح سبب زوال المانع من الدخول، فانظر كيف مفاتيح خزائن الأرض في يد المرشد إلى المصالح النفسانية الجسمانية[1]، ومفاتيح خزائن السماء في يد الهادي إلى المصالح النفسانية الروحانية، ومفاتيح خزائن الحق المبين في يد الكاشف عن الحقائق القلبية الرحمانية فافهم.

الطريق سبب الوصول، المفتاح سبب زوال مانع الحصول، والباب سبب الدخول وذلك كله في كل مقام بحسبه فافهم.

روى الترمذي أبو عيسى من حديث أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: «يمكث الدَّجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء، وأقله منفعة تنام عيناه، ولا ينام قلبه ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال: أبواه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاً حية طويلة اليدين، وفي رواية الثديين فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما، فقلنا: هل لكما ولد؟ فقال ﷺ لمكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد، ثم ولد لنا غلام أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه، ولا ينام قلبه، قال: فخرجنا من عنده فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة، وله همهمة

(1) في المطبوعة: [الروحانية].

فكشف عن رأسه فقال: ما قلتما ؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا ؟ قال: نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي»[1]. رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

قلت: هذا الحديث مع ما فيه من المعجزة الظاهرة هو ضرب مثل للوهم الذي هو حقيقة كل دجال في لونه لا يتولد في النفوس عن النفس البهيمية التي هي أمة ذات الغضب والشهوة الغلبتين بحكم الهوى، وهما ثدياها والهوى القائم بالجهل الذي هو أبو هذا الوهم البهيم إلا بعد مضي ثلاثين عاماً من وفاة رسول الله ﷺ، وهي هذه الخلافة أو من يوم قال ذلك ﷺ وعلى آله وسلم تسليماً إلى قتل عثمان ﷺ أن بلغ هذا العدد وإشارة أيضاً إلى أن هذا الوهم لا يتولد في نفس شخص عن هذين الاثنين حتى تصير دجالاً داعي ضلال، وإمام كفر حتى يبلغ ذاك الشخص في ضلالته أو في غيرها ثلاثين عاماً، ويتراخى عنها بقدر عام، أو عامين، أو ثلاثة فأقل ما يظهر الدجال إمام ضلال داعٍ إلى النار، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وما يقاربها وعور عينه اليمنى إشارة إلى أنه بصير بطريق المشأمة دون طرق الميمنة هذا هو الدجال النفساني الذي من قتله منه روح الحكمة الربانية، وهو العيسى الروحاني لم يضره الدجال الجسماني فافهم[2].

سؤال :إنا لنرى النار العظيمة تتأجج عن شرارة كالذرة لا يؤبه لها، والقصور المشيدة يبينها من لو سقط عليه بعض أحجارها لم يثبت له فكيف دل ما في العالم من كمال وأثقال على أن صانعه أعظم كمالاً بما لا يتناهى ؟.

قلت: أما على طريقة النظر الفرقي فنقول. الكمال الذي دل عليه العالم في حق صانعه ليس هو عظم الجسم وجسمانياته؛ لأن العالم بإمكانه دل على أن صانعه واجب لا ممكن، وبواسطة ذلك دل على تقدسه عن نقائص الممكنات وعلى أن كماله لا يتناهى لعدم تطرق نقص إلى وجوده الذاتي الواجب له بوجه من الوجوه، ودل في ضمن ذلك على أنه ليس بجسم ولا جسماني، وبهذا فارق حال الشررة وما تأجج عنها، ولكن البناء دل على أن بانية

(1) رواه البخاري (3/ 1308)، ومسلم (1/ 509).

(2) قال المصنف في «المسامع»: والقوم أفعالهم دائرة مع الحكمة الربَّانية، مرادهم مرضاة ربهم، وإرادتهم وجه ذي الجلال والإكرام في كل شيء، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: 273]، فإن اتسمت بسيماهم وهو التروحن والتمعن عرفتهم، وظهرت لك مقاصدهم التي بها ترى حسن أفعالهم.

مباين المرتبة الوجودية الإنسانية، أو الحيوانية لمرتبته الجمادية، وأنه غني عنه، وهو مفتقر في قيام كونه إليه فمن هنا دل على كمال بانية عليه لكن فرق بين صنع الخالق، وصنع الباني؛ لأن صنع صانع العالم له إبداعي فهو مبدع لذات العالم وصفاته، ومفرداته، ومجملاته وهذا ليس إلا للمبدع وحده، والكمال[1] ليس هو منحصراً في الجسم والشكل، وإنما هو في مرتبة بحسبها فرب كمال في مرتبته يكون نقصاً لما فوقها، فكمال الباني على البناء بعلمه وفعله الاختياري ووجوده المتصف بهذه الصفات المفقودة من بنائه، وإن كان ذاك البناء أكبر جرم من جرم بانيه فذلك جهة نقص في هذا الباني يدل بها على أن الكمال المطلق ليس إلا لصانع لا يشاركه مصنوعه في حقيقة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وهو متقدس عن مشاركة مصنوعه فيما يتطرق إليه نقص بوجه من الوجوه، وهذا الكمال المطلق ليس إلا لله وحده لا شريك له، وأما على طريقة الشهود الجمعي فالاستعدادات الإمكانية كلها مرايا تجليات واجب الوجود لنفسه في كل استعداد بحسبه فلا كمال إلا للوجود، ولا وجود إلا له بل لا وجود إلا هو فالسؤال على هذه الطريقة ساقط فافهم.

في كل كائن جهة نقص يظهر بها جهة كماله، وجهة كمال تدل على كمال مبدعه من حيث دل بإمكانه على كمال وجود مبدعه وتقدسه عن الحصول فيما يقارب مرتبة الوجود الإمكاني فضلاً عن الحصول في مثله إذ الوجود الإمكاني تقديري نسبي فقط، والوجود الواجب حقيقي خالص محض فافهم[2].

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:21]، جهة نقصها وجهة كمالها كلا الجهتين يشهدها شأن مبدعها، ويسوقها إليه محبة، ورغباً ورهباً فكل نفس معها جهة نقص، وجهة

---

(1) زيد في المطبوعة: [هو ليس منحصراً في الجسم والشكل وإنما هو في مرتبة وصفاته، ومفرداته ومجملاته وهذا ليس إلا للمبدع وحده والكمال].

(2) قال المصنف في المسمع: اسمع: صورة الوجود الواجب في الإمكان هوية مطلقة، متصفٌ صفاته أضلاعه، العلم في الواجب عقل فيه، والحياة في الواجب روح فيه، وفروع العلم ووجوهه في الواجب قوّى إدراكية فيه، وفروع الحياة ووجوهها في الواجب قوى فعلية فيه، وظله العقلي شخصه البسيط عرش الوجود العالم، وظله الروحاني شخصه اللطيف كرسي الوجود الحي وعينهما، المستوي على هذين المستويين هو الرحمن الرحيم الحي القيوم.

كمال تعرف بها مبدعها فهما شهيدها الذي يشهد بإمكانها وحكمه ويشهدها مبدعها عرفاناً ويدعوانها إلى التوجه إلى مبدعها محبة، ورغباً في أن يلحق ناقصها بكاملها، وأن يتم لها كمالها ورهباً من العكس، وذلك الدعاء هو السوق فهما بهذا الاعتبار سائقها الذي معها، وبالاعتبار الأول هما شهيد معها وما من نفس إلا ولها هاتان الجهتان فقد جاءت كل نفس في العالم معها سائق وشهيد فافهم.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: 35] أي: بما علمناهم يعملون ومنه يعلمون فافهم.

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر: 32] أي: يعمل بمقتضى الحكمة الإلهية:

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32] لا الكسب فافهم.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ أي: وافقنا تسليماً وتقليداً من غير علم ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ الإيمان الذي هو العلم التصديقي ﴿وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14]؛ لأن الإيمان الذي ذكروه تسليم لا إيمان وإنما الإيمان ما دخل في القلب علماً تصديقياً فأهله العلماء لا الذين هم أجدر ألا يعلموا، وإنما هم الذين يشهدون بالحق وهـــم يعلمون:

﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: 15] أي: أهل الصدق المتقدم ذكره فافهم.

من حقق النظر علم أن النفس العاقلة لا صورة لها إلا علمها، وأنها لا تتحقق إلا بما هو أحب إليها، وأعظم[1] عندها مما هي أعلم به من غيره، وأما الخالية من العلم فإنها تكون نهبة الخواطر الخاطفة، والواردات الغالبة فهي بينها دولة بحسب الغلبة ومناسبة الاستعداد فافهم .

إذا علمت بقدر إمام هدايتك اعرف وقلبك فيه أحب، وله أشد تعظيماً من غيره فقد حصل لك المقصود من الائتمام به.

ولذلك قال السيد الكامل: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه»[2] الحديث وقال للذين شكوا إليه الوسوسة في أمور الغيب لما وجلوا من ذلك: «كيف حالكم ونبيكم»[3]

(1) لم أقف عليه. (2) رواه أحمد (4/ 336).

(3) زيد في المطبوعة: [وأحب].

قالوا: أنت نبينا في السر والعلن، قال: «ذلك صريح الإيمان» وليس ذلك النفاق وقال للأمة: «أين الله» قالت: في السماء قال لها: «فمن أنا» قالت: أنت رسول الله فرضي منها بذلك لأن المقصود وهو صدق المحبة له قد حصل فافهم.

الهُوية: هي الوجود وهو بحسب الترتيب والتفصيل قسمان: مرسل بمعنى أنه ليس مقيداً بحكم مرتبة هو متعلق وقائم بها سار فيها، ولكنه وجود مجرد.

والقسم الثاني: هو الساري وهو القائم بموجوده هو مقيد بحكم مرتبته والأول في كماله الذاتي متعين ثابت، والثاني متعين من كماله بما يناسب استعداد المرتبة التي هو مقيد بحكمها فمتى كانت كاملة الاستعداد لكمال الوجود تعين فيها كماله بحسب كمال استعدادها حتى صار صاحب الوجود الساري في تلك المرتبة من الموجودات الزائد وجودها عليها كأنه وجود مجرد لمناسبة استعداد تلك المرتبة لحكم ذلك الوجود، وعدم معاوقتها لظهور كماله فيها أو ضعف معاوقتها له.

ومن ثم يسمى ذلك لظهور الموجود في الممكنات رسولاً ومرسلاً هذا معنى الرسول لا ما يتوهمه الظواهريون فالرسول هو الذي موجوده غير معاوق الحكم لحكم كمال وجوده.

ومن ثم يقول: ﴿ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الحج:75]، وذلك اصطفاء علمه ذلك الموجود لنفسه، وهو ظهور حكم كمال الوجود فيه صافياً من كدر الحكم المعاوق له ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:75]، والوجود له صفات الكمال، وكمال الصفات حكم ذاتي لا يمنع ظهوره إلا حكم المعاوقة فإذا زالت المعاوقة ظهر لك بقدر زوالها، ومن ثم تعلم كيف يعلم الرسول ويفعل لعلمه وفعله وعن أي جهة تصدر أموره الوجوبية وخوارقه العادية، وتشهد معنى تحول الحق في الصور، وتعرف كيف تتفاوت درجات الرسل بتفاوت مراتب زوال المعاوقة لوجوداتهم من موجوداتهم، فالوجود واحد ،وإنما يختلف ظهور كماله في موجوداته باختلاف استعداداتها، ولما يظهر على موجود من الكمال الوجودي ما لا يظهر على غيره يجب الجزم بأنه أكمل الموجودات، ولما أن كان للموجود المحمدي من ذلك الكمال وسبب ظهوره فيه ما لم يحصل للمرسلين قبله، ولم يشاركه في تمامه أحد منهم كان كأنه رسول

مرسل إرسالاً خاصاً عن إرسالهم"[1].

ومن ثم يناديه كليمه: يا أيها الرسول فيعرفه تعريف الاختصاص، وهذا معنى ختمه للأنبياء لا للرسل؛ لأنه يعلم إتيامه بوجود المرسل أكمل إرسالاً من وجود كل نبي قبله فختمه لهم كونه في المرتبة التي هي نهاية مراتب الأنبياء، وعاليه عليها وحافظة لها كعلو الختم على المختوم، وحفظ الختم لمختومه، ودلالة ختمه عليه على أنه مالكه، وحائزه، ومحيط به، وفي ختمه الولائي يكون هو خاتم الرسل إذ لا يصح لوجود سار إطلاق من حكم موجوده، وثم من إطلاق وجود خاتم الأولياء الرحمانيين المحمديين.

ولذلك لا يأتي يا أتي هو به من التحقيق في دوائر دورة إلا هو فالوجود المجرد هو الهوية المرسلة، والوجود المتعلق بالموجود تعلق التقويم هو الهوية السارية؛ لأن الإرسال هو للإطلاق من الموانع والسريان هو التقوم، والمرسل من ذوي الهوية السارية من ظهر حكم كمال وجوده في موجوده حتى كأنه في ذلك الكمال وجود مرسل، ومن هنا تعلم أن الرسل أفضل العالمين، وأن الرسالة محيطة بكل صفة كمال يصح ظهورها في الموجودات كالنبوة، والولاية، وسائر ما يمدح أو يحمد به العالم الموجود بوجود متعلق به، فالرسالة نظام هذه الكمالات، وأما الرسالة التي يشير إليها الظاهريون فهي صفة منظومة في هذا النظام، وهي التي يصح التفاضل بينها وبين النبوة والولاية بخلاف تلك الحقيقة المحيطة فافهم.

الوجود حقيقة بلا قيد هو الذات والمجرد منه ما لا يقيده حكم تعينه بوصف عن ظهوره بأوصاف كماله وكمال صفاته، والمادي منه ما حكم لنفسه بمادة تعاوقه عن ظهور حكم إطلاقه في كماله حكماً جازماً فعلياً قدر الجزم بهذا الحكم يكون الثبوت في حكم المادة المحكوم بها، وعلى قدر نقص هذا الحكم بيد التحقيق الوجودي يكون التجرد عن حكم المادة كمالاً، وهذا التجرد بعد الحصول فيه لا يصح إلا للخاتم الأعظم من حيث ما يظهر به في المراتب المادية، وأما من حيث هو فهو الوجود المطلق الذي لا يحققه كشفاً وبياناً إلا هو.

واعلم أنه لا ينتهي تحقيق محقق إلا إلى ما يكون غاية ما يظهر به وجوده من الكمال

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: فالرسول صفة مرسله وموجوده، ومرسله موصوله ووجوده، فهو الحق بوجوده ورسوله بموجوديته الظلية.

الحقيقي له ليس إلا ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: 39]، ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ [الملك: 3] عن الغير ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾ [الملك: 4] بكل خير؛ فافهم.

تمت الواردات الإلهية المسماة بالوصايا، وهو آخر الموجود، والحمد لله رب العالمين

يا مولاي، يا واحد، يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم

فهرس المحتويات